الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
قسم اللغة والأدب العربي

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

الأدباء الشهداء في الجزائر

مديرة الاستكتاب: أ.د. نوال بومعزة



كتاب جماعي

الطبعة الأولى 1

من إصدارات مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده
- جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي -

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
قسم اللغة والأدب العربي

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

الأدباء الشهداء في الجزائر

جمع وتنسيق: أ.د. نوال بومعزة

الطبعة الأولى 1

كتاب جماعي

من إصدارات مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده
- جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي -

بسم الله الرحمن الرحيم



عنوان الكتاب: الأدباء الشهداء في الجزائر
كتاب جماعي
الطبعة الأولى
1445هـ - 2024م
ردمك: 978-9969-9718-0-4
الإخراج الفني: هارون غربي
الإيداع القانوني: جانفي 2024
جميع الحقوق محفوظة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.



الحرية، العدالة، الانسانية، ثلاث كلمات سماوية، معناه الرحمة الشفقة السعادة البشرية، أتت بها الأديان لسعادة البشر، لكن الإنسان، بما فطر عليه من الأنانية وحب الذات، الإنسان بما فطر عليه من الشرور والأثام، أبى إلا أن يشوه معاني هذه الكلمات السامية... فكم من جرائم ترتكب باسم العدالة، وكم من مظالم باسم الحرية، وكم من وحشية باسم الإنسانية...

الشهيد أحمد رضا حوحو



محاور الاستكتاب

1- في مفهوم أدب الشهادة وفعل المقاومة الفكرية.
2- الأدباء الشهداء : السيرة والإبداع
3- صورة الشهيد في الإبداع الأدبي الجزائري.
4- الأدباء الشهداء الشعراء.
5- الأدباء الشهداء الكتّاب.(رواية– قصة – مسرح...إلخ)
6- الأدباء الشهداء في الشعر الشعبي
7- الأدباء الشهداء في الفكر والثقافة و الفن.
8- ببليوغرافيا الأدباء الشهداء في الجزائر.

اللجنة العلمية للاستكتاب

مديرة الاستكتاب:	أ.د. نوال بومعزة
رئيس اللجنة العلمية:	د. فطيمة الزهراء حفري
مقرر اللجنة العلمية:	د فوزية تقار

المحكمون من داخل الجامعة

أ.د مسعود وقاد	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د دلال وشن	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د حمزة حمادة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د نبيل مزوار	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د يوسف العايب	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د علي حميداتو	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د كمال بن عمر	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د العيد حنكة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د محمد الصديق معوش	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د سعد مردف	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د نوال بومعزة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د اسمهان ميزاب	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د عبد الكريم خليل	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د علي كرباع	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
أ.د زينب قوني	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. علي دغمان	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د، السعيد قرفي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. فريد خلفاوي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. عقيلة قرورو	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. عبد العزيز مصباحي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. فتيحة حسيني	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. سليم حمدان	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. سهيلة بن عمر	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. سلاف بعزيز	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. حسين مشارة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. سعد حمادة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. ياسمينة عوادي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

د. نعيم قعر المثرد	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. عبد الرشيد هميسي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. خليفة قعيد	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. ثريا برجوح	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. العلمي مسعودي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. عبد القادر عزام عوادي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. فضيلة بوجلخة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. مسعودة الساكر	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. عائشة جباري	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. كلثوم زنينه	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
د. أمينة تيجاني	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

المحكمون من خارج الجامعة

أد حبيب مونسي	جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس
أد يوسف وغليسي	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة
أ.د آمال لواتي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
أ.د ليلى لعوير	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
أ.د عبد الناصر بن طناش	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
أ.د زين الدين بن موسى	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
أ.د سكينة قدور	جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي
أ.د صالح جديد	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف
أ.د حني عبد اللطيف	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف
أ.د رزيق بوزغاية	جامعة الشيخ العربي التبسي تبسة

د خالدية جاب الله	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة
د. نعيمة بوسكين	جامعة باجي مختار عنابة
د الصالح زاكور	جامعة الحاج لخضر باتنة1
د. فطيمة الزهرة عطية	المركز الجامعي بريكة
د. صورية داودي	جامعة الشريف مساعدية سوق أهراس
د. فتيحة غزالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
د. ريمة لعواس	جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

فهرس المحتويات

تصدير 1
الأدباء الشهداء من منظور النقد الجزائري الحديث؛ أ.د. نوال بومعزة. 8
توظيف التراث الشعبي في رواية نجل الفقير لمولود فرعون؛ د. سناني الهام. 23
الأدباء الشهداء بين المقاومة والشعرية؛ د. نعيمة بوسكين. 38
جدلية الفني والتاريخي في روايات مولود فرعون - رواية ابن الفقير والدروب الوعرة أنموذجا. أ. ميسي خولة. 45
حجية التناص في مقالات الشيخ الشهيد العربي التبسي، د. سلاف بعزيز. 58
المكان في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو دلالته وجماليته؛ د. آمنة لطرش. 80
L'image du martyr dans Le Fils du Pauvre de Mouloud Feraoun: un témoignage 96...de résistance, d'identité et de mémoire collective. Dr. Mériem BEN RAHAL
صورة الشهيد في ديوان الشهيد الربيع بوشامة؛ د. سعاد بوقطاية. 110
"شاعر الثورة بين الالتزام والفن"؛ د. سمية دين. 126
بيبلوغرافيا الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون (مسيرة النضال الفكري والسياسي)؛ د. عائشة جباري. 139
إسهامات الأديب "أحمد رضا حوحو" في جريدة البصائر؛ د. عيسى طهاري. 149
المسرح عند الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو؛ د. فضيلة بوجلخة. 165
جماليات التبئير في أدب الشهيد أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" أنموذجا؛ د. فطيمة الزهرة حفري 182
مظاهر الصراع الأيديولوجي في رواية (الدروب الوعرة)؛ د. فوزية تقار. 201
الشاعر الربيع بوشامة؛ المصلح، المبدع، الشهيد؛ د. لبنى خشة. 227

محمد الأمين العمودي شهيد السلاح والقلم (جدلية الدَّم والحبر)؛ الباحثة: فاطمة صك 252

حضور المرأة في القصة الجزائرية القصيرة "قصة عائشة لأحمد رضا حوحو" مقاربة على منوال النقد الثقافي؛ ط.د لمين مسغوني/ أ.د. قويدر قيطون. 263

جمالية الإبداع الأدبي لشهداء الجزائر بين جدليتي المداد والدماء؛ د. نوال قرين. ... 274

الأديب الشهيد الشيخ العربي التبسي؛ ط.د سعاد زغبيب. 288

منسوب الحنين وثورة الأهواء قراءة في قصيدة "حب وحنين" ضمن سيمياء الأهواء للشاعر الشهيد الربيع بوشامة؛ أ. نزيهة زهواني. 304

الشيخ محمد السعيد الزاهري، حياته وأدبه؛ د. عنتر رمضاني. 315

حفريات في أدب الشهادة وتأملات في متون أدبية جزائرية؛ ط.د. فاطمة عسول؛ أ.د. حمزة حمادة؛ 336

صورة الشهيد في قصيدة الذبيح" الصاعد" لمفدي زكرياء؛ ط.د. بعطوط نور الهدى؛ أ.د. نبيل مزوار. 348

محمد الأمين العمودي حياته الأدبية ونضاله الثوري؛ ط.د. وردة مجول؛ أ.د. عقيلة قرورو. 359

جماليات الأسلوب في الخطاب الشعري عند الشاعر الرّبيع بوشامة؛ ط.د. حميدي سهيلة؛ أ.د. يوسف بديدة. 373

الشهيد الحبيب بنّاسي - حياته ونضاله السياسي والأدبي؛ ط.د. باحدي مباركة؛ أ.د. قوني زينب. 388

القصة الجزائرية القصيرة - المفهوم والتصورات؛ ط.د. مباركية شيماء؛ أ.د. نوال بومعزة. 401

تصدير

الحمد لله الذي كتب الشهادة على المؤمنين، وجعل مراتب الشهداء في أعلى عليين، والصلاة والسلام على خير عباده المرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الشهادة صورة من صور الموت غيّرت الرؤية العبثية للحياة منذ إشراقة الإسلام الأولى، بعد أن كان الإنسان الجاهلي ومنه الشاعر يقاوم تشاؤمه وقلقه، ورعبه وخوفه، ويقهر جهله وعدم فهمه لمعنى وجوده بالبكاء على الطلل ومعاقرة الخمر وعشق المرأة والتغني بالفروسية، وتقترن عنده مباهج الحياة بكآبة الموت في ظل انعدام رؤية إيمانية لهما، فامتزجت أشعاره بالحزن والفرح، والعبث والجد، والألم واللذة، والفناء والبقاء. وقد عبرت الخنساء عن تغير هذه الرؤية بعد أن فاض شعرها بالعويل والتفجع على أخويها صخر ومعاوية، لكنها استقبلت خبر موت أبنائها الأربعة في معركة القادسية بحبور وصبر وقالت قولتها الشهيرة التي تجملت بالإيمان **"الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"**، فما هو سر هذا التحول العجيب؟! إنها نفحة الإيمان التي تسربت إلى أعماق الإنسان بعد أن حدثه القرآن الكريم عن الموت في ظل العقيدة والمبدأ والحق، وفي ظل استخلاف الأرض ورسالة إعمار الوجود. وذلك في قوله تعالى: **"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران: 169)**.

وأصبح موضوع الشهادة في ظل الإسلام فنا جديدا امتزج بالرثاء والفخر والحماسة، وصاحب المعارك والفتوحات الإسلامية التي خاضها المسلمون من شبه الجزيرة العربية حتى بلاد فارس والروم وغيرها من البقاع والأقاصي. واستمر هذا الموضوع رغم تغير الزمان والمكان متعايشا مع الرؤية الثابتة لقداسة الشهادة وقيمة الشهيد، بعد أن توثقت بالرؤية الإسلامية للكون والحياة والقيم والمصير، وبقيت على مدى تعاقب الخطابات الأدبية، يتخللها الإحياء والتجديد في معناها ومبناها، وظلت تؤكد على أن الشهادة في سبيل الله هي القمة الشماء التي لا يرقى إليها إلا كل من صفت نفسه وصحت عزيمته على أن يكون المثال والقدوة بجرأة وثقة وإصرار على الوصول إلى غايات الأمة وسبل عزتها، **"وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ"**

(المنافقون/8). وكان جلاء هذه الحقيقة ذا قيمة جليلة في إنشاء تصور للحركة الكونية التي تتنوع معها صور الحياة، وهذا ما يفسر لنا سر اتصال مواكب الشهداء وسر الوقائع الظافرة التي انتزع فيها المسلمون النصر بإلحاحهم على فكرة الشهادة، يستنهضون بها الهمم ويبعثون الحماس ويشدون العزائم. كما ارتبطت الشهادة بالجهاد الذي يُعدّ سبيل الخلاص من كيد الأعداء والظالمين، وتكالب قوى الشر على اختلاف منازعها وعصورها، وهو درب الحياة الحرة الكريمة، فدفع الظلم والعدوان لا يكون إلا بتنمية الروح الجهادية التي تحسم الموقف الثابت، يقول تعالى: "**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**" (الأنفال/60).

واقترنت الشهادة بالحرية لتصبح لونا من الحرية الروحية المهيبة، حيث التحرر من الجسد والمال والجاه وتحطيم كل القيود الدنيوية من أجل تحقيق حرية أسمى، لأنّ الإنسان المسلم آمن بحريته وكرامته في ظلال الإسلام الذي خلصه من رق وعبودية التفكير الوثني والسلوك غير الأخلاقي لتشيع معاني العدل والمساواة، وهذا التحرر الروحي والوجداني جعله يرفض الخضوع لأي سلطان إلا سلطان الواحد الأحد، وهو الموقف المتميز في تأكيد الذات المسلمة في معاركها ضد الظلم والكفر والطغيان، بعد أن أُثرت عن عمر بن الخطاب ﷺ "**متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا**". فهي حرية تبدأ من ضمير الفرد وتنتهي في محيط الجماعة والأمة.

وتشكّلت الشهادة من القوة الصامدة التي لا تستثني العزيمة والإرادة والتحدي والصبر للمواجهة والتدافع والقتال رغم نيران المدافع والقنابل، ومشانق وسلاسل السجون، فهذا الفرد الفاني الذي يستطيع أن يصنع مواقف مدهشة، وينشئ أحداثا ضخمة يملك في لحظة أن يتصل بقوة الأزل، وأن يمتد في الكون الفسيح، إيمانا منه بأن الدار الباقية خير من الدار الفانية، وقد قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**" (آل عمران/20).

واتصلت الشهادة بديمومة الحياة التي كانت تكريما إلهيا يجعل النفوس المؤمنة تستعذب

الموت وتتمنى مقام الشهداء عند الله، وهي رؤية زمانية للحياة والموت، والدنيا والآخرة، تتخطى الأبعاد الظاهرة لتعبر عن وحدة زمانية تربط عالم الشهادة بعالم الغيب، فإذا بالشهيد الممزق الجسد الذي يحسبه الناس ميتا، هو عند الله حي يرزق، كما استمسكت بالجزاء الأوفى، وهو الحافز الذي يدفع إلى التضحيات النادرة بعد الإفلات من شركِ الحياة وماديتها، وتتطلع النفس المتحررة والمتطهرة والمتسامية إلى الدار الآخرة للثواب والفوز بالجنة والنعيم، حيث يقدم الشهيد ما هو أثمن من الجود بالنفس وهو أقصى غاية الجود، وتصعد روحه إلى بارئها، ليتحقق النصر بعد أن تتخضب الأرض بدمائه الطاهرة.

وأعمق العلاقات الوجودية هي علاقة الشهادة بالعقيدة والهوية والأرض والوطن، إذ أن تحرير الإسلام للإنسان، أيا كانت عقيدته وموطنه من الظلم، هو من صميم المبادئ الإسلامية قبل أي دعوات إنسانية أخرى، ليحقق وجوده الكريم بإلهاب نار الثورات التي اندلعت في الماضي وتندلع في الحاضر والمستقبل، لكي توقظ في المشاعر المؤمنة معاني الجهاد والشهادة، وهو موقف يصدر عن عزة إيمان وعدم احتمال للظلم والباطل، وتحد لكل من يعارض حرية الرأي والمعتقد والحياة، فيصرخ الفرد الحر من أجل محاربة البؤر الفاسدة التي تنشر الضعف والتقهقر، وتسبب الهزائم والانهيار والتراجع الحضاري لهذه الأمة، والكشف عنها بالتنديد والرفض. وغالبا ما يبدأ باللسان والقلم، وينتهي بالنفي والسجن والإعدام الذي تجسدت فيه الشهادة الموصولة بالأمل والإيمان والصبر طلبا للحرية واحتفاء بالشهادة.

إن البحث في مفهوم مصطلح أدب الشهادة يُعد محورا مُهمّا في المنظور النقدي الحديث والمعاصر، فقد قلّ ظهوره بخلفيته المرجعية والنقدية، وشابه التعدد المصطلحي الطبقي والموضوعاتي، فقد كان مصطلحا فرعيا منضويا تحت أدب المقاومة وأدب الثورة وأدب الحرب وأدب السجون والأدب السياسي والأدب الوطني والأدب ما بعد الكولونيالي، واندرج خاصة ضمن أدب المقاومة الذي كتبه الأدباء، ومنهم الشهداء، وكان مزاوجة بين التاريخ من حيث هو فعل وحدث، وبين الأدب من حيث هو لغة وتصوير. وتفرد فيما بعد بالتحديد المصطلحي "أدب الشهادة، أدب الشهيد"، وتعدد وتنوع الحديث فيه عن صورة البطل، ومنها صورة الشهيد البطل، وصح أن يكون بطلا لأنّه يمثل القيم التي ينشدها دينه ووطنه ومجتمعه، ومضى من أجلها

بخطوات متوثبة متحليا بالإخلاص والتفاني المطلق، سواء في أحداث الزمن الماضي أم الحاضر. وإن تعددت صورة الشهيد وأبعاد الشهادة في التصورات والرؤى، فإنها اتفقت في الغايات والمقاصد الإنسانية في الإبداع الأدبي العربي، وبخاصة في الأدب الجزائري، وبعده الأدب الفلسطيني الذي كان أكثر إنتاجا لهذا الأدب في هذه الألفية، نظرا لتجدد قضية فلسطين وتطور مسارها المقاوم النضالي والثوري.

وما تفرد به هذا الكتاب "الأدباء الشهداء في الجزائر"، هو إظهاره لمصطلح الأدباء الشهداء، حيث كشفت الدراسات الواردة فيه عن حياتهم وآثارهم، وإسهامهم مع غيرهم في الإعلاء من صورة الشهيد بأسمى معاني وصور البطولة والتضحية، والذي يتحول إلى رمز ديني ووطني وإنساني من خلال تمجيد مآثره وتخليد ذكراه، فكانت مُتُونُهم الأدبية تعبر بصدق عن شاعرية الشهيد وإحساسه العميق بمطلب الحرية أو الشهادة، وامتزجت فيها بوعي عميق عدة ثنائيات منها ثنائية الالتزام والفن، والحبر والدم، والقلم والسلاح، والحرب والسلم، التي منحتها خصوصية جمالية. وقد تعايش أولئك الأدباء مع الواقع النضالي والهاجس الأدبي، وتعالت أصواتهم الثورية تناضل بقوة الكلمة، حتى كان لهم شرف الاستشهاد، وقد ألهمتهم الثورة الجزائرية إيمانا بعقيدتهم وحبا لوطنهم. وتميزت نصوصهم الأدبية بالموهبة الفذة والذوق الحسن، والعمق في التعبير والتصوير والتجاوب الكبير مع موضوعات الإصلاح والثورة والجهاد والشهادة، فخلدوا أدبا استثنائيا لائقا بعظمة استشهادهم.

تمثل تاريخية النص الأدبي مرحلة حاسمة في تاريخ الشخصيات والأحداث والوقائع، ولكن التزام جانب النصية الأدبية هي التي أخرجت أدب الشهادة من الشكل النمطي والصياغة الجاهزة إلى صقل القراءة التي لا تقصي الجمالية، بمحاولة فك وتأويل رموز ودلالات وإيحاءات النص، فتجاوز فكرة التحريض المباشر على الثورة والتغيير إلى التحريض الإيحائي التأثيري بالنسق الجمالي الذي يُبشر برؤية استشرافية تتسم بالإيمان والتفاؤل. والإمعان في الحكم بأنه ليس أدبا خطابيا تقريريا، جاء من استثماره للتخييل والرمز والتناص والإيقاع والقص والسرد، لأن شعرية نصوصهم الأدبية عبرت عن وعيهم بأنّ الشعرية هي التي تحقق وظيفة النص الحجاجية والتداولية ومقاصده في تأثير وإقناع المتلقي المعاصر والمستقبلي بالقضايا الإنسانية المصيرية.

واهتمت الدراسات بأهم الأدباء الشهداء الجزائريين منهم: **مولود فرعون، والعربي التبسي، ومحمد السعيد الزاهري، وعبد الكريم العقون، ومحمد الأمين العمودي، والربيع بوشامة، وأحمد رضا حوحو، والحبيب بناسي**. وتكررت بعض الأسماء بأكثر من دراسة، واتجهت إلى الربط بين ثنائية المقاومة والشعرية التي عكست تعالق التاريخي والسياسي والثوري مع الفني والجمالي، وأنتجت دلالات عميقة لفعل المقاومة الثقافية في حقبة مهمة من تاريخ الجزائر، وهي تتصدى للظلم والعدوان وتدافع عن قيم الدين واللغة والوطن والهوية. وكانت لهذا الأدب خصائص فكرية وجمالية، خلدت أسماءهم خلودا أدبيا وروحيا، ودنيويا وأخرويا.

وجمعت الدراسات بين اتجاهين، اتجاه قرائي سياقي، وآخر نسقي، من خلال مقاربات تاريخية واجتماعية، وأسلوبية وسيميائية، وموضوعاتية وثقافية حول ما أثر عنهم من الشعر والرواية والقصة والمسرح والمقال والخطابة، وأسهم بعضها في عرض آراء وقراءاتٍ كانت بمثابة مدخل تأسيسي تأصيلي لأدب الشهادة والشهيد، وهي لباحثين جزائريين في مجال النقد والفكر والتاريخ، ومنهم: شريبط أحمد شريبط، ومحمد الصالح رمضان، وعمر بن قينة، وعبد الله ركيبي، وأبو القاسم سعد الله، الذين التفتوا إلى التعريف بالأدباء الشهداء الجزائريين وبمسار حياتهم وجهادهم وآثارهم، وبيّنوا كيف أنهم جمعوا بين النضال الفكري والنضال المسلح. ثم نحا بعضها الآخر إلى عرض قضايا نقدية حداثية وما بعد حداثية، جددت قراءة مدونات الأدباء الشهداء، مرتكزة على دور النسيج السردي ومنه الرواية والقصة، في إبراز واقع المجتمع الجزائري إبان الاحتلال مثل روايات الأديب الشهيد **مولود فرعون** التي أثيرت حول اثنتين منها: "نجل الفقير"، و"الدروب الوعرة"، مقولات جدل التاريخ والفن، ومظاهر الصراع الإيديولوجي، وخاصة على مستوى الرواية المكتوبة بالفرنسية قبل الاستقلال، وجسدتا صراعا حادا على مستوى الأفكار والقيم. وكذلك الأديب الشهيد **أحمد رضا حوحو** الذي خُص بعرض قضايا فارقة في قصصه ومسرحياته ومقالاته وروايته "غادة أم القرى"، منها ما ارتبط بدلالات المكان وجمالياته، من خلال ما أنجزته الدراسات المكانية، ومنها ما ارتبط باستقراء الأنساق الثقافية حول علاقة المرأة بخطاب التأنيث وعلاقة الهامش الاجتماعي بمركزية السلطة الاستعمارية ودورها في سياسة التخلف والجهل والفقر والحرمان. وأخضعت قصائد الشاعر الشهيد **الربيع بوشامة**، ومنها قصيدة "حب

وحنين"، إلى ثورة أهواء الشهيد ضمن سيمياء الأهواء التي كشفت عن مشاعر الفقد والغياب والدمار، وتداخلها مع مشاعر الحنين والحب والأمان، حيث عبرت عواطفه وأحاسيسه عن ثنائية الحرب والسلم. وأحالت إلى جمالية الأسلوب في خطابه الشعري من خلال المقاربة الأسلوبية لإبراز الخصائص الجمالية للقصيدة الثورية.

وجمعت دراسات أخرى بين الأدباء الشهداء **العربي التبسي**، و**محمد السعيد الزاهري**، و**محمد الأمين لعمودي**، الذين كان لهم سجل حافل بالمنجزات الإصلاحية والجهادية والتاريخية والأدبية، وأبانت عن مقالات وقصائد منددّة بالاستعمار الغاشم، ورافضة للعبودية والإذلال، وداعية إلى بعث القيم النبيلة والمبادئ الفاضلة لتحقيق التغيير والنهوض. والتفتت إلى الأديب الشهيد **الحبيب بناسي** الذي لم ينل من التعريف الشمولي، ولم تحظ آثاره الأدبية بالاهتمام النقدي، وقد عرفت بحياته ونضاله السياسي والأدبي واهتمت بقراءة لوحاته القصصية. وجَنحت دراسات أخرى إلى رسم معالم صورة الشهيد عند الأدباء ومنهم الشهداء، من خلال قصائد الرثاء وسرديات البطولة التي تمثلت فيها صفات الكمال البشري مما جعله نموذجا للاقتداء والاحتذاء، مثل تقديم صورة الشهيد أحمد زَبَانة في قصيدة "الذبيح الصاعد" لمفدي زكريا الذي برع في تقديم صورته المثالية الموصوفة بالنقاء والطهر والفخر والاعتزاز. وكانت القصيدة لوحة شعرية رسمت أروع مشهد خشوع للحظة الشهادة:

قام يختالُ كالمسيحِ وئيداً، يتهادَى نشْوانَ، يتلُو النَّشِيدا
بَاسِمَ الثّغرِ كالملائكِ أو كالطّفلِ يستقبلُ الصّباحَ الجديدَا
حَالِماً كالكَليمِ كلَّمَه المجدُ، فشدّ الحبالَ يبغِي الصُّعودَا
وتسامَى كالرُّوحِ في ليلةِ القدْرِ سَلاماً يَشعُّ في الكونِ عيداً

تمثلت قيمة الكتاب في غايته المنشودة لبعث الوعي لدى الأجيال القادمة بالتمسك بمبادئ الثورة الجزائرية والهوية الوطنية، ومنحها شحنة روحية للتحدي والاستعلاء على صنوف الانكسار، والتسامي بالارتقاء الروحي من خلال تقديم نماذج إنسانية مثالية خالدة عن الأدباء الشهداء بالتأكيد على نضالهم الفكري والأدبي من أجل الإصلاح والثورة والتغيير والنهوض،

والكشف عن إسهام إبداعاتهم في تقرير مصير الجزائر، وكذلك إبراز خصائصها الموضوعاتية والجمالية، وأثر ذلك على الفكر والتاريخ والثقافة، وهو جانب أدبي متميز من تاريخ الأدب الجزائري. واتسمت قيمته أيضا بالدعوة إلى الانفتاح على هذا الموضوع برؤية موضوعية أوسع لإعادة إحياء وقراءة المنجزات الفكرية والأدبية للأدباء الشهداء في الجزائر، منهم الذين لم يظهروا في هذه الدراسة مثل: **محمد الزاهي الميلي، وعلي معاشي، ومحمد العابد الجيلالي، وأحمد بن عاشور**، وذلك لأنّ الثورة الجزائرية تبقى من أعظم الثورات التي شهدها القرن العشرين، ونموذجا يُحتذى لحركات التحرر في العالم، فتبارى الأدباء العرب والغرب في استلهام ملحمة الجزائر وتصويرها وتمجيد أبطالها وشهدائها. ويبقى أدب الشهادة يُشعر المتلقّي بالامتلاء الوجداني والقيمي، ويمسح عنه الآثار النفسية التي تتولد عن النكسات والنكبات. ويؤكد على أنّ الذات العربية المسلمة قادرة على تحقيق المعجزات إذا توفرت لها القيادة الحكيمة.

ولا يسعني في هذا المقام العلمي إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان للأستاذة الدكتورة الناقدة نوال بومعزة التي وفقت بحسها المعرفي والوطني في انتقاء موضوع الكتاب: "الأدباء الشهداء في الجزائر"، وفتحت مع الأساتذة الباحثين بطموح نقدي، بابا واسعا للبحث في موضوع أدب الشهادة، وتقديم رؤية موضوعية لجانب مهم من الأدب الجزائري يحتاج إلى إضاءات نقدية تكشف عن قضاياه الفكرية والجمالية وأبعاده الوطنية والعربية والعالمية.

أ.د. آمال لواتي

20 جمادى الأولى 5/1445 ديسمبر 2023

الأدباء الشهداء من منظور النقد الجزائري الحديث

Martyr writers from the perspective of modern Algerian criticism

الأستاذ الدكتور/ نوال بومعزة

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي(الجزائر)

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

naoual-boumaza@univ-eluoed.dz

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في موضوع الأدباء الشهداء في النقد الجزائري، وهو موضوع مغمور من ناحية الدراسات الأدبية والنقدية. نحاول من خلاله إعادة إحياء وجهات نظر كتبت بأقلام نقدية جزائرية، من مثل الناقد الأكاديمي الجزائري شريبط أحمد شريبط التي كانت دراساته من المنجزات النقدية الهامة التي تبحث في النصوص الأدبية الجزائرية التي كتبت قبل الثورة، ومن بينها إبداعات الأدباء الشهداء الذين ضحوا بالنفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الحق. فكانت الدراسة استعراض لأهم آراء الناقد، إضافة إلى ما قدمه المفكر والأديب محمد الصالح رمضان عن شخصية الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو.

الكلمات المفتاحية: الأدباء الشهداء، أدب الشهادة، شريبط أحمد شريبط، شعر الثورة، محمد الصالح رمضان.

Abstract

The aim of this study is to investigate the topic of the martyrs in Algerian criticism, a topic that is immersed in terms of literary and Critical Studies. In this way, we try to revive points of view written in Algerian critical pens, such as the Algerian academic critic charib Ahmed charib, whose studies were one of the important critical achievements that examines the Algerian literary texts written before the revolution, including the creations of the martyrs who sacrificed themselves for the sake of upholding the word of truth. The study was a review of the most important opinions of the critic, in addition to what the thinker and ideologue Muhammad Al-

Saleh Ramadan provided about the personality of the Martyr Ahmed Reza hawho.

Key words: The literature of the martyrs, the literature of martyrdom, sharibat Ahmed sharibat, the poetry of the revolution, Muhammad Al-Saleh Ramadan.

تمهيد

الشهداء المفكرون أو الأدباء الراحلون بشهادة في سبيل الله والوطن أناس يرحلون. وقد تركوا إرثا عظيما. فكانوا في حياتهم خير قادة وخير قدوة لمن بقي خلفهم، وارتباطهم بالشهادة بشكل من إشكال التضحية، فقد ارتسمت صورة الشهيد في المخيال الجمعي ناصعة البياض.

تزخر صفحات التاريخ الأدبي الجزائري بعديد صور التضحيات التي قدمها ثلة من الأدباء الشهداء كانوا ضحية السلطات الفرنسية على تصفية النخبة المثقفة في الجزائر إلاّ أن الدراسات والكتب التاريخية والأدبية شحيحة في هذا الموضوع، حيث تنذر الدراسات الأدبية والنقدية التي تعمل على إحياء المنجزات الأدبية والفكرية للأدباء الشهداء في الجزائر، من أمثال: الشيخ العربي التبسي، الربيع بوشامة، أحمد رضا حوحو، عبد الكريم العقون، مولود فرعون، الحبيب بناسي، محمد الزاهي الميلي، محمد الأمين العمودي، علي معاشي وغيرهم.

لقد تنوّعت النصوص الإبداعية للأدباء سابقي الذكر، فهناك من أبدع في الفكر والثقافة، وهناك من خاض في مجال الشعر والقافية، وهناك من تخصص في الشعر الشعبي والرواية والقصة والمسرح.

1. الأدباء الشهداء في الجزائر بين المقاومة والإبداع.

اعتبرت الشهادة في الدين الإسلامي "أرقى أنواع الموت، وارتسمت صورة الشهيد في المخيال الجمعي ناصعة البياض، تصاحبها التكبيرات والزغاريد".[1] فباستراتيجية عسكرية مخطط لها عملت السلطات الفرنسية الاستدمارية على تصفية النخبة المثقفة في الجزائر، فقد وصف الكاتب والأكاديمي أحمد حمدى اغتيال هؤلاء الكتاب بأنه "إرهاب دولة"، فقد خططت السلطات

الفرنسية للاغتيالات ونفذتها من خلال منظمات إرهابية، مثل منظمة الجيش السري واليد الحمراء، معتبرا أن من الضروري فتح الأرشيف المتعلق بهذه الاغتيالات التي استهدفت كاتبا جزائريين من الجيل الأول، دافعو من خلال نصوصهم عن الجزائر والشخصية الجزائرية [2]، فالشهيد المفكر لا يرحل، لأنه يترك أثرا يُتحدّث عنه طيلة الوقت بعد رحيله شهيدا إلى الحياة الأخرى تبقى كلمات الشهداء حاضرة في أذهاننا من بعد مواقفهم تركت أثرا طيّبا. فهم أيقونة وعنوان كل نصر أو معركة، يرحل بعضهم جسدا ويبقى فكرا وإرثهم يستحق أن يُقرأ.

أكدّ الناقد والمفكر الجزائري عبد الله حمادي: "أن الساحة الثقافية الجزائرية لا تتعرف اليوم إلا على حوالي 15 أديبا شهيدا. لقد عانوا السجن والتعذيب والنفي وصولا إلى التصفية الجسدية.

من هؤلاء:

- أحمد رضا حوحو 1910 – 1956
- الربيع بوشامة 1916 – 1956
- العربي التبسي 1881 – 1957
- عبد الكريم العقون 1918 – 1959
- مولود فرعون 1913 – 1962
- الحبيب بناسي1928 – 1956
- محمد الزاهي الميلي 1904 – 1960
- محمد الأمين العمودي 1891 – 1957

وعلى سبيل المثال لا الحصر "في العاشر من تشرين الأول / أكتوبر 1957 اختطفت السلطات الفرنسية الشاعر الجزائري محمد الأمين العمودي، وهو من مواليد 1891 في منطقة وادي سوف ينتمي إلى أدباء الإصلاح، شاعر ومفكر وأول أمين عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، "فالثقافة الواسعة التي اكتسبها الشيخ محمد الأمين العمودي جعلته يرى الأشياء بمنظار الحق ويثور

على الظلم، ويدعو إلى المساواة بين الفرنسيين والجزائريين، لأن الواقع كان عكس ذلك، فالإدارة الفرنسية كانت تطلق اسم الأهالي على الجزائريين وهذا ما أقلق المستعمر".[3]

أكّد مقربون له أن السلطات الفرنسية علمت باحتكاكه بالعديد من المؤسسين الأوائل للثورة الفرنسية، فعثر عليه مقتولا في منطقة لعجيبة من مدينة البويرة شرق الجزائر العاصمة، وقد ذكر المفكر أحمد بن ذياب: "فإذا جاءت الثورة كان من المغطبتين الشاكرين، وكان يعمل في الخفاء ما استطاع حتى إذا جاء يوم 10 أكتوبر 1957 وجد مرميا بجانب السكة الحديدية قرب البويرة، ذلك أن اليد الحمراء لم ترحم شيخوخته، وقد ناهز السبعين، ولم تشأ أن تقتله علانية، لأنها – فيما يظهر – كانت تريد أن تتحصل منه على بعض الأسرار ".[4] ولعّل اتجاه هؤلاء المصلحون إلى الأوضاع السيئة التي يعيشها الشعب الجزائري في شعرهم وكتاباتهم هو السبب الرئيسي في قتلهم من قبل السلطات المجرمة.

2. الأدباء الشهداء في كتاب مباحث في الأدب الجزائري المعاصر لشريط أحمد شريط.

بورتريه عن المؤلف.

المفكر والناقد الأكاديمي شريبط أحمد شريبط باحث "ينتمي إلى ذلك الجيل من الكتّاب والأدباء الجزائريين، الذي برز في مرحلة السبعينات من القرن المنصرم. صدرت مؤخرا الأعمال الأدبية الكاملة له في طبعة أنيقة من منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات بمدينة عنابة، وبدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، حيث توزعت على عشرة مجلدات ضخمة، جمع فيها الباحث كتاباته المتناثرة بين صحف المجلات والنشريات والكتيبات، والتي يمتد تاريخها إلى أكثر من أربعين سنة"[5] وهو من مواليد 1957 بلدية عين قشرة ولاية سكيكدة، شغل منصب رئيس فرع اتحاد الكتاب الجزائريين.

انصب اهتمام الناقد شريط أحمد شريط على القضايا الفكرية والأدبية والثقافية في الجزائر، فراح يجمعها ويحللها ويدقق في تفاصيلها، شملت الأعمال الكاملة للناقد عشر مجلدات وهي على النحو الآتي:

- **المجلد الأول:** كتاب الآثار الكاملة للأديبة الجزائرية زليخة السعودي
- **المجلد الثاني والثالث:** كتاب تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، وكتاب الخطاب الادبي الجديد: وهم الواقع وعنف المتخيّل.
- **المجلد الرابع:** معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين.
- **المجلد الخامس والسادس:** كتاب الفواجع والمراجع، إشارات ثقافية وكلام بارد، الإشارات مقاربات في الأدب والثقافة والفكر.
- **المجلد السابع:** كتاب جميلة بوحيرد
- **المجلد الثامن:** مباحث في الادب الجزائري المعاصر.
- **المجلد التاسع:** كتاب الحركة الأدبية المعاصرة في عنابة.
- **المجلد العاشر:** في المتخيّل الأدبي.

3. حضور الأدباء الشهداء في كتاب مباحث في الأدب الجزائري المعاصر.

ضمّ كتاب مباحث في الأدب الجزائري المعاصر محاور كبرى، تهتم بمسائل النقد الأدبي في الجزائر، وخاصة قضية حضور الطفل في الأدب الجزائري المعاصر. فاستعرض ماهية مصطلح أدب الطفل بين القيمة والشكلية، ومثّل لذلك بشعر الشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي.

كما اهتم الناقد شريبط أحمد شريبط بأدب السجون، فكانت له سابقة في الدراسات النقدية الجزائرية، حيث وجد في القصائد الشعرية الجزائرية الوطنية مادة خام للإجراءات التطبيقية، فاستعرض محنة السجن بين النظريتين التفاؤلية والتشاؤمية، ولتأكيد هذه الظاهرة درس قصائد شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، بحكم احتكاكه المباشر بالسجون الفرنسية، فبيّن أن لغة شعره مليئة بالخطاب الثوري والألم.

عاد الناقد في مباحث هذا الكتاب إلى الشاعر محمد الأخضر السائحي معرفا بسيرته العلمية والذاتية ومعرجا على أهم قصائده وحضور الآخر فيها.

ينتقل الناقد إلى شعر رمضان حمود، فاستعرض شخصيته، فهو ظاهرة أدبية ونقدية مميزة، فتطرق للفلسفة الشعرية عنده، من حيث اللغة والصباغة والبنية.

في مستهل هذه المباحث أكد الناقد شريط أحمد شريط على أدب المقاومة من خلال قوله: "كما ظهرت مجموعة من الكتاب والمثقفين الجزائريين بين الحربين العالميتين عملت على بلورة الفكر الوطني وبعث الشخصية الأصيلة المتميزة عن مكونات الهوية الفرنسية، وأبرز عناصر هذه الكوكبة: الأمير خالد، وعمر بن قدور، وعبد الحميد بن باديس، وحمد البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني، وعبد الرحمان الجيلالي، ومحمد العابد الجيلالي، وعمر راسم، ومحمد اللقاني بن السايح، وأبو يقظان... وغيرهم "[6]. ويضيف الناقد أن المثقفين الجزائريين وراء "معظم الثورات والانتفاضات الشعبية التي تلت مرحلة المقاومة بقيادة وزعامة: الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري والوسط، والحاج أحمد باي بالشرق الجزائري. فمن ذلك أن الأمير عبد القادر كان مقدما للطريقة القادرية، كما أن ثورة المقراني عام 1871، قد كان وراءها شيوخ الزاوية الرحمانية، وكانت البطلة لالا فاطمة نسومر ابنة محمد بن عيسى مقدم زاوية الشيخ أحمد مزيان على الطريقة الرحمانية، وكان أيضا مقدّم الطريقة الدرقاوية مدعما ومناصرا لثورة واحة الزعاطشة والزيبان."[7]

وبعد هذا الفرش النظري، يجلي الناقد شريبط أحمد شريبط مصطلح الأدباء الشهداء أو شهادة الكلمة ويضع عنوانا فرعيا عن المسار الوطني المعاصر، كما نوّه في تهميش وضعه أن هذا البحث أُلقي في الملتقى الوطني الأول للكتّاب الشهداء الذي نظّمه اتحاد الكتّاب الجزائريين بالاشتراك مع وزارة المجاهدين والمتحف الوطني للمجاهد بمناسبة اليوم الوطني للشهيد، وقد نشر ضمن أعمال الملتقى.

4. في كتاب من منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1997.

تضمنت المحاضرة الملقاة سنة 1997 محورين أساسيين:

الموضوع الأول: المثقف الجزائري، وتطوّر الوعي الوطني.

الموضوع الثاني: تجارب بعض الأدباء الشهداء الإبداعية مبرزا مضامين نصوصهم الأدبية، ومواقفهم من الاستعمار.

وقد أكدّ الناقد في الموضوع الأول أن المثقف الجزائري مثلما وقف إلى جانب صفوف المقاومة الجزائرية من بداياتها الأولى، فإنه أيضا قد وقف إلى جانب صفوف المقاومة الجزائرية منذ بداياتها الأولى، فإنه أيضا وقف إلى جانب اندلاع الثورة التحريرية المباركة، فكتب عن المعارك وبطولات المجاهدين، ومجد انتصاراتهم وتضحياتهم ولم يقف المثقف الجزائري متفرجا، وإنما التحق بالعديد من الأدباء والعلماء بصفوف جيش التحرير الوطني: العربي التبسي، ومحمد العابد الجيلالي، وعبد الله الركيبي، ومحمد الميلي، والربيع بوشامة والحبيب بناسي وغيرهم".[8]

يعرّج الناقد شريبط أحمد شريبط إلى موضوع الأدباء الشهداء من خلال التركيز على ذكر بعض الأعلام من مثل: أحمد رضا حوحو، والأمين العمودي، والربيع بوشامة، وعبد الكريم العقون، ومولود فرعون، والحبيب بناسي. لقد اقتصر الناقد على هذه الأسماء، فحين يذكر الناقد والمفكر الجزائري عبد الله حمادي "أن الساحة الثقافية الجزائرية لا تعرف اليوم إلا على حوالي 15 أديبا شهيدا. وقد كانت كتاباتهم بمثابة تأسيس للفكر الثوري."[9] وبالرغم من أن إطلالة الناقد شريط أحمد شريط كانت خاطفة عن مسيرة وحياة الأدباء الشهداء إلا أن العمل كان سابقة واعتراف في حق هؤلاء، فقد قدّم الناقد كل من:

أ- الأديب أحمد رضا حوحو بين المسرح والقصة القصيرة.

ذكر الناقد أن "الأديب أحمد رضا حوحو أحد رواد الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية، فهو وبالرغم من أنه خريج مدرسة فرنسية بمدينة سكيكدة إلاّ أنه آثر الكتابة الإبداعية باللغة العربية، رغم تمكنه الجيد من اللغة الفرنسية، واطلاعه الواسع على آدابها، خصوصا الكتابات الأدبية الفرنسية التي ظهرت في عصر النهضة، حيث كان معجبا بالكاتب الفرنسي "فيكتو هيجو" وغيره من كتاب النهضة".[10] لم يفصّل الناقد كثيرا في المسيرة الحياتية للأديب، بل راح يركز اهتمامه على مؤلفاته الإبداعية في القصة القصيرة، فذكر صاحبة الوحي وقصص أخرى ومجموعة "نماذج بشرية". أما في الرواية فنجد له عملا واحدا هو رواية غادة أم القرى التي صدرت

طبعتها الأولى عام 1947 بتونس. أما المجال الإبداعي الذي تألق فيه الأديب هو المسرح فقد ألّف وترجم واقتبس العديد من المسرحيات من مثل مسرحية عنبسة التي مُثّلت على خشبة المسرح الوطني عام 1969.

لفتت الكتابات الواقعية للأديب أحمد رضا حوحو انتباه الناقد شريط أحمد شريط عندما صرّح: "تتميز كتابات أحمد رضا حوحو بالواقعية، فهو يأخذ موضوعاته من الواقع المعيش، كما أنه يستمد من معارفه والشخصيات التي يعيش بينها مواد خام لقصصه. ويبرز هذا الأسلوب على الخصوص في مجموعته النماذج بشرية إذ تمثل نصوص هذه المجموعة نماذج لطريقته في التقاط موضوعات قصصه ويظهر ذلك جليّا من خلال قصصه: الشيخ زروق، وهو نموذج رجل الدين المحتال، وقصة: يحي الضيف، وأيضا قصة: سيدي الحاج، وكذلك قصة: سي عزوز"[11] وقد طبع هذا التوجه الواقعي أغلب كتابات الأدباء في الجزائر إبّان الثورة وبعد الاستقلال، "فالغاية الأساسية للأدب هي تحقيق المنفعة على كل المستويات الجمالية والاجتماعية والثقافية والمعرفية، وقد أدرك الكاتب الجزائري إبّان الاحتلال الفرنسي هذه القيمة وحوّل قلمه إلى سلاح يحارب مظاهر العنف والسلب والاضطهاد التي مارسها الاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري. " [12] ولعّل هذا الاتجاه أثبت جدّية الأديب الجزائري في مواجهة قضايا أمته، "فالنصوص السردية تتمتع لأحمد رضا حوحو بالاتجاه المنفعي الذي يسخر من خلاله الكاتب قلمه في خدمة ومساعدة المجتمع، ومد جسر التفاعل بينه وبين قارئه، فالمعروف أن الكتّاب يتحسسون تجاربهم وتجارب غيرهم، والكاتب حينما يكتب يفكر بقارئ معين أو يتخيل قارئا نموذجيا معينا، ويحدد معنى نصه طبعا لهذا القارئ بالذات...

لقد أخذ الكاتب أحمد رضا حوحو هذه العلاقة بعين الاعتبار والاهتمام، فصب جل جهده على توجيه نصوص السردية الأدبية إلى بؤر الأمراض الاجتماعية والثقافية والفكرية التي تنخر المجتمع الجزائري إبان الاستعمار، بل وامتدت أفكاره إلى طرح قضايا من المجتمع العربية بصفة عامة، وبالتالي أثر النص السردي لأحمد رضا حوحو في المتلقيين الجزائري والعربي على السواء."[13]

ب- الشهيد الأديب: الحبيب بناسي(1928 – 1956)

ذكر الناقد شريبط أحمد شريبط "أنّ الشهيد حبيب بناسي ولد في مدينة مشرية ولاية سعيدة يوم 13 ديسمبر 1928.. بدأت مواهبه الأدبية تبرز أثناء نضاله ضمن صفوف حزب الشعب. وخصوصا عندما وقعت حوادث 08 ماي 1954، وأدى به نشاطه السياسي إلى التعرف على بعض الشخصيات البارزة التي كانت في المعتقل بمدينة المشرية مثل الشيخ العربي التبسي رحمه الله، والشيخ سعيد الصالحي." [14]

برز الشهيد الأديب الحبيب بناسي في مجال المقال، فكانت له سلسلة من المقالات على شكل مراسلات نشرها بتونس، "وكان موضوع هذه المقالات يدور حول الثورة وانتشارها بين السكان واحتضان الشعب الجزائري لها، فكان أن التفتت إليه جبهة التحرير، واتصلت به لما رأت في كتاباته من الالتزام بخط الثورة ومنهجها". [15]

يكشف النسيج اللغوي الذي قدم من خلاله الناقد شريط أحمد شريط شخصية الشهيد الحبيب بناسي شدّة إعجاب الناقد بهذه الشخصية خاصة عندما يشارك في هجوم شنه الفدائيون على مدينة سيدي بلعباس، وذلك في شهر نوفمبر من عام 1956 وهي انطلاقته مباشرة الى صفوف جيش جبهة التحرير الوطني ووقع شهيدا يوم 15 ديسمبر 1956. كما نوّه الناقد أن الشهيد الأديب "ترك عملا واحدا، طُبع جزؤه الأكبر بمدينة تلمسان عام 1956 بعنوان "صرخة القلب"، وهو كتاب يحتوي على لوحات قصصية يغلب عليها الأسلوب الرومانسي، ومن قراءتنا لها تبيّن لنا أنها تتميز برومانسية عنيفة، كما أن أسلوبه بدا في هذا الكتاب قريبا من أسلوب الأديب العربي الكبير جبران خليل جبران، وخصوصا في نزعته الثورية حتى أننا نكاد نعثر في بعض مقالاته على كلمات جبران وأسلوبه".[16] كما بيّن شريط احمد شريط كيف انتقل الشهيد من الكتابة الرومانسية إلى الكتابة الواقعية بحكم توجهه السياسي والثوري، فكتب يتيم الأصنام، وشهداء الأدب والسياسة، و"دماء ودموع"، و"شهيد بلا قبر"، و"لبيك يا جمال"...

ج- الأديب الشهيد الربيع بوشامة 1916 – 1956

ولد الشاعر الشهيد سنة 1916 ببلدية قنزات ببني يعلى دائرة بوقاعة ولاية برج بوعريريج "وتعود بدايات الشهيد الربيع بوشامة بصفوف جيش التحرير إلى الشهور الأولى من اندلاع الثورة التحريرية المظفرة، وذلك بعد لقاء جمع بينه وبين البطل المغوار العقيد عميروش."[17]

لقد سعى الناقد شريبط أحمد شريبط إلى جمع العديد من المعلومات والتصريحات من شخصيات مقربة من الشهيد خاصة من أسرته وشهود عاينوا مراحل كفاحه وبشكل مستفيض قدّم الناقد آثار الشهيد المتنوّعة، خاصة في مجال الشعر، والمقالة، ففي سنة 1994 جمع شعره من طرف منشورات المتحف الوطني للمجاهد. وقد صنف الناقد هذا العمل إلى أغراض وموضوعات كالآتي:

- مختارات الشاعر ـــ 04 قصائد.
- الشعر الوطني القومي ـ 20 قصائد.
- الإصلاح والتربية والتعليم ـ09 قصائد.
- اعتراف وتقدير ـــ 07 قصائد.
- من وحي العاطفة ـــ 08 قصائد.
- الطبيعة بين الجمال والقسوة ـ02 قصائد.
- معاناة ذاتية ـــ 11 قصيدة.
- اجتماعيات ـــ 08 قصائد.
- الأناشيد ـــ 05 قصائد.
- شعر الثورة ـــ21 قصيدة.
- متفرقات ـــ 10 قصائد.

د- الروائي الشهيد مولود فرعون 1913 – 1962

ذكر الناقد شريبط أحمد شريبط أنّ الروائي الشهيد مولود فرعون ولد في قرية "تيزي هيبل" إحدى قرى بني دوالة، بالقرب من مدينة تيزي وزو، وذلك يوم 08 مارس 1913، وأُغتيل من

قبل مجموعة من المنظمة الإرهابية التي "تشكلت من الجناح الفرنسي المتطرف، والمُعارض للاستقلال الوطني، وقد أطلقت – هذه المنتظمة الإرهابية على نفسها هذا الاسم O.A.S المنظمة المسلحة السرية"[18] وبتفصيل دقيق في الأحداث والتواريخ ذكر الناقد أن الشهيد مولود فرعون أُغتيل يوم 15 مارس 1962 " أي قبيل الإعلان عن توقيف القتال بنحو أربعة أيام فحسب. إذ أننا نعد هذا اليوم 19 مارس يوما مقدسا في التاريخ الجزائري المعاصر ".[19] ثم أورد الناقد أهم الآثار الأدبية التي تركها الشهيد الراحل منها: ابن الفقير 1950، الأرض والدم 1953، أيام القبائل 1954، الدروب الوعرة 1957، وفي معرض حديثه عن أعمال مولود فرعون استحضر الناقد رأي الأستاذ نسيب يوسف في قوله: " تشير كل الدلائل إلى أن فرعون كان يهدف من وراء مشروعه الأدبي إلى وصف الواقع وصفا عرقيا، ومن وراء عمله الأدبي إلى الإدلاء بشهادته كمؤلف يكتب، لكي يصف للقرّاء عن شؤون المجتمع".[20] ولم يكتف الناقد بهذا الرأي بل أضاف العديد من التصورات لمجموعة من النّقاد والمفكرين من أمثال: عبد الكبير الخطيبي، والباحثة الفلسطينية عايدة أديب بامية.

هـ- الشاعر الصحفي الشهيد: الأمين العمودي 1890 – 1957

أورد الناقد شريبط أحمد شريبط أن الأديب الشهيد الأمين العمودي ولد عام 1890 بوادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري، واستند الناقد على شهادات حية لتوثيق كل ما يتعلق بالشهيد الأمين العمودي، كشهادة ابنة أحمد العمودي. وقد أكد الشاعر الجزائري الطاهر بوشوشي للشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي سبب اغتيال الشهيد والذي يعود إلى: "إن اغتياله يعود إلى تحريره وترجمته للتقرير الذي قدم في ملف القضية الجزائرية للأمم المتحدة عن التعذيب الجهنمي، والأساليب الوحشية التي كانت السلطات الفرنسية تستعملها ضد الشعب الجزائري، وصورة القضية تعود إلى الملف الذي قدمه الأخ عبد القادر شندرلي إلى لجنة تصفية الاستعمار بالأمم المتحدة سنة 1957، والمتضمن لحقائق دامغة كشفت الستار عن مخازي التعذيب في مراكز الموت التي كانت القوات الفرنسية تستعملها للاستنطاق مدعمة بأسماء المعذبين، وأسماء الضباط القائمين بالإبادة والتصفية الجسدية لمناضلي جبهة التحرير الوطني، وغيرهم من

المواطنين، والسجون والمحتشدات وكل ما يثبت مخازي الاستعمار، ويزيح الستار عن جرائمه النكراء، وأساليبه المتوحشة التي فاقت أعمال البرابرة".[21]

و- الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون 1918 – 1959

ورد في كتاب مباحث في الأدب الجزائري المعاصر تاريخ ميلاد الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون، فكان في 18 مارس 1918 بقرية برج الغدير ولاية سطيف، "وقد القي القبض عليه يوم 15 جانفي 1955، ولم تعلم أسرته بنبأ اعتقاله إلا بعد خمسة أشهر، وأُغتيل في يوم 5 ماي 1995 ببلدة الدويرة بعد تعذيبه عذابا شديدا"[22] ويضيف المفكر محمد الهادي الحسنى أن "الشاعر عبد الكريم العقون هو واحد من تلك الكتيبة المجاهدة من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين خطت الأقدار في صحائفهم أن يرابطوا على ثغور الجزائر الحضارية في وجه أفسد دولة، وأحقدها، وأكثرها شراسة، وأشدها مكرا بالإسلام، وعداوة للمسلمين عموما، وللجزائر خصوصا..."[23].

إذن، ومن خلال هذه الورقة التي وثقها الناقد شريبط أحمد شريبط يتضح للقارئ مدى إسهام هذا الناقد في التعريف بشخصيات وطنية ضحت بالنفس والنفيس في سبيل الوطن وإعلاء كلمة الحق، فاجتمع في كتاباتهم الحبر والمقاومة والإصلاح.

5. الأديب أحمد رضا حوحو من خلال كتاب "شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو" لمحمد الصالح رمضان.

في كتيب صغير الحجم قدّم الكاتب والشاعر محمد الصالح رمضان شخصية الأديب الشهيد احمد رضا حوحو من خلال اختيار عنوان بارز يحمل من الأحاسيس الدقّاقة بالافتخار والاعتزاز كون الشهيد أحمد رضا حوحو شهيد الكلمة. ضمّ الكتاب العناصر الآتية:

- فاتحة الكتيب.
- نشأة حوحو وحياته.
- من آراء أدباءنا في حوحو وأدبه وآثاره.

- الأدباء الشهداء حاضرون في افتتاحية الكتاب.

بلغة بليغة الأسلوب وشعور المفكر المسؤول يفتتح الدكتور محمد الطاهر العدواني كتاب "شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو" شهداء الكلمة في ثورة التحرير الجزائرية (1954 – 1962) عديدون: علماء، أدباء (كتاب وشعراء)، صحافيون، محامون، أطباء، الخ... كان في طليعتهم العالم الأصولي الشيخ العربي التبسي والفقيه الشيخ محمد العدوى، والأديبان رضا حوحو ومولود فرعون، والشاعران: الربيع بوشامة وعبد الكريم العقون، والصحفيان: الأمين العمودي وأحمد بوشمال"[24] وبتفصيل دقيق استعرض المفكر محمد الصالح رمضان المسيرة الحافلة لشهيد الكلمة أحمد رضا حوحو، مؤكدا على التوّجه الإصلاحي في أعماله الأدبية، وفي مقالاته المنشورة في الجرائد، وقد كانت أعمال رضا حوحو مع جهود علماء ومفكري جمعية علماء المسلمين تمثل "بوادر نهضة أدبية تمثلت في صحوة مسّت اللغة والأدب الجزائري، والتي مثّلتها تلك النهضة الفكرية والاجتماعية والوطنية"[25] حرص المفكر محمد الصالح رمضان على تتبع الأعمال الأدبية التي من بينها: فتاة أحلامي، مع حمار الحكيم، والعديد من المقالات التي نشرها في مجلة البصائر: خواطر حائر، الأدب والأديب، بيني وبين الناس، الشيخ النعمي في الميزان.

هذا واستعرض الناقد أهم الآراء والتصوّرات النقدية التي قدّمت في أدب وآثار الشهيد منا ما أورده على لسان المفكر والمؤرخ الجزائري أبي القاسم سعد الله: "لفت نظري في أدب حوحو ظاهرتان هامتان: الأولى السخرية والثانية براعة الحوار، فالسخرية ظاهرة شائعة في جميع آثارها حتى الجاد منها، يلتجئ اليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه وشؤون حياته، وليس غريبا أن يعمد حوحو إلى هذا الأسلوب من الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري، تسوده تقاليد معينة في المرأة، ورجال الدين واستخدم وسائل الحضارة، تحكمه سياسة معينة قائمة على العنف والإرهاب في كل شيء..."[26] وأورد الناقد رأي أحمد بن ذياب في قوله يعتبر أحمد رضا حوحو إلى حد بعيد أول كاتب جزائري نزل إلى الشعب يبحث عنه ليأخذ بيده إلى النور بطرائق مختلفة: مسرحية، قصصية، مقالات اجتماعية تثقيفية، وأخرى سياسية، وكانت وسيلة الناجحة هي لغة الحوار، وحوار أحمد رضا حوحو في جملته لطيف وشيّق قصير العبارة. وهو بهذه الطريقة أمكن أن يجتلب إليه الكثير

من القراء من ارتبطت بينه وبينهم صلة متينة "[27]، وتكثر الشواهد والآراء في الكتب لعمالقة النقد والفكر في الجزائر من مثل: أحمد منور، وعبد الله ركيبي، وعبد المالك مرتاض.

كما حرص الناقد محمد الصالح رمضان على رصد أهم المؤلفات النقدية التي اهتمت بأعمال الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو، والتي يمكن ذكرها في:

- دراسات في الأدب الجزائري الحديث لأبي القاسم سعد الله.
- القصة القصيرة في الأدب الجزائري لعبد الله ركيبي.
- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر لعبد الملك مرتاض.
- تطوّر النثر الجزائري الحديث لعبد الله ركيبي.
- قراءات في القصة الجزائرية لأحمد منوّر.
- الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر لعبد الملك مرتاض.

وصفوة القول إنّ رحلة البحث في عوالم الأدب الجزائري، رحلة ما تنفك أن تقدّم للقارئ معلومات ووثائق تؤكد الدور الفعّال للأدب، وعلاقته الوثيقة بالمقاومة والثورة الجزائرية، وقد أسهم ثلة من الأدباء الشهداء في حركية الإبداع والفكر والثقافة. فقدموا النفس والنفيس في سبيل إيصال أفكارهم وتصوّراتهم عن الإنسان والوطن والحياة، وعن العادات والتقاليد، وبأساليب لغوية متعدّدة، وجهت الكلمة كرصاصة ثاقبة في وجه فرنسا الاستدمارية.

والجدير بالذكر أنّ موضوع الأدباء الشهداء لم ينل حظه من البحث والتقصي على مستوى الدراسات الأدبية واللغوية والنقدية في الجامعات الجزائرية، حيث تكاد تنعدم مسارات البحث في هذا الموضوع الذي يستحق الدراسة والبحث.

الهوامش:

[1] نادية بوكعين، صورة الشهيد في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة الميدان للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، المجلد 03/العدد 02، 2021، ص 53.

[2] مجلة ذاكرة الشعب، الأدباء الشهداء: http://dhakira.echaab.dz.

[3] مليكة ياسين، استذكار الادباء الشهداء، أفكار جزائرية ووجهت بالرصاص، العربي الجديد، 29 مارس 2022، عن الموقع الالكتروني:www. alarby.co.uk.

[4] أحمد بن ذياب، جوانب نضالية من حياة الشهيد محمد الأمين العمودي، العدد 86، 1 افريل 1985.

[5] محمد سيف الإسلام بوفلاقة، قراءة في الأعمال الأدبية الكاملة للباحث شريبط أحمد شريبط، نشر في جريدة الشعب يوم: 06 /2019/3، عن الموقع الالكتروني: http://www.djazaires.com.

[6] شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2001، ص 82.

[7] م ، ن، ص 82.

[8] شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، ص 84.

[9] ذاكرة الشعب، الأدباء الشهداء، www://dhakira.echaab.dz 29/04/2021.

[10] شريبط أحمد شريبط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، ص 84.

[11] م ن، ص 85.

[12] نوال بومعزة،قضايا السرد وأبعاده في الأعمال الأدبية للكاتب أحمد رضا حوحو، مجلة EXPROFESSO، المجلد 6، السنة 2021، ص 322.

[13] م ن، ص 322.

[14] شريبط أحمد شريبط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، ص 88.

[15] م ن، ص 88.

[16] م ن، ص 89.

[17] م ن، ص 91.

[18] م ن، ص 94.

[19] م ن، ص 94.

[20] م ن، ص95 عن: يوسف نسيب، مولود فرعون حياته وأعماله، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص37.

[21] م ن، ص 99، عن محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي، الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981، ص 24.

[22] م ن، ص100.

[23] محمد الهادي الحسني، الشاعر عبد الكريم العقون، 2015/5/28 عن الموقع الالكتروني: http://www.echoroukonline.com

[24] محمد الصالح رمضان، شهيد الكلمة رضا حوحو، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص05.

[25] عنتر رمضاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة بالغة العربية وآدابها في الجزائر، دار الأصالة للنشر، الجزائر، 2022.

[26] محمد الصالح رمضان، شهيد الكلمة، احمد رضا حوحو، ص 68.

[27] م ن، ص 70 عن جريدة الشعب بتاريخ 1974/4/1.

توظيف التراث الشعبي في رو اية نجل الفقير لمولود فرعون

Employing folklore in the novel "The Son of the Poor " by Mouloud Feraoun

د/ سناني إلهام

قسم اللغة والأدب العربي جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة- (الجز ائر)

ilhem.senani@yahoo.com

ملخص:

يعد التراث الشعبي جملة الممارسات والأفعال والتقاليد والقيم والأعراف... التي تعكس الصورة الحقيقية والهوية الثقافية للمجتمعات الإنسانية، الأمر الذي جعل أغلب الكتاب الروائيين يولونه اهتماما بالغا لتأثيره الفني والجمالي على النص الروائي.

لذا تهدف هذه الدراسة إلى البحث في أشكال وأبعاد توظيف التراث الشعبي في النص الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية للروائي الجزائري "مولود فرعون" الذي يعد أحد رواد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، وقد كان واحدا من الشاهدين على الأحداث الدامية التي كان يعيشها الشعب الجزائري بمواكبته لأيام الثورة التحريرية، وقد ترجمته كتاباته التي كانت دوما تعبر عن هوية وحياة وتوجهات شعبه، لذا نحاول من خلال دراستنا الكشف عن تجليات الموروث الشعبي في إحدى رواياته وهي رواية " نجل الفقير" التي اهتم فيها بتوظيف التراث مستلهما منه ما يناسب موضوعاته وما يلائم بيئته التي يعيش فيها لتنصهر الهوية بالمرجعية الثقافية ولتخدم رؤيته وإيديولوجيته.

الكلمات المفتاحية: مولود فرعون ؛ الرواية ؛ التراث ؛ الاستعمار؛ الإثنوغرافيا.

Abstract:

Folklore is a set of practices, actions, traditions, values and customs... that reflects the true image and cultural identity of human societies, which made most novelists pay great attention to it because of its artistic and aesthetic impact on the fictional text. Therefore, this study aims to investigate the forms and dimensions of employing popular heritage in the Algerian novelist text written in the French language by the Algerian

novelist " Mouloud Feraoun ", who is considered one of the pioneers of Algerian literature written in the French language, and he was one of the witnesses to the bloody events that the Algerian people were experiencing, keeping pace with him for days. Liberal revolution It has been translated by his writings, which have always expressed the identity, life, and orientations of his people, so we try, through our study, to uncover the manifestations of the popular heritage in one of his novels, which is the novel " The Son of the Poor ", in which he was interested in employing the heritage, drawing inspiration from it that suits his subjects and what suits his environment in which he lives to fuse identity. cultural reference and to serve his vision and ideology.

key words: Mouloud Feraoun; Novel; Heritage; colonization; ethnography.

تمهيد:

إن الكتابة بلغة المستعمر ظاهرة لا تخص الجزائر وحدها وإنما هي ظاهرة مرت بها عدة أقطار من مختلف مناطق العالم، وخاصة المناطق التي عرفت نفوذا أجنبيا استعماريا لسنين طويلة كمعظم بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

شكل الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية الأطروحة المناهضة للإيديولوجيا الاستعمارية، محاولا بذلك الانفلات من قبضة الاستعمار وتكريس القطيعة مع الأدب الكولونيالي الذي يحقق القتل الرمزي للجزائر.

إن الأدباء الجزائريين لم يحملوا اللغة الفرنسية التي كتبوا بها ويكتبون الطائرات والصواريخ والثكنات، وحتى قيم الاستعمار، فالذي نجده في كتاباتهم هو التجربة الوطنية كفعل مقاوم للاستعمار، وهذا الذي دعاه أزراج عمر بالهوية التاريخية المتجذرة في الوطنية الجزائرية. فالأدباء الجزائريون باللغة الفرنسية لا يعكسون الهوية الفرنسية ولا يمجدونها وإنما هم في صراع معها...ومن جهة أخرى فإن هؤلاء الأدباء قد تمكنوا من جعل اللغة الفرنسية تتحدث عن الكفاح الجزائري وبذلك جعلوها تنقلب على أهلها المستعمرين، بل وقد سمى أزراج عمر هذه التجربة بتحرير اللغة الفرنسية ذاتها من الاستعمار[1].

إن هؤلاء الكتاب على الرغم من كتابتهم باللغة الفرنسية إلا أنهم لم ينسلخوا عن هويتهم رغم إحساسهم بالتمزق بين ثقافتين ثقافة فرنسية اكتسبوها من خلال دراستهم بالمدارس الفرنسية وثقافة عربية بربرية لا تزال تؤمن بالغيبيات التي تحكم حياة الجزائري الفرد وتسجنه في صومعة ذاته، فقد عبروا في كتاباتهم عن معاناة الإنسان ومشاكله اليومية من فقر وبطالة وهجرة وظلم ورغبة في الانعتاق من الواقع المعيش.

ومن بين هؤلاء الكتاب "مولود فرعون" الذي يعد أحد رواد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، وقد كان واحدا من الشاهدين على الأحداث الدامية التي كان يعيشها الشعب الجزائري بمواكبته لأيام الثورة التحريرية، وقد ترجمته كتاباته التي كانت دوما تعبر عن هوية وحياة وتوجهات شعبه، لذا نحاول من خلال دراستنا الكشف عن تجليات الموروث الشعبي في إحدى رواياته وهي رواية " نجل الفقير" وهذا ما دفعنا إلى طرح التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم التراث الشعبي؟
- هل أعاقت اللغة الفرنسية تمظهر الموروث الشعبي(العادات والتقاليد..) في الرواية؟
- كيف تجلى الموروث الشعبي في رواية نجل الفقير؟

1. مفهوم التراث الشعبي:

التراث لغة: من الفعل ورث، وقد ورد في معجم لسان العرب بمعنى " ورث: الوارث صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها...ورثه ماله ومجده وورثه عنه ورثا ورثة ووراثة وإراثة، أبو زيد ورث فلان أباه يرثه وراثة وميراثا وميراثا...ويقال ورثث فلانا أرثه ورثا وورثا إذا مات مورثك فصار ميراثه لك"[2].

كما ورد في المعجم الوسيط بمعنى" ورث فلانا ومنه وعنه ورث (يرثه) ورثا وورثا وإرثا ورثة ووراثة، ويقال ورث المجد وغيره وورث أباه ماله ومجده، ورثه عنه فهو وارث، والجمع ورثة ووراث"[3].

وقد جاء مصطلح ورث في القرآن الكريم في قول الله عز وجل ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[4] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[5] ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا﴾[6].

أما اصطلاحا: تعددت تعريفاته وتباينت مفاهيمه ومعانيه، وهو مصطلح أقره مجمع اللغة العربية كترجمة عربية دقيقة لمصطح فولكلور والذي شاع استخدامه حديثا.

فالتراث هو " تلك الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة ليوصلها إلينا، وتاريخ أي تراث كان هو غير محدود إذ كل ما خلفه المؤلف بعد حياته من إنتاج يعد تراثا فكريا...ويبقى التراث بمفهومه الواسع يعني العلامة المميزة لهوية كل فرد وكل فئة اجتماعية وكل أمة... وأنه هوية شعب ما "[7].

فإذا أضفنا إليه كلمة شعبي نكون قد عممناه على كل طبقات المجتمع، وبالتالي فهو أوسع وأشمل، معبرا عن الناس والمجتمع وطريقة الحياة بشكل عفوي جماعي "إنه كل ما تمارسه الشعوب بصورة ثابتة... سواء ما اتصل منه بشؤون الحياة اليومية... والعلاقات الاجتماعية... والقواعد الفنية التي يجري عليها صنع الأشياء أو ما يتعلق بطقوس المناسبات والمعتقدات"[8].

وهو كذلك " ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم، في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه"[9].

كما عرفه حسين مروة على أنه: " كائن حي متحرك بصيرورة الحياة الواقعية التي تنبثق منها ويحيا فيها ومعها، وهي بدورها تحيا فيه ومعه، ولكن بشكل آخر ربما كان شكلها الرافض لها، وربما كان تعبيرا عن صراعها هي مع نفسها."[10] من خلال التعاريف السابقة للتراث يتضح أن له أهمية كبيرة وبالغة بوصفه هوية الأمة وكيانها.

2. التراث الشعبي في الرواية الجزائرية باللسان الفرنسي خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر:

لقد اقتضت فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر أن يكون الأدب الشعبي مضمونا يدعو إلى إيقاظ الوعي الوطني والتمرد على الإدارة الأجنبية والدفاع عن خصوصية الأمة الإسلامية[11].

انصب أغلب الروائيين برصد عادات وتقاليد المجتمع الجزائري والواقع المعيش بطريقة رمزية موحية وفي هذا الصدد يقول عبد الكريم خطيبي " قبل الحرب كان الروائيون الجزائريون في معظمهم، يريدون أن يكونوا مؤرخين ودارسين لعادات وتقاليد مجتمعهم وأحيانا نلمس في كتابتهم نغمات السخط والغضب وبعض الاهتمامات الوطنية، وكان من اللازم انتظار فاتح نوفمبر لكي يشعر الكتاب الجزائريون بأنهم مسؤولون عن تاريخ جديد يوجهه العنف والدم"[12].

لقد تجلى التراث الشعبي خلال فترة الاحتلال الفرنسي في الجزائر في الكتابات الروائية الجزائرية ذات الطابع الإثنوغرافي مع "محمد ذيب" من خلال ثلاثيته المشهورة التي شهدت حضورا للعادات والتقاليد والتراث المادي واللامادي، كما جسد مولود معمري في روايته " الربوة المنسية " " نوم العادل" الثورة على العادات والتقاليد التي عرفتها بلاد القبائل" وإظهار ما فيها من تزمت وما تنطوي عليه من خرافية خاطئة ومتخلفة تؤثر بشكل مباشر على الأفراد والمجتمع وتقضي على سعادتهم ومعتقداتهم" [13].

كما جسد مولود فرعون في رواياته "ابن الفقير "و " الأرض والدم " و" الدروب الوعرة " التراث الشعبي في ثلاث نقاط أساسية هي " الأرض الأصيلة بتقاليدها وعاداتها وطباعها وظروف الوضع الإنساني في إحدى المناطق الكبرى من الجزائر (القبائل)..ملتحم بقوة – قبل كل شيء- بالخصوصية القبائلية وبالتقاليد والقيم الروحية التي ضربت بجذورها في هذه الأرض"[14].

3. التعريف بالروائي:

ولد مولود فرعون في 08 مارس 1913م في قرية تيزي هيبل بمنطقة القبائل الكبرى.

تحصل سنة 1935 على منصب معلم للغة الفرنسية بمدرسة تاوريت موسى التي لا تبعد كثيرا عن مسقط رأسه ثم عين مديرا لها سنة 1952 م، وفي 15 مارس 1962 م وقبل ثلاثة أيام من توقيع اتفاقية ايفيان قامت المنظمة السرية (O. A. S) باغتيال مولود فرعون بحي الأبيار بالعاصمة ودفن يوم 18 مارس 1962م وهو اليوم الذي اعترفت فيه فرنسا رسميا بحرية الجزائر.

وبعد موته قال فيه الروائي التونسي ألبير ميمي " لقد كان اغتيال فرعون غادرا ومفاجئا ومأساويا اغتيال معلم مسالم وإنسان هادئ ومتزن... إن فرعون ارتبط ارتباطا وثيقا بتقاليد النزعة الإنسانية وكان يؤمن إيمانا صارما بالتقارب النهائي للشعوب وثقافتها وانتصار العقل وليس القوة ".

كان مشروع "مولود فرعون " الكتابي هو تبيان أن القبائل رجال مثل الآخرين وهذا ما صرح به في بداية روايته " نجل الفقير " عن حياته التي يبدي رغبة في أن يعرفها الآخرون، ومن تم يبدي رغبة في ترجمة الروح القبائلية"[15]، فتصبح مقروءة معروفة مزيحا عنها غبار التكتم والنسيان.

4. عرض الرو اية (ابن الفقير):

تعد رواية ابن الفقير من أهم الأعمال الإبداعية لمولود فرعون تناول فيها مأساة العائلات الجزائرية الفقيرة، وقد ركز فيها بالتحديد عن الرجل القبائلي الشهم.

تنطلق أحداث الرواية بعد ولادة طفل قبائلي في أسرة فقيرة، فيسعى هذا الطفل وبكل قوته إلى تخطي الظروف الصعبة التي يعيشها من خلال سعيه إلى التعلم وتحقيق ذاته وكيانه وبالفعل استطاع تحدي مصاعب الحياة ومواصلة الدراسة.

لقد أراد مولود فرعون من خلال الرواية أن يعكس حياة القبائلي البائسة، فالقبائلي في صراع مع المعيشة الجبلية القاسية بما يعانيه من فقر وبؤس وتخلف في هذه القسوة تتجاذبه مخلفات ومعتقدات وتقاليد بالية لا تساعده على النهوض والانفكاك من تلك المعيشة، كلما تطلع إلى معيشة أفضل واجه صعوبات تعمل على الإمساك به ومنعه من الإفلات منها، ففورولو منراد بطل الرواية يصارع كل هذه العوامل السلبية بإيمان راسخ في النجاح وفكرة ثابتة لا تتزعزع في دخول مدرسة المتعلمين.

5. ملامح استحضار التراث الشعبي في رو اية نجل الفقير لمولود فرعون:

صورت رواية " نجل الفقير " لمولود فرعون بصدق معاناة الجزائري أيام الاحتلال الفرنسي " إذ لا نبالغ إن قلنا أن النص يحتوي مادة مسح اثنوغرافي لوضع بلاد القبائل على وجه التحديد، ذلك أن الروائي أرخى العنان لقلمه وراح يسرد تمظهرات اجتماعية انماز بها مجتمعه وطقوسا وعادات تخللت تعاملاته اليومية أو المناسباتية، ولكنه يصرخ في وجه المستعمر ويشير له بوجود الذات الجزائرية وبأصالتها، فتوارث التقاليد والمحافظة عليها في حد ذاته شكل من أشكال المقاومة من هذا المنظور، نصل بلا عناء إلى أن الشخصية الجزائرية تتبوأ في طيات المتن السردي مكانة محورية تعمر المكان وتتحدى صروف الزمان بكل أنواع التحدي"[16].

لقد سعى مولود فرعون في روايته نجل الفقير إلى تأتيت نصه بكثير من نصوص الثقافة الشعبية الجزائرية وتجليات الموروث الشعبي فيها، حيث جسد لنا الحياة القبائلية بكل حيثياتها وأشكال المواجهة التي يعانيها الأهالي ضد الحاجة والفقر والمرض والموت.

1- التراث الديني:

من الملامح التي نجدها حاضرة بقوة في رواية " نجل الفقير" إصرار الكاتب على سرد مقاطع يؤكد فيها على ظاهرة إيمان الناس بمعتقدات معينة ومن بين تلك المعتقدات الشعبية الاستنجاد بالأولياء الصالحين: يعد الاستنجاد بالأولياء الصالحين من المظاهر الشعبية الرائجة في الثقافة الشعبية الجزائرية خاصة أثناء الفترة الاستعمارية، فبعد أن قامت الإدارة الفرنسية بغلق الكتاتيب التي كانت تلعب دورا تنويريا، وبعد أن هدمت عددا كبيرا من المساجد، انتقلت إلى نشر الخرافات والمعتقدات الوهمية، ومن المشاهد الكثيرة التي صورها" فورولو" ما ذكره من اعتقادات حول سبب جنون خالته " كانت أمي تقول لنا أن ذلك بسبب اكتمال البدر، كانت توجس خفية من عودة نوبة الغضب إليها عند مطلع الهلال الجديد أما جارتنا.فكن يزعمن أن الجن يعلمون خالتي الشعوذة، وأنها لا تلبث أن تتنبأ بالغيب وأنها ستكتسب عندها ما يمكن من الإنفاق على الأسرة بدون حساب...أما أمي فكانت تتور ثائرتها لمجرد التفكير في الحصول على أي إيراد من مثل تلك المصيبة، لم تكن تريد أن تصبح إحدى بنات أحمد مشعودة تقرأ الفأل...ما كانت تود أن

يكون، هو أن تقاد إلى بعض الشيوخ الصالحين المشهورين في الزوايا حتى يحاولوا التعزيم عليها طردا للأرواح الشريرة "[17].

إن نتيجة تفشي الجهل بين الناس لم تسعهم الحيلة للعلاج إلا عن طريق الدراويش والشيوخ الصالحين الذين وهبوا حياتهم لله، والدراويش هم أناس مجانين يمارسون الطقوس الغريبة فيعتقد الناس بأن لهم قدرات خفية على العلاج وإشفاء المرضى.

كما نجد في الرواية التطير بالأسماء فمثلا اسم " فورولو" "الذي صممت الجدة تسعديت أن تسمي حفيدها بهذا الاسم وفي هذا يقول الكاتب" فقد قررت جدتي تسعديت أن تطلق علي اسم فورولو"[18]، وبالتالي ففي معتقدهم إذا سمي به شخص ما لا تصيبه العين بشرها، ويتركب اسم فورولو من قسمين فور: أفر والتي تعني اختفى وأولو وتعني مخبأ وجمع الاسم فورولو " الخفي ".لذا أطلق هذا الاسم على أول رضيع من عائلة آل منراد.

2- التراث الاجتماعي:

الأدب بصفة عامة وليد بيئته ذلك أن المبدع يعايش أبناء جلدته ويتفاعل معهم يحلل سلوكهم الحياتي" فمن غير الممكن العيش في مجتمع دون التأثر بثقافته بعقليته وبسلوك درج عليه أفراده، وإنه لمن المحال البقاء بمعزل عن مضي الحياة دون الشعور بأننا معنيين بما يدور حولنا.

ومولود فرعون في روايته نجل الفقير حاول رصد التقاليد والتصورات الموروثة عن الأجداد والاعتزاز والشرف، والتآزر القبائلي والثأر الدموي إضافة إلى الكرامة والإنسانية وقواعد سلوك وأخلاق الإنسان اتجاه أسرته والمجتمع، فمن خلال إبراز الجوهر الأصلي لعالمه ومقومات حياته وتنظيم ظروف الوجود الإنساني فوق هذه الأرض، يستطيع الإنسان أن يسترد بطريقة فريدة من نوعها وجهه الخاص وثقافته الخصوصية كسمة أساسية ليقظة الوعي الوطني[19].

وفعلا نجح الكاتب في رصد وتصوير الواقع الاجتماعي، حيث خلق واقعا مركبا استنبط روحه من المعطيات الاجتماعية والسياسية السائدة في منطقتة خاصة صورة حياة العائلات

القبائلية ومن أهم المظاهر الثقافية الاجتماعية التي تطرق إليها مولود فرعون الحياة الريفية والأسرة القبائلية والمأثورات الشعبية.

ومن الملامح التي نجدها حاضرة بقوة في رواية نجل الفقير وصف الريف وبالتحديد قريته يصل إلى حد تذكر أسماء الأماكن ووصفها بدقة متناهية، وعلى الرغم من أن البيئة التي احتضنته هي الجزائر والتي فرضتها عليها ضرورة العمل إلا أنه " يحتضن قريته في العمق فقلبه لم يفارق أبدا مرتفعات القبائل، ومناظرها وممراتها الضيقة قائلا، إن نهر " السباو " أو روافده قد تلقى أحيانا في سهل تيزي وزو على ضفافها الناعسة جثة متورمة "[20].

لقد قدم لنا مولود فرعون صورة البساطة التي يعيشها أهل قريته، وكذلك الهدوء والسكينة التي يتميزان بها، خاصة بعد أن جرب صخب المدينة وحالة الحرب والخراب والمداهمات العسكرية، لذا جاءت روايته أكثر انشغالا بسرد معالم القرية وكل ماله صلة بالحياة الريفية القبائلية، وهذا يؤكد مدى تعلق الكاتب بعالم القرية وفضاء الريف.

كما تزخر رواية " نجل الفقير" بالتمثلات الاجتماعية في العادات والتقاليد والتي جاءت كلون يصبغ الخطاب الروائي ليعطيه خصوصية منتهية ومن أمثلة ذلك:

" ولكن قبل أن تدخل، أحضر لنا بيض وبعض الاسفنج ومن تقاليد المنطقة أن يقدم المتزوج لأصحابه من العزاب بيضا وقطعا من الاسفنج"[21].

من عادات منطقة القبائل أن يقدم العريس لأصدقائه العزاب قطعا من البيض وقطعا من الاسفنج (الحلوى)، وإن لم يقم بهذا فإنه يرمى بالحجارة على سقف غرفته حتى ينكسر القرميد ويصبح محل سخرية من الجميع.

حاول مولود فرعون من خلال روايته استنطاق الموروث الشعبي لبيئته خاصة الأقوال المأثورة التي كان لها حضور بارز، وذلك لما تحمله من طاقة تعبيرية وقدرة تأثيرية على اعتبار أنها أقرب إلى ذوق المتلقي لذا مفعولها يكون ذا أثر كبير في المتلقي فتدفعه إلى التفاعل معها، إضافة إلى ما تحمله من خصوصية محلية تعبر عن الهوية الجزائرية.

لقد حضر المثل الشعبي بشكل واضح في الرواية فقد استغله الروائي من أجل جعل العمل الروائي يكتسب رموزا موحية ومعبرة، فقد تواردت الأمثال الشعبية وجاءت حاملة لدلالات اجتماعية بعيدة عن التأملات الفلسفية الميتافيزيقية، ولعل استحضار المثل هو طرح الهوية الخاصة من خلال إبراز البيئة الشعبية وما تحمله من روافد ثقافية ومرجعيات شعبية تترجم روح الثقافة الجزائرية بلغة تتسم بالإيجاز والإيحاء وتأسيس رواية عربية أصيلة ترسم مشهد البيئة الجزائرية والعربية للقارئ ومن بين الأمثلة الواردة في الرواية "ضربة اقعدي وقومي"[22] أي ضربة من يقال لها اقعدي وقومي وتعني ضربة أمة لقيامها وقعودها في خدمة مواليها " ويقصد بها أنه يوجد أطفال بإمكان كل الناس أن يضربوهم، إذا كانوا مسخرين خاضعين لأجل الخدمة.

" ويدها في الغرارة"[23] فأخذ الطعام من الإيكوفان أمر ممنوع عند العائلات لأنه دور تقوم به الجدة كونها المسؤولة في تدبير أمور البيت لذا لا يجوز لأي شخص أخذ الطعام من المؤونة وقد عبر مولود فرعون من خلال هذا المثل عن زوجة عمه التي قامت بسرقة الطعام وقد رآها والد فورولو وقبض عليها متلبسة.

3- التراث الشعبي المعنوي من اللهجات المحلية والعربية داخل اللغة الأجنبية:

لم تغير اللغة الفرنسية في شيء من مضمون الثقافة الجزائرية لدى مولود فرعون، وعلى الرغم من كتابته باللغة الفرنسية إلا أنه بقي محافظا على هويته وأصالته.

لقد عمل على تفعيل اللغة العربية واللهجة القبائلية في كتابة روايته باعتبار "الرواية ليست قاموسا صدر عن أحد المجامع اللغوية، "[24] وإنما هي كيان حي يمثل جزءا من حياة الناس"[25]، لذا يسعى كل كاتب إلى توظيف بعض الكلمات المحلية من أجل احترام الخاصية اللغوية المحلية.

إن للثقافة الجزائرية وبالتحديد القبائلية تأثير كبير على كتاباته، فقد جاء نصه حافلا باقتراضات لغوية نقلها نقلا حرفيا من اللغة العربية الفصيحة وكذلك اللهجة القبائلية إلى اللغة الفرنسية.

جاء نص مولود فرعون زاخرا بالمفردات والعبارات التي تحيلنا إلى الجانب المحلي ولعل من أهم الأسباب والبواعث هو سعي الكاتب إلى إضفاء لمسة محلية على النص الفرنسي، حيث جاءت كل المفردات والعبارات مقترضة من اللغة العربية واللهجة القبائلية.

فنجد في الرواية ذكرا كثيرا للكلمات الدالة على التراث القبائلي بغية إضفاء الصبغة المحلية ومثال ذلك: كسكس (couscous) وهي أكلة مغاربية محضة، وكذلك كلمة كانون (le kanoun) وكلمة الجماعة " (djemaa) وهي المكان الذي يجتمع فيه أهل القرية من أجل معالجة شؤون القرية، وكذلك كلمة (gandoura) ويقصد بها اللباس القبائلي القندورة وكذلك كلمة البلبول (belboul)' وهو الكسكس المفتول بالنخالة أو القرشالة.

ولم يكتف مولود فرعون بالاقتراض من اللغة العربية فقد اقترض بعض الكلمات القبائلية مثل كلمة (التادجميت) وتعني هذه الكلمة باللغة العربية الجماعة، وكذلك كلمة (karoubas) وتنطق الكلمة باللهجة القبائلية ثاخروبث ويقصد بها العائلات التي تنسب إلى أصل واحد، وفي هذا الصدد يقول يوسف نسيب " وقد بلغ به الحرص على الوصف العروقي أنه أحيانا يستعمل في النص الفرنسي بعض الكلمات المنتقاة من لغة الأهالي لعل القارئ يكتسب بذلك معجما صغيرا من القبائلية "

إن تمكن مولود فرعون الجيد من اللغة الفرنسية جعل من كل الألفاظ العربية الواردة في الرواية منسجمة مع اللغة الفرنسية لأن لديه من البراعة اللغوية التي جعلت كل تلك الكلمات الواردة باللغة العربية مندمجة مع قواعد اللغة الفرنسية وأساليبها، فجاءت لغة فرانكفونية بروح جزائرية.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة يمكن أن نستشف أهم **النتائج** المتوصل إليها من خلال تحليل رواية "نجل الفقير" لمولود فرعون فيما يلي:

- إن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ما هو إلا اغتراب نصي جزائري في نظام لساني فرنسي، تبعا لظروف تاريخية قاهرة، وأنه كان وسيلة مباشرة لمخاطبة الآلة الاحتلالية ولتذكيرها بأن هناك شخصية جزائرية لها مقوماتها الحضارية وامتداداتها اللغوية.
- إن الموروث الشعبي الجزائري يعبر عن الواقع المعيش، فهو يعكس ارتباط البشر بهويتهم وقيمهم من خلال ما يحمله من قيم أخلاقية.
- جاءت رواية ابن الفقير حافلة بصور ثقافية تعكس جوانب وعادات وتقاليد منطقة أهل القبائل فالممارسات الفولكلورية والطقوس المناسباتية تندرج في موروث شعبي منحدر وراسخ بين أبناء مجتمع محافظ على دعائم بقائه على مر الزمن وامتداده.
- لقد سعى مولود فرعون من خلال وصف وتصوير الحياة اليومية للمجتمع القبائلي بكل خصوصياته إلى نقل الروح القبائلية وترجمتها.
- على الرغم من طغيان الطابع الاثنوغرافي الذي يقوم على تصوير المظاهر التقليدية والحياة اليومية البسيطة للمواطن القبائلي، فإن الكاتب أراد أن يوصل فكرة للقارئ وهي أن الواقع والحياة الحقيقية لا يمكن أن نعيشها إلا فوق أرض الوطن.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش

المصادر:

1- مولود فرعون: نجل الفقير، ترجمة محمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، 1998م.

المراجع:

2- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، دار الفكر، لبنان، ص1024.
3- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي- نشأته تطوره قضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م.

4- حسين مروة: دراسات في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

5- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2، 1984م.

6- جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، مركز الوطني في الأنتربولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، (د، ط)، 2007م.

7- بن جمعة بوشوشة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، دار المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 1999م.

8- عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل، الجزائر 2008م.

9- عبد العزيز بوباكير، الأدب الجزائري في مرآة استشراقية، دار القصبة، الجزائر، 2002م.

10- عز الدين جلاوجي: استلهام الموروث الشعبي في السرد الجزائري المعاصر، مجلة مقامات الجزائر، المجلد 04، العدد 2، 2020 م.

11- عبد الكبير الخطيبي: في الكتابة والتجربة، دار العودة، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1980م.

12- Jeau Dejeux, La Littérature Algérienne contemporaine, deuxième édition, Puf, paris, 1997.

13- محمد بسناسي: ترجمة البعد الاجتماعي / الثقافي في رواية نجل الفقير مجلة إشكالات، تمنغاست، الجزائر، العدد6، ديسمبر 2014م.

14- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيوت لبنان، (د، ت)، مج2.

15- نوال بن صالح: استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون نموذج الأرض والدم، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، 2013 م.

16- نورة بعيو: الروائي الجزائري المعاصر بين مطرقة العولمة وسندان الهوية، أعمال ندوة الرواية بين ضفتي المتوسط في 11/ 05/ 2010 م، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2011 م.

17- يوسف نسيب: مولود فرعون حياته وأعماله ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.

الهوامش:

[1] نوال بن صالح: استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون نموذج الأرض والدم، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، 2013م، ص 395.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادة (و، ر، ث)، دار صادر، بيروت، لبنان، دت، مج2، ص ص 199، 200.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، لبنان، (د،ط)، ج1، ص1024.

[4] سورة فاطر، الآية 32.

[5] سورة الأنبياء، الآية 105.

[6] سورة الفجر، الآية 19.

[7] جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، مركز الوطني في الأنتربولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، (د،ط)، 2007م، ص 64.

[8] جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص63.

[9] عز الدين جلاوجي: استلهام الموروث الشعبي في السرد الجزائري المعاصر، مجلة مقامات، الجزائر، المجلد 04، العدد 2، 2020م، ص 434.

[10] حسين مروة: دراسات في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص464.

[11] عبد الحميد بوسماحة: الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل، الجزائر، 2008م، ص 09.

[12] عبد الكبير الخطيبي: في الكتابة والتجربة، دار العودة،بيروت، لبنان، (د، ط)، 1980م، ص90.

[13] أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي- نشأته تطوره قضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص275.

[14] عبد العزيز بوباكير: الأدب الجزائري في مرآة استشراقية، دار القصبة، الجزائر، 2002م، ص ص 19، 20.

[15] Jeau Dejeux , La Littérature Algérienne contemporaine , deuxième édition, Puf, paris, 1997, p64.

[16] محمد بسناسي: ترجمة البعد الاجتماعي والثقافي، في رواية نجل الفقير، مجلة إشكالات، تمنغاست، الجزائر، العدد6، ديسمبر2014 م، ص ص62، 63.

[17] مولود فرعون: نجل الفقير، محمد عجينة، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1998م، ص 104.

[18] عبد العزيز بوباكير: الأدب الجزائري في مرآة استشراقية، م س، ص 20

[19] مولود فرعون: نجل الفقير، ص27.

[20] المصدر نفسه، ص 90.

[21] المصدر نفسه، ص 10.

[22] المصدر نفسه، ص 26.

[23] المصدر نفسه، ص58.

[24] بن جمعة بوشوشة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، دار المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 1999، ص105.

[25] نورة بعيو: الروائي الجزائري المعاصر بين مطرقة العولمة وسندان الهوية، أعمال ندوة الرواية بين ضفتي المتوسط في 11/ 05/ 2010 م، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2011 م، ص 141.

الأدباء الشهداء بين المقاومة والشعرية

عبد الكريم العقون - انمودجا

Literary martyrs: between resistance and poetry Abdulkarim Al-aqoun- model

أستاذ محاضر أ / د. نعيمة بوسكين

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة عنابة(الجزائر)

naimaboussekine@yahoo.fr

ملخص:.

سنتوقف في هذه الدراسة عند الشهيد الاديب عبد الكريم العقون ونقدم اهم المحطات حياته واسهاماته الادبية والشعرية ونضاله من اجل الدفاع عن القضية الوطنية والفكر الاصلاحي في مواجهة تيارات لتشويه الدين والمواقف الاستعمارية المختلفة لحصار قيم الوطن ودينه ولغته وهويته، ضمن ما يسمى بادب المقاومة. د

الكلمات المفتاحية: الادباء - الشهداء -ادب المقاومة- الشعرية - عبدالكريم العقون.

Abstract:

In this study, we will focus on the literary martyr Abdul Karim Al-aqoun and present the most important stations of his life, literary and poetic contributions and his struggle to defend the national case and reformed thought in the face of currents to distort religion and various colonial attitudes to blockade the values of the homeland, its religion, language and identity, within the so-called literature of resistance.

key words: literary - martyrs -resistance literature-poetry - Abdulkarim Alaqoun.

إن الحديث عن الأدب والمقاومة، هو الإشارة إلى الفرد ومكانته في العالم وعلى وجه الخصوص نضاله ضد القوى التي تحاول إيزاء وطنه أو سحق شخصيته أو إمحاء هويته وهو أدب مقاوم للقوى الطاغية والمتعسفة يخترق به الأديب عمق المحنة، ليضيئ الطريق ويقرب العالم إلى فهم الإنسانية واحترام الحياة والتنكيل بالاستعمار والبطش والتعذيب والمحارق والمقاصل.....

فيحاول الأدب المقاوم مواكبة دوافع الناس ورفع التحدي، ورسم التحولات الممكنة، وإظهار الأصوات النقية لينتقل الذاتي إلى العام وليتحول إلى أفق لكل العالم، عابرا النوافد المفتوحة ومحلقا على أجنحة الطيور العائدة إلى الحياة والحرية، فيتفتت الألم وتذهب قسوته، وتخور قوله، وتبرد سكينته الساخنة داخل مواقد الكتابة.

لقد سعى الأدب إلى انتشال مساعي ومخططات السلطات الاستعمارية للقضاء على هوية الشعب الجزائري، وربطها به إلى الأبد، فلقد تميزت الأمة الجزائرية منذ 1930 بتمسكها بأصالتها، وتشبثها بأرضها وكل هذا نجده منعكسا في تراثها الأدبي على مر التاريخ، وعلى الرغم من جهود المستعمر المضنية من أجل القضاء على أي أثر للثقافة الجزائرية، إلا أننا ظفرنا بعدد من الآثار الأدبية التي تنتمي إلى مرحلة ما قبل وأثناء الاحتلال متمثلة في بعض القصائد والمقطوعات الشعرية التي صورت الحياة الجزائرية خلال تلك الفترة، كما ظهر من الشعراء والكتاب من قام بأعباء النهضة ومقامة الاحتلال بكل وسائل الكفاح المتاحة آنذاك ونذكر منهم، محمد السعيد الزامي، الهادي السنوسي، عمر بن قدور الجزائري، البشير الإبراهيمي وثلة غير قليلة من أمثال هؤلاء كان لهم الفضل في إحياء الأدب العربي الجزائري والجدير بالذكر في بداية المرحلة الإستعمارية أن الجزائريين لم يتمكنوا في الدفاع عن أرضهم وممتلكاتهم وعرضهم، فقامت المقاومة تلو المقاومة، مما أتعبوا المستعمر وأنهك قواه فلم يتمكن من إحتلال الجزائر بسهولة، ولم تكن الجزائر لقمة سائغة له، "وهذه المقاومة الضارية صورها الشعراء والأدباء، فلم يصلنا 1منها ما ينبغي القليل بسبب طول مكوث الاستعمار في أراضينا، وتقصيرنا في التنقيب عن آثارها، ولم ينج منها إلا ما رحل مع الأمير عبد القادر وحاشيته إلى المنفى، أو نزر يسير تتناقله بعض الكتب [1]

إن تغير المستوى الفكري والثقافي لدى الجزائريين خلال ق20 هو الذي مهد لقيام الثورة التحريرية الكبرى التي أرغمت الإستعمار على الاندحار من بلادنا في جويلية 1962، وانتشار العلم والمعرفة في أوساط الجزائريين الذين كانوا يعانون من الجهل والأمية والفقر، فجعلهم يقتنعون بعدالة قضيتهم وقدرتهم على تحقيق هدفهم المنشود.

كما أن الجهد الذي بذلته جمعية العلماء المسلمين في تنوير عقول الجزائريين وتصحيح معتقداتهم كان له الدور في تحقيق المبتغى الكبير ألا وهو الاستقلال.

إن الاستقلال الفكري ولد فيما بعد الإستقلال السياسي بفضل الثورة الكبرى فقد كان حادث إحتلال الجيش الفرنسي لمدينة الجزائر "صدمة عنيفة هزت نفوس الجزائريين بل هزت نفوس المغاربة جميعا، حيث وجد لهذا الإحتلال صدا في الشعر التونسي وشعر المغرب الأقصى يومئذ فضلا عما كتبه أدباء الجزائر وشعراؤها من أمثال حمدان إبن عثمان خوجة محمد بن الشاهد قدور بن وسيلة فظهر شعر هؤلاء مؤيدا للثورة ورافعا للهمم

عبد الكريم العقون بين المقاومة والشعرية

1- نشأته وحياته [2]

ولد بقرية لعقاقنة بلدية برج الغدير سنة 1918م، كان والده الشيخ المسعود ممن تعلموا بدشرة أولاد لعياضي عن الشيخ السعيد ابن الأطرش فحفظ عنه القرآن وتعلم الفقه واللغة، كما درس بالدشرة أيضا جده الشيخ عمار ابن الزيوش وتعلم فن التجويد، وقد كانت والدته فاطمة الزهراء - التي توفيت عنه وهو صغير تحسن القراءة والكتابة وتحفظ ثلاثة أرباع القرآن الكريم، وقد لقبها الشيخ السعيد ابن الأطرش (بالسيدة).

أول ما قرأ عبد الكريم العقون القرآن كان في كتاب الشيخ العربي ابن العدوي وواصل حفظه على والده، ثم راجعه وضبطه على الشيخ علي بن عبد الرحمان بعدها أخذ يتردد على قرية أولاد سيدي منصور لدراسة مبادئ اللغة والفقه على الشيخ موسى الأحمدي نويوات في زاوية ابن السعدي مدة سنتين تقريبا ومنها انتقل إلى زاوية بن بوداود بنواحي مدينة أقبو.

وفي هذه الزاوية أضاف لتحصيله المعرفي في الفقه واللغة مبادئ علم التجويد، ثم انتقل الشاب عبد الكريم إلى مدينة قسنطينة بين سنتي 1933 و1934 فتتلمذ على الشيخ عبد الحميد بن باديس، وفي سنة 1936 ارتحل إلى تونس فدرس بجامع الزيتونة على الطريقة الحرة وعاد منه سنة 1939 م بشهادة التحصيل.

وبرجوعه إلى مسقط رأسه وأهله عقد الوالد لابنه عبد الكريم الزواج الثاني - بعد الأول الذي كان قبل العشرين من عمره مع إحدى بنات عمومته وفشل هذا الزواج الثاني من السيدة خديجة بنت الشيخ السعيد ان المكبولعواد الحسناه، وقد وهبهما الله به أربعة أبناء ذكور هما: محمد رضا والوليد وعبد المالك وفيصل

2- نشاطه وأعماله

وإثر عودته من الزيتونة جمع الشيخ عبد الكريم أبناء القرية إليه فعلمهم في الكتاب بضعة شهور، ثم انتقل بعدها إلى مدينة برج بوعريريج فعلم بمدرسة التهذيب ومع سنة 1941م ارتحل إلى العاصمة عند خاله محمد الحسن بن عمار بن الزيوش وسعى للحصول على رخصة من السلطات الفرنسية تخول له التعليم فتم له ذلك بمدرسة الفلاح عند شارع صالح بوعكوير واستمر مدة 15 سنة، ثم بالمدرسة التابعة لمسجد المدنية حتى تاريخ اعتقاله واستشهاده سنة 1959

شغل الشيخ عبد الكريم العقون في الجزائر العاصمة وظيفتين متلازمتين هما التعليم والإمامة، فقد أم المصلين بمسجد سانتوجين وبمسجد المدنية.

قال الشيخ محمد الأخضر السائحي: "عرف الشيخ عبد الكريم العقون عند سكان بيلكور كرجل دين أكثر منه شاعرا، وقد منحته وظيفة الإمامة من محبة الناس وتقديرهم مالم يمنح غيره من الأدباء، كنت أرافقه أحيانا لقضاء الأمسيات عبر شوارع العاصمة فيميل إليه الصغار والكبار يلاقونه بالتحية والتسليم، وقد كان هو شديد الحياء كثير التواضع، يرد عن تحية الكبار وينحني لتقبيل الصغار، حتى أنني قلت له ذات مرة: (إن السائر معك ليحتاج إلى صبر، قال: ولم؟ قلت: لثقلك، فتبسم رحمه الله. [3]

من وقال فيه الشيخ أحمد شقار: "عرفت الشيخ عبد الكريم العقون ورافقته في مناسبات ثقافية واجتماعية كثيرة، كما جمعني به الحديث عن الشعر والشعراء عدة مرات، فوجدته رجلا يؤلف أول لقاء لتواضعه ولين رفقته، رجلا حيويا نشيطا.، حسن الهندام أنيقا، مغرما بصور الفن ومشاهد الجمال، يلتقط الصور الفوتوغرافية أثناء النزهات ويكثر القراءة للصحف والمجلات، ويولع بأخبار الشعر والشعراء خصوصا ذوي الاتجاه الرومانسي " [4]

كان عضوًا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودعاتها المتحمسين، وبرز نشاطه الثقافي من خلال اجتماعاتها ومجلتها «البصائر».

3- الإنتاج الفكري

في المدة ما بين له عدد من القصائد المنشورة في مجلة «البصائر» 1947 و1956 ومنها: «يا رفيقي» تباشير «الصباح»، «ذكريات وعهود»، «في مولد الربيع»، «تحية «المغرب»، وله ديوان مخطوط.

تنوعت موضوعات شعره بين الاتجاه الوطني والاتجاه القومي والاتجاه الذاتي، وفيهما حرص على مجاراة تيارات وشعراء عصره المجددين من أمثال «أبي القاسم الشابي» فغلبته نزعة التأمل الوجود والذات. في وكثير من شعره يتغنى بالطبيعة ويحتفي بصورها، مراعيًا - في أبنيته - تدفق الإيقاع وسلاسة اللفظة، سعة في الخيال وجمال التعبير. [5]

4- نماذج من شعره

قصيدة بعنوان "من وحي البحر"، منها:

ها أنا اليوم قد وقفتُ أُناج* ك -أيا بحر- فاستمع لنشيدي
فكلانا في موقف نتناغى * بأغان سحرية الترديد
إنك اليوم مؤنسي وسميري * ** ونجيّي في قفر "هذا الوجود
سكنت نفسي الحزينة وارتاحت * إلى حسنك البديع الفريد

وفي قصيدة بعنوان "بني العرب هذا يومكم":

سينقشع الغيم المخيم عن شعبي * فيغدو ضحوكا مشرق الأفق كالغرب
ويحظى بآمال عِذاب جميلة * وكم من جنى عذب لدى الأمل العذب

وفي قصيدة أخرى بعنوان: "الكون ضاق بكل حكم جائر" قالها في ذكرى مجازر 8 ماي 1945

ذكرى على مرالأيام تكرّر* لمجاهدين جهادهم لا ينكر
ضحوا بأنفسهم لشعب مسلم * والنفس أنجع للفداء وأجدر
ذكرى على مرّالأيام تكرّر لمجاهدين جهادهم لا ينكر**
ضحوا بأنفسهم لشعب مسلم * والنفس أنجع للفداء وأجدر
وسعوا لشعب طامح متطلع * رام الحياة طليقة تتنور
المخلصون لدينهم ولشعبهم * والثابتون على العواصف تجار
كتبوا صحائفهم بحبرمن دم* نعم الدماء بها الشعوب تطهر
سكنوا القلوب بصدقهم ونضالهم * وطموحهم للمجد صبح مسفر
ركبتقدّم للسباق يحثه * إيمانه وإلى الحقوق مشمر
لا ينثني عن عزمه في سيره * كي ما ينال مراده أويعذر
ما ضرّهم سجن ولا نفي ** ولا موت كذاك الحرّلا يتغير
ألفوا المعارك والبطولة والفداء * خاضوا غمارالموت كي يتحرّروا
نشء تجهزللكفاح تخاله * أشبال غاب في الكريهة تزار

5- استشهاده

حين اندلعت ثورة التحرير الوطني انظم الشيخ عبد الكريم إلى صفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، فعمل على بث الوعي وحشد الرأي الوطني لدعم الثورة، وشغل وظيفة أمين صندوق المال لمنطقة المرادية، ولما حاطت به شكوك قوات الأمن الاستعماري أخذت تعتقله حين لحين لا ستنطاقه والتحقيق معه، حتى اقتحمت عليه بيته ليلة 15 جانفي واعتقلته بسجن الكورنيش عند باب الوادي مدة تقارب الثلاثة شهور ثم نقلته إلى سجن الدويرة وأعدمته بقرية الخرايسية ليلة 13. ماي من سنة 1959م.

خاتمة

إن شعر المقاومة كشف لنا عن الإلتزام الحق بقضايا الوطن لأنه شعر مكافحة وتثمين لقيم الأمة في خطاب الألم وسنوات الإستعمار البغيض، فكان شعرا إرهاصيا للثورة في شتى المجالات السياسية والثقافية والإجتماعية كما أبرز لنا عبقرية الشاعر الجزائري المسلم في تمسكه بلغة القرآن الكريم والكتابة بها في أوقات الشدة محافظا على كيان أمته ومثبتا لأصالتها.

فكان شعرهم شعر هاد وتأريخا لتلك الفترة بكل عطائها وتطلعات الأمة فيها.

فكان الشاعر عبد الكريم العقون مثالا لطبيعة الإنسان الجزائري في لفتته الذكية بقصائد وأبيات تفوح بالمرارة والشكوى وأخرى تتلون بالألم والعذاب وقصائد أيضا تعلي صوت الوطن وتؤمن بالثورة وتلتزم بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف بهدف حمل رسالة تصور مأساة الجزائر وتدعوا للتحرر من الإستعمار وتحمي الهوية والوطنية

*****المجد والخلود لشهدائنا الأبرار تحيا الجزائر*****

[1] محمد شوتحي دار الكتب العلمية بيروت ط2 1999 ص802.

[2] يحيى أوهيبة، أرشيف مرحلة تدوينية، 24 جوان 2012.

[3] محمد الهادي الحسني، الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون، جريدة الشروق، 28-05-2015، ص12

[4] عبد الرحمن إبراهيم إبن العقون الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الجزء الأول، برج بوعريريج، ص105.

[5] ابن بوزة مليكة الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون، المسيرة والنضال، مجلة المدونة، جامعة البليدة، 31-01-2015، الجزائر، ص10

جدليّة الفنّي والتّاريخي في روايات مولود فرعون-رواية ابن الفقيروالدّروب الوّعرة أنموذجا

Title in English; The dialectic of the artistic and the historical in Mouloud Feraoun's novels – The Poor Man's Son and the Paths that Rise as a model

أستاذ محاضر أ/ ميسي خولة

قسم اللغة والأدب العربي- محمد الشريف مساعدية – سوق أهراس(الجزائر)

k.missi@univ-soukahras.dz

ملخص:

على الرغم من سياسة القمع والتقتيل والإرهاب التي عانى منها الشعب الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي إلاّ أنه صمد في وجه العدو الغاشم وثار مقاوما اضطهاده، وقد كان من بين من حملوا راية المقاومة، المثقفين والأدباء والكُتّاب والفنانين، وفي هذا المقال سنركز على المقاومة الثقافية للشهيد مولود فرعون، محاولين الإجابة عن جملة من الإشكالات منها: هل اكتفى مولود فرعون في رواياته –ابن الفقير والدروب الوعرة- بسرد الحقائق التاريخية عن واقع الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي؟ إلى أي مدى تعالق الفني مع التاريخي في روايات مولود فرعون؟ وهل استطاع الشهيد الكاتب مولود فرعون إحراج فرنسا أدبيا؟

الكلمات المفتاحية: مولود فرعون؛ الشهيد؛ الاستعمار؛ الفني؛ التاريخي.

Abstract:

Despite the policy of repression, killing and terrorism that the Algerian people suffered from during the French colonialism, many stood firm to its face and revolted, resisting its oppression, and it was among them Intellectuals, literary authors ، writers and artists. In this article, we will focus on the cultural resistance of the martyr Mouloud Feraoun, through which we wanted to answer the following questions: Was Mouloud Feraoun

satisfied conveying all the historical facts about Algeria during the French colonialism in his novels? To what extent does the artistic perspective relate to the historical in the novels of Mouloud Feraoun? And could the martyr writer Mouloud Feraoun embarrass France literary?

key words: Mouloud Feraoun; martyr; colonialism; artistic; historical.

1- مقدمة:

لفن الكتابة والإبداع طقوس خاصة، يستشعرها المبدع أثناء إخراج فنه إلى العالم، وعادة تكون في ظروف طبيعية لا يتعرض فيها المبدع إلى أيّ ضغط أو تهديد؛ أمّا أن تبدع تحت القصف والنار، فذلك تحدٍّ أكيد، قُصد منه الانتصار للوطن والذّود عنه تحت كل الظروف.

كثيرة هي الأعمال الإبداعية التي غيرت مجرى الأحداث، وأربكت العدو بمجابهتها تأثيراته العديدة؛ وقد اخترنا استنطاق تعالق التاريخي للفني في أعمال الشهيد مولود فرعون الروائية؛ لما تحمله إبداعاته الروائية-ابن الفقير ورواية الأرض ورواية الدروب الوعرة- من دلالات عميقة، تكرس فعل المقاومة والتصدي للاستعمار الفرنسي، ما جعل العدو الفرنسي يتوجس خيفة من مثل هذه الطاقات الإبداعية والأقلام الذهبية.

ولأن هذه الأعمال الروائية، كُتبت إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد استطاعت التأريخ لحقبة من تاريخ الجزائر، بأسلوب فني روائي يتماشى مع التطور الأدبي في الجزائر؛ لذلك ارتأينا عنونة بحثنا بجدلية الفني والتاريخي في روايات الشهيد مولود فرعون- رواية ابن الفقير والدروب الوعرة أنموذجا، وهي دراسة ترتكز على مجموعة من الإشكاليات منها: هل استطاعت الأعمال الروائية لمولود فرعون- رواية ابن الفقير والدروب الوعرة إحداث جدلية بين الفني والتاريخي؟ وهل أفادت أعماله الروائية من هذه العلاقة؟ وهل عكست رواياته ظلال المستعمر وأمل الشعب والوطن في الحصول على الحرية؟ وقد جاءت عناوين البحث الكبرى والفرعية لتقارب الأعمال الروائية لمولود فرعون من وجهة نقدية تحليلية، ابتغينا من خلالها تسليط الضوء على الخصائص الفنية والجمالية لرواياته وربطها بالتحولات البنيوية التي عرفها المجتمع الجزائري خلال الاحتلال الفرنسي.

2- المقاومة الثقافية لمولود فرعون *

على غرار الربيع بوشامة والأمين العمودي وأحمد رضا حوحو والحبيب بناسي والعربي التبسي وعبد الكريم العقون... وغيرهم من الأدباء الشهداء الجزائريين، الذين فدوا الجزائر بالدم والحرف، نذكر ونستذكر الشهيد الأديب مولود فرعون، الذي أُغتيل غدرا من قبل منظمة الجيش السري في باريس عام 1962، وقد عُرف بمقاومته الفكرية والأدبية للخطاب الاستعماري، كيف لا وهو من قارع الاستعمار بلغته، وجعل من قلمه سلاحا للدفاع عن هويته، ولعل ذلك ما دفعه لقول جملته الشهيرة: «أكتب بالفرنسية، وأتكلم بالفرنسية؛ لأقول للفرنسيين: إني لست فرنسيا»[1] كانت شاهدا أدبيا على فترة شديدة التوتر في تاريخ الجزائر، دافع فيها عن الشخصية الجزائرية، وثمّن التراث المحلي، كما أنه تحدث عن الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

مولود فرعون فنان مناضل، تفاعل مع أوضاع مجتمعه، فصبغت أعماله الأدبية بكل ألوان الظلم والاستدمار، الذي تفنن فيه الاستعمار لما يزيد عن القرن؛ لتتحول الكتابة من فعل إبداعي إلى مقاومة ثقافية ضد كل أنواع السيطرة والهيمنة، فخلفت لنا إبداعاته رصيدا معرفيا وفكرا تحرريا، كان ثمنه إزهاق روحه.

والجدير بالذكر أن مولود فرعون كان من بين مجموعة الكتاب الذين أقبلوا على ثقافة المستعمر، وتمكنوا من أن يفرضوا أنفسهم في مجال الأدب بعد أن اتخذوا اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير؛ كما ظهر اتجاه محافظ يرفض التجديد والإقبال على الثقافة الاستعمارية، وقد ضمت هذان الاتجاهان مدرسة شمال إفريقيا المعبرة باللغة الفرنسية فئتين من الكتاب، فئة الجزائريين من أصل فرنسي ولدوا وعاشوا بالجزائر ومنهم: روبليه، غابرييل أوديسيو، جبل روا، ادموند يروا، آلبير كامو؛ وفئة الكتاب الجزائريين من أصل جزائري ومنهم: مولود فرعون.[2] الذي ألف رواية ابن الفقير، وهي أول عمل روائي، تحدث فيها عن مأساة فقراء الجزائر، أطلق فيها مولود فرعون العنان لقلمه ليسرد لنا محطات عن حياته، قضاها في قرية من قرى منطقة القبائل الجبلية، خاض فيها نضاله الأول لأجل المعرفة، فأثناء استغراق الكاتب في ذكرياته المريرة، نتيجة لظروف حياته الصعبة التي طغى عليها الحرمان، صاغ لنا مولود فرعون حكايات عن مأساة الفلاحين الكادحين الذين يعملون في أرضهم بأبخس الأثمان.

أما رواية الدروب الوعرة، والتي ألفها سنة 1957، ليست مجرد قصة حب وغرام، وغيرة وانتقام. ولكن الناقد سرعان ما يكتشف وراء هذه العواطف المحتدمة صراعا بين القديم والجديد، بين الشباب والشيوخ، بين التبشير والإسلام..قيل عن فرعون بأنه لم يكن من الكتاب الملتزمين، ولكن، يشفع له على هذا الموقف أنه كان من ذوي الإحساس المرهف: فكل رواية له إنما هي أنشودة حلوة يمجد فيها أرض الآباء والأجداد.»[3] صوّر فيها مولود فرعون الصراع الحاد بين ثقافتين، الأولى استعمارية متمثلة في ظاهرة التنصير أمام تمسك أهل القرية بتقاليدهم وعاداتهم، خصوصا في ظل العنصرية البغيضة، فقد لاحظوا أنه رغم كل ما يفعلون لا يزال ينظر إليهم باحتقار من طرف الفرنسيين، فإنهم يسخطون أشد السخط على المسيح والمسيحية بسبب هذه التفرقة العنصرية.[4]

بعد رواية ابن الفقير، ألف مولود فرعون رواية ثانية عنونها بالأرض والدم سنة 1953، تحدث فيها الكاتب عن مرحلة عملية هجرة شمال إفريقيا للعمل في فرنسا بسبب معاناة الفلاحين والعمال في وطنهم الأصل، وتقع أحداثها فترة ما بين الحربين العالمتين، وتتمحور أحداث الرواية حول عودة بطل الرواية عامر رفقة زوجته ماري إلى منطقة القبائل؛ ليطرح فيها مشكلة الهجرة، والزواج بالأجنبيات، وحياة الفقر والعوز التي عانى منها البطل، بالإضافة إلى تأكيده على ارتباط الشعب الجزائري بأرضه.

ليجعل مولود فرعون من إبداعاته سلاحا ثقافيا تنويريا تحرريا، جابَهَ به الخطاب الاستعماري الفرنسي، على غرار كتاب آخرين ألفوا في فنون أدبية مختلفة: كالقصة والشعر والمسرحية والأغاني الشعبية والأشرطة الوثائقية وغيرها من الأعمال الأدبية الأخرى، التي دعمت الثورة وكتبت عن مآسيها وبطولاتها، ودعت إلى الحرية والتحرر، وأيدت شرعية الاستقلال واستمات أصحابها على موقفهم، فقضوا نحبهم، تاركين وراءهم أعمالهم الأدبية المخلدة لأرواحهم وأفكارهم نتلقفها جيلا بعد جيل بالقراءة والنقد والتحليل، مبرزين دورهم في مقاومة المستعمر وإحراجه ثقافيا.

3- روايات مولود فرعون بين اليقين التاريخي والإيحاء السردي:

تعتبر روايات مولود فرعون- ابن الفقير والدروب الوعرة- نصوص روائية تلامس الواقع الجزائري المأزوم خلال فترة الاحتلال، فقد استطاع أن ينقل لنا صورة مصغرة عن الحياة الاجتماعية في بلاد القبائل زمن الوجود الفرنسي في قالب فني روائي.

فبراعة الروائي تكمن في مقدرته الفنية على إقامة علاقة بين الحقائق التاريخية والعالم السردي المتخيل بلغة أدبية راقية تستفز فرنسا، فعن أسباب ودوافع تأليفه لرواية الأرض والدم يروي جوزي ليزيني بأن «مولود فرعون أُستقبل في قصر الايليزي عندما سافر إلى باريس في سنة 1960، حيث عرض عليه الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول، منصب سفير فرنسا في الولايات المتحدة ا أمريكية، حيث يقول جوزي ليزيني: انه من المعلوم بأنها أهم سفارة بالنسبة لفرنسا، وقد أخبرني ابنه علي فرعون، بأن ديغول أراد من خلال هذه المناورة أن يظهر للأمريكيين بأن فرنسا تقود حربا ضد الثوار الجزائريين فقط، لكن ما يزال في البلاد مثقفون يكنون لها الولاء.»[5] ثم يواصل جوزي ليزيني حديثه، عن التزام مولود فرعون بقضية الجزائر، ورفضه لجميع المساومات الدنيئة التي اقترحتها عليه فرنسا؛ مشيرا إلى أنه «رفض مولود فرعون المقترح، وعاد إلى الجزائر، وكتب رواية جزائرية حول قصة حب بين معلم جزائري من القبائل وفرنسية اسمها فرانسواز لكن هذا الحب لا يكتمل، في دلالة على فرنسا والجزائر واستحالة انصهارهما معا في بوتقة واحدة، لكنه عندما أرسلها إلى دار لوسوي للنشر، ثم رفضها واقترح مديرها عليه أن يحول شخصية الفرنسية فرانسواز إلى أميرة قبائلية، لذلك قام الكاتب الجزائري بتأليف نسخة ثانية. وقد تلقى مولود فرعون عدة رسائل تهديد خلال الثورة الجزائرية من طرف منظمة المقاومة للجزائر الفرنسية بسبب نضاله المساند للثورة الجزائرية.»[6]فهذا الكلام يؤكد أن ثلاثية مولود فرعون الروائية، ما هي إلا وثائق تاريخية محررة في قالب سردي روائي يُدين غطرسة فرنسا وهمجيتها، ويردُّ على محاولاتها لصدّ الطاقات الإبداعية عن دعم الثورة.

وروايته ابن الفقير خليط أجناسي بين السيرة الذاتية والرواية، وفي تصريح له قال عنها أنها قطعة من ذاته، كتبها إبان الحرب المظلمة على ضوء مصباح تقليدي؛ فهي ترجمان حياته في تيزي وزو، وملخصا لكفاحه الطويل مع الحرمان، كما أنها صورت لنا أدق التفاصيل عن قريته-عاداتها

وتقاليدها- وأوضاعها الاجتماعية المزرية، حتى أنه يصف لنا بدقة تضاريسها وعمرانها وإجمالي سكانها؛ حيث «تعد تيزي تجمعا سكانيا لألفي ساكن، تتلاصق منازلها الواحد تلو الآخر على قمة مرتفع وكأنها هيكل عظمي ضخم لوحش ينتمي إلى عصر ما قبل التاريخ: على طول مائتي متر، يقع الشارع الرئيسي وما هو إلا جزء من طريق قبيلة يربط عدة قرى ويؤدي إلى طريق ممهد ومنه إلى المدن. يحتفظ هذا الشارع الرئيسي بعرضه الأصلي في المناطق التي يحدُّه فيها حائط من جانب واحد: ستة أذرع على الأقل؛ لأنه ما تم بناؤه على جانبيها غالبا ما تآكل، كما أنه يثير الشفقة في محبسه الحجري.»[7] ويتواصل هذا الوصف صفحات متتالية.

فالقارئ للرواية يقف على تماهٍ بين النص التاريخي والنص الروائي؛ فمهارة مولود فرعون تتجلى في إيجاد مناخ تاريخي تضطلع فيه شخصيات غير تاريخية لم يخصصها التاريخ بالدقة التي خصص بها الشخصيات التاريخية المثبتة نصا بأعمال متخيلة.[8]

وما أكثر هذه التحويرات في رواية ابن الفقير، التي حوّل فيها الكاتب الأحداث التاريخية إلى خطاب روائي؛ يقول مولود فرعون: «عمي وأبي يحملان اسمي رمضان ولونيس، غير أنه في الحي اعتادوا أن ينادوا باسم أبناء شعبان، لا أعرف حتى لماذا، أصبحا يتيمين منذ نعومة أظافرهما حتى إن أبي لم يعرف قط جدي. غير أنه ينبغي مناداتهما باسم أبناء تساديت، جدتي. يفضل بالتأكيد أعمامهم وأبناء عمومتهما تخليد اسم شعبان ليظهروا جيدا للناس أن اليتيمين لهما أصل وأنهما يحلان محل أبيهما.»[9]

بينما نجده في رواية الدروب الوعرة، يقيم مولود فرعون حوارا مع المعطيات التاريخية ويعيد تكييفها لغايات فكرية إيديولوجية، ينجذب فيها القارئ إلى بلاغة الصراع، الحاد بين ثقافة المستعمر والمتمثلة في انتشار ظاهرة التنصير، يقول السارد متحدثا عن ذهبية: «ثم رفعت صوتها مبتهلة: رحماك يا الهي، وبورك اسمك، وتعالت قدرتك. وصارت تردد بصورة آلية صلاتها، تلك الصلاة التي تعلمتها بعدما تنصرت، من الأدب دبوا الذي يتحدث اللغة الأمازيغية بطلاقة. وقد ترجم الأب دوبوا أقوال المسيح لكي يحفظها التلامذة في آيت واضو.»[10] وثقافة سكان القرية المتمسكين بعاداتهم وتقاليدهم وبدين الإسلام القويم؛ يقول مولود فرعون مصورا لنا بعض من

تلك النقاشات والمناظرات بين المسيحيين والمسلمين: «انظروا إلى الراهبات وإلى الآباء البيض، وما يقومون به من أعمال البر والإحسان، وما يقدمونه من خدمات لأمثالكم من الجاحدين بالنعمة، ثم قارنوا بينهم وبين الشرفاء والمرابطين الذين تدينون لهم بالولاء، وتذكروا عاداتهم الشنيعة في كتابة الحروز، وما يتصفون به من بلادة... كونوا واقعيين، وافتحوا عيونكم لكي تروا الأمور على حقيقتها. إلا أن المسلمين، عوضا من أن يفتحوا عيونهم، فهم على العكس لا يعبئون لكلامهم ولا يردون عليهم جوابا. ولو شاءوا لردوا عليهم قائلين: إذا كان في سيرة المرابطين مجال للانتقاد، فالذنب ليس ذنب الدين، والديانة المسيحية نفسها قد مرت بعهد لم يكن فيه القسيسين أكثر تقي وأحسن سيرة من المرابطين.»[11] وبنفس النمط، يذهب مولود فرعون لعرض قضاياه عن مظالم الاستعمار ورأيه من حملة التنصير وقضايا المرأة...

4- روايات مولود فرعون نصوص مثيرة للقراءة:

الفن الجيد هو الذي يتخطى عامل الزمن وحدود الفضاء، ليتعلق بالذاكرة، فيمجده التاريخ ويستثير القراءات؛ كذلك هي روايات مولود فرعون نصوص خلدتها الذاكرة جيلا بعد جيل؛ لأنها مثيرة للقراءة، فالسرد «موجود ببساطة كالحياة نفسها...أمميٌّ، وعابر للتاريخ وللثقافات. وهكذا، فان السرد أبعد ما يكون عن كونه مشكلة، بل يمكن اعتباره حلاً لمشكلة ذات اهتمام إنساني عام، أي المشكلة المتمثلة في كيفية ترجمة فعل المعرفة إلى فعل القص، مشكلة صياغة التجربة الإنسانية بشكل قابل للاستيعاب في بُنى المعنى التي تكون ذات طابع إنساني عام بدل أن تكون خاصة بثقافة معينة.»[12] ليتجاوز مولود فرعون حدود المحلية، وتترجم إلى أكثر من لغة؛ وهذا عائد طبعا لقضايا الإنسانية التي طرحها في رواياتها، وكذا قدرته الفنية المتميزة.

إن القارئ لروايات مولود فرعون، يقف على آليات فنية لكاتب مبدع، مزج فيها بين الواقعية والخيال، وضمنها جدلية واسعة النطاق تكرس فعل الحوارية المنفتحة بين التاريخ والذاكرة والتخيل والسيرة والقيم والمعتقدات والوعي الاجتماعي والطرح التاريخي يقود مولود فرعون بذاكرته إلى زمن مضى ليقص سيرته الذاتية، فيختار شخصية فورولو، ليروي مآسي حياته، والدروب الوعرة التي خاضها ليصل إلى غايته، يقول الروائي: «متى وفي أي ظروف ولدت صداقتنا؟ لن أستطيع أن أقول. في ذاكرتي، دائما ما يرافق عقلي فرولو الصغير البالغ من العمر

خمسة أو ستة أعوام. نحن نسكن الشارع نفسه، لا أننا تقابلنا هنا. على الرغم من ذلك، لا شيء يوضح سر ارتباطنا. كان هناك أطفال آخرون، غير أنهم لم يكونوا صداقة مثل صداقتنا.»[13] فبراعة الكاتب تكمن في قدرته على إقامة حوار مع ذاته، ليكرس وعي جديد عن الأنا والآخر حضاريا وثقافيا.

لروايات مولود فرعون-خاصة ابن الفقير- مزايا فنية عديدة، منها مرونة الخطاب الروائي فيها وبساطته، واستجابته دلاليا وجماليا للبعد التخيلي للوقائع، ما يجعل علاقة النص بالسياق ممكنة، وبالتالي إلى غلبة المتخيل الروائي على الحقائق التاريخية، حيث النزوع نحو التأويل واستدعاء الماضي وإعادة ترهينه من منظور حضاري وثقافي جديد.[14] وهذا ما جعل من نصوصه الروائية ثرية وقابلة للقراءة والتأويل.

إضافة إلى هذا، يعتبر مولود فرعون من الأدباء الشهداء، الذين استطاعوا أن يكونوا كتابا إنسانيون، وأعماله وطنية نضالية، فسخّر قلمه لهذه الخدمة الجليلة، لذلك عدّ من الكتاب الملتزمين الذين تحدثوا عن آفات الشعوب ونضالهم الدائم والمستمر ضد: الفقر والجهل والمرض والاستعمار، فهذا الأخير منذ أن استعمر الجزائر، خطط لتهديم مقومات الشخصية الجزائرية، وقال بأن الجزائر فرنسية؛ وغايته في ذلك طمس الهوية الجزائرية، وتضييق الخناق على التعليم باللغة العربية، بل واعتبارها لغة ثانية؛ وقد تحدث مولود فرعون عن ذلك: «صباح الاثنين: رحيل على عجل للوصول قبل الثامنة. وسيركب الأتوبيس للمرة الأولى! هل يحلم الشاب؟ ذهب إلى المدرسة حتى قبل أن يقابل يا السيد لامبيرت، رئيس البعثة. شعر فورولو بأنه تائه وسط جموع التلاميذ، لم يتعرف على نفسه، يرتدي ملابس إفرنجية مثل الآخرين، قبل الدخول عقد له أزير رابطة عنقه بعناية، كونه عليما بمثل هذه الأمور.»[15] فاللغة بالنسبة لمولود فرعون وسيلة لتعرية الواقع، وسلاح فتاك يناضل به عن قضايا وطنه ضد ظلم المستعمر وغطرسته، رغم التهديدات والمؤامرات التي تحاك ضد مثقفي الأمة.

وقد واصل نضاله الثقافي، فمسيرته لم تتوقف عند رواية ابن الفقير؛ كذلك رواية الدروب الوعرة التي تحدث فيها عن الظروف المزرية التي يعيشها سكان منطقة القبائل، الذي دفع بشباب

القرية للرحيل عنها والسفر إلى فرنسا، لتحسين أوضاعهم البائسة، والحصول على لقمة العيش؛ يقول مولود فرعون: «و الحقيقة أنه يوجد من بين هؤلاء الشبان من يفكر في الأمر جديا، ويحاول أن يحسن أحواله وأن يحقق إلى حد ما مطامحه. ومن بينهم ذلك الشاب من ايغيل نزمان الذي عزم على أن يتحرر من جميع القيود، لأن هذا الحل في نظره هو الحل المنطقي الوحيد. وصل هذا الشاب ذات يوم إلى البلاد عائدا من مدينة توركوينج، فقال لزوجته ليضعها أمام الأمر الواقع: يا هذه، أنا فقير. وجميع الناس يعرفون بأنني لا أملك شيئا في ايغيل نزمان. أما في مدينة توركوينج فلي على الأقل عمل في أحد مصانع الغزل والنسيج.»[16] فكان السفر إلى فرنسا بالنسبة لكثير من شبان قرية ايغيل نزمان مرفأ للنجاة؛ بينما خاب سعيُ غيرهم، فعادوا إلى قُراهم، لتحمل المسؤولية المنوطة بهم؛ يقول السارد: «و قد سافر مقران مرة أو مرتين إلى فرنسا، غير أن المعيشة في بلاد الكفار لم ترقه، ولذلك عاد إلى القرية حيث تركت له عائلته مسؤولية القيام بكل ما يتصل بالفلاحة.»[17] فقد حرص الكاتب أن تكون لغته بسيطة وواضحة، تلتزم بعرض جميع الآراء والوقائع التي حدثت فعلا خلال فترة الاحتلال.

والجدير بالذكر في هذا المقام من البحث أن للغة مولود فرعون دورا كبيرا في النهوض بغايته المنشودة، ألا وهي التعبير عن واقع منطقة القبائل والوطن بصفة عامة، وتعرية كل المشاكل التي اعترضته؛ كما أنه استطاع أن يواجه المستعمر الفرنسي بجرائمه اللا إنسانية اتجاه الأرض والشعب بلغة يفهمها وحقائق دامغة؛ «فاللغة هي الاستعمال الفكري كما أنها الجوهر المميز لقيمة مجتمع من المجتمعات.»[18] لذلك نجد مولود فرعون كتب رواياته بلغة المجتمع التي يفهمها كقوله: «**العني الشيطان يا مالحة**، ما هذا الكلام إلا من وحي إبليس اللعين. أرجوك، لا تصرخي يا مالحة، ولا تشمتي بنا أمام الأعداء.»[19] وفي رواية ابن الفقير، نجده يُدرج الكثير من الألفاظ والعبارات العامية مثل: القهواجي، بردعة، الكانون، ايكوفيات...

5- التصديرات السردية في رواياته:

لقد سبق وأشرنا أنه اعتمد على الوضوح في لغته ونزل إلى لغة المُخاطب، بسيطة تليق بأدنى مستوى للمتلقيين من عامة الشعب، كما أنها ترتفع إلى أعلى مستوى من المخاطبين، فقد دبّج مولود فرعون رواياته خاصة ابن الفقير وبدرجة أقل رواية الدروب الوعرة، بأقوال لكبار

الكتاب؛ كقوله في القسم الذي يعنونه بالعائلة: «سوف نعمل لأجل الآخرين حتى الشيخوخة، وعندما تحين الساعة سنلقي حتفنا بلا همس، وسنقول في العالم الآخر إننا عانينا، إننا بكينا، إننا عشنا سنوات طويلة مريرة وسوف يرأف الله لحالنا.»[20] وهي مقدمة تسبق ما سيجيء في متن الرواية، تختزل تجربة أنطون تشيخوف* Anton Tchekhov اقتبسها الراوي كعتبة تحيل على المعنى الذي سيجيء من بعده، وقد عرّفها جيرار جينيت Gérard Genette «بمجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه: حواش وهوامش وعناوين رئيسية وأخرى فرعية وفهارس ومقدمات وخاتمة وغيرها من بيانات النشر المعروفة.»[21] فالعبارة التي استوحاها مولود فرعون، تختصر المضمون الذي فيما بعد سيروي أحداثه النامية عبر تواصل السرد.

كما أنه اقتبس قول جول ميشليه* Jules Michelet، ليصَدر به قسمه الثاني من الرواية المعنون بالابن البكر، «و هو نوع من الاستشهاد، إن لم نقل أنه الاستشهاد في حدّ ذاته، وهو كما ورد تعريفه: مقولة لكاتب ما توضع على رأس كتاب أو فصل، كأن يضع المؤلف قولا أو عدة أقوال لكاتب ما أو لنفسه في بداية الكتاب بعد صفحة العنوان وقبل المتن، مستشهدا بها من أجل توجيه أو توضيح العمل. فالتصدير يكون على رأس العمل أو جزء منه نص أو عدة نصوص، وهو بذلك يقع خارج العمل ومحاذيا لحافته.»[22] وقد جاء في هذا التصدير: «اليوم الفقر المدقع الذي يتحمله قومي بكل زهور ونبل يصنع عظمتي، فيما سبق، كان بمثابة عار لي وكنت أخفيه قدر استطاعتي، احترام إنساني فظيع !»[23]

فكلا النصان اللذان صدّرا بهما الكاتب أقسام روايته، يحيلان على مسار أحداث في الرواية، وما تتضمنه من خطاب إيديولوجي، يروم الكاتب طرحه في روايته ابن الفقير؛ كما أنه اقتبس أقوالا لهؤلاء الكتاب، الذين ثاروا على مظاهر اجتماعية لا إنسانية، لتغيير أقدار أوطانهم ومصائرهم، ليدخلوا العالمية من بابها العريض؛ لأنهم لهجوا بخطاب الحرية والتحرر والأخلاق، ضد الفقر والجهل وخطاب التبعية والاستعمار؛ فانسجمت معاني هذه التصديرات مع أفكار مولود فرعون.

أما روايته الدروب الوعرة، فقد اختار مولود فرعون أن يصدّرها بمثل قبائلي، يقول فيه: « إذا ما قصدت الأبعاء ناث ييراثن، فالدروب إليها عديدة. ولكن مهما اخترت الطريق... فالدروب كلها وعرة.»[24] وهو التصدير الوحيد في الرواية، الذي نجده يتكرر في متن الرواية، كقوله: «لقد علمتنا التجربة بأن دروب الحياة كلها دروب وعرة»[25] وقوله: «لقد وجدت نفسي كغيري من الناس، أمام دروب وعرة. وما نحن في الواقع إلا قوم فقراء في بلاد فقيرة جدا.»[26] أثار فيها الكاتب نقاش حول مجموعة من القضايا السياسية والاجتماعية، كقضية التمييز بين الفرنسيين والجزائريين، تحدث فيها مولود فرعون عن معاناة الشعب الجزائري أمام الممارسات القمعية والمضيِّقة التي اتّبعتها فرنسا لظلم الجزائريين، فقد قامت بمصادرة أراضيهم وأموالهم لصالحها ولصالح بعض الخونة، ما اضطر شبان القرى والمداشر للهجرة إلى فرنسا لإعالة ذويهم.

ليسرد لنا الكاتب قصة عامر الشاب المتعلم المنافح عن قضية بلده، الذي تعرض للخيانة ليجد نفسه تحت رحمة السلطات فيُخير بين المنفي للصحراء أو الهجرة لفرنسا، ليختار الهجرة إلي بلاد المستعمر؛ الذي تعرض فيه للتهميش وسوء معاملة من طرف الفرنسيين، فيجد نفسه في صراع نفسي بين غربة مريرة ووطن مستعمر يتلوى من الفقر والظلم والجهل.

كما نقل لنا مولود فرعون صورة عن الأوضاع الاجتماعية في قرية اغيل نزمان، هذه القرية التي تنازعتها صراعات، صراع أسرة آيت العربي المدافعة عن وطنيتها وأسرة آيت سليمان المناصرة لسلطات الاحتلال؛ إضافة إلى أنه تحدث عن التبشير المسيحي، الذي عزمت فرنسا تعميمه في البلاد، وذكر لنا مولود فرعون مناقشاتهم العقيمة، ومدى تشبث سكان قرية وايت واضو بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم.

6- خاتمة:

في ختام هذا البحث، لا يسعنا سوى القول أن أعمال مولود فرعون- رواية ابن الفقير والدروب الوعرة أنموذجا، من النصوص الروائية الخالدة، لما يحويه من سمات فنية خاصة، وقضايا وطنية نضالية، تعكس مدى ظلم المستعمر الفرنسي وقسوته، جعل مثقفي الأمة -بصفة

عامة- ومولود فرعون -بصفة خاصة- يشهر قلمه للدفاع عن قضايا الوطن والشعب، ساعيا بكل جهده لإنارة الرأي العام وفضح المستور. ومن بين النتائج التي توصلنا إليها:

- حرص مولود فرعون على تصوير واقع وطنه بأسلوب منفتح على التاريخ والذاكرة والتخييل.
- مولود فرعون من الكتاب الشهداء الذين حملوا مشعل المقاومة الثقافية، معلنا الحرب على فرنسا باللغة التي تفهمها.
- مقدرة مولود فرعون الأدبية والفنية، التي توسل بها سرد حقائق عن واقع وطنه، سجلها التاريخ جيلا بعد جيل، لغايات نضالية، أحرجت فرنسا وأخلطت حساباتها، هذا ما أدى بها للتخطيط لاغتياله.
- رغم السياسة التي شنتها فرنسا ضد الهوية الوطنية، إلا أن الشعب الجزائري قد أظهر صلابة ضد حملات التنصير وجهودها الجبارة لطمس مقومات الهوية الجزائرية العربية الإسلامية.

---

[*] ولد في عام 1912 بإحدى قرى جبال القبائل لأب فلاح. وفي طفولته هاجر مع والده الذي اضطرته ظروف الحياة للعمل في فرنسا، وبفضل منحة دراسية قدر له أن يلتحق بمدرسة متوسطة ثم بدار المعلمين العليا بالجزائر، وعندما تخرج عُين معلما في مسقط رأسه، ولم يترك منطقة القبائل إلا في عام 1957 ليعين مديرا في العاصمة وفي 15 مارس 1962 استشهد فرعون برصاص المنظمة السرية الإرهابية مع مجموعة من زملائه.

[1] مولود فرعون: ابن الفقير، تر: نسرين شكري ، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، ص7

[2] نوال بن صالح: استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون نموذج الأرض والدم، مجلة المخبر ، جامعة بسكرة، الجزائر، ع9، 2013، ص 394.

[3] مولود فرعون: الدروب الوعرة، تر: حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط5، 1990، ص (غلاف الرواية)

[4] عمر بن قينة: شخصيات جزائرية ، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، 1983، ص 121.

[5] سماح عادل: مولود فرعون.. ساند الثورة وكتب المجتمع الجزائري القبائلي بدقة، بتاريخ: 15.08.2023، kitabat.com

[6] سماح عادل: مولود فرعون.. ساند الثورة.

[7] مولود فرعون: ابن الفقير، ص 20،21.

[8] نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، د.ط، 2006، ص 128.

[9] المصدر السابق، ص 29.

[10] مولود فرعون: الدروب الوعرة، ص 14

[11] المصدر نفسه، ص 26

[12] مولود فرعون: الدروب الوعرة ، ص 27.

[13] مولود فرعون: ابن الفقير، ص 41

[14] محمد سالمي: التضايف الاجناسي بين يقينة التاريخ ونسبية الرواية، رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج أنموذجا، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، الجزائر، مج2، ع2، 2020، ص 303.

[15] مولود فرعون: ابن الفقير ، ص 158

[16] مولود فرعون: الدروب الوعرة، ص 61،62

[17] المصدر نفسه، ص 51

[18] أحمد طالب: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 158

[19] مولود فرعون: ابن الفقير ، ص 54

[20] المصدر نفسه، ص 15

[*] أنطون بافلوفيش تشيخوف (1860-1904)، طبيب وكاتب مسرحي ومؤلف قصصي روسي كبير ينظر إليه على أنه من أفضل كتاب القصص القصيرة على مدى التاريخ، ومن كبار الأدباء الروس. كتب المئات من القصص القصيرة التي اعتبر الكثير منها إبداعات فنية كلاسكية، كما أن مسرحياته كان لها تأثير عظيم على دراما القرن العشرين. بدأ تشيخوف الكتابة عندما كان طالبا في كلية الطب في جامعة موسكو، ولم يترك الكتابة حتى أصبح من أعظم الأدباء، تنوعت مؤلفاته، بين المسرحية والقصة القصيرة والرسومات الفكاهية والقصص والمقالات.

[21] عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، 2000، ص 16

[*] جول ميشليه (1798-1874) هو مؤرخ فرنسي وكاتب. ولد في باريس كان جول ميشليه، في مؤلفه لعام 1855 بعنوان تاريخ فرنسا أول مؤرخ استخدم وعرّف كلمة عصر النهضة ومعناها بالفرنسية الولادة الجديدة. كفترة تمثل في التاريخ الثقافي الأوروبي ابتعادا جذريا عن العصور الوسطى، منتجة فهما عصريا للإنسانية ومكانها في العالم.

[22] فيروز شام: ما تقوله العتبات النصية، مجلة معارف، ع11، 2016، ص 274، 275

[23] مولود فرعون: ابن الفقير، ص 123

[24] مولود فرعون: الدروب الوعرة، ص 5

[25] المصدر نفسه، ص 260

[26] المصدر نفسه، ص 263

حجية التناص في مقالات الشيخ الشهيد العربي التبسي

The power of intertextuality in the articles of the martyr Sheikh Al-Arabi Al-Tepsi

د/ سلاف بعزيز (أستاذ محاضر أ)

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي(الجزائر)

baaziz-soulef@univ-eloued.dz

ملخص:

يعد التناص سمة بارزة، وظاهرة عامة في أغلب نصوص مقالات الإمام الشهيد العربي التبسي –رحمه الله-، ونمط أسلوبي فني راق، وآلية لغوية متعددة ومتنوعة: آيات قرآنية، أحاديث نبوية، نصوص أدبية، أعلام وشخصيات مشهورة، تحددت من خلالها الوظيفة الحجاجية التي دعمت فكرة ومواقف الرجل المناضل، وحققت مقاصده وغاياته في إقناع واستمالة المتلقين للقضايا الدينية والوطنية والثقافية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: التناص / الحجاج / المقالات / الشيخ الشهيد العربي التبسي.

Abstract:

Intertextuality is a prominent feature and a general phenomenon in most of the texts of the articles of the martyr Imam Al-Arabi Al-Tebsi - may God have mercy on him - and it is a refined artistic stylistic pattern, and a multiple and diverse linguistic mechanism: Qur'anic verses, prophetic hadiths, literary texts, famous figures and personalities, through which the argumentative function that was supported was determined. The idea and positions of the struggling man, and his goals and objectives were achieved in persuading and winning over the recipients of religious, national, cultural and social issues.

key words: Intertextuality, Pilgrims, Articles, The martyr Sheikh Al-Arabi Al-Tepsi

تقديم:

تقوم كتابة النصوص على ثنائية الإنتاج والتلقي ؛ حيث تبرز في الطرف الأول حقيقة النص بنية ودلالة أنها نتيجة تراكمات نصية غائبة يستدعيها المؤلف ويستحضرها متداخلة ومتقاطعة ومتعالقة في إبداعاته في إطار ما يعرف بـ"التناص"، والثانية كيف يجعل الأولى دليلا إقناعيا ومؤثرا لمقاصده الخطابية، ليكون جمعهما معا (التناص والحجاج) انعكاسا لقدرة الأديب على استثمار قراءاته السابقة وثقافته في إنتاج كتابات جديدة تتخللها مقاطع وأجزاء نصية قديمة يعلل بواسطتها مواقفه وآراءه. الأمر الذي لم تحد عنه مقالات الإمام الشهيد الشيخ العربي التبسي – رحمه الله- ؛ إذ تكشف القراءة الواعية والمتبصرة لأعماله الأدبية من أنه مفكر إسلامي موسوعي عميق الإلمام بالقضايا الوطنية والعربية والإسلامية.

الإشكالية:

- كيف يمكن للتناص أن يؤدي وظيفة حجاجية في مقالات الإمام الشهيد العربي التبسي؟
- كيف يتم إقناع الآخرين والتأثير في أفكارهم وسلوكهم من خلال تقاطع النصوص وتداخلها؟
- إلى أي مدى أسهم التناص بكل أصنافه في تحقيق التغيير الذي أراده رجل الإصلاح العربي التبسي؟

1- تعريف الحجاج: Argumentation

الحجاج والمحاجة مصدر لفعل "حاجج"، والحجة لغة على وزن فُعلة، وهي من الصيغ التي تأتي بمعنى اسم المفعول للمبلاغة، وأصل الكلمة من الحج: القصد[1]. وحجه يحجه حجا، وأحاجه حجاجا ومحاجة، وحججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم، ورجل محجاج أي جدل، والتحاج: التخاصم، والحجة الدليل والبرهان يقال: حججته فأنا محاج وحجيج، وأحتج بالشيء: اتخذه حجة [2]. وكلمة حجاج بحكم صيغتها الصرفية تدل: على معنى المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجة بالحجة [3].

ومن خلال التحديدات القاموسية يبدو أن لفظ الحجاج أو المحاجة يحمل في مضمونه دلالة ومعنا مستمدين مما يشكل سياقه أو شرطه التخاطبي المتمثل في التخاصم والتنازع والجدل والغلبة كعمليات مأخوذة معانيها الفكرية والتواصلية [4].

يستمد الحجاج معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية [5].

لقد تطورت أبحاث الحجاج في عصرنا من خلال استلهام الموروث البلاغي والفلسفي، عند الغربيين من خلال إحياء التراث الفلسفي اليوناني، وعند العرب من خلال إحياء التراث البلاغي والكلامي العربيين [6] ؛ إذ حدّ الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليه [7] ؛ ومن ثم فالحجة عنصر دلالي، متضمن في القول يقدمه المتكلم على أنه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يُصيرها حجة، أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق، فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر، حتى لو تعلق الأمر بالمحتوى القضوي نفسه، أو بالحدث نفسه المعبر عنه داخل القول. وقد تتحقق الحجة على شكل لفظة أو قول أو خطاب بأكمله [8]. وبذلك تعد العلاقة الحجاجية أصلا في كل خطاب، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مشبعا بالحجج، لذلك كان تحليل الخطاب يرتكز في أسسه على الحمولة الحجاجية التي ترتقي به من نص خام إلى نص يقبل البيان والحجة [9].

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها [10].

ووضع كل من ميشال ماير وشاييم بيرلمان مفهوما جديدا للحجاج جمعا فيه ملكة اللغة وهي ملكة يشترك فيها العام والخاص من الناس، وملكة الكلام المتمثلة في الخطاب وهي فردية، وملكة الإقناع وهي ملكة يتمتع بها النخبة الخاصة من الناس، فعبرا عن ذلك بأن الحجاج عادة يعتبر كونه جهدا اقناعيا (إفحاميا)، ويعتبر البعد الحجاج بعدا جوهريا في اللغة، لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه [11].

ويتمثل هدف الحجاج في التأثير في الجمهور، والمعيار الأول الذي نقيس به خطابا ما هو نجاعته، بيد أنه ليس معيارا كافيا ؛ لأننا لا يمكن أن نهمل نوعية الجمهور الذي يتوجه إليه الخطاب، إننا نستطيع التمييز بين خطابات رجل السياسة، والمحامي والعالم، والمتكلم، والفيلسوف، لا فقط بمواضيعها بل نميزها أيضا وخاصة بالجمهور الذي تتوجه إليه تلك الخطابات، فتكون نجاعة الحجاج بحسب التقنيات المستعملة لإقناع سامع مخصوص وفق آليات مخصوصة [12].

وينبغي التفريق بين "الحجاج " و"البرهنة أو الاستدلال المنطقي" حيث الخطاب الطبيعي لا يعد خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. ولفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية [13].

ويستنتج مما سبق أن الحجاج بمعناه الاصطلاحي يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية [14]؛ ذلك أن الحجاج جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بهدف دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية [15].

2- مفهوم التناص: Interyextuality

اشتق "التناص " من مصطلح " النص – Texte " بكل ما يحمله هذا الأخير من معاني [16]. يعود لفظه إلى الجذر اللغوي (نصص): الرفع والظهور، والتناص صيغة صرفية على وزن "تفاعل" بما تحمله هذه الصيغة الاشتقاقية من معاني المشاركة والتداخل بما يعني تداخل نص في نص آخر سابق عليه [17]. وتعد فكرة "التناص" من الأفكار المركزية للنظرية الأدبية والثقافية المعاصرة، وقد برزت هذه الفكرة في أواخر الستينيات من القرن العشرين [18].

فقد عرف النقد الأوروبي منذ الإغريق التمييز بين ضروب من العلاقات بين النصوص. فكان الحديث عن الاستشهاد والأخذ غير المعلن أو الانتحال والسرقة، والمعارضة، والتحويل

والمحاكاة الساخرة، والتلميح. وفي النقد العربي القديم، نجد في كتب الموازنة بين الشعراء حشدا من المصطلحات مثل "الانتحال" و"السرقة" و"الأخذ" و"السلخ" و"الاحتذاء" و"الاتفاق" و"النقل" و"المعارضة" و"المواردة" وغيرها.وفي كتب البلاغة مصطلحات أخرى أقل معيارية مثل "الاقتباس" و"التضمين" و"الحل" و"العقد" و"التلميح".

والمصطلح الحديث يدل في الواقع على وعي جديد بتلك الظاهرة القديمة، ظاهرة التفاعل بين النصوص، وطرائق أخرى في التعامل معها.بيد أن استعماله عند الدارسين كان قائما على نظرات في الظاهرة التناصية وتحديد للمجال التناصي تتفاوت توسعة وتضييقا [19].

حل التناص محل ما يعرف بـ" تواصل المعارف الذاتية "، وحقل تطبيقاته ليس ببعيد عن المجال التقليدي لـ "نقد المصادر"، كما أثار مصطلح التناص اهتماما كبيرا في الأوساط النقدية الغربية، ذلك أن الإجراءات التي تضمنها بدت كتعويض منهجي لنظرية التأثير التي قامت عليها أساسا الأبحاث في الأدب المقارن [20].

والتناص هو مصطلح نقدي يرادفه "التفاعل النصي"، و"المتعاليات النصية"، وجذوره ترجع إلى مفهوم "الحوارية Dialogisme " التي وضعها الناقد الروسي ميخائيل باختين Mikhael Bakhtine (1895 م – 1975 م)، وميلاد مصطلح التناص كان على يد السيميائية جوليا كريستيفا (Julia Kristiva) عام 1969م [21] وترى أن التناص هو "ترحال للنصوص "، وتداخل نصي، في فضاء نصي معين تتقاطع ملفوظات عديدة مقتطفة من نصوص أخرى [22].

وتعد جوليا ممن لهم فضل السبق في بلورة مفهوم التناصية في النقد الحديث، إذ قررت أمره، وعمقت النظر إليه بالإضافة إلى "رولان بارث"، "ريفا تير"، و"جريماس"، وسواهم من فرسان السيميائيات [23].

وتعددت مصطلحاته فهو فيما يعرف بـ "تداخل النصوص"، أو "تعالق النصوص"، أو "توارد النصوص أو تفاعلها"، أو "الحوار بين النصوص"، أو "التناص"، أو "النصية"، أو "التراث"، أو "النص الغائب" [24].

والتناص سمة ملازمة للنصوص بمختلف أنواعها، ويقصد به تداخل وتقاطع النصوص في أشكالها ومضامينها، وهو نوع من التعالق. وأبرز أشكاله الاقتباسات والأقوال التي عادة ما يستشهد بها الكاتب [25].

ويحيل التناص تارة على خاصية من الخاصيات المكونة للنص وتارة على مجموع العلاقات الصريحة أو الضمنية التي تربط نصا ما بنصوص أخرى [26]، فهو مجموع الأجزاء المستشهد بها في مدونة ما [27] أو أنه "فسيسفاء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة، ممتص لها يجعلها من عندياته وبتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده، محول لها بتمطيطها وتكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها أو بهدف تعضيدها [28].

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن التناص ظاهرة نصية عامة لا يخلو منها أي جنس أدبي قديم أو حديث ؛ والنص لا يمكن أن يكون إلا متعددا لأن قراءات الكاتب السابقة وثقافته الموسوعية تنعكس عن قصد أحيانا وعن غير قصد أحيانا أخرى، على كتاباته فتأتي مجيزا من آراء وتعابير مختلفة، وعليه فالكاتب لا يبدأ في إنشاءه من عدم، وبالتالي فلا يمكن أن يكون إنتاجه جديدا كل الجدة وذلك لأنه ببساطة يصدر عن المشترك العام من ثقافة العصر وأساليبه [29].

يخلص لنا أن التناص هو دخول نصين أو أكثر في علاقات مختلفة (شرح وتفسير، معارضة، استشهاد،...)، وبكيفيات مختلفة (ظاهرة، خفية)، وهذه النصوص المتفاعلة قد تكون لنفس الكاتب، أو لكتاب آخرين باختلاف الزمان والمكان، وبطريقة عفوية، أو بطريقة مقصودة، وبأشكال متنوعة بين الاجترار، الانتصاص، والمعارضة والحوار [30].

3- التعريف بصاحب المدونة:

هو العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات من بلدة السطح النموشية نسبة إلى قبيلة النماشة الامازيغية الكبيرة التي تقع في الجنوب الغربي من مدينة تبسة في عمالة قسنطينة وجبال الأوراس.

ولد سنة 1895 م في عائلة فلاحية فقيرة وكان والده إلى جانب عمله في الزراعة يتولى تحفيظ اولاد القرية القرآن الكريم في كتابه بالطريقة المعروفة في المغرب الاسلامي.

وقد تتلمذ العربي التبسي على يد والده الذي توفي تاركا ابنه في السنة الثامنة من عمره استمر العربي التبسي في حفظ القرآن الكريم حتى بلغ السنة الثانية عشرة من عمره ثم انتقل بعدها إلى زاوية (خنقة سيدي ناجي الرحمانية) في الجنوب الغربي لجبال النمامشة وهناك أمضى ثلاثة سنوات حفظ خلالها القرآن الكريم (من كتاب أعلام الاصلاح للأستاذ محمد دبوز جزء 01، ص 50).

ثم أوفده أهله إلى زاوية (الشيخ مصطفى بن عزوز في مدينة نفطة) وهي التي تلقى فيها والده العلم قبل ذلك جنوب غرب تونس وكان عمره 15 سنة وهناك شرع في دراسة مبادئ العلوم الشرعية والعربية ومكث بها 03 سنوات.

في عام 1913 إلتحق بجامع الزيتونة ليستكمل دراسته الثانوية.

نال العربي التبسي شهادة الأهلية في تونس واستعد لنيل شهادة التحصيل من جامع الزيتونة غير أنه فضل الانتقال إلى القاهرة في عام 1920 حيث التحق بالجامع الأزهر في القاهرة وكان يعيش على ما يمنح للطلبة من أوقاف رواق المغاربة، ويبدو أنه تأثر بالجو الفكري والسياسي الذي كان يسود مصر في العشرينيات من هذا القرن في عز انتفاضها –ولذلك صمم على العودة إلى الجزائر لمشاركة رجال الاصلاح في جهادهم وكان مطلعا على نشاطاتهم حيث غادر القاهرة بعد أن أمضى فيها 07 سنوات ينهل العلم من جامعها ومن مكتباتها الدينية.

في عام 1927 عاد إلى الجزائر واتخذ من مدينة تبسة مركزا لنشاطه الاصلاحي والتربوي.

اتخذ من مسجد الشيخ سعيد مركزا له والتف حوله حفنة من الرجال ازداد عددهم بمرور الأيام عندما ضاق بهم المسجد الصغير (مسجد ابي سعيد) انتقل إلى المسجد الكبير الذي تشرف عليه الإدارة الفرنسية ولكنه سرعان ما منع من تقديم الدروس فيه بسبب تدخل الطرقيين وأعوان الإدارة لدى سلطات الإحتلال.

في عام 1930 ذهب إلى مدينة (سيق) بعمالة وهران وأمضى بها عامين (من أول 1930 إلى نهاية 1931).

عاد إلى مدينة تبسة في عام 1932 وساعد على إنشاء (جمعية تهذيب البنين والبنات) التي تمكنت من تأسيس مدرسة كبيرة بلغ عدد تلاميذها سنة 1934، 500 تلميذ وتلميذة.

بعد افتتاح معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في عام 1947 بمدينة قسنطينة عين مديرا له.

بقي في مدينة قسنطينة إلى ما بعد نشوب الثورة سنة 1954 بعد إغلاق المعهد في عام 1956 من طرف إدارة الاحتلال انتقل إلى العاصمة.

اختطف من منزله في العاصمة بتاريخ 04 أفريل 1957 على يد جنود المظلات واغتيل على أيديهم.

4- وصف المدونة:

هذه المقالات وثيقة تاريخية ومرجعا مهما لأجيال المثقفين، وصفحة مهمة من التاريخ الوطني الجزائري المعاصر

تعكس تجربة جيل ولد تحت الركام الاستعماري، وفتح عيونه على فاجعة ضياع الدولة والوطن والحرية والكرامة، وأول ما ذاقه بعد ميلاده مرارة الاستعمار الصليبي وجرائمه جعله جيل القضية، قضية جمع ما فرقه الاستعمار، وتعليم من جهّله الاستعمار، وتحرير من استرقه الاستعمار، وتكريم من أهانه الاستعمار وأذله، وصولا إلى استعادة الحرية والكرامة والاستقلال الوطني [31].

مقالات الإمام الشيخ التبسي –رحمه الله- تحمل قضايا إسلامية عامة وتاريخية وتعالج وضعا إسلاميا عاما [32].

مقالات عن النهضة وأحداثها وقضاياها الأساسية، ليست مقالات إعلامية عادية وإنما تتضمن الكثير من الآراء القيمة في عدد من قضايا النهضة وغيرها [33].

المتتبع لمقالات الشيخ العربي التبسي –رحمه الله- يجد لها منطلقا واحدا يؤلف بينها، ومحورا أساسيا لا تتجاوز جوانبه وقضاياه وهو الإسلام في الجزائر عقيدة وسلوكا ومجتمعا.

فقد تناول الكتابة فيه من حيث أوضاعه وما علق به من الجهالات والانحرافات، وتصدى بقوة وحزم لخصوم الإسلام من المستغلين أو المناهضين لبعث السنة النبوية، وبين التصور الاسلامي لأوضاع التخلف ومقاومة الاستعمار.

وبالإضافة إلى السمة الفكرية السابقة يلاحظ القارئ أن الامام الشيخ العربي كثير الاعتماد على القرآن والسنة في كتاباته، اقتباسا وتضمينا واستدلالا واستنتاجا، مما أضفى على كتاباته سمة جيدة تتمثل في جزالة أسلوبه، ووضوح وعمق عرضه للقضايا التي تناولها.

وبالنسبة للجانب الأدبي، يلاحظ القارئ أنه وظف الأمثال والشعر توظيفا جيدا في عدد من المقالات، بل إن النظرة المتأنية لا يفوتها أن تدرك الصلة الواضحة بين وصفه المتنوع الجوانب لصحيفة الشهاب، وبين نعت الكتاب للجاحظ، كما تدرك الصلة نفسها بين بعض مقالاته وبعض خطب الإمام علي –كرم الله وجهه - [34].

ويتضمن خمسة وستين مقالا: من 18 جانفي 1924 م إلى 19 جانفي 1956 م

صدر أغلبها في مجلة البصائر ثم الشهاب ثم النجاح ثم المنار ثم السنة كما يلي:

المجلة	البصائر	الشهاب	النجاح	المنار	السنة	سجل جمعية العلماء
عدد المقالات	39	14	04	05	02	01

5- حجاجية التناص في المقالات:

إن عملية إنتاج الكاتب لنص ليست نشاطا إبداعيا منفردا، وإنما يكون الكاتب على معرفة بعدد كبير من النصوص التي تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إنتاجه ؛ ولذلك ففي مجال الكتابات الأدبية يبذل الكتاب جهودا مضنية لكي يحرروا أنفسهم من نماذج الأشكال العديدة للكتابة المحيطة بهم من خلال الموضوعات أو المواقف التي يتعاملون بها أو الأشكال المستخدمة التي يلجؤون إليها في التعبير. فالعلاقة بين التناص والإبداع ليست متوقفة على وجود أو غياب عدد من التناصات، وإنما تتوقف على طريقة المعالجة، ومحاولة التحرر من أطر النصوص الأخرى للانسجام مع نسيج النص الجديد، في إطار السياق الثقافي ومخزون الكاتب [35].

تصفح مقالات العالم المجاهد العربي التبسي تكشف حضورا واسعا متعددا ومتنوعا في مصادر التناص التي استلهم منها حججا وأدلة لتقوية آرائه ومواقفه الوطنية الثابتة، ودعواته إلى الإصلاح والنهضة والاستشهاد في سبيل استقلال الوطني ووحدته. ويكشف الجدول الآتي عن أهم أنواعها وتواترها في المقالات:

مصادر التناص	القرآن الكريم	الحديث النبوي	الشعر العربي	الأمثال	الأقوال المأثورة	أسماء الشخصيات
ترددها	31	67	12	07	02	29

تنم غزارة التناص القرآني، والحديثي، والشعري، والنثري، في مقالات الإمام الشهيد تبسي رحمه الله عن موهبته الفنية الأدبية، وملكته التعبيرية المتحررة، وتشبعه بالموروث الثقافي العربي، وتعدد مشاربه العلمية وروافده الثقافية من بيئات وطنية كثيرة: تبسة، بسكرة، خنشلة، قسنطينة، وهران، الجزائر العاصمة...وبيئات عربية مختلفة: تونس، مصر، الحجاز، الشام...

يكسب التناص كتابات الشيخ العربي التبسي حجية تدفع نحو إقناع المتلقي والتأثير فيها تبعا للنص المتناص معه، فبعض ما تتناص معه هذه الكتابات يمثل حجة سلطة، لا سيما حجية النص الديني، والأمثال السائرة، فهي كثيرا ما تأيد رأي الشيخ –رحمه الله- وتنسل إلى المتلقي فتقنع عقله، وتؤثر في وجدانه، ومن ثمة تمتد لتغير سلوكه، وهو ما كان يطمح إليه الشيخ في جل كتاباته[36].

أ- حجاجية التناص القرآني:

يعد النص القرآني مصدرا ثرا من مصادر الإلهام الذي يفيء إليه الكتاب يستلهمونه، ويقتبسون منه، إن على مستوى الدلالة والرؤية أو على مستوى التشكيل والصياغة [37].

لقد أخذ التناص مع آيات القرآن الكريم نصيبا وافرا من خلال أشكال متناصية واضحة مع القرآن كاشفا أبعادا دلالية متنوعة، ولابد للقارئ أن يمر عبر السياق القرآني للوصول إلى الدلالية النصية، لا أن يبقى متعلقا بالنص القرآني دون أن يفطن إلى أنه مرآة تنعكس عليها أشعة الدلالة النصية للإشارة إلى الواقع [38].

لقد استثمر رجل الشهادة العربي التبسي رحمه الله تقنية الخطاب القرآني بتوظيف آيات من السور في إنتاج دلالات فنية أسلوبية لتعليل رؤيته الفكرية ومواقفه الإسلامية الدعوية والإصلاحية وروحه الوطنية التي تعكس تكوينه العقدي الإسلامي، وحفظه لكتاب الله، ومرجعيته الإسلامية الثقافية.

ففي مقالة "هذه جزائركم تحتضر فانقذوها " نجد الإمام الشهيد العربي التبسي يشحذ العزائم والهمم بدعوته إلى نصرة دين الحق، ويبين للشباب الجزائري المسلم قيمة التمسك بتعاليم الإسلام وما ينجم عن مخالفتها بقوله: " فلما انتقل الأمر إلى خلفهم ضلوا السبيل، واستحبوا العمى على الهدى، وأضاعوا ما خلص إلى أيديهم من تراث أسلافهم وانحلت عزائمهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون عاقبة ما سيحيق بهم، ولم يرفعوا بما أتى به رسول الله ﷺ رأسا، ولا تأسوا بمن أوصاهم بالتأسي به، فحصدوا الخسران المبين، ونزل بهم البلاء المقيم " وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " البقرة /211 "[39].

فهو يقنع شباب الجزائر بضرورة الوحدة لأن قوته في دينه وعلمه، ويحاول توجيههم وتوعيتهم من دسائس الاستدمار الفرنسي وسياساته في طمس الهوية، ونشر الانحلال، والفقر والجهل في المجتمعات.

ويؤكد ذلك في نهاية مقاله بتناص قرآني آخر فيه حث ودعوة إلى إصلاح الأوضاع وعدم الاستسلام فيقول رجل الكلمة والقضية والمواقف العربي التبسي: " فهيوا بنا إلأى العمل متضامنين، مجتمعين، ويد الله مع الجماعة، والخير فيما رأت الأمة، ومن قدر أن ينفع أخاه فليفعل، ولعمري أنه لحق عليكم إصلاح أمتكم، ومالكم لا تفعلون؟ واذكروا تلك الآية الجامعة " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ " الزلزلة /7 "[40].

ويلح على ذلك في أغلب مقالاته كونه مربيا بارزا وفقيها واعيا وقائدا مصلحا: " ملاك الأمر، أن من أراد أن يلتمس الدين الإسلامي في أصوله، وفروعه وآدابه، من غير ناصية كتاب الله وبيانه، فقد سفه نفسه، وطلب العلة من غير معلولها، والنتيجة بغير مقدماتها، وكفى بذلك غيا " فَلَا

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " النساء /65 "[41].

ويتوجه المثقف المصلح الشهيد إلى قرائه وجمهوره الجزائري المسلم متواصلا معهم حول حقيقة الإخلاص دينيا وعلميا ليكونوا على بصيرة من المسخ الذي يروج له المحرفون الذين يخادعون الناس باسم الشريعة فيعلل لهم ذلك بتوعيتهم وفق ما جاء في دستور الأمة الإسلامية حيث يقول: " ولعمر الحق، أن من يريد أن يرضي الناس، ويوافق كل الخصوم لهو المرائي الذي لا يختلف فيه عاقلان، وليعلم القراء أني لست بملفت بهذا الموضوع حتى أسرد لهم كلام الأئمة الذين تصدوا للكلام على الإخلاص والمخلصين ليعلم المراءون أن في السويداء رجالا، وأن عصر التضليل ومخادعة الأمة ذهب غير مأسوف عليه، ولم يبق إلا عصر تعرض فيه الرجال على كير التمحيص ليعرف الخبيث من الطيب " فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ " الرعد / 17 "[42].

ويواصل العالم المجاهد العربي التبسي –رحمه الله- نضاله الفكري بتنبيه الشعب الجزائري على جرائم المستدمر ضد مساجده التي تعتبر منبرا وقبلة للعلم النافع والأخلاق الفاضلة، وأن الكيد المبيد للاحتلال هو نشر الجهل ومحاربة اللغة العربية وهدم الفضائل ودس الموبقات والمحرمات، ليؤكد لهم أن مظالم المحتل تُصد بالتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصال لها ويحج لذلك بقوله: " فتحت الأمة المدارس والنوادي، وسخت –حسب جهدها- بمالها للمحافظة عليها، وأرسلت أبنائها نحو المدرسة أفواجا، وأقبلت زرافات شطر النوادي تسمع المحاضرات والمسامرات، ونوعت وسائل الثقافة بكل ما تملك، ولكن الظلم غصب منها الميراث الذي يضمن لها الحياة رجاءا أن لا تحي، غصب منها الأحباس، وافتك المساجد، وحكمها حكما مباشرا وسلب منها مزايا للعلم، وحكمة العقل، وقوة الأخلاق، وهيئ الأسباب لانتشار الجهل وفساد الأخلاق، والقطيعة، والتخاذل، لكن شاء الله –ومشيئته فوق مشيئة كل باغ جبار- أن لا يتم للظالمين ما أرادوا، فخاب سعيهم، وطاش سهمهم، ورد كيدهم في " وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ " الأنفال / 30"[43].

ويشدد على هذه القضية غاية في الدعوة إلى النهضة حتى الاستشهاد في موضع آخر للتذكير على أهميتها ولتقديم حجج أخرى دعما للأدلة السابقة حتى يبرهن للشعب الجزائري أن إسلامه وعروبته لا تقبل التبديل في القناعات من أي طرف كان وأن صموده سيبقى ويظل ضد الظلم والطغيان " أيها المسلمون إننا في يوم حدادنا على ديننا لن نظلم القانون، ولن نزعج الآمنين، ولن نعرض النظام للاضطراب والخلل، فعلى شعبنا أن يستعد للمشاركة في يوم الحداد، وإن هذا اليوم سيبقى يوم حداد كل سنة حتى يتحرر الدين الإسلامي من هذا الظلم الذي خصصته به فرنسا الاستعمارية " وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " محمد /38 " [44].

وتستمر مواقف رجل الإصلاح والنهضة الثوري العربي التبسي في أغلب مقالاته على الحث المباشر لأعضاء جمعية علماء المسلمين –بوصفه رئيسا لها آنذاك – على تأكيد رؤيته وموقفه من أنه لا مندوحة لمحاربة ظلم المستدمر إلا بدين الله وشريعته ويدلل على ذلك بالتناص القرآني الذي يقوي به مذهبه وفكره بما هو نصه " إخوان، إن الاسلام دين العزة المبنية على الأهليات والقيم الرفيعة، والأخلاق العالية المقتضية لعزة المتخلقين بها، " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " المجادلة / 11...إخوان، ابنوا مجتمعكم على الصراحة وإعلان ما تؤمنون به، اجمعوا بين إيمانكم وعملكم، اذكروا أن سلفكم الصالح خلّف لكم عقيدة، هي دين وتربية، هي نظم تستوحونها من هذه العقيدة الفياضة الحية، وأن من ذلك التراث الصالح الخالد إصلاح الفاسد " [45].

ولم تقتصر حجية التناصات القرآنية للعالم المجاهد العربي التبسي على بنيات المتن النصي للمقالات فحسب بل تجاوزتها إلى نهاية المقال (الخاتمة)، واختتام الكلام بتناصات قرآنية تنم أن لا كلام على كلام الله، وأن لا حج بشرية تعلوا على حجة البيان نص القرآن: " ونوصي الأمة ختاما بالحق، ونوصيها بالصبر، ونستحثها على العمل الصالح، والثبات وتوحيد الصفوف، ونسيان الخلافات القديمة، حتى تستطيع متحدة متظافرة، أن تصل قريبا إلى الدرجة الرفيعة التي أهلها لها جهادها المستمر منذ أحقاب، وكفاحها الشريف الذي أصبح في العالم مضرب المثل، وتاريخها الحافل بجلائل الأعمال " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ " التوبة / 105، " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " الحج /40 " [46].

ب- حجاجية تناص الحديث الشريف:

توظيف الأحاديث النبوية متناصة ضمن الإنتاج الأدبي تعكس حمولة ذاكرة المؤلف ومخزونه الفكري، ورصيده المعرفي الذي يشكل حلقات تعبيرية متواصلة بالنصوص السابقة لتشييد أنسجة النصوص الحاضرة، ويفسر استدعاء نصوص الأحاديث الشريفة أو استحضار أجزاء منها عن تعدد مصادر بناء نصوص مقالات المفكر الإسلامي العربي التبسي وموسوعيته وقوة الحجة في خطاباته.

لم يكتفي الإمام المفكر المجاهد العربي التبسي بالتناص القرآني كحجة دامغة بل ضمن أيضا مقالاته الكثير من التناصات مع الحديث النبوي الشريف التي تجاوزت في تواترها توظيف التناص القرآني ؛ حيث شكل بنية نصية ذات دلالات واسعة بلغت إلى حد أربعة أحاديث شريفة متتالية ومتتابعة غايتها السامية تصحيح المفاهيم والعقائد، وتنوير العقول واستمالتها إلى نور اليقين وشريعة الإسلام والمسلمين، يقول في هذا الصدد: " فالسلفي إذا في لغة المنطق الصحيح، والكلام المفهوم، هو العامل بهذه الأحاديث والآثار، والداعي إلى كل ما دل عليه حديث: " تركت فيكم اثنتين لن تظلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي " ولقوله في حديث العرباض بن سارية: " وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يارسول الله إن هذه الموعظة موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: " تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، وعليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، عُضُّوا عليها بالنواجذ، فإن المؤمن كالجمل الأنف كلما قيد انقاد "، وفي رواية أخرى زيادة: " وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة " "[47].

ولم تبتعد كثيرا الرسالة الدعوية والحملة التوعوية في محاولة المحافظة على دين ولغة الأمة الجزائرية المسلمة يتوجه العالم المجاهد العربي التبسي ليس إلى جمهوره فحسب بل حتى إلى رجال الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليوضح لهم سبل الدعوة والإرشاد وقبولها من الآخرين لا تكون ولن تكون إلا بالشيم العالية والتحلي بآداب أئمة الإسلام والالتزام بأحكام الإسلام، ليكون أنفسهم حجة وعبرة لغيرهم إلى ما يدعون إليه: " وليكن في رجال الجمعية من يحيي

الدين في قلوب هذا الجمهور بكل وسيلة تمكنه، كالاختلاط بالجمهور (...) وقد حكم نبيكم صلى الله عليه وسلم على هداية الناس يوم قال: " لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس "[48].

ومن مقالاته في مواعيظ رمضان يستدل على أن تبليغ العلماء الدين الإسلامي والدعوة إليه وتعليمه وبيان أحكامه وفضائله هو مفتاح الاستعداد والقبول والتأثر والإقبال والامتثال للمسلين لدينهم وبرر ذلك بثلاثة تناصات لآيات كريمات ثم تلاها مباشرة بثلاثة أحاديث مدعمة لموقفه قائلا: " وتلك أحاديث رسول لله ﷺ التي لا يحصيها العادون تلزم العلماء بنشر العلم وتبليغه والهجرة إليه، ومن من علماء المسلين من لم تبلغه أحاديث العلم والتعليم والتعلم والتبليغ؟ " نضّر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها "، وحديث " بلغوا عني، بلغوا عني "، " ليبلغ الشاهد الغائب"، والسؤال في الحديث يشمل السؤال المقالي والحالي[49]. ويواصل الشيخ الشهيد أدلته من مشكاة النبوة بحجة التناص الحديث يقول "قال محمد وكرر القول في أكبر الحشود وأشهر المواقف لورثته: " بلغوا عني، بلغوا عني، ليبلغ من حضر من غاب "، وقال لأمته: إذا بلغت تبليغا شرعيا، لازما في القول والقائل " أطيعوا أولي الأمر منكم " وما أولوا الأمر منا إلا ورثة نبينا، وخلفاؤه وأمناؤه على دينه الحق كيفما تقلبت الظروف وكلحت وعبست في وجوهنا، أو تهللت وضحكت، فإن أولي أمرنا منا لا ينقطعون، وهم حجة الله لهذا الدين، وهم الطائفة التي " لا تزال على الحق لا يضرها من خالفها حتى يأتي وعد الله "، فالأمراء الصالحون منهم، أو ممن يورد أو يصدر عن رأيهم حكمة الله تأبى، وشريعته تمنع من أن يرفع منا أولي أمرنا، مادمنا أمة القرآن، وما دام باب التوبة لم يغلق[50].

ج- حجاجية التناص الأدبي:

التناص الأدبي هو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعرا أو نثرا مع النص الأصلي، بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الكاتب. إذن مفهوم التناص يدل على وجود نص أصلي في مجال الأدب أو النقد على علاقة بنصوص أخرى، وأن هذه النصوص قد مارست تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على النص الأصلي في وقت ما[51].

ويشير هذا النوع من التناص إلى وجود الحس الثقافي الخصب، كما يشير إلى الحوار البناء مع الإرث اللغوي الذي خلفته الحضارة العربية على امتداد عصورها، فالتناص مع الشعر العربي القديم يحقق للكاتب استمرارية الماضي في الحاضر، ويولد تفاعلا حيا بين التجربة الشعورية وتجارب معاصريه أو سابقيه، والكاتب باختياره لهذا المصدر الثقافي الهام لدى العرب يمنح نصحه أبعادا فنية وجمالية، لا يدركها إلا الحس المرهف والذوق السليم [52].

لقد أبقى الإمام الشهيد العربي التبسي على آرائه ومواقفه الوطنية والدينية المتضمنة في التناصات السابقة (القرآن والحديث النبوي) في تناصات أدبية شعرية وأمثال مستقاة من الموروث الثقافي العربي. ومن الشعر ماحجج به ودعا به ومن خلاله العلماء والمفكرين إلى استغلال معارفهم وحججهم في إصلاح الأوضاع السائدة التي آلت إليها دولة الجزائر إبان الفترة الاستدمارية، وما آلت إليه المجتمعات وما استتب فيها من منكرات، حيث يقول: وإني أهيب بحملة الأقلام وأرباب التفكير ورجالات الكلمة المسموعة أن يكتبوا في هذا الموضوع الفصول الضافية، وأن يملؤوا جداول الشهاب من الآراء القيمة، فالجزائر سئمت عصر الفرد، وتاقت إلى عصر الجماعة، عصر التماسك (...) وليست الأمة تطالبكم بشطط، وإنما تلتمس منكم أن تتفضلوا عليها مما أفاض الله عليكم من المواهب العلمية، والإرشاد إلى ما فيه سعادة هذه الأمة، والعلم إن لم يفض إلى نتيجة عمل كان أخ الجهل:

إن لم يكن علم الفتى نافعا فغيه أحسن من رشده [53]

ويعبر في موضع آخر عن مواقفه النزيهة دون نفاق حتى ولو أغضب ذلك بعض المتلقين، مع التحجج لاستيائه باستدعاء ما يحضره من شعر شوقي يقول: " وإني سأناجي نوابنا ورؤساءنا بكلمات إن لم أقلها أنا كنت غاشا وإن أغضبت فريقا منهم عده غضبه برهانا آخر على أنه ظلم كرسي النيابة وأضن أن القراء وفي مقدمتهم نواب المقاطعات الثلاث في المجلسين المالي والعمالي يرون معي ويوافقونني على قيمتي نوابنا وعلى وفائهم للإسلام والمسلمين وعلى أني معذور إذا أنشدتهم قول شوقي:

دار النيابة قد صفت أرائكها لا تجلسوا فوقها الأحجار والخشبا54.

ومن أمثلة توظيف التناص من خلال الأمثال العربية التي جاء بعض منها عنوانا لمقاليين متتابعين موسومين بـ "إن كنت حاملا فلدي لي غلاما " [55]، وهو مثل يضرب للمتصف يدعي ما ليس فيه، وجهه الشيخ الشهيد إلى الكاتب الصحفي الناصر معروف *، يبين من خلال هذا التناص الأدبي حقيقة الأشخاص وما يدعون إليه، ونسبهم للشيخ العربي التبسي ما ليس فيه فوظفه دفاعا عن نفسه مما نعته به: " وقد أهدى إلي الناصر معروف كثيرا مما عنده من البهت ورماني بما زين له الشيطان من ضعف الدين والجهل بالضروريات وقلة التثبت، ومع ذلك لا أجعل للشيطان علي سبيلا، وأرميه ببعض ما هو فيه مما يقتنص من كلامه، لأني لا زلت أحاذر أن يصدق علي ولو بالمشابهة " [56].

وفي قوله: " وفي قطر يعد كل لاغظ فيه صاحب حكمة، تقرع له العصا " [57]. يشير إلى المثل المشهور " إن العصا قرعت لذي الحلم، وإنما تقرع العصا للحكيم تنبيها له وتحذيرا من الوقوع في الخطأ، ومن هنا جاء الارتباط بين الاشتهار بالحكمة وقرع العصا [58].

د- حجاجية التناص مع الشخصيات:

استحضر الكاتب الشهيد العربي التبسي شخصيات كثيرة في تحرير مقالاته معظمها يشير بها إلى الأئمة مثل البخاري ومسلم والنسائي، وعلماء المسلمين وبعض المصلحين، غايته من توظيفها والاستشهاد بأقوالها والاعتماد على آرائها لتقوية آرائه وأفكاره بوصفها حجة دينية يستند إليها في المواقف الوعظية والإرشادية والحياتية، ومن أمثلتها ما ورد متضمنا في العناوين كالمقال الموسوم "الخلوة العليوية هل هي من الإسلام؟ " [59]، كما أشار إلى المتصوفة والمحدثين في عدة مواضع منها: " ليس لأحد أن يدعي أنه صوفي حتى يحقق في نفسه كل صفة من صفات الجنيد (صوفي ولد ببغداد)، والقشيري (زاهد وعالم بالدين كتابا وسنة)، والنووي (علامة في الفقه والحديث)، وأمثالهم... وليس لأحد أن يدعي أنه مالكي (نسبة إلى مالك)، أو شافعي (نسبة إلى الإمام الشافعي)، أو حنبلي (نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل)، أو حنفي (نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان)، أو أشعري (نسبة إلى أبي الحسن الأشعري)، أو ماتريدي (نسبة إلى أبي منصور الماتريدي)" [60].

الخلاصة:

تنبغي الإشارة إلى أن الشيخ العربي التبسي الشهيد رحمه الله ليس كاتبا بالمفهوم الفني أو الإعلامي السطحي وإنما الكتابة بالنسبة إليه واجب وأمانة وقبل كل شيء، لا يعنيه جمالها بقدر ما تعنيه مضامينها إقناعا ووضوحا [61]. وإن تنوع حجاجية التناص في مقالاته بين المحاججة في القرآن، والحديث والنص الأدبي العربي دليل حي على سعة ثقافة الرجل، وخصوبة فكره، وبعد نظره، وقدرته على الحجاج والإقناع، وبراعته في نسج الحجة، وإن حسن توظيف هذه التناصات دليل شامخ على موهبته الأدبية، وقدرته اللغوية، وتمكنه من ناصية القول، فرحم الله الشيخ العربي التبسي رحمة واسعة، وجعل كتاباته صدقة جارية يصله ثوابها، ويفد إليه عطاؤها، وينعم بآثارها الطيبة فيما بعد قراؤه [62].

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج.

2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، 2009 م.

3- أحمد الرفاعي الشرفي، الاعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، دار اليُمن، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2005 م.

4- بن أحمد عالم فايزة، الحجاج في اللسانيات التداولية، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، ع 75، 2012 م.

5- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار طوبقال، المغرب، ط2، 1997 م.

6- دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005 م.

7- رابح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم، عنابة (الجزائر)، 2006 م.

8- سامية محصول، التناص: إشكالية المصطلح والمفاهيم، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، ع1، ماي 2008 م.

9- عباس طالب زادة ورسول بلاوي، التناص القرآني في شعر يحي السماوي، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، ع9، فيفري 2011 م.
10- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، دار الفرابي، لبنان، ط 2، 2007 م.
11- عبد الحليم ريوقي، السرقات الأدبية وتوارد الخواطر، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، ع 5، فيفري 2010 م.
12- عبد الكريم شبرو، التناص في شعر محمد العيد آل الخليفة، مجلة علوم اللغة وآدابها، منشورات جامعة الوادي، مطبعة منصور، الجزائر، ع5، 2003 م.
13- عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الأداب، القاهرة، ط2، 2009 م.
14- عمارية حاكم، الخطاب الاقناع في ضوء التواصل اللغوي، دار العصماء، سورية، ط1، 2015 م.
15- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010 م.
16- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008 م.
17- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006 م.
18- لزهر فارس، حجاجية التناص في الخطاب السياسي للشيخ العربي التبسي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة / الجزائر، ع3، يناير كانون الثاني، 2018 م.
19- ليندة قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009 م.
20- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2008 م.
21- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار الفارابي ناشرون، لبنان، ط1، 2010 م.
22- محمد عديل عبد العزيز علي، التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، دار البصائر، القاهرة، ط1، 2011 م.
23- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار التنوير، بيروت، 1985 م.

24- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2008 م.
25- مصطفى بيومي عبد السلام، التناص، مقاربة نظرية شارحة، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع 1، مج 40، سبتمبر 2011 م.
26- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورص الدولية، الاسكندرية، ط 1، 2013 م.

الهوامش:

[1]- ينظر: محمد عديل عبد العزيز علي ، التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي ، دار البصائر ، القاهرة ، ط1 ، 2011 م ، ص 117.

[2]- ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة حجج.

[3]- عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن ، دار الفرابي ، لبنان ، ط 2 ، 2007 م ، ص 09.

[4]- عمارية حاكم ، الخطاب الاقناع في ضوء التواصل اللغوي ، دار العصماء ، سورية ، ط1 ، 2015 م ، ص 131.

[5]- نفسه.

[6]- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دار التنوير ، الجزائر ، ط1 ، 2008 م ، ص 65.

[7]- طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 2006 م ، ص 266.

[8]- نادية رمضان النجار ، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي ، مؤسسة حورص الدولية ، الاسكندرية ، ط 1 ، 2013 م ، ص 104.

[9]- ينظر: بن أحمد عالم فايزة ، الحجاج في اللسانيات التداولية ، مجلة الكلمة ، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث ، لبنان ، ع 75 ، 2012 م ، ص 44.

[10]- أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، 2009 م ، ص 21.

[11]- بن أحمد عالم فايزة ، الحجاج في اللسانيات التداولية ، ص 45-46.

[12]- صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، صفحات للدراسات والنشر ، ط1 ، 2008 م ، ص 70-71.

[13]- ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 67.

[14]- نادية رمضان النجار ، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي ، ص 105.

[15]- عمارية حاكم ، الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي ، ص 134.

[16]- فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2010 م ، ص 142.

[17]- عباس طالب زادة ورسول بلاوي ، التناص القرآني في شعر يحي السماوي ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة ، الجزائر ، ع9 ، فيفري 2011 م
ص 84.

[18]- مصطفى بيومي عبد السلام ، التناص ، مقاربة نظرية شارحة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع 1 ، مج 40 ، سبتمبر 2011 م ، ص 63.

[19]- محمد القاضي وآخرون ، معجم السرديات ، دار الفارابي ناشرون ، لبنان ، ط1، 2010 م ، ص 113.

[20]- سامية محصول ، التناص: إشكالية المصطلح والمفاهيم ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة ، الجزائر ، ع1 ، ماي 2008 م ، ص 65.

[21]- عبد الحليم ربوقي ، السرقات الأدبية وتوارد الخواطر ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة ، الجزائر ، ع 5 ، فيفري 2010 م ،ص 51.

[22]- جوليا كريستيفا ، علم النص ، ترجمة: فريد الزاهي ، دار طوبقال ، المغرب ، ط2 ، 1997 م ، ص 21.

[23]- رابح بوحوش ، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري ، دار العلوم ، عنابة (الجزائر) ، 2006 م ، ص 255.

[24]- عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الأداب ، القاهرة ، ط2 ، 2009 م ، ص 74-75.

[25]- ينظر: محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2008 م ، ص 100.

[26]- ينظر: دومينيك مونقانو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ترجمة: محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2005 م ،ص 70-71.

[27]- نفسه ، ص 72.

[28]- ينظر: محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، دار التنوير ، بيروت ، 1985 م ، ص 121.

[29]- ينظر: محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2008 م ، ص 102-103.

[30]- عبد الحليم ربوقي ، السرقات الأدبية وتوارد الخواطر ، ص 53.

[31]- ينظر: أحمد الرفاعي الشرفي ، الاعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي ، دار اليُمن ، قسنطينة ، الجزائر ، ط2 ، 2005 م ، ص 15.

[32]- ينظر: نفسه ، ص 16.

[33]- ينظر: نفسه ، ص 23-24.

[34]- نفسه ، ص 39.

[35]- عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص 82.

[36]- ينظر: لزهر فارس ، حجاجية التناص في الخطاب السياسي للشيخ العربي التبسي ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة / الجزائر ، ع3 ، يناير كانون الثاني ، 2018 م ، ص 293.

[37]- ينظر: عباس طالب زادة ورسول بلاوي ، التناص القرآني في شعر يحي السماوي ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة ، الجزائر ، ع9 ، فيفري 2011 م ، ص 85.

[38]- نفسه ، ص 86.

[39]- الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي ، ص 72.

[40]- نفسه ، ص 75.

[41]- نفسه ، ص 107.

[42]- نفسه ، ص 161-162.

[43]- نفسه ، ص 259-260.

[44]- نفسه ، ص 367.

[45]- نفسه ، ص 401.

[46]- نفسه ، ص 391.

[47]- نفسه ، ص 131.

[48]- ينظر: نفسه ، ص 201.

[49]- نفسه ، ص 319.

[50]- نفسه ، ص 335.

[51]- عبد الكريم شبرو ، التناص في شعر محمد العيد آل الخليفة ، مجلة علوم اللغة وآدابها ، منشورات جامعة الوادي ، مطبعة منصور ، الجزائر ، ع5 ، 2003 م ، ص 208.

[52]- ينظر: ليندة قياس ، لسانيات النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2009 م ، ص 185.

[53]- الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي ، ص 93.

[54]- نفسه ، ص 179.

* هو إسم كان يتخفى ورائه الشيخ أحمد بن عليوة عندما يكتب في جريدة البلاغ الناطقة باسم الزاوية العاليوية.(الأعمال الكاملة ، هامش ، ص 123.)

[55]- نفسه ، ص 123.

[56]- نفسه.

[57]- نفسه ، ص 117.

[58]- نفسه ، هامش ص 117.

[59]- نفسه ، ص 113.

[60]- نفسه ، ص 128-129.

[61]- نفسه ، ص 41.

[62]- لزهر فارس ، حجاجية التناص في الخطاب السياسي ، ص 299.

المكان في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو دلالته وجماليته

Place in the novel “Ghada Umm al-Qura” by Ahmed Reda Houhou, its meaning and aesthetics

لطروش أمنة أستاذة محاضرة ب

قسم اللغة العربية-المدرسة العليا للأساتذة-مستغانم(الجزائر)

aamina.latroch@gmail.com

ملخص:

الرّواية فنّ أدبي أنيق إبداعي يحقّق المتعة للمتلقّي من خلال نسيجها وعناصرها ولغتها الأخّاذة، ويمثّل المكان أحد العناصر السّرديّة الّتي لها أهميّة بالغة في تكوين الصّورة السّرديّة في العمل الروائيّ، فهو يجسّد أيقونة سرديّة تحمل دلالات جماليّة تضفي على العمل صورًا وبريقًا ولونًا، لذلك سنحاول في هذه الورقة البحثية دراسة المكان في رواية غادة أمّ القرى" للأديب الشّهيد "أحمد رضا حوحو" محاولين إبراز جماليّته الّتي يعكسها على العمل الأدبيّ.

الكلمات المفتاحية: رواية؛ مكان ؛جماليّة؛ سرد ؛عمل أدبيّ.

Abstract:

The novel is an elegant and creative literary art that achieves pleasure for the recipient through its fascinating texture, elements and language. The place represents one of the narrative elements that are of great importance in the formation of the narrative image in the fictional work. The research paper is a study of the place in the novel “Ghada Umm Al-Qura” by the martyr writer “Ahmed Reda Houhou”, trying to highlight its beauty, which it reflects on the literary work

key words: Novel; Place; Aesthetic; Narration; Literary work.

1-مقدمة:

الرّواية هي ذلك العمل النّثري الضّخم الحاوي لعوالم جميلة واقعيّة تتعالق وعالم المتلقي من خلال نسيج فنيّ وعناصر تتآلف وتتّحد، محقّقة للمتلقّي المتعة والدّهشة والثّقافة عن طريق روعة في الكلام وصنعة في التّصوير، ولعلّ هذا ما يجعل منها أمّا للأجناس الأدبية ككلّ لأنّها تحتويهم جميعا، فكلّ متن أدبيّ لابدّ أن يضبط ما يحقّق له الأدبيّة والجماليّة.

وللمكان أهميّة بارزة في بناء العمل الرّوائيّ فلا يمكن الاستغناء عنه أبدًا، فالرّواية والمكان قرينان لا يفترقان مطلقًا إذ من خلاله تؤسّس الرّواية عالمها وتربط حول خصرها باقي العناصر الأخرى، فهو- المكان- يجسّد الحضور الكثيف في النّفس لما له من أثر جليّ على كلّ مناحي الحياة وهذا ما يدفع بنا في هذه الورقة البحثيّة إلى تسليط الضّوء على المكان في رواية "**غادة أم القرى**" للأديب الشّهيد "**أحمد رضا حوحو**" محاولين إبراز الجماليّة الّتي يضفيها على العمل الأدبيّ من خلال الإجابة على الإشكاليّة التّالية:

ما هي دلالة المكان في رواية "غادة أم القرى" وفيما تكمن وظائفه ؟

كيف للمكان إعطاء سمة الجمالية في العمل الأدبي ؟ وما هي مظاهر ذلك في رواية "غادة أم القرى" ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في طيات هذا العمل.

2-مفهوم المكان:

إنّ عنصر المكان يمثّل حجرًا أساسًا يقوم عليه بناء العمل الروائيّ وهو يمثّل أحد أهمّ المصطلحات السّردية الّتي شغلت اهتمام النّقاد والمفكّرين والفلاسفة والدّارسين على تباين توجّهاتهم على مرّ العصور وتعدّدت تسمياته بين مكان وحيّز وفضاء، وهذا ما أفرز عدّة مصطلحات تنافسه كمصطلح. ولتحديد مفهوم **المكان الروائي** لابدّ علينا التّطرّق إلى المفهوم اللّغوي للفظة مكان:

تقابل لفظة المكان في اللّغة الفرنسيّة لفظة **Lieu** وفي اللّغة الانجليزيّة **space** وهو يعني الموضع، فقد ورد أيضا في لسان العرب بأنّ المكان هو "الموضع، والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع،

والعرب تقول كن مكانك واقعد مقعدك، فقد دلّ هذا على أنّه مصدر من مكان أو موضع منه"[1]، ونجد معنى المكان في معجم تاج العروس، بأنّه "الموضع الحاوي للشّيء وعند بعض المتكلّمين هو عرض واجتماع جسمين حاو ومحوى"[2]. ولأنّ المكان هو موضع، يكون محلّ وقوع الوقائع، وحدوث الحوادث، وحصول الحركات، ووجود المخلوقات، ومعنى الإحاطة بالوجود هو نفسه الذي يتكرّر من معجم لآخر، على اختلاف اتجاهات علماء اللّغة، وجامعيها من أصحاب المعاجم[3].

أما **اصطلاحا:** فيعد المكان من المكوّنات الحكائيّة الأساسيّة الّتي تشكّل بنية النّص الرّوائي، كونه يمثّل عنصرا أساسيّا فيه كما يرى "سليم بتقة": "يكتسب المكان في الرّواية أهميّة كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنيّة فقط، بل لأنّه يتحوّل إلى فضاء يحتوي كل العناصر الرّوائية، ويكون هو المساعد على تطوير بناء الرّواية"[4]. فالمكان هو أساس من أساسيات السّرد والفنّ الحكائي والرّوائي، فهو الفضاء الذي يعتنق الأحداث والمساحة التي تتحرّك فيها الشّخصيات وتستمدّ صفاتها وتجسّد أدوارها وأفعالها، وهو "عنصر فاعل في بناء المغامرة الحكائيّة ونموّها، وفي ذلك نجد الكثير من القصص والرّوايا استمدّت من حال المكان مادّته"[5]، بمعنى أنّ العمل الأدبيّ بدون عنصر المكان لا تكتمل ملامحه، بدونه يفقد الخطاب بريقه، باعتباره المحرّك الأساس للأحداث والزّمان والشّخصيات، كما يؤدّي دورا من أدوار شخوصه. فالمكان داخل الرّواية يمثّل هويّتها وبطاقة تعريفها، فبواسطته يستطيع المتلقّي التّعرّف على حيثيات الرّواية ومعالمها ويتتبّع مساراتها، فالمكان كما يرى الحميد الحميداني: "يساهم في خلق المعنى داخل الرواية"[6].بمعنى أنّ المكان في الرّواية يعدّ أرضيّة تجعلنا نمسّ جزئيات المتن المصوّر للأحداث فيكون بذلك سبيلا لإبصار النّص السّردي لأنّ الحدث والمكان متلازمان كلّ منهما يوضّح ملامح الآخر ويحدّد أيضا شكله ولونه وتفاصيله والشّخصيات الموجودة به، فمثلا لفظة(مستشفى) الّتي تعبّر عن مكان محدّد نلاحظ أنّ المتلقي وقت سماعها أو قراءتها تتجمع في ذهنه كلّ المعاني والصّفات المتعلّقة بهذا اللّفظ(مستشفى)حتّى الأحداث التي يمكنها أن تتقاطع معه، الأمر الذي يجعل من المتلقّي قادرا على تخمين موضوع أو ماهية النّص السّردي ناهيك عن طبيعة الحوار وصور الشّخصيات المؤدّية للحدث.

3-التداخل بين المكان والفضاء والحيز:

أمّا مصطلح **الفضاء**: فقد ورد في لسان العرب بمعنى: "المكان الواسع والخالي والفارغ من الأرض، والفعل منه فضا يفضو فضوا، ويقال فضا المكان إذا اتّسع، كما يقال أفضى بهم إذا بلغ بهم مكانا واسعا"[7]، أمّا ابن فارس فأورد في معجمه مقاييس اللّغة بأنّ الفضاء هو كل ما "يدلّ على انفساح في شيء واتّساع، والفضاء المكان الواسع"[8]، وفي نفس السّياق يورد الفيروزبادي بأنّ معنى الفضاء: "السّاحة وما اتّسع من الأرض"[9]، فمعنى الفضاء لغة مأخوذ من المساحة والامتداد اللاّمحدود أي أنّ الفضاء هو مكان واسع المساحة فسيح وعتيق.

يلاحظ في بعض الدّراسات النّقدية "عدم التّمييز ما بين المكان والفضاء الرّوائي الذي يسّمى أيضًا الفضاء الجغرافي عند بعض النقّاد، في حين نجد بعضهم الآخر يعتقد بالتّمايز بينهما، ويرون شمولية الفضاء لا توجد في المكان"[10]، ومن هنا ذهب" مهدي عبيدي" إلى التّمييز بين مصطلحي المكان والفضاء قائلا: "إنّ الفضاء الرّوائي أكبر من المكان والفضاء ينطوي على المكان ويتشكّل ويمتليء به، والفضاء الرّوائي أكثر اتّساعا وشمولا من المكان فهو أمكنة الرّواية كلها، إضافة إلى علاقاتها بالحوادث ومنظومات الشّخصيات"[11]، من هذا الاختلاف تحدّد العلاقة بين الفضاء والمكان كعلاقة الكلّ بالجزء والفضاء الذي يضمّ المكان في باطنه، يبقى أوسع وأشمل منه ليضمّ الزّمان والحال السّائدة على الأحداث بالرّواية، بمعنى أنّ أماكن الرّواية مجتمعة هي فضاء الرّواية، فكلّ رواية عليها أن تنتمي إلى فضاء خاصّ بها.

ونجد "سمر روحي الفيصل" يفرّق بين المكان والفضاء حيث يرى الأول ذا طابع محدود، أمّا الثّاني ذا طابع شمولي، وكذلك أنّ المكان يتّصف بالسّكون والثّبات في حين أنّ الفضاء يتميّز بالحركة ولذلك نجده دوما يحتاج إلى أمكنة عدّة ذات بنية نابض الحركة والفعل"[12]، وبهذا يبدو أنّ التّباين بين المكان والفضاء يظهر في كون الأوّل محدّد يتركز في مكان وقوع الحدث والآخر أوفر اتّساعا ويعبّر عن الفراغ الفسيح الّذي تنكشف فيه أحداث الرّواية، ومن هنا نلاحظ أنّ الفضاء احتلّ مرتبة هامّة ضمن بنية الرّواية.

أمّا إذا تطرّقنا إلى مصطلح **الحيز** الّذي يعتبر من الألفاظ المرادفة والمتعلّقة بلفظة المكان فيؤكّد النّاقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" على ضرورة استعمال مصطلح الحيّز بدل مصطلح الفضاء، والحيّز مشتقّ من الفعل "حاز الإبل يحوزها ويحيزها، وحوزا وحيزا أي ساقها رويدا رويدا وحوز الدّار وحيّزها ما انضمّ إليها من المرافق والمنافع، وكل ناحية على حدة حيّز"[13]، وقد أوضح مرتاض علّة توظيفه لمصطلح الحيّز دون غيره بقوله "الفضاء عامّ جدّا في رأينا، وقد تسرّب إلى أكثر من حقل معرفي معاصر، فاصطنع فيه"[14]، فاستعمال مصطلح الفضاء صار مبتذلا للغاية إذ صار من الشّائع عند النّاس قولهم: الفضاء المدرسي، الفضاء الرّياضي، الفضاء التّاريخي وفضاء البيت، فضاء الأسرة، ولعلّ منهجية البحث العلمي الدّقيق تقضي بضرورة التّمييز بين مفهومي الفضاء والمكان"، ويضيف مرتاض قائلا: " الحيّز الأدبي عالم دون حدود وبحر دون ساحل، وليل دون صباح ونهار دون مساء إنّه امتداد مستمرّ مفتوح على جميع المتّجهات في كلّ الآفاق"[15]، بمعنى أنّ الحيّز عند "مرتاض" أكثر اتساعا من الفضاء فإذا كان للمكان حدود تحدّه وله نهاية ينتهي إليها، فإنّ الحيّز له حدود ولا انتهاء سرمديّ الشّساعة مستمرّ الامتداد.

وانطلاقا ممّا سبق يمكننا أن نلحظ أنّ أغلب النقّاد يرون في مجملهم أنّ المكان هو الفراغ المحدّد الذي يحوي بداخله الأشياء، أمّا الفضاء فهو الفراغ اللاّمتناهي الذي يلفّ جميع الأمكنة، فيمكن القول إنّ: "الحيّز المكاني هو الفضاء الذي تحدث داخله مختلف المشاهد والصّور والمناظر والدّلالات والرّموز، التي تشكّل العمود الفقري للنّص السّردي، إذ يعدّ الخلفية المشهدية للشّخصية القصصية، فهو مسرح الأحداث التي تصنعها الذّاكرة التاريخية برموزها المتنوّعة، وآليات المكان ما هي إلاّ وسيلة من الوسائل الرّئيسيّة لرصد الواقع على مستوى السّرد وما بعده، أي مستوى الموقف والرّؤية"[16] .وهذا ما يجعل من المكان بصفة عامّة جزء من النّص وفهم هذا الأخير متوقّف على مدى فهم دلالات الأمكنة ورمزيّتها المضمرة والمعلنة، فالمكان الرّوائي يدلّ على موجودات تختلف دلالاتها من متلقّ إلى آخر وفق قدرته على استنطاقها، ووفق خلفيّاته الذّهنية أيضا، فالمكان في جوهره كتلة لفظيّة وخياليّة كما يرى "حميد لحميداني": "إنّ مصطلح المكان الرّوائي يدلّ على مفهوم محدّد هو المكان اللّفظي المتخيّل"[17]، بمعنى أنّ المكان هو صورة خياليّة بتجسيد لغويّ، أي أنّ اللّغة هي الّتي خلقت المكان وأوجدته انصياعا لحاجات التخييل الرّوائي.

4-أنواع المكان:

ينقسم المكان حسب طبيعته إلى: **مكان مفتوح / مكان مغلق:**

أمّا **المكان المفتوح** فهو كما يرى "حميد لحميداني ": "ما كان متضمّنا لمساحات هائلة كبيرة، توحي بالمجهول، تكون متاحة لجميع الشّخصيات الرّواية، لا تحدّها حواجز وتسمح للشخصيّة بالتّطوّر والحريّة"[18]، أي كلّ ما يخصّ الشّخصية ويحضن وجودها مثل الشّارع أو الحديقة أوالملعب.

وفيما يخص **المكان المغلق** يرى الشّريف جبيلة": " الأمكنة المغلقة بكونها تلك الّتي ينتقل بينها الإنسان ويشكّلها حسب أفكاره، والشّكل الهندسيّ الّذي يروقه ويناسب تطوّر عصره، وينهض المكان المغلق كنقيض للمكان المفتوح، وقد تلقف الرّوائيون هذه الأمكنة، وجعلوا منها إطارا لأحداث قصصهم ومتحرّكا لشخصياته"[19]، بمعنى أنّ المكان المغلق هو مكان يتعلّق بكل مكان مساحته محدودة ومكوّناته متعدّدة حيث تقضي فيه الشّخصية أغلب وقتها كالبيت مثلا، وقد يدلّ على الرّاحة والدّفء كما قد يكون سببا في الخوف والوحدة، حسب العلاقة النّفسية التي تربطه بالشّخصيّة.

يندرج تحت التقسيمين السّالفين تقسيم آخر وهو: **(مكان أليف/ مكان معادي)** ويقصد بالمكان الأليف كلّ مكان نحبّه ونرغب فيه ونحتاج إليه اجتماعيّا، حيث يرسمه الرّوائيّ موافقا للشخصيّة الرّوائيّة، أمّا المكان المعادي فهو المكان الّذي يثير إحساس الغربة والوحشة، كالمنفى.

5-وظائف المكان:

إنّ الكلام عن وظيفة الأمكنة يدفع بنا إلى الحديث عن تعدّد الأمكنة في المتن الرّوائي كالبيت، المزرعة، المكتب، الغابة السّرير، الفؤاد، البحر، الجزيرة، الوطن، وغيرها، وفي العمل الرّوائي تأخذ الأماكن بعدا نفسيّا فليس البصر وحده من يحدد مكانية المكان بل هو تشارك واتّحاد كلّ الحواس، فخبرة الفرد بالمكان وإدراكه له تختلف وفق قدراته الحسيّة والنّفسية والعقليّة والعاطفيّة، فالفرد يعبّر عما يعنيه ويهمّه لا عن الأشياء الّتي هي خارج اهتماماته، فزخرفة

المكان وهندسته تعبّر عن فهم معيّن للحياة وتكشف عن أنساق ثقافيّة متوارية، فالمكان يصطبغ بصبغة أصحابه.

وإذا وظف المكان توظيفا فعّالا في المتن الرّوائي يمنح له أبعادا رمزيّة ونفسيّة تثير في نفسيّة المتلقّي عواطف معيّنة كالحبّ والكراهيّة والخوف والتّقوقع مثلا، فالأماكن لها القدرة على حمل الذّكريات والحنين والشّوق، فهي في صراع دائم مضادّ للنّسيان، كما لها الإيحاء بالرّاحة والطمأنينة تارة، وبالهيبة والرّهبة تارة أخرى شأن بيت الله الحرام أو بيت المقدس مثلا، ولها وظيفة امتصاص الأحزان وسبيل للاسترخاء مثل البحر، فالأماكن تتكلّم بصمت وَأفئدتَنا وعقولَنا بلغة المادّي المجرّد، فالمكان يتيح لنا الدّردشة بهدوء. بالإضافة إلى الكشف الإيحائي عن طبيعة الشخصيات كالحانة مثلا توحي بأنّ الشّخصيّة الّتي تتكرّر عليها تشرب الخمر، ناهيك عن خاصيّة التّرميز الّتي تعتبر أهمّ خاصيّة للمكان الرّوائي كما يرى "شاكر النابلسي ": "الأماكن مهما صغرت ومهما كبرت ومهما اتّسعت وضاقت، مهما قلت أوكثرت، تظلّ في الرّواية الجيّدة مجموعة من المفاتيح الكبيرة والصّغيرة الّتي تساعد على فكّ جوّ كبير من مغاليق النّص"[20]، فهي تخلق حوارا بين المتن والمتلقّي يسعى من خلاله هذا الأخير الغوص في طيّات العمل الرّوائيّ محاولا قراءة خباياه وإظهار اللّثام عن مضمراته.

6-جمالية المكان ودلالته في رو اية "غادة أم القرى "لأحمد رضا حوحو":

1.6-التعريف بصاحب الرو اية:

"أحمد رضا حوحو" الأديب الجزائريّ المناضل بقلمه وروحه، ووطنيّته وفكره وانتمائه، ابن "محمد رضا حوحو" شيخ عشيرة أولاد العربي وكبير أعيانها، كانت أوّل صرخة لأديبنا في هذه الحياة سنة 1910 يوم 15 من ديسمبر في مدينة صغيرة تدعى "سيدي عقبة"، [21] التحق **أحمد** بالكتّاب وتعلّم مبادئ اللّغة العربيّة، وقواعد الإسلام على أيادي شيوخ البلدة، ولمّا بلغ السّادسة من عمره التحق بالمدرسة الابتدائيّة الفرنسيّة سنة 1916[22]، بعد النّجاح في الابتدائيّة أرسله والده إلى سكيكدة ليكمل فيها دراسته لنيل شهادة الأهليّة، ولم يتمكّن من متابعة تعليمه الثّانوي نتيجة السّياسة الفرنسيّة الّتي تمنع أبناء الجزائر من مواصلة تعليمهم، عاد **أحمد** إلى مسقط رأسه

وعمل بمصلحة بريد سيدي عقبة، وتعمّقت خبرته بالحياة وظروف معيشة مواطنيه تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي.

درس باللّغتين العربيّة والفرنسيّة وواصل تعليمه بالمدينة المنوّرة الّتي هاجر إليها رفقة أهله سنة 1935م، ثم تخرّج من مدرسة العلوم الشرعيّة عام 1938م وعمل فيها بعد التخرج، كما شارك في تحرير مجلّة المنهل بمكّة المكرّمة بقصص يترجمها من الأدب الفرنسيّ ومقالات في مجلّة الرّابطة العربيّة المصريّة.[23] وبعد عودته إلى الوطن انضمّ لجمعيّة العلماء المسلمين وأصبح عضواً فعّالاً فيها، وعيّن مديراً لمدرسة «التّربية والتّعليم» الّتي كان الشّيخ ابن باديس قد أسّسها بنفسه في سنة 1930، وبقي فيها ما يقارب سنيتن، ثم انتدب لإدارة مدرسة «التّهذيب» بمدينة «شاطودان» سابقا (شلغوم العيد حاليا) الّتي تبعد عن قسنطينة بحوالي 50 كيلومترا، ولم يمكث فيها إلا مدّة قصيرة ليعود مجدداً لقسنطينة ليشغل منصب الكاتب العام لمعهد ابن باديس. وفي 25 سبتمبر من 1946 نشر أوّل مقال في البصائر بعد عودتها إلى الصّدور تحت عنوان (خواطر حائر)[24]. وفي سنة 1948 انتخب عضوا في المجلس الإداريّ لجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين.

في سنة 1949 وفي الأسبوع الثّاني من شهر ماي شارك في مؤتمر باريس الدّولي للسّلام حيث مثّل الجزائر خير تمثيل، وفي 27 أكتوبر قام بإنشاء جمعيّة المزهر القسنطيني للمسرح والموسيقى ومن خلالها كان يعرض مسرحيات مثل: ملكة غرناطة، بائعة الورود، البخيل.[25] وفي 29 مارس 1956 وعند اغتيال محافظ الشرطة بقسنطينة، تم اعتقال أحمد رضا حوحو من منزله على السّاعة السّادسة مساء بسجن الكدية، ومنه حُوِّل إلى جبل الوحش المشرف على مدينة قسنطينة وتم إعدامه هناك.

2.6-مفهوم الجمالية:

إنّ التّكلّم عن الجماليّات، يدفع بنا إلى التّطرق إلى علم الجمال، وهو "علم يدرس طبيعة الإحساس الفنّي، وما يبعث الجمال في شكل من أشكال الفنّ أو التّعبير"[26]، فهو يهتمّ بطريقة تذوّق الفنّ ورؤيته وملامسة الجميل فيه وذلك لإبراز الحسن من الرّديء، والجميل من القبيح في المواضع والنّصوص عن طريق التّلقّي، والفهم، والاستيعاب. ومن علم الجمال كانت الجمالية التي

تهتمّ بجميع الفنون من: الأدب، الموسيقى، الرّسم، العمارة، وغيرها، "فالجماليّة هي البحث العقليّ في قضايا الفنّ على اختلافها" [27]، فالفنّ خلق جماليّ وإبداع له أصوله وتقنيّاته وأسسه لا يتأتّى عبثًا، ويندرج في هذا السّياق سائر قضايا الإنسان ومواقفه بالحياة، فالجماليّة إذن علم يبحث في فحوى الجمال من حيث مفهومه وماهيّته ومقاييسه ومقاصده، والجماليّة في الشّيء تعني أنّ الجمال فيه حقيقة جوهريّة وغاية مقصديّه على المتلقّي استنباطها وتذوّقها والاستمتاع بها.

3.6-جمالية المكان في "غادة أم القرى":

تعتبر خاصيّة تحفيز مخيّلة المتلقّي أهمّ وظيفة يسعى عنصر المكان تحقيقها في العمل الرّوائي، بحيث يجعله يتخيّل واقعيّة ما يقرأ ودنوّه منه من خلال صنعة أدبيّة تضفي جماليّة على العمل الأدبيّ، كما نلاحظ عند" حميد حمداني ": "طريقة تحديد ووصف الأمكنة في الرّوايات نجدها تأتي متقطّعة حيث أنّ ضوابط المكان في الرّوايات متّصلة عادة بلحظات الوصف"[28]، فالوصف هو صورة ذهنيّة قد تكون محاكاة لمكان واقعيّ أو بناء خياليّا جديدا يكتسب قيّمة فنيّة تشعر المتلقّي بالمشاركة، فكلّما زاد البعد التخييليّ للمكان زادت معه الجماليّة في وصفه. وإنّ امتلاك الرّوائي للّغة وتحكّمه في زمامها وإتقانه لمهاراتها وحسن توظيفه لألفاظها وفق ما يقتضيه السّياق يمكّنه من تشكيل صور عالية الجماليّة والتّأثير، تضفي على العمل الأدبي ألوانا وأشكالا وروحا، فالوصف عامل لغويّ تزيينيّ تفسيريّ لمسرح الحدث.

4.6-"أم القرى" ودلالتها في الرواية:

من بين الأمثلة عن المكان المفتوح في رواية "**غادة أم القرى**" مدينة "**أم القرى**" في حدّ ذاتها فالأديب "رضا حوحو" يحاول سرد قصّة لحبيبين من الحجاز، فالمكان له علاقة حميمة مع الشّخصية، ويسعى إلى تكوينها فكريّا ونفسيّا ووجدانيّا و"يؤثّر في انتقالها من حال إلى حال، كما أنّه يسهم في خلق المعنى داخل الرّواية، كما أنّ الرّوائي المبدع يستطيع أن يحوّل المكان إلى أداة تعبيريّة عن موقف الأبطال من العالم الخارجي" [29]، فمن خلال المكان ينقل إليها" حوحو" صفات ذلك المجتمع المحافظ والذّكوري الّذي يسيطر على المرأة ويسلبها حقّها في التّعبير والحب، سيما إن تعلّق هذا المكان بأطهر بقعة على وجه الأرض تعتبر قبلة المسلمين للصّلاة والحجّ، وجسّد الكاتب

ذلك في قدوم الملك للحجّ حين قال: "ثمّ صرّح له بأنّ الملك قادم في هذه الأيّام للحجّ...وأخذت العجوز تترقّب أنباء رحلة الملك من الرّياض إلى أمّ القرى بأذن مرهفة"[30].ومناسك الحجّ تحمل دلالة دينيّة لأمّ القرى والدّلالة الدّينية لها أثر كبير على العمل الرّوائي فهي تبرز قداسته الرّوحية ومكانته عند المسلمين ككلّ.

إنّ الأديب الحقيقيّ بإمكانه زرع وطن في قارئه، بأرضه وسمائه، بصيفه وشتائه، بأهله وأحيائه، يعلن له القارئ كامل ولائه، عالم من كلمات يشيّد فيه صروحا للذّاكرة ويمدّ جسورا للتّاريخ ويعبّد طرقا للهويّة والانتماء، فتوظيف **"أم القرى"** كذلك تجسّد ذلك المكان الصّحراوي الجميل بكلّ ما تحمله الصّحراء من رمزيّة كما جاء في قول الرّاوي: "فقد خرج جميل ذات مساء يتجوّل في ضاحية جرول أجمل ضواحي مدينة أمّ القرى وأوسعها، حيث انفرجت عندها سلاسل الجبال العديدة الملتوية كالأمعاء في مراوي إبراهيم، فكشفت عن بطحاء شاسعة رائعة المناظر"[31]، ففضاء الصّحراء هو عمق ثقافيّ ومعتقديّ لأبناء المنطقة العربيّة لذلك تعاملت معها الرّواية العربيّة بعمق وشموليّة[32]"، فهنا يجمع بين دلالات مختلفة وجوديّة ونفسيّة ودينيّة واجتماعيّة، استحضرت أبعاد المكان بجغرافيّته الإنسانيّة الّتي تجمّعت وتكثّفت حتّى أصبحت أليفة ذات رائحة ووطن، فاستطاع الرّاوي هنا أن يحقّق له حضورا واقعيّا بأبعاد فكريّة وقيم معرفيّة لها علاقة بسياق جغرافيّ أوّلا ثمّ اجتماعيّ وثقافيّ، مركّزا كلّ مرّة على اسم هذه المدينة لما لها من مقوّمات ومعالم بارزة، ذلك ما تنبّهت إليه سيزا قاسم حينما رأت "أنّ اختيار أسماء حقيقيّة للأحياء والشّوارع يعطي للقارئ إحساسا بأنّه يستطيع أن يتحقّق من وجودها"[33]، حتّى يعطي لتلك الأوصاف والأنساق بعدا واقعيّا جاذبا، يجعل من المتلقّي يعيش بخياله في تلك المعالم الّتي تشكّلها عوالم الكتابة والألفاظ كما تشاء.

نجد دلالة أخرى **لأم القرى** في النّسيج السّردي للرّواية، وهي دلالة سلوكيّة اجتماعيّة توحي باهتمام المجتمع الحجازي ببعضه البعض، وتشير إلى الرّوابط المحكمة الّتي تجمع بين سكّان المدينة الصّغيرة الّتي لا يخبّأ بها سرّ، فقد ذاع خبر دخول البطل صاحب السّيرة الحسنة والأخلاق الحميدة إلى السّجن فأصبح سُكْرُ **"جميل صادق"** مأساة يتحدّث بها الكبير والصّغير ويتعاطف

معها أيضا في قوله: "حيث شاعت في جميع أنحاء أمّ القرى مأساة جميل صادق وإدانته بتهمة السّكر، وكانت مسألته حديث العامّ والخاصّ، وأثارت تعجّب الكبير والصّغير"[34].

5.6-الأماكن المغلقة" ودلالتها في الرواية:

احتوت الرّواية على عدّة أماكن مغلقة تتّصف بالضّيق والانغلاق جعل منها الرّوائي أرضا تتحرّك فيها الشّخصيّات الرّئيسيّة، وتضفي دلالات على العمل الرّوائيّ، ومن بين الأماكن المغلقة اخترنا ما يلي:

أ-بيت الله الحرام:

وظّف بيت الله الحرام توظيفا دينيّا يصف التّرابط الوجداني بين العبد وربّه من خلال التّضرّع وطلب العون إذ يقول الأديب: "ونهضت مسرعة والتفت في ملاءتها السّوداء، وخرجت تتعثّر في أذيالها حيث قصدت بيت الله، وألصقت صدرها الهزيل بجدار البيت وتوجّهت إلى ربّها بعينين وقلب محطّم كسير وهتفت تدعوه بلسان متلعثم"[35]، فقد جاء المكان هنا للدّلالة على الملجأ الرّوحي الّذي يرتمي إليه كلّ متعسّر طالبا المدد والعون من الله عزّ وجلّ.

ب-البيت:

من بين المعاني الّتي يدل عليها البيت في الرّواية السّكينة والحبّ والاستقرار في قوله: "فقد طارت زكيّة بأجنحة في أجواء السّعادة وهي تحلم ببيتها الجديد" [36]، فهو يدلّ على الحياة الجديدة وبناء مستقبل وتأسيس أسرة، والبيت يمثل السّعادة والطمأنينة والدّفء، فمن دونه يصبح الفرد مشتّتا، فهو مرجع كلّ فرد كلّ ليلة ومصدر ستره وأمانه وملاذه.

بالإضافة إلى دلالة أخرى تتمثّل في الرّاحة والاستقلاليّة وقت انتقال البطل للعيش مع والدته ببيت مستقلّ، دون أن ننسى دلالة الامتثال للعادات والتّقاليد والمحافظة على الاحتشام داخل الأسرة، لأنّ السّبب الرّئيس في اتّخاذ البطل بيتا مستقلاّ يكمن في كبر الفتاتين، الأمر الّذي يلزمهما الاحتجاب عن كلّ رجل، فيكون البيت هنا تطبيقا للعرف والدّين وحيازة على الحريّة للطّرفين، وهذا يتجلّى في قول الأديب: "وما كان ذلك ليكون إلّا بعد أن استقلّ الفتى بوالدته في

مسكن مستقلّ بعد أن أحسّ أنّه أصح غير مرغوب في بقائه في بيت مربيه حيث اكتملت أنوثة فتاتيه فأصبحتا تحتجبان عنه وتفرّان مسرعتين من أمامه كلّما فاجأهما"[37]. دون أن ننسى صفة التّكافل، وصلة الرّحم، وقوّة التّرابط الأسريّة بين الأفراد في المجتمع الحجازي، وقد تمثّل هذا المعنى عند "طرق البطل باب بيت زوج خالته، ولم ين بالدّار أحد سوى البنت الأصغر في العائلة، فقد خرجت والدتها وأختها الكبرى تصحبها الجارة إلى بيت خالتها فاطمة الكائنة في النّاحية السّفلى من مكّة وكذلك أشعرها والدها منذ الصّباح أنّه مدعو للغذاء عند أحد أصدقائه"[38].

ج-السجن:

يقول الأديب: " حيث قبع جميل في هذا المكان يتحسّر على المحنة الّتي وقع فيها جورا وزورا، وهو الّذي حكم عليه بالسّجن ستّة أشهر مع الجلد نهاية كلّ شهر ثمانين جلدة وهو حدّ شرب الخمر"[39]، السّجن هنا مكان عدائيّ مغلق غير مرغوب فيه دالّ على الضّيق والظّلمة والوحدة والانغلاق وسلب للحريّة والعقاب والقهر والظّلم، بحيث وقع "جميل" في هذا المكان محكوما علية بالحبس والجّلد جورا.

7-خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية الوجيزة نستخلص ما يلي:

- أنّ المكان يعتبر مكوّنا مهما في العمل الرّوائيّ، باعتباره عنصرا متجليًا في العديد من الدّراسات والفنون الأدبيّة.
- المكان في "**غادة أم القرى**" يفتقد إلى الوصف الماديّ تقريبا فلم يخصّ الأديب بالوصف الماديّ الأماكن بقدر ما اعتنى برمزيّتها وربطها بالحالة النّفسيّة الّتي تثيرها في نفسيّة الشّخصية والمتلقّي.
- حمل العنوان هذه الرّواية جزء من المكان فقد هيمنت"**أم القرى**" وأخذت أبعادا دلاليّة متباينة على رأسها ثقافة المجتمع الحجازي.

- تشكيل المعنى لا يتأتّى إلاّ بإبراز الدلالات المختلفة للأماكن الموظّفة في العمل الرّوائي والّتي لها وقعها في نفسيّة المتلقّي وفي نفسيّة الشّخصيات داخل المتن الرّوائيّ.
- الجماليّة في العمل الرّوائي مسعى يؤكّده النّص، ويستنبطه النّاقد، ويدرسه الباحث ويستمتع به المتلقّي.

8-قائمة المصادروالمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر. بيروت، لبنان، 1990، مج1.
2. الزبيدي "تاج العروس من جواهر القاموس "دار صادر بيروت لبنان ج 9، 1996.
3. فيصل الأحمر، دراسات في الأدب الجزائري المعاصر، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1 ، 2009
4. سليم بتقة، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع06، 2010.
5. عبد الدّايم السلامي، شعريّة الواقع في القصة القصيرة جدا (قصص عبد الله المتّقي ومصطفى لغتيري أنموذجا) منشورات أجراس، ط1 ، المغرب، 2007.
6. حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1991.
7. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة-تحقيق عبد السلام هارون دار الجبل لبنان، ط 1991.
8. الفيروز ابادي، القاموس المحيط، "تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج2، ط1 1997.
9. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية(حنا مينة، حكاية بحار، الدقل)، المرفأ البعيد، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 2011.
10. سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، د ط، 2003
11. مرتاض عبد المالك، في نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، 2007.
12. طالب أحمد، السرد القصصي وجماليات المكان، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، 2004، مج34، ع 403.

13. الشريف جبيلة، بنية الخطاب الرّوائيّ، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1 ، 2010م.
14. شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرّواية العربيّة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 1994.
15. يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين19 و20، من شهداء ثورة أول نوفمبر1954-1962، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
16. https: //www.marefa.org
17. نجية طهاري، بناء الشخصية في مسرح احمد رضا حوحو، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور عبد الرزاق بن السبع، جامعة الحاج لخضر، باتنة قسم اللغة العربية وآدابها، 2010-2011.
18. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979..
19. محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري، جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2006.
20. أحمد رضا حوحو، غادة أمّ القرى، الأنيس السلسلة الأدبيّة، إشراف محمّد بلقايد، عن وزارة الثّقافة، ط1 ، 2009م.
21. صالح ابراهيم، الفضاء والسرد، المركز الثقافي العربي، دط، د ت.
22. سيزار قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

هوامش البحث:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر. بيروت، لبنان،1990، مج1، ص 414.

[2] الزبيدي "تاج العروس من جواهر القاموس "دار صادر بيروت لبنان ج 9، 1996، ص 348.

[3] فيصل الأحمر، دراسات في الأدب الجزائري المعاصر، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 1 ، 2009 ، ص20

[4] سليم بتقة، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر،بسكرة،الجزائر،ع06، 2010، ص01.

[5] عبد الدّايم السلامي، شعريّة الواقع في القصة القصيرة جدا (قصص عبد الله المتّقي ومصطفى لغتيري أنموذجا) منشورات أجراس، ط 1 ،المغرب، 2007 ،5ص.

[6] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،1991 ، ص70

[7] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص113.

[8]ابن فارس، معجم مقاييس اللغة-تحقيق عبد السلام هارون دار الجبل لبنان، ط 1991، ص508.

[9]الفيروز ابادي، القاموس المحيط ، "تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ،دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج2 ط1 1997، ص 1731.

[10] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ص62.

[11] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية(حنا مينة، حكاية بحار، الدقل)، المرفأ البعيد، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 2011 ،ص37.

[12] سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، د ط،20 03،ص85.

[13]ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص113.

[14]مرتاض عبد المالك، في نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، 2007، ص297.

[15] المرجع السابق، ص 299.

[16] طالب أحمد، السرد القصصي وجماليات المكان، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، 2004، مج34، ع 403، ص01.

[17]حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص67 .

[18] المرجع نفسه، ص162.

[19] الشريف جبيلة، بنية الخطاب الرّوائيّ، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط 1 ، 2010 م، ص. 204

[20] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 1994،ص27

[21] "**سيدي عقبة** " دائرة ومدينة تبعد عن ولاية سكرة ب18 كلم يوجد بها ضريح الصحابي الجليل سيدنا عقبة بن نافع في مسجد يحمل اسمه . الاسم الأصلي للمدينة هو "تهودة." ،وتعود مرجعية هذا المسمى لمدينة "**سيدي عقبة**" لفاتح افريقية القائد عقبة بن نافع القرشي الذي افتتح هذه المدينة في فترة الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي.

[22] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين19 و20 ، من شهداء ثورة أول نوفمبر1954-1962،دار الهدى، عين مليلة ،الجزائر، 2008،ص98

[23] https://www.marefa.org

[24] المرجع السابق.

[25] نجية طهاري،بناء الشخصية في مسرح احمد رضا حوحو ،مذكرة ماجستير ،إشراف الدكتور عبد الرزاق بن السبع،جامعة الحاج لخضر ،باتنة قسم اللغة العربية وآدابها، 2010-2011، ص49

[26]جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979، ص 86.

[27] محمد الصالحخرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري، جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2006، ص04.

[28] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص24.

[29] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية(حنا مينة، حكاية بحار، الدقل)،ص08

[30] أحمد رضا حوحو، غادة أمّ القرى، الأنيس السلسلة الأدبيّة، إشراف محمّد بلقايد، عن وزارة الثّقافة، ط 1 ، 2009م، ص50 - 48

[31] المرجع السابق، ص 37 .

[32] صالح ابراهيم، الفضاء والسرد، المركز الثقافي العربي، دط، د ت، ص14.
[33] سيزار قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص117.
[34] أحمد رضا حوحو، غادة أمّ القرى، الأنيس السلسلة الأدبيّة،ص41.
[35] أحمد رضا حوحو، غادة أمّ القرى، الأنيس السلسلة الأدبيّة ، ص53.
[36] المرجع نفسه،ص24.
[37] المرجع نفسه ،ص 35
[38] المرجع نفسه، ص16 .
[39] المرجع نفسه، ص39.

L'image du martyr dans Le Fils du Pauvre de Mouloud Feraoun: un témoignage de résistance, d'identité et de mémoire collective

The image of the martyr in Mouloud Feraoun's *The Poor Man's Son*: a testimony of resistance, Identity, and collective memory

Maître de conférences A Mériem BEN RAHAL

Département de langue française, Université de Ghardaïa

Laboratoire de l'analyse de discours et les études lexicales et comparées

benrahal.meriem@univ-ghardaia.dz

Résumé

L'image du martyr dans la littérature algérienne d'expression française est liée à la question de l'identité nationale et individuelle. Les écrivains ont exploré les implications complexes du martyr en tant qu'individu sacrifié pour une cause plus grande, et ont remis en question les idées de sacrifice et de violence au nom de l'indépendance. *Le fils du pauvre* de Mouloud Feraoun met en scène des personnages confrontés à la réalité du martyre, remettant en question leurs propres convictions et cherchant à donner un sens à leur propre existence au milieu de la violence et de la souffrance.

Dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, la figure du martyr occupe une place centrale et incarne la résistance face à l'oppression coloniale. Le roman explore les différentes formes de martyre auxquelles sont confrontés les personnages, tant sur le plan individuel que collectif.

Mots clés: image, martyr, résistance, identité, Le Fils du Pauvre, Mouloud Feraoun, mémoire collective

Abstract:

The image of the martyr in French-Algerian literature is intricately linked to the questions of both national and individual identity. Writers have

delved into the complex implications of martyrdom as an individual sacrificed for a greater cause and have questioned the ideas of sacrifice and violence in the name of independence. Mouloud Feraoun's *The Poor Man's Son* portrays characters grappling with the harsh reality of martyrdom, challenging their own convictions, and seeking to make sense of their existence amidst violence and suffering.

In The Poor Man's Son by Mouloud Feraoun, the figure of the martyr holds a central place and embodies resistance against colonial oppression. The novel explores the various forms of martyrdom experienced by the characters, both on an individual and collective level.

key words: image, martyr, resistance, Identity, The Poor Man's Son, Mouloud Feraoun, collective memory

Introduction

La littérature algérienne d'expression française a joué un rôle essentiel dans la représentation et la compréhension des événements tragiques qui ont marqué l'histoire de l'Algérie, notamment la lutte pour l'indépendance contre le colonialisme français. L'un des thèmes récurrents et puissants dans cette littérature est celui du martyr. L'image du martyr a été utilisée par de nombreux écrivains algériens pour rendre hommage aux héros et aux victimes de la guerre, tout en explorant les complexités de leur sacrifice. Cet article examine l'image du martyr dans la littérature algérienne d'expression française, en mettant en lumière une œuvre emblématique qui a participé à produire cette représentation.

Le Fils du Pauvre de Mouloud Feraoun est un roman autobiographique emblématique qui a marqué la littérature algérienne d'expression française. Publié en 1950, cet ouvrage offre un témoignage démonstratif émouvant de la vie de l'auteur lui-même, tout en mettant en lumière les réalités sociales et politiques de l'Algérie coloniale. *« Le Fils du pauvre est une œuvre autobiographique ». Le lecteur a l'assurance que ce récit est celui d'une vie bien réelle: « On identifie l'instance narrative à l'instance d' « écriture », le narrateur à l'auteur »*[1].

À travers ce roman, Mouloud Feraoun écrit un récit qui résonne encore aujourd'hui, témoignant de la force, de la résilience et de la persévérance dans un contexte d'oppression et de pauvreté. Dans ce sens, Charles Bonn affirme que *Le Fils du pauvre*: *« Ce n'est pas de la poésie, ni une étude psychologique, ni même un roman d'aventure puisqu'il n'a pas d'imagination (...) Il voulait tout simplement (...) raconter sa propre histoire*»[2]

Le Fils du Pauvre est bien plus qu'un simple récit autobiographique. Il s'agit d'une œuvre littéraire qui transcende les frontières de l'autobiographie pour devenir un témoignage universel sur la résistance, l'espoir et la recherche de dignité dans un contexte d'oppression. Feraoun utilise son écriture fluide et poétique pour donner vie à des personnages authentiques.

Le Fils du Pauvre se déroule dans l'Algérie coloniale, une époque caractérisée par les inégalités sociales, les discriminations et l'oppression imposées par le système colonial français. Mouloud Feraoun y décrit de manière réaliste les conditions de vie précaires dans lesquelles il a été

grandiose, ainsi que les défis quotidiens auxquels étaient confrontés les habitants de son village kabyle de Tizi Hibel. Il a rencontré en évidence les difficultés liées à la pauvreté, à l'accès limité à l'éducation, ainsi qu'aux tensions entre les traditions culturelles et les influences occidentales.

1. L'image du martyr dans *Le Fils de Pauvre*

Dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, la figure du martyr occupe une place centrale et incarne la résistance face à l'oppression coloniale. Le roman explore les différentes formes de martyr auxquelles sont confrontés les personnages, tant sur le plan individuel que collectif.

Tout d'abord, le martyr se manifeste à travers les sacrifices personnels consentis par les personnages pour défendre leurs convictions et préserver leur dignité. Le protagoniste du roman, est confronté à de nombreuses difficultés en raison de sa condition de fils de pauvre. Malgré cela, il persévère dans sa quête de connaissance et d'éducation, sachant que cela lui coûtera des sacrifices personnels et des privations. Son engagement envers son propre développement intellectuel peut être perçu comme un acte de martyr, où il sacrifie ses propres besoins et désirs au profit d'une cause plus grande.

En outre, le roman engage également le martyr collectif à travers la résistance du peuple algérien face à l'occupation coloniale. Les personnages expriment leur solidarité et leur détermination à travers des actes de résistance, que ce soit par le biais de manifestations, de grèves ou de soulèvements contre les injustices subies. Ces actes de résistance peuvent entraîner des conséquences graves, y compris la mort, la torture ou l'emprisonnement. Cependant, les personnages remplissent ces

sacrifices comme nécessaires pour lutter contre l'oppression et préserver leur identité culturelle et leur autonomie.

L'idée du martyr dans le roman dépasse la simple notion de la mort physique. Elle englobe également le sentiment de vivre dans des conditions de vie difficiles et d'endurer des souffrances constantes. Les personnages sont confrontés à la pauvreté, à l'injustice et à la marginalisation, mais ils refusent de se soumettre à ces circonstances et continuent à se battre avec résilience. Leur persévérance et leur résistance face à l'adversité sont des formes de martyre qui mettent en évidence la force de leur détermination et leur volonté de se battre pour un avenir meilleur.

En mettant en avant la figure du martyr, *Le Fils du Pauvre* souligne l'importance de la résistance et du sacrifice dans la lutte contre l'oppression. Les personnages du roman incarnent cette résistance et sont prêts à faire des sacrifices personnels pour préserver leur dignité, leurs valeurs et leur identité culturelle. Le martyr devient ainsi un symbole de courage et de dévouement, témoignant de la détermination inébranlable du peuple algérien à se battre pour la liberté et l'indépendance.

Mouloud Feraoun a dépeint la lutte quotidienne pour la dignité, la liberté et la justice dans un contexte marqué par la pauvreté et les inégalités.

Le Fils du Pauvre met en scène l'Algérie coloniale, où les Algériens étaient soumis à une domination politique, économique et culturelle de la France. Il y décrit avec une précision saisissante les réalités de la vie quotidienne sous le joug colonial. Il expose les injustices sociales, les

discriminations et les humiliations subies par les Algériens, mais également leur lutte incessante pour préserver leur dignité et leur identité.

Le protagoniste, qui représente l'auteur lui-même, incarne cette résistance. Malgré la pauvreté et les difficultés auxquelles il est confronté, il refuse de se soumettre à l'oppression. Il trouve des moyens de résister, que ce soit par la quête de l'éducation, l'affirmation de sa culture et de ses traditions, ou encore par la solidarité communautaire. À travers son personnage, Mouloud Feraoun dépeint l'indomptable volonté de l'individu de se battre pour sa liberté et celle de son peuple.

L'éducation dans *Le Fils du Pauvre*, est présentée comme un puissant moyen de résistance. Feraoun souligne l'importance de l'apprentissage et de l'accès au savoir pour émanciper les individus et combattre l'ignorance imposée par le colonialisme. Le protagoniste, malgré les obstacles, persévère dans sa quête de connaissances, car il sait que l'éducation est une arme essentielle pour s'élever au-dessus de sa condition sociale et se libérer de l'oppression. Il dit:

«je me revois… (…) si c'est un jour de toilette, et bien c'est le Fouroulou actuel moins la barbe naturellement (….). A présent, quand j'essais de m'imaginer parmi mes élèves, je me retrouve toujours parmi les plus chétifs, les moins turbulents, ceux qui craignent l'effort, détestent les jeux et prennent un malicieux plaisir à apprendre quelque chose »[3].

«cette fois Fouroulou put lire et traduire assez bien »[4].

« des gens venaient le consulter ou se faire écrire des lettres difficiles »[5].

2. Le Martyr comme symbole de résistance

Dans la littérature algérienne d'expression française, l'image du martyr est souvent utilisée comme un symbole de résistance contre l'oppression coloniale. Les écrivains ont cherché à dépeindre les martyrs comme des figures héroïques, prêtes à sacrifier leur vie pour la liberté de leur peuple. Ils ont mis en lumière leur courage indomptable face à l'adversité et leur détermination à lutter contre les forces dominantes. Des œuvres telles que *L'Étranger* d'Albert Camus et *Les Soleils des indépendances* d'Ahmadou Kourouma illustrent cette représentation du martyr, où l'on peut observer des personnages qui se dressent courageusement face à l'oppression coloniale, défiant ainsi les injustices imposées.

3. Le Martyr et la quête de l'identité

L'image du martyr dans la littérature algérienne d'expression française est également liée à la question de l'identité nationale et individuelle. Les écrivains ont exploré les implications complexes du martyr en tant qu'individu sacrifié pour une cause plus grande. Ils ont remis en question les idées de sacrifice et de violence au nom de l'indépendance, mis en évidence les dilemmes moraux et les questionnements qui entourent ces choix difficiles. Des romans tels que *Le fils du pauvre* de Mouloud Feraoun mettent en scène des personnages confrontés à la réalité du martyr, remettant en question leurs propres convictions et cherchant à donner un sens à leur propre existence au milieu de la violence et de la souffrance.

Lorsqu'il s'entretient avec Maurice Monnoyer, Feraoun exprime ses propositions concernant le roman intitulé *Le Fils du pauvre* de manière suivante: *«Je suis très attaché à ce livre, d'abord parce que je ne mangeais pas tous les jours à ma faim alors qu'il sortait de ma plume, ensuite parce qu'il m'a permis de prendre conscience de mes moyens ».*[6]

L'un des aspects les plus saisissants de *Le Fils du Pauvre* est la quête de dignité et d'identité des personnages. Feraoun représente la tension entre les traditions culturelles et les influences occidentales, mettant en lumière la lutte pour préserver sa culture tout en aspirant à l'ouverture sur le monde. Il souligne, ainsi, l'importance de la préservation de l'identité culturelle dans la résistance contre l'assimilation culturelle imposée par les colonisateurs.

Dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, l'identité occupe une place centrale et complexe. L'auteur explore ce thème de manière profonde, compte tenu de leur importance fondamentale dans la construction de la résistance et la préservation de la culture algérienne face à l'oppression coloniale.

L'identité est un élément essentiel du roman, représentant la conscience de soi et l'appartenance à un groupe culturel. Le protagoniste, issu d'un milieu pauvre, se trouve confronté à la pression constante de renier son identité et de s'assimiler à la culture dominante imposée par le colonialisme. Cependant, il refuse de sacrifier son héritage culturel et sa langue maternelle. Il embrasse plutôt son identité algérienne, sa fierté de ses origines et sa connexion profonde avec sa terre natale. Cette affirmation de son identité est un acte de résistance en soi, car elle refuse

l'effacement culturel et la négation de soi imposés par l'oppression coloniale.

«ma première journée de classe, ma première semaine et même ma première année ou laissé dans ma mémoire très peu de traces. J'ai beau fouiller parmi mes souvenirs, je me trouve rien de clair ».[7]

« Ils adaptèrent la même attitude au cours des réunions du soir, à la salle du culte. Ils y allaient régulièrement, lisaient un verset de la bible comme tout le monde, chantaient des cantiques avec application, écoutaient respectueusement le commentaire du chef ».[8]

«Il admire tout le monde. Il se voit si obscur, pitoyable, écrasé ! »[9]

La transmission intergénérationnelle joue un rôle crucial dans la préservation de l'identité. Les aînés transmettent aux jeunes leur héritage culturel, leurs valeurs et leurs expériences de lutte. Ils leur enseignent l'importance de résister à l'oppression, de préserver la langue, les traditions et les coutumes, et de se battre pour un avenir meilleur. Cette transmission intergénérationnelle renforce le lien entre les générations et renouvelle la volonté de résister.

En représntant le thème de l'identité, *Le Fils du Pauvre* met en évidence la résilience du peuple algérien face à l'oppression coloniale. L'acceptation et la célébration de l'identité culturelle, combinées à la transmission de la mémoire collective, permettent aux personnages de puiser dans une source de force intérieure et de détermination. Ces éléments nourrissent leur résistance, alimentent leur engagement envers la

justice et la liberté, et renforcent leur connexion profonde avec leur terre et leur peuple.

4. Le Martyr et la mémoire collective

La représentation du martyr dans la littérature algérienne d'expression française joue un rôle crucial dans la préservation de la mémoire collective. Les écrivains ont cherché à témoigner des souffrances endurées par les martyrs et à raconter leur histoire, afin de conserver le souvenir de leurs sacrifices pour les générations futures.

L'auteur a également rencontré en évidence l'importance de la mémoire collective dans la résistance. Les personnages se souviennent des histoires, des luttes et des sacrifices de ceux qui les ont précédés. Ils perpétuent ainsi la mémoire collective de leur peuple et s'en nourrissent pour trouver la force de résister. La mémoire collective devient un héritage précieux, une source d'inspiration et une base sur laquelle construire une lutte collective pour la dignité et la liberté. Elle repose sur le passé, le présent et l'avenir, permettant aux générations actuelles de s'ancrer dans une continuité historique et de comprendre leur rôle dans la poursuite de la résistance.

Dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, la représentation de la mémoire collective s'étend bien au-delà de sa simple conservation. Le roman met en évidence la manière dont la mémoire collective façonne l'identité individuelle et collective, influence les relations sociales et politiques, et inspire la résistance contre l'oppression.

La mémoire collective dans le roman transcende les frontières du temps et de l'espace, liant les personnages à un héritage commun et les unissant dans une lutte commune. Elle leur permet de puiser dans l'expérience collective de la souffrance et de la résistance pour trouver la force et la détermination nécessaires pour affronter les difficultés présentes. La mémoire collective agit comme un fil conducteur qui s'appuie sur les générations, transmet un sentiment de continuité et d'appartenance à une communauté plus large.

Au-delà de la simple remémoration des événements du passé, la mémoire collective dans le roman est également un moyen de reconstruire l'histoire et de la réinterpréter à la lumière des réalités présentes. Les personnages se souviennent de l'époque où ils étaient opprimés, mais ils cherchent aussi à comprendre les causes et les conséquences de cette oppression. Ils s'engagent dans des discussions et des débats pour donner un sens à leur passé et éclairer leur lutte actuelle.

«Mouloud Feraoun raconte d'abord sa propre histoire, c'est vrai, amis il décrit en même temps un pays, une époque, des coutumes, des modes de vie ou: Fouroulou c'est sur, se confond presque complément avec Feraoun ».[10]

La mémoire collective dans *Le Fils du Pauvre* est également marquée par la prise de conscience de l'importance de la transmission intergénérationnelle. Les personnages plus âgés assument le rôle de gardiens de la mémoire et transmettent les histoires, les traditions et les valeurs aux jeunes générations. Ils se complètent comme les dépositaires d'un héritage précieux et ressentent la responsabilité de le préserver et de

le transmettre aux générations futures. Cette transmission de la mémoire est essentielle pour maintenir l'identité culturelle et les résistances vivantes.

«Mon oncle court, vole à la djema armé d'un gourdin. Une bouffée de haine lui monte du cœur à la tête. Il va venger son honneur, il va imposer aux gens le respect de sa famille.».[11]

« Ma mère que les chagrins et les soucis n'avaient point ménagée depuis la mort de ma grand-mère, puis de mon grand-père, était devenue une pauvre créature timorée, irrésolue, incapable de prendre parti ; une fois qu'elle avait émis timidement quelques objections que lui suggérait son bon sens ou son expérience de la vie, elle s'inclinait et ne contrariait jamais ceux qu'elles aimait ».[12]

En outre, la mémoire collective est également ancrée dans le paysage naturel et géographique du roman. Les descriptions détaillées du village, de ses rues, de ses maisons et de ses paysages évoquent une profonde connexion entre la mémoire collective et l'environnement physique. Les lieux deviennent des témoins silencieux de l'histoire et portent la mémoire des événements qui s'y sont déroulés.

Mouloud Feraoun utilise la mémoire collective pour remettre en question les structures de pouvoir coloniales et pour revendiquer la dignité et l'autonomie culturelle de son peuple. La mémoire collective devient un moyen de résistance culturelle et politique, permettant aux personnages de se réapproprier leur histoire et de réaffirmer leur identité face à l'oppression coloniale.

En somme, *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun démontre l'importance vitale de la mémoire collective dans la construction de l'identité et la résistance contre l'oppression. La mémoire collective transcende le temps et l'espace, dépendant des individus à un héritage commun et les incitant à s'engager dans une lutte collective. Elle est transmise de génération en génération, alimentant la résistance culturelle et l'identité.

En conclusion, dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, la figure du martyr représente la résistance individuelle et collective face à l'oppression coloniale. Les personnages du roman font preuve de courage et de détermination en sacrifiant leurs propres besoins et en défiant les injustices afin de préserver leur dignité et leur identité culturelle. Le martyre devient ainsi un symbole puissant de la lutte pour la liberté et l'autonomie, mettant en lumière la force de la résistance face à la colonisation.

L'œuvre de Mouloud Feraoun illustre la puissance de la littérature pour témoigner de l'histoire, de la souffrance et de la résilience d'un peuple. *Le Fils du Pauvre* reste un héritage littéraire important, transmettant des valeurs de courage, de persévérance et de solidarité.

Il a mis en évidence l'importance vitale de l'identité et de la mémoire collective dans la résistance contre l'oppression coloniale. Ces thèmes permettent aux personnages de rester fidèles à eux-mêmes, de préserver leur culture et leur identité.

L'image du martyr dans ce roman va au-delà de la simple notion de la mort physique. Elle englobe également la souffrance quotidienne et les

difficultés auxquelles les personnages sont confrontés. Il souligne l'importance de la résistance et du sacrifice dans la lutte contre l'oppression.

L'ouvrage de Feraoun est non seulement un témoignage poignant de résistance, mais aussi un appel à l'action. Il incite les lecteurs à se questionner sur les inégalités et les injustices sociales qui persistent dans le monde contemporain et à se dresser contre elles. En décrivant les réalités de la vie en Algérie pendant la période coloniale, Feraoun invite les lecteurs à remettre en question les systèmes d'oppression et à se mobiliser pour un changement social positif.

Référence bibliographique

1. Charles, BONN, *La Littérature algérienne de langue française et ses* lectures. *Imaginaire et discours d'idées*, Ottawa, éd. Naaman, 1974.
2. Interview réalisée par Maurice Monnoyer, Paru dans *l'Effort algérien* du 27 février 1953.
3. Genette, G, *Figures III*, Seuil, Paris, 1969.
4. Mouloud Feraoun, *Le fis de pauvre*, Seuil. Paris, 1950.

[1] Genette, G, *Figures III*, éd. Seuil Coll. Poétique, 1969, p. 226
[2] Charles, BONN, *La Littérature algérienne de langue française et ses* lectures. *Imaginaire et discours d'idées*, Ottawa, éd. Naaman, 1974, p. 6.
[3] Mouloud Feraoun, *Le fis de pauvre*, 1950, p.100.
[4] *Ibid.*, p.154.
[5] *Ibid.*, p.177.
[6] Interview réalisée par Maurice Monnoyer, Paru dans *l'Effort algérien* du 27 février 1953
[7] Mouloud Feraoun, *op.cit.*, p.72.
[8] *Ibid.*, p.169.
[9] *Ibid.*, p.165.
[10] *Ibid.*, p. 115.
[11] *Ibid.*, p. 46.
[12] *Ibid.*, p. 40.

صورة الشهيد في ديوان الشهيد الرّبيع بوشامة.

The Image of the martyr in the Diwan of the martyr Rabie Bouchama

سعاد بوقطاية: دكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث والمعاصر

قسم اللغة العربية-جامعة الأمر عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة.

Sadqtayt@ gmail.com

ملخص:

ارتبطت صورة الشهيد في المخيال الجمعي بأسمى معاني البطولة والتضحية والفداء في سبيل الوطن، مما دفع بالعديد من الشعراء إلى تخليد ذكراه وتمجيد مآثره والتغني ببطولاته، من خلال تقديم صور رائعة له تزخر بالعطاء والوفاء والإخلاص.

ويعد الرّبيع بوشامة واحدا من الشعراء الذين قدسوا الشهادة في سبيل الوطن، إذ استحضر صورة الشهيد في الكثير من نصوصه الشعرية متناولا ملامحه الجسمية وصفاته المعنوية وحالاته النفسية، متخذا منه رمزا للوطنية والعروبة والإسلام.

الكلمات المفتاحية: الصورة، الشهيد، الشهادة، الربيع بوشامة.

Abstract:

The image of the martyr in the collective imagination was associated with the highest meanings of heroism, sacrifice, and redemption for the sake of the country, which prompted many poets to perpetuate his memory and glorify his heroism by providing wonderful pictures of him full of giving, loyalty, and sincerity.

Al-Rabie Bouchama is one of the poets who sanctified martyrdom for the sake of the homeland, as he evoked the image of the martyr in many of his poetic texts, addressing his physical features and qualities, his moral and psychological states, and taking it as a symbol of patriotism, Arabism, and Islam.

Keywords: image, martyr, martyrdom, AL Rabie Bouchama.

المقدمة:

يزخر الشعر الجزائري الحديث بنماذج شعرية استحضر فيها الشعراء شهداء الثورة التحريرية الكبرى، فخصّوهم بصور شعرية بديعة ولوحات وجدانية آسرة، تضمنت وصفا لملامحهم، وسردا لخصالهم وشمائلهم وتخليدا لسيرهم وانتصاراتهم، واستشعارا لخلجات نفوسهم وانفعالاتهم، فجاءت صورهم ثرة بالمعاني والمضامين القيمة، والأساليب والصور المتنوعة، التي ساهمت في كشف جوانب مهمة وخفية من التجارب الإنسانية لهؤلاء الأحرار.

ولقد كان الشاعر الشهيد" الربيع بوشامة" في طليعة الشعراء الذين التزموا بقضايا وطنهم، فصوّر مأساته وبرعوا في التعبير عن آمال شعبه، وبطولات شهدائه الذين أعطوا الإنسانية درسا في الشجاعة والتضحية ورباطة الجأش وقوة العزيمة والإصرار على النصر ونيل الحرية، فكان شعره تكريما لهم وشهادة عرفان واعتزاز بأمجادهم، وقوة فاعلة في صدور الثوار للسير قدما إما لنيل الحرية أو الارتقاء إلى جنات النعيم.

ونظرا لقيمة الشهيد في ترسيخ الحس الوطني ووفرتها في مدونة "الربيع بوشامة"، يحاول هذا المقال تسليط الضوء على تجليات صورة الشهيد في الشعر الجزائري الحديث من خلال ديوان الشهيد "الربيع بوشامة" –رحمه الله وطيب ثراه-.

1- معالم من حياة الشاعر الشهيد الرّبيع بوشامة ومسيرته الأدبية:

ولد الربيع بوشامة في ديسمبر 1916م، في قنزات في بني يعلى ولاية سطيف، دخل المدرسة القرآنية(الكتاب) والمدرسة الفرنسية، فحفظ القرآن الكريم في عمر الثانية عشر، تفرغ بعد ذلك لتحصيل العلم على يد مشايخ بلدته أمثال الشيخ "سعيد صالحي "و " الصديق بن عبد السلام"، ثم اشتغل بعد ذلك في التعليم رفقة شيخه "سعيد صالحي" في جامع البلدة.

وفي سنة 1937م، انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعد سنة فقط أوفدته الجمعية رفقة شيخه إلى فرنسا، لبث أفكارها في أوساط العمال الجزائريين هناك، وقبل أن يتم سنة عاد إلى مسقط رأسه ليلتحق بابن باديس في قسنطينة، وتتلمذ على يديه وسار على هداه، وفي

هذه الفترة أقام علاقات واسعة مع بعض القادة والمشايخ والعلماء، كـ"البشير الإبراهيمي"، و"العقيد اعميروش"، وكذا مختلف القيادات في الوطن العربي.

وفي سنة 1942م، اعتقل الربيع بوشامة بتهمة التحريض على الجهاد، ولما خرج سنة1946م إثر العفو العام توجه إلى العاصمة أين تعاطى التعليم في مدرسة "الهداية"، ثم حوّل إلى مدرسة" الثبات" بالحراش، وبعد سنوات من التعليم هناك انتدبته جمعية العلماء المسلمين مرة أخرى لتمثيلها في فرنسا (سنة 1956م)، حيث أصبح معتمدها، ولم يطل به المقام حتى عاد إلى الجزائر مديرا لمدرسة "الثبات" إلى غاية 1959م.

وفي 16جانفي 1959م، ألقي القبض عليه بتهمة تمزيق العلم الفرنسي، ونال من التعذيب الشيء الكثير حتى وجد مقتولا في إحدى ضواحي بودواو بالعاصمة، وقد نزل نبأ استشهاده كالصاعقة على سكان مدينة الحراش خاصة والجزائر عامة، رحم الله الشهيد وطيب ثراه[1].

يجمع معظم الباحثين على أن "الربيع بوشامة" هو أحد أركان الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر، إلا أن الدراسات حول تجربته الشعرية قليلة جدّا، إذ غالبا ما تتم الإشارة إليه فقط دون الاستشهاد بشعره، كما هو الحال عند صالح خرفي في كتابه "الشعر الجزائري الحديث" والربعي بن سلامة وآخرون في كتاب "موسوعة الشعر الجزائري"، وأبو القاسم سعد الله في كتابيه "تاريخ الجزائر الثقافي"، و"دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، وقد أشاد هذا الأخير بالشاعر وبشعره قائلا: <<كان الشاعر يحب مهنته وخدمة اللغة العربية والإسلام في الجزائر.. وطالما أشاد بوشامة بالعروبة والإسلام في شعره وأحاديثه بالإضافة إلى ذلك هناك موضوع الحرية والوطنية وأحداث الثامن مايو وقضايا فلسطين وليبيا ومصر...>>[2].

تجدر الإشارة إلى أن قصائد الشهيد قد جمعت في ديوان في السنوات الأخيرة فقط(1994م)، من طرف الباحث الجزائري جمال قنان، وحسب جامع الديوان فإن الشاعر وقبل اعتقاله جمع شعره في كراس وكتب عليه <<هذه مجموعة شعرية من نظم الربيع بن الصديق بوشامة أتقدم بها كأعز أثر وألطف تحية إلى أبناء العروبة...>>[3].

ولعل أهم ما ميز شعر الشهيد هو اتجاهه الوجداني ونزعته الوطنية والقومية، فتناول مواضيع ثورية مستوحاة من الواقع العربي ودعا إلى استنهاض الهمم، وحث على نيل الشهادة في سبيل تحرير الأوطان، فجاءت قصائده مشاهد تصويرية تشتعل بالحماسة والعاطفة الجياشة ملخصة معاني البطولة والتضحية والفداء.

2- مفهوم الصورة:

أ- **لغة:** وردت لفظة "صورة" ومشتقاتها في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفة، وفي أسماء الله الحسنى(المصوّر)الذي صور جميع الموجودات ورتّبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة متميزة يتميز بها على اختلافها وكثرتها[4].

ب- **اصطلاحا:** حظي مصطلح "الصورة" بقسط وافر من الدراسة والتحليل، وكرّست جهود كثيرة لتحديد ماهيته، ويجمع الكثيرون على أنّ << الصورة مصطلح حديث صيغ تحت وطأة التأثير بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها، فإن الاهتمام بالمشكلات التي يشير إليها المصطلح قديما، يرجع إلى بدايات الوعي بالخصائص النوعية للفن الأدبي>>[5]، وقد عرف هذا المصطلح اضطرابا في المفهوم وتعددا في الرؤى، أدى إلى ظهور تحديدات غير متناهية، نذكر منها القول بأنها<< تمثيل تصور ذهني معين له دلالاته وقيمته الشعورية>>[6]، في حين امتزجت دلالتها بين الحسي والجمالي المعنوي، فعرفها عبد الإله الصايغ بقوله: << تشكيل جمالي تستحضر فيه لغة الإبداع للهيئة الحسية أو الشعرية للأجسام أو المعاني لصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر وتجربته>>[7]، ومنهم من رأى أنها إضاءة لجوهر النفس، واستجابة للتجربة الشعورية، فهي << تتشكل من مجمل حدوس ومشاعر سبقية يكون المبدع قد اكتسبها من حافظة ذاكرة الضمير الجمعي، وفق معطيات تفاعل محصلة الخبرات وتعدد التجارب>>[8]، ومنهم من ذهب أبعد من ذلك ورأى أنها صورة جامعة لكل المحسوسات والملكات، حيث يقول: <<الصورة تعاون كل الحواس وكل الملكات>>[9].

لقد حاولنا الوقوف عند أهم دلالات هذا المصطلح- على كثرتها – عندنا النقاد المحدثين خاصة من عني بالصورة، ولعل الشيء الذي لابد من تأكيده هو زئبقية هذا المصطلح، إذ يتعذر

كثيرا الإلمام بماهيته، أو وضع تعريف قار وثابت له، مما جعل تعريفاته مجرد صياغات كثيرة لفكرة واحدة.

3- مفهوم الشهادة:

أ- **لغة:** جاء في لسان العرب: الشهادة خبر قاطع تقول منه: شهد الرجل على كذا...وأصل الشهادة: الإخبار بما شاهده. وقوله عز وجلّ: شهد الله أنه لا إله إلاّ هو، معناه: قضى الله أنه لا إله إلا هو.. وشهد الشاهد عند الحاكم أي بين ما يعلمه وأظهره...، والشهيد: المقتول في سبيل الله. والجمع شهداء. والاسم الشهادة. واستشهد قتل شهيدا وتشَّهد طلب الشهادة [10].

ب- **اصطلاحا:** لا يختلف المعنى الاصطلاحي للشهادة عن معناها اللغوي كثيرا، فهي تعني العلم والحضور والمعاينة، والإقرار، وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعاني بالإضافة إلى ورودها بمعنى الركن الأساسي في الإسلام، وهي شهادة ألاّ إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله، أما بمعنى القتل في سبيل الله، فإنها لم ترد في القرآن الكريم بهذا المعنى وإن اختلف في تفسير بعض آياتها، أما في السنة فقد وردت بمعنى المقتول في سبيل الله كما في حديث أبي هريرة عن الرسول على الله عليه وسلم قال: <<الشهداء خمسة: المطعون والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله>>[11].

4- تجليات صورة الشهيد في ديوان الشهيد الربيع بوشامة:

أولى "الربيع بوشامة" تيمة "الشهيد" اهتماما بالغا، إذ أفرد لها الكثير من القصائد والمقاطع الشعرية، وقد كان تعامله معها من زاويتين، الأولى شمولية حيث تحدث عن الشهيد دون أن يحدد مكانه وزمانه، مستذكرا بطولاته وكفاحه المرير في سبيل تحقيق الحرية ونيل الاستقلال، كما في قصائد" **رثاء شهيد**"، "**لمن الجسم عالقا بين الصخور؟**"، "**مبعث النور: خلود شهيد**"، " **سر على الدمع والدماء الغوالي**"، أما الزاوية الثانية فكانت خاصة، إذ خص حديثه عن شهداء معينين، كما في قصيدة" **حيٌّ في الأبطال**" التي أشاد فيها بالبطل الشهيد "اعميروش"، وقصيدتي " **إلى الله أخي** "و"**أيها الصقر المجلى في العلا** " اللتان رثى فيهما رفيقا دربه في الدعوة والإصلاح " عبد الملك فضلاء" و" الفوضيل الورتلاني"- رحمهما الله-، وقصيدة **" روح الوفاء"** التي رثى فيها رائد الحركة الإصلاحية الشيخ العلامة" عبد الحميد بن باديس"، واتسعت دائرة اهتمام الشاعر حيث خص

شهداء فلسطين بالرثاء والثناء، كما في قصيدة" **حيّ ذاك الصريع في الميدان** " التي أهداها إلى بطل "قسطل" " عبد القادر الحسيني " الذي قدم حياته فداء لوطنه وشعبه الأبيّ.

وفي كل قصيدة من هذه القصائد –وغيرها- رسم " الرّبيع بوشامة" صورا رائعة لشهداء الوطن والعروبة"، مصورا صفاتهم الحسية والمعنوية، مستجليا حالاتهم النفسية، معبرا عن ذلك بلغة شعرية تلامس القلوب وتحيي النفوس وتجعلنا ننحني فخراً وعزّاً وإجلالاً لروح هؤلاء الأحرار الذين تصدّوا للموت بإيمان صادق وإخلاص وافر في سبيل تحقيق شعوبهم الحرية والعيش بكرامة ونبذ كل أشكال الذل والهوان والاستعباد.

4-1- الصورة الحسية:

ترتكز الصورة الحسية على وصف المحسوسات والموجودات، وتمثل الانطلاقة الأساسية في كل وصف، إذ<< اقترن الوصف –منذ البداية- بالحرص على نقل جزئيات العالم الخارجي وتقديمها في صور أمينة تعكس المشهد وتحرص على تصوير المنظور الخارجي كل الحرص>>[12].

من الطبيعي أن ينبني التصوير الشعري على الصورة الحسية الوصفية، لأنها المادة الخام والمصدر الأول لكل تجربة، يؤكد ذلك صاحب" مسائل فلسفة الفن المعاصرة" بقوله: << إن كل أثر رائع من آثار الفن ليس إلا التعبير بلغة حسية عن معنى رفيع، وكلما كان المعنى ساميا يهم الفكر كان على الأثر الفني أن يهم الحواس>>[13].

إنّ الناظر في شعر "الربيع بوشامة" يجد ضربين من الوصف الحسي، وصف حسي خالص يركز فيه الشاعر على الصفات المادية للشهيد، وهو قليل جدا في الديوان مقارنة بالضرب الثاني، ونمثل له بهذه الأبيات من قصيدة" لمن الجسم عالقا بالصخور"، حيث صور فيه الشاعر ما تعرض له أحد شهداء الأطلس من تعذيب وتنكيل بجثته، وقد تم رميه بين الصخور، حيث يقول الشاعر:

لمن الجسم عالــقــا بالصخـــور في ذرى الأطلس الأبي الصبور
مذرجا في دمائه الحــرّ تجـــري مـن قروح فواحــة وكســور

بعضها في معارف الوجه والأطراف والبعض في الحشى المبتــور
قتلوه بالغدر أو العســـف صبـرا ثم ألقوا من حالق في الصخور[14]

نقل لنا الشاعر صورة حسية صادقة وصادمة، صوّر من خلالها جثة شهيد مضرجة بالدماء، مبتورة الأحشاء، مقطوعة الأطراف، تفوح منها رائحة العفن من جراء الجروح والكسور، وعلى الرغم من أن الشاعر قد وظف ألفاظا تقريرية من قبيل: الصخور- الدماء- قروح- كسور- الوجه- الأطراف، إلاّ أنه استطاع أن ينسج منها صورة موغلة في البشاعة والقتامة، استطاعت أن تنفذ إلى نفس المتلقي وتهزها من الأعماق، وتجعلها تستشعر حجم المعاناة التي كابدها الشهيد في سبيل استقلال وطنه وراحة أبناء جلدته.

وقد أبان الشاعر – في هذا المقطع- عن قدرة فنية على تقديم الصور الحسية من خلال توظيف مثيرات حسية كالألوان والحركات والرائحة، فتوظيفه للألفاظ: مذرجا (مضرجا)، وفوّاحة، وكذا الفعلين ألقوه - علقوه، قد ساهم في توضيح الصورة بشكل كبير وكذا إثارة انفعالات ومشاعر القارئ، حيث أبانت الصورة عن مدى وحشية المستعمر الغاشم وانعدام إنسانيته والتي قابلها الشهيد بصبر يفوق الجبال ثباتا، وهنا تكمن أهميتها<< إذ تنبع أهمية الصورة من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى، وتأثيرها في المتلقي>>[15].

أما الضرب الثاني من الوصف الحسي، فهو ذلك الوصف المفعم بالحركة النابض بالحياة، إذ استطاع الشاعر من خلاله أن يخلق صورا حسية تشع بمعان يمكننا أن نستشعرها دون أن يصورها، فهو ينقلنا في لمح البصر من مجال المحسوسات إلى مجال المعنويات عن طريق تمثيل المعاني وتصويرها فالشاعر<< وإن كان يبدأ من الواقع المادي المحسوس ليستمد منه معظم عناصر صوره الشعرية، فإنه لا ينقل هذا الواقع نقلا حرفيا، وإنما يبدأ منه ليتخطاه ويتجاوزه، ويحوله إلى "واقع شعري">>[16]، كما في هذه الأبيات التي بعنوان" حيّ البطولة" حيث يقول:

حيّ البطولة في حضـن الدم القاني و ابك الدموع... ذوب وجـدان
هذا ابنك في ساح الجـــهاد قضى هذا على الحمى ممدود جثمان
هذا الذي قد تقاه الظلم من زمن وعاش نهب العوادي جد حران

تقاذفته النوى في كل متـــــجه وصدعنه ذوو قربى وإحســـان
و اليوم إذا طويت أيامــه ومضــى قد عاد للأهل في نعش وأكفان[17].

تضعنا هذه الأبيات أمام مشهد مباشر محسوس تمثل في صورة الشهيد وقد قضى نحبه في ساحة الشرف، وجسمه الطاهر ممدود على الأرض بين أهله وأقربائه، لكن المتأمل لهذه الأبيات يقف على تقاطع واضح بين ما هو حسي وبين ما هو معنوي، إذ لم يبق الشاعر رهين الواقع المادي الملموس بل تجاوزه إلى ما يبعثه من ظلال معنوية صاحبت هذا الواقع، فهذا المشهد قد جعلنا نستشعر معنى البطولة الحقيقية التي تعدّ الشهادة أسمى وجوهها، إلى جانب ما تحمله الشهيد من العذاب، والصبر على فراق الأحباب، وتحمل ظلم الأصدقاء قبل الأعداء، فالشهادة -إذا- ماهي إلا محطة أخيرة من محطات البطولة التي لازمت الشهيد طوال حياته، ولعل خيال الشاعر وحسه الوجداني هما اللذان قاداه إلى إنتاج هذه الصورة المتكاملة، << فالخيال الشعري يوحّد بين "المادي الحسي" و"الفكري المعنوي"، ويذيب الحدود المصطنعة بينهما، فيتناغم الحس والفكر دون أن يفصله أو يتميز عنه >>[18].

4-2- الصورة الرمزية:

تعدّ الصورة الرمزية إحدى الوسائل التي يلجأ إليها الشاعر قصد إحداث المتعة الفنية، وهي تسعى إلى الإيحاء وعدم المباشرة، وتقوم على التلميح بدل التصريح، وتكمن أهميتها فيما تكتنزه من دلالات مكثفة وإيحاءات خفية تجعل منها أكثر وأبلغ من الحقيقة المادية، فهي وسيلة الشاعر في التصوير ذلك أن << الفن تصوير ووسيلتنا في هذا التصوير هي قوى الشاعر الإيحائية واستغلال هذه القوى إلى أبعد مدى سواء أكان الإيحاء بالحدث أو بالأسطورة أو بالشخصية أو باللغة المجازية >>[19].

يزخر ديوان "الربيع بوشامة" بالعديد من الصور الرمزية التي تنفتح على العديد من الدلالات المباشرة وغير المباشرة والتي ترتبط غالبا بالوطن والثورة والشهداء، ونلمس ذلك في عديد القصائد التي صورة الشهيد سواء تصويرا حسيا أو معنويا، فإن كانت الصور الحسية قد جسدت مأساة الشهيد وما تعرض له جسده الشريف من تعذيب وتنكيل فإن الصورة الرمزية قد أبانت

عن معاني رائعة عن التضحية والبطولة ومواجهة الظلم والقهر وحب الموت ومجالدة الحياة، ويمكننا أن نمثل بذلك بهذه الأبيات التي يرثى الشهيد الفلسطيني "عبد القادر الحسيني"، حيث يقول الشاعر:

حيّ ذاك الصريع في الميـــدان باسم الثغر هـادئ الوجـــدان
يرفـــع الطرف للسماء شكورا نعمة الموت عن حمى الأوطـــان
والدماء الحمراء تدفق نـــورا وحياة مشبوبة الألـــــــــوان
تبعث الروح في البلاد تذكـى سرّ مجد في الشيب والشبـــان
واطلب مثله الشهـــادة دأبـا واستمت غير حائر أو جبـــان
وامقت الدمع والتحـزن مقتا وادرع بالثبـات والإيمـــــان[20]

صور الشاعر في هذه الأبيات شخصية إنسانية تمتلك من الصفات ما تأهلها لأن تكون رمزا للتضحية والشجاعة، إذ استطاع بما يمتلكه من إمكانات لغوية ومفردات وصور أن يبرز ملامح الشجاعة والفداء والثقة بالنفس التي تجلت في شخصية هذا الشهيد البطل، وأن يجسدها تجسيدا حسيا، فأنت تقرأ قوله: "باسم الثغر هادئ الوجدان" تحس نفسك أمام إنسان لا يبالي بالمخاطر واثق من نفسه كل الثقة، لا يجد الخوف إلى قلبه سبيلا، كيف لا وهو يفزع إلى الله في علاه شاكرا إياه على ما منى به عليه من نعمة الشهادة في سبيله، ولا غرابة أن تكون هذه الصورة قريبة من الحقيقة فعادة ما << يمتزج الرمز في الصورة الشعرية بالحقيقة حتى أننا لا نعرف في كثير من الحالات ما هو رمز وما هو حقيقة>>[21].

ومضى الشاعر في تصوير شجاعة وبسالة الشهيد "عبد القادر الحسيني" بإضافة صورة رائعة استطاعت أن تمنح القارئ إيحاءات غير محدودة، فجعل دماء الشهيد الحمراء تتدفق نورا، هذا النور الذي بدوره انبعثت منه ألوانا زاهية أعادت للشهيد روحه ومنحته سرّ الحياة والمجد، والمتأمل لتفاصيل هذه الصورة المتشابكة والمتنامية يدرك أنها توحي بالحياة الأبدية التي سوف يحياها الشاعر في دار الخلود، ولا أدلّ على ذلك من دعوة الشاعر القارئ إلى السير على خطى الشهيد لنيل الشهادة بشجاعة وثبات وإيمان راسخ، لأن موته حياة لوطنه.

الصورة النفسية:

ترتكز الصورة النفسية على نقل الإحساس النفسي الداخلي تجاه تجربة من التجارب الحياتية، وتكتسي الصورة النفسية أهمية كبيرة في الشعر، إذ ليست<< الصورة في الشعر إلاّ تعبيرا عن حالة نفسية معينة يعانيها الشاعر إزاء موقف معين من مواقف الحياة>>[22]، وبذلك تكون الصورة النفسية الوعاء الحامل لمختلف الانفعالات والأحاسيس، إذ لا يكتفي الشاعر بتصوير الوقائع المادية أو الإيحاء إليها، بل يضيف إلى ذلك ما تختزنه هذه الوقائع من شحنات عاطفية تظهر على السطح من حين إلى آخر، << فالشاعر يستغل في الإيحاء بأبعاد هذا العالم الداخلي الشعوري معطيات العالم الخارجي المحسوس، فإنه لا ينبغي أن يقف عند هذه المعطيات الحسية مكتفيا بتسجيل التشابهات المحسوسة بينها، وإنما لابد أن يحول هذه المعطيات إلى أدوات للإيحاء بواقعه النفسي الخاص>>[23]، فغالبا ما يركز الشاعر على الوظيفة الانفعالية فيجعل غايته أن ينفذ إلى كيان القارئ ويهز وجدانه من الداخل، بدل من توضيح موقف أو نقل فكرة أو وصف منظر، وبذلك تكون الصورة<< تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع>>[24].

ركز " الربيع بوشامة" كثيرا في أشعاره على نقل انفعالات الشهيد وأحاسيسه وهو يواجه الموت بخطى ثابتة، يزعزعه الخوف والقهر تارة ويحذوه الأمل في حياة الخلد في جنات النعيم تارة أخرى، وقد اجتمع هذين الإحساسين في عدة مواضع من قصائد الشاعر، منها هذه القصيدة التي بعنوان" سر على الدمع والدماء الغوالي"، حيث يقول الشاعر:

سرْعلى الدَّمع والدّماء الغوالي يا شهيـداً في ذمَّة المُتعـَـالي
وامتط النّورَللسّموات تحذُو ك أغـاني الرضى وروحُ الجـلال
ويهنيك- في المعـَـارج- أمـْلا ك السَّمابالمنى وخيـر المنـال

***

مهدر الـدّم والحيـاة تواريـت شهابا في الصـخروالأدغـال
وغبت قبل الأوان مهضوم حـق مستبـاحا محطـم الآمـال

و انزوى جسمك النبيل عبيــطا في ربيع الصبا وفجر الكمــال
لم تمتع نفسا وقلبا ولم تشــف غليــلا من صبــوة وجمــال[25]

القارئ لهذه الأبيات التي رثى فيها الشاعر شهداء الثامن مايو يدرك أن وسيلة الشاعر لنقل تجربته الشعرية هي الصورة النفسية، إذ لم يركز الشاعر على استرجاع أحداث الثامن مايو، بقدر ما ركز على تداعياتها الوجدانية وآثارها النفسية، فالصورة هنا << لا تقدم لنا المحسوسات رغبة في استحضار صورتها وهيئتها الشكلية وإنما تقدمها بعد أن ارتبطت بمعنى نفسي خاص >>[26].

ونلمس وجود شحنتين عاطفيتين متضادتين ومتصارعتين اختلجتا دواخل الشهيد الذي واجه الموت في الدنيا ليحيا في الآخرة، وصارع الخوف لينال الأمان، وتحمل الضنك، لينعم بالراحة، فشهادته قد بعثت في قلبه وفي قلب الشاعر وفي قلب القارئ أيضا انفعالا مزدوجا <<فالأمر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء وقد يقبضها بالكآبة والخوف>>[27].

لقد جسدت هذه الصورة نفسية الشهيد وماعاناه قبل استشهاده فقد أهدر دمه جوراً، وهضم حقه بهتاناً، واستبيح جسمه النبيل ظلماً، فلا تمتعت نفسه الزكية بجمال، ولا تنعم قلبه الطاهر بحب، وإنّما عاش كئيباً كاسفاً محطم الآمال، كما جسدت هذه الصورة الشعرية حياته بعد موته، فوقفت عند النعيم الذي ينتظره بعد أن تحول الحزن فرحا، وعاد السخط رضى، وصارت الدموع أغاني، والتعازي تهاني، واعتلت روح الشهيد المعارج، وامتطت النور إلى السموات العلا يملأها الرضا فرحا وسرورا.

الصورة الشعرية:

تعتبر الصورة الشعرية جوهر القصيدة وعماد بنائها، من حيث أن << الشعر بناء تصوري بلغة انفعالية، تلونها دفقة الشعور، ضمن علاقات داخلية، تفرز صورا موحية لما ينبغي أن يكون عليه الواقع>>[28].

فالصورة الشعرية-إذا- تتشكل من مجموع الأفكار والمعطيات المستمدة من الواقع المحيط بالشاعر، ومن الانفعالات الكامنة في أعماق مشاعره، فيعيد صياغتها وفق رؤيته الفنية، ووفق ما

ينسجه خياله الخصب من صور رمزية قائمة على التركيز والتكثيف، وبذلك تكون الصورة الشعرية << طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير>>[29].

استعان "الربيع بوشامة" في رسم صوره الشعرية على نمطين بلاغيين هما التشبيه والإستعارة، باعتبارهما أهم الأدوات الفنية التي تسهم في توضيح الفكرة، وتشخيص المعنى، وتقريب الرؤية، ولا يمكن أن تقتصر الصورة الشعرية على هذين العنصرين فقط-وإن كانا الأهم- ذلك أن << الصورة الشعرية تعد أوسع نطاقا وأخصب من مجرد التشبيه أو الاستعارة وإن أفادت منهما. فليس بين الصورة إذن وبين التشبيه أو الاستعارة فجوة، فقد يصل التشبيه أو تصل الاستعارة في بعض الأحيان إلى درجة من الخصب والامتلاء والعمق إلى جانب الأصالة والابتداع بحيث تمثل لصورة وتؤدي دورها. غير أن الصورة وإن تمثلت في التشبيه الخصب والاستعارة الذكية ماتزال لها وسائل أخرى تتحقق بها ومن خلالها>>[30]، ويمكننا أن نمثل بقول الشاعر في رثاء " عبد الحميد بن باديس":

ذاك ابن باديس في علياء عزته يبدو شهابا كريم الفيض زهارا
ألقى بجسم سعى في كل صالحة حتى خبا فاستوى بالأرض آثارا[31]

نحن أمام صورة شعرية تبدو من الوهلة الأولى بسيطة مألوفة، إذ شبه الشاعر "ابن باديس " في علو مقامه وسمو قدره بشهاب فائض الأنوار، فالتشبيه هنا قد اقتصرت وظيفته على توضيح الغاية التصورية التي بعثت في نفوسنا فيضا من معاني التعظيم والإجلال لشخصية العلامة "ابن باديس" وحركت مشاعر الفخر والاعتزاز بشخصه، ولكن الصورة الشعرية قد أبانت عن نفسها في البيت الثاني حين بناها على المفارقة فإذا كان الشهاب إلاّ أنه يخبو دون أثر، ولكن "ابن باديس" عندما خبا وانطفئ نوره كان قد ترك أثرا مازالت أعماله الصالحة شاهدة على رفعة منزلته.

نجد صورة شعرية أخرى قائمة على التشبيه التمثيلي والاستعارة والكناية، في رثاء الشاعر شهيد العلم "بن أحمد بن عبد الحميد" التلميذ بجمعية العلماء المسلمين، الذي استشهد وهو في ربيع العمر داخل معهد الجمعية، إذ قال فيه الشاعر:

يا له وردا ذوى في روضـــــة أنق الطلعة لدنا أخضـــرا
تتهادى الريـــح من أنفاســه نسماتمشربـــات عنبـرا
سدد الدّهـــــر إليه طعـــنة من يدي طالع نحس أعسرا
فارتمى حينـــا على أور اقـه يتلقى –ملهبا- فـــوق الثرى
ثم سار الروح يرقى في السما مودعا جثمانه دنيا الكـــرى[32]

نحن أمام صورة شعرية متكاملة، نابعة من عمق وجدان الشاعر لدرجة أنه جعلنا نستشعر أنه يعبر عن واقعة حسية في حين كان يبني صورة فنية، فالشاعر هنا يرثي شهيد العلم، الذي سقط وهو في عمر الزهور، سقط وهو يطلب العلم في روض "ابن باديس"، فهذا هو الواقع الذي عاينه الشاعر، ولكن مفرداته وعباراته التي استخدمها في التعبير عن هذا الواقع عمقت معرفتنا به، وشحنت الصورة بمجموعة من الدلالات والايحاءات التي يمكن أن نستشفها من خلال الوقوف عند كل صورة جزئية، فالتشبيه التمثيلي المتضمن تشبيه صورة بصورة فقد قابل بين صورة التلميذ الصغير بمعهد جمعية العلماء المسلمين الذي طالته يد مجرم فأردته شهيدا، وبين صورة الورد المزهر داخل الروض الذي طالته يد مفسد فأردته يباباً، في إحالة منه إلى غدر وظلم المستعمر الغاشم الذي لم يترك صغيرا ولا كبيرا، رجلا ولا امرأة، أما الاستعارة ففي قوله "سدد الدهر إليه طعنة "، إذ شبه الدهر بالإنسان الغدار حذف المشبه به الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه الفعل "سدد" على سبيل الاستعارة المكنية، في محاولة لتشخيص المعنى وتقريبه من ذهن القارئ، أما الكناية فتمثلت في قوله"من يدي طالع نحس أعسرا "، وهي كناية عن موصوف، عن المستعمر الذي اشتمل على جميع صفات القبح فهو يفتقد للإنسانية، ويمارس الظلم والاستبداد على الضعفاء دون رحمة أو شفقة.

إن هذه الصور الشعرية التي درسناها قد ولدت في نفوسنا هذه المعاني، وربما تولد في نفوس غيرنا معاني أخرى، فهي قد جاءت أكثر خصبا وأكثر ايحاء، وهذه هي ميزة الصورة الخصبة الثرة، إذ أنها << تستطيع أن تشع في كل اتجاه، وأن تسمح لك باستكناه المزيد من المعاني كلما أوغلتَ معها بحسك إنها صورة معطاء، تكشف عن الجديد دائما>>[33].

الخاتمة:

لقد أدرك " الربيع بوشامة" قيمة السلاح الذي يمتلكه وهو "الكلمة"، فساهم بها في معركة المصير، إيمانا منه بأن مصيره مرهون بمصير وطنه، فظل يخلد بطولات شعبه، ويمجد انتصارات أبطاله، ويرثي شهداءه، بالكلمة الحرة النزيهة الواعية، التي كانت سهاما ضاربة في قلوب الأعداء، ودرعا واقية لصدور الأحرار، كما استطاع بهذه الكلمة أن يرسم صورا رائعة كان الشهيد محور بنائها ملخصا بذلك أسمى معاني البطولة والتضحية في سبيل نيل الحرية والكرامة، ومازالت كلمات الشاعر الشهيد يتردد صداها وتتجدد مع كل حدث يلم بالوطن أو محنة تعصف به، فتزيد أبناء هذا الوطن صحوة وتماسكا وصلابة.

قائمة المصادروالمراجع:

1- الربيع بوشامة: الديوان، جمع وتقديم جمال قنان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة-الجزائر، دط، 2010م.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ج10، ط3، 2007م.

3- جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط6، 1997م، مادة (صور)..

4- جابر عصفور: الصورة الفنية(في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992م.

5- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط3، دت.

6- بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط 1، 1994م.

7- عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعرالعربي، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، دط، دت.

8- ج.م جويو: مسائل فلسفة الفن المعاصرة، تر: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت.

9- عادل جاسم صالح المسبحي: الشهيد في السنة النبوية، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط1، 2008م.

10- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، ط4، 2002م.

11- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979م.

الهوامش:

[1]- ينظر، الربيع بوشامة: الديوان، جمع وتقديم جمال قنان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة-الجزائر، دط، 2010م،ص(5-32).

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،ج10،ط3، 2007م،ص 529.

[3]- الربيع بو شامة: الديوان ، ص 34.

[4]- ينظر : جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور : لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان، ط6 ،1997م ،مادة (صور)، ص114.

[5]- جابر عصفور: الصورة الفنية(في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط3، 1992م ،ص11.

[6]- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر،ط3،دت،ص132.

[7]- بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان،ط 1،1994م ،ص38.

[8]- عبد القادر فيدوح : الاتجاه النفسي في نقد الشعرالعربي، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، دط، دت، ص368.

[9]- ج.م جويو: مسائل فلسفة الفن المعاصرة، تر: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، مصر،دط،دت، ص73.

[10]- ابن منظور : لسان العرب، مادة (شهد) ،ج3، ص(239-242) .

[11]- عادل جاسم صالح المسبحي: الشهيد في السنة النبوية، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط1، 2008م، ص42.

[12]- جابر عصفور: الصورة الفنية(في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)،ص323.

[13]- ج.م جويو: مسائل فلسفة الفن المعاصرة،ص73.

[14]- الربيع بوشامة: الديوان، ص 57.

[15]- جابر عصفور: الصورة الفنية(في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)،ص 328.

[16]- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير،ط4 ،2002م ،ص75.

[17]- الربيع بوشامة: الديوان ، ص75.

[18]- جابر عصفور: الصورة الفنية ، ص343.

[19]- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979م،ص 116.

[20]- الربيع بوشامة: الديوان ، ص63.

[21]- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، ص140.

[22]- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص108.

[23]- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة،ص90.

[24]- عز الدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر، ص127.

[25]- الربيع بوشامة: الديوان ، ص 59.

[26]- بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث،ص86.

[27]- عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص 38.

[28]- المرجع السابق، ص368.

[29]- جابر عصفور: الصورة الفنية،ص323.

[30]- عز الدين اسماعيل : الشعر العربي المعاصر، ص143.

[31]- الربيع بوشامة: الديوان ، ص 123.

[32]- المصدر نفسه، ص 99.

[33]- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص 148.

"شاعر الثورة بين الالتزام والفن"

الشاعر الشهيد الربيع بوشامة أنموذجا

"The poet of the revolution between commitment and art"

The martyr poet Rabie Bouchama is a model

سميرة دين أستاذة محاضرة – أ -

قسم اللغة والأدب العربي – جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف (الجزائر).

s.dine@univ-eltarf.dz

ملخص:

لما أضحت الكلمة جهاد وصرخة مسموعة لها صدى بلغت به شأوا عاليا تواقة إلى نيل الحرية تعالت الأصوات الثورية التي ناضلت بالقلم والسلاح فكان لهم شرف الاستشهاد في سبيل الوطن فكان أبناء الجزائر ملزمين بقضية الوطن وشد الهمم، لذلك ارتأيت أن أتناول واحدا من أولئك الشعراء الذين رووا بدمائهم وحسهم الثورة وهو الشاعر الشهيد الربيع بوشامة؛ بطل خدم الوطن بكل ما يملك من عنف المقاومة استوطن الجبال، تعرف على قمم الشهداء. فكان له ديوان شعر تتحرك فيه شاعرية الشهيد، بل تتفجر لتتأثر لغته أولا بالجهاد وثانيا احساسه الرهيب مع قسوة ما كانت تعانيه الجزائر باعتباره شاعرا ناطقا باسم شعبه التزم بقضية الوطن، فكانت كلماته تنبض بالحياء والالتزام؛ ملزما بوطنه وقضية شعبه.

الكلمات المفتاحية: الشهيد، الثورة، الالتزام، الفن، الربيع بوشامة.

:Abstract

When the word became jihad and an audible cry with an echo that reached a high level of desire to achieve freedom, the revolutionary voices that struggled with pen and weapon rose, and they had the honor of being martyred for the sake of the homeland. With their blood and their sense of revolution, he is the martyr poet Rabih Bouchama; A hero who served the nation with all his violence of resistance. He settled in the mountains and recognized the peaks of the martyrs. He had a collection of poetry in which the poeticism of the martyr was stirred, and even exploded, so that his language was influenced, firstly, by jihad, and secondly, by his terrible feeling for the cruelty of what Algeria was suffering. As a poet speaking on behalf of his people, he was committed to the cause of the homeland, so his

words were vibrant with modesty and commitment. Committed to his country and the cause of his people.

key words: Martyr, revolution, commitment, art, Rabie Bouchama

تنشق الأدب الجزائري من هوّل الثورة، ومن حقد الاستعمار وطغيانه ليكون الزفير مدّويا في سماء الشعر والأدب لتكون الكلمة صخبا في آذان فناني الاحتلال والتعذيب، فتألق أولئك الذين حملوا القلم سلاحا بمثابة المرآة العاكسة لنضالات الشعب الجزائري أصبحت وظلت ودامت القضية الجزائرية قضية دولية بفضل ما ساهم به بعض الأدباء من أدب عرف من خلاله عمق النضال، براعة الأبطال، رزانة قائديه، بطولات شعب نساء ورجال، لن ولا يختلف اثنان على أن علاقة الأدب الجزائري بالثورة الجزائرية لا تحتاج لتأكيد فالكاتب فرد حساس امتزجت روحه بنبض أولئك الذين قدموا النفس والنفيس، بأرض ارتوت من دم الشهداء لتحرك أفئدة الأدباء من أجل مواصلة الجهاد لحرية أسمى من أن تقايض أو تهان.

ولما أضحى الشعر الجزائري نوعا من أسلحة الجهاد، خاصة وأن الكلمة جهاد وصرخة مسموعة لها صدى بلغت به شأوا عاليا تواقة إلى نيل الحرية والاستقلال تعالت الأصوات الثورية التي ناضلت بالقلم والسلاح فكان لهم شرف الاستشهاد في سبيل الوطن. فكان أبناء الجزائر ملزمين بقضية الوطن وشد الهمم، لذلك ارتأيت أن أتناول واحدا من أولئك الشعراء الذين رووا بدمائهم وحسهم الثورة وهو الشاعر الشهيد الربيع بوشامة ؛ بطل خدم الوطن بكل ما يملك من عنف المقاومة استوطن الجبال، تعرف على قمم الشهداء. فكان له ديوان شعر تتحرك فيه شاعرية الشهيد، بل تتفجر لتتأثر لغته أولا بمشاركته الفعلية في مجال الجهاد، وثانيا تجاوب احساسه الرهيب مع قضايا الأمة العربية وقسوة ما كانت تعانيه الجزائر باعتباره شاعرا ناطقا باسم شعبه، التزم بقضية الثورة والوطن والحرية، فكانت كلماته تنبض بالحياء والالتزام ؛ ملزما بوطنه وقضية شعبه.، فتظهر تجليات الالتزام بقضية الوطن في شعره، باعتباره الكيان المقدس – عقيدة راسخة حب الوطن من الإيمان – يحي في سبيله ويضحي بكل غال لأجله لذلك كان اختياري لهذه المداخلة بعنوان "شاعر الثورة بين الالتزام والفن" نرحل وشعره حيث الوطنية، الثورة، الانتماء، الجزائر علنا نصل إلى إبراز درجة الالتزام ومكانة الجزائر في قلوب واحد من أبنائها.

- فهل مهد شعر أولئك الشهداء للثورة أم لا ؟هل ساير الثورة، كيف عايشها، وهل يمكن أن نعتبر- النص الأدبي- وثيقة تاريخية؟
- ما مدى قدرة الشعراء على خلق لغة فنية خاصة بهم تحمل أحاسيسهم وتعبر عن أفكارهم الثائرة ووطنيتهم، والتزامهم بقضايا الوطن، وكيف تجلى ذلك في شعرهم؟
- هل الالتزام عرقل سير الفن أم أن الكاتب أو الشاعر جمع بين الالتزام والفن؟

ماهية الالتزام:

الالتزام هو مشاركة الشاعر أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك إلى حد إنكار الذات في سبيل ما التزم به الشاعر أو الأديب: " ويقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا واستعدادا من المفكر لأن يحافظ على التزامه دائما ويتحمل كامل التبعة التي يترتب على هذا الالتزام ".([1])

وفي التعريف اللغوي لكلمة الالتزام نجد: "ولزم الشيء: ثبت ودام، لزم بيته لم يفارقه، لزم بالشيء: تعلق به ولم يفارقه، التزمه:، التزم الشيء: لزمه من غير أن يفارقه، التزم العمل والمال: أوجبه على نفسه"([2]) و" الالتزام كما ورد في معجم مصطلحات الأدب: " هو اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان، لا مجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال "([3]) وقد جاء في الآية الكريمة: " وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها" ([4]) وفكرة الالتزام استطاعت أن تفرض نفسها بمنتهى القوة في الساحة العربية ابتداء من أواسط الخمسينات قبل أن يكون المنبع الرئيسي لهذه الفكرة هو كتاب سارتر (ما الأدب ؟) يصرح :" نحن نؤمن بأن الأدب نشاط فكري يستهدف غاية عظيمة: هي غاية الأدب الفعال الذي يتمادى ويتعاطى مع المجتمع إذ يؤثر فيه بقدر ما يتأثر به "([5])

فيشير سارتر إلى الدور الكبير الذي يلعبه الأديب في مصير المجتمعات فالأدب مسؤول عن الحرية وعن الاستعمار، وعن التطور، وكذلك عن التخلف.

فالأديب ابن بيئته، والناطق باسمها، وكلمته سلاحه، فعليه تحديد الهدف جيدا وتصويبها عليه بدقة، وهنا يبرز هدف الالتزام في جدة الكشف عن الواقع، ومحاولة تغييره بما يتطابق مع الخير والحق والعدل عن طريق الكلمة التي تسري بين الناس.

والالتزام في الأدب حياة، فقد ذكر الدكتور عزالدين اسماعيل: " إن الأديب لا يستطيع أن يعيش بعيدا عن قضايا شعبه بل يجب أن يساهم برؤيته الشعرية العميقة في إيجاد الحلول المناسبة لها وتغيير الواقع "([6])

يمكن القول: أن الالتزام في الشعر العربي هو أن يسخر الشاعر شعره وموهبته في خدمة قضيته الرئيسية في التحرر والانعتاق من ربقة الاحتلال، كيف لا ؟ وهذا الإنسان قدم نفسه قربانا للحرية، قدم الغالي والنفيس من مال أو سلاح أو طعام ونحو ذلك، بل ترى الشعب كله يتجاوب مع هذه الثورة أو تلك بطريقة أو أخرى بغية الخلاص من الاحتلال الذي جثم على صدر هذه الأمة أو تلك زمنا قليلا أو أكثر. فلماذا لا يشارك الشاعر شعبه آماله وطموحاته في الحرية والاستقلال لماذا يبقى متفرجا على ما يجري حوله من أحداث جسام تكتب تاريخ الأمة الجزائرية بحروف من نار ونور، وهو الإنسان المرهف في الشعور والاحساس بآلام شعبه وعذابات مجتمعه وكرامة أبنائه، فيلهب شعره الكبير والصغير، الرجل والمرأة، الشيخ والشاب على السواء في مشارق الأرض ومغاربها. فنتمعن ونتعمق في الربيع بوشامة كيف عايش التجربة.

نبذة عن حياة الشاعر:

ولد الشاعر الربيع بوشامة في ولاية سطيف ؛ الأرض التي انهارت لمأساة الثامن ماي دمعا وجراحا وشهداء، وبالتحديد في قرية قنزات ببني يعلي دائرة بوقاعة " في شهر سبتمبر 1916م، وكان المولود الثاني من بين خمسة إخوة طفلين وثلاث بنات، واشتهر في طفولته بالهدوء والوداعة "([7])،هذه الأرض سطيف التي احتضنت الربيع وليدا وشابا وشهيدا.

تلقى أوليات القراءة بمسقط رأسه وتعلم القرآن وحفظه في سن الثانية عشرة ([8])أخذ العلم والنحو والتجويد والقراءات على يد شيوخ؛ العياشي مزغيش، سعيد صالحي، علي الزموري، السعيد بن عمر،...([9])،إضافة إلى ذلك كان الشاعر يتردد على المدرسة الفرنسية فأكمل دراسته

([10]) بها ليصبح من مزدوجي الثقافة، شارك في بث الحركة الإصلاحية التي نمت فيه الروح النهضوية والوطنية. تميز وأثبت وجوده، " أصبح عضوا في جمعية العلماء المسلمين، وأسس مع نخبة من شباب بلدته ناديا للشباب " ([11])، انتقل الربيع بوشامة إلى مدينة قسنطينة أين كان له لقاء مع الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي تأثر به بالغ التأثر رأى فيه الروح الوطنية – خدمة الوطن – حرص على أن لا يخرج عن نهج الإمام وتعاليمه رغم قساوة الظروف ([12]) غير أن رحيل الشيخ حال دون ذلك، سنة 1942 انتقل إلى مدينة خراطة، وأصبح معلما بمدرستها، ساهم في نشاط حركة التعليم، نهض بالنشاط الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين موسعا حلقة التواصل والتآخي بين أبناء الجزائر ([13]) المتفرقين، نظرا للذي كانوا يتركونه في أوساط الجالية الجزائرية ولفكرهم وحسهم الثوري والإصلاحي. كانت مسيرته علمية إصلاحية مميزة تظهر عن رجل مثقف وطني ومصلح، أما عن حياته النضالية ؛ فإنها " تندرج في سجل أعمال المليون ونصف المليون شهيدا وأعمال مئات الآلاف من المناضلين الذين كتبت لهم الحياة تحت علم الاستقلال وضمن جهود شعب تشبث بحقه في العيش كريما على أرض آبائه وأجداده "([14])، بدأت اتصالات الشاعر بجيش التحرير في الشهور الأولى من اندلاع الثورة، انتقل بين العاصمة وبعض المدن الشرقية، أين اجتمع بالعقيد عميروش وبعض المناضلين

كان على قناعة وإيمان بحرية الجزائر وشرعيتها ورغم الظروف الصعبة الاستعمارية التي كان تعيشها الجزائر، فإنه فضل البقاء والموت بعزة، "في بداية جانفي 1959 بدأ الوضع يتأزم، فقد قامت السلطات الاستعمارية بتفكيك الشبكات الاتصالية، وفي صبيحة السادس عشر جانفي من السنة نفسها 1959ألقي عليه القبض ثم أطلق صراحه بعدها بساعات، في الليلة ذاتها اقتحم منزله – الربيع – وأخذت معه أوراقه وبعد ستة أيام أعيد إلى المنزل في حالة مؤلمة كأنه هيكل عظمي، فقدت أمه البصر لهول ما رأت عيناها، غير أن السلطات الاستعمارية لم تتركه لشأنه، أخذته مرة أخرى، لكن رحيله هذه المرة لم يكن كسابقتها ؛ لأنه لم يتمكن أحد من أهله من رؤيته أو معرفة حتى عنوان السجن ([15])

"لقد شاء القدر – شاعرنا- أن يخوض حرب التحرير جنديا محاربا ورجلا يملك فكرا واعيا وحبا لهذه الأرض لذا جاء صوته النضالي معبرا عن ثورته وإيمانا بقضيته "([16])

ظروف استشهاده:

بعد أن نقل الشاعر إلى حيث لا يعرف له مقر، بقي سجينا لدى السلطات الاستعمارية، إلى أن نقلت وسائل إعلامها نبأ استشهاده في الرابع عشر من شهر ماي 1959، وأرجعت السبب إلى اشتباك مسلح وقع بين قواتها وقوات جيش التحرير وعملت على إشاعة الخبر بمكبرات الصوت في مدينة سطيف ومراكز الاعتقال بالمنطقة للنيّل من معنويات الشعب الجزائري ([17])، فلا شك أن شهادته عنوانا للتحدي والصمود والثورة والحرية والاستقلال، رسم صورة لالتزامه بالثورة والمقاومة الباسلة للشعب الجزائري تظهر في أشعاره الوطنية، الثورية والاصلاحية والاجتماعية ([*]) من الحنين والأنين والشكوى.

شاعريته:

رفض الذل والهوان والاستعمار والاستعباد، باحثا عن الحرية والاستقلال، باعتباره شاعرا ناطقا باسم شعبه ملتزما بقضاياه، خاصة وأن –المعروف- مهمة الشاعر أن يلتزم بقضايا وطنه، شعبه المصور لواقعه، فكان شاعرنا المصور الماهر لظروف ومعاناة الشعب الجزائري عبر عن خواطره، هواجسه، أحاسيسه، شاعر فحل تجاه وطنه وأمته وأبطالهم، شاعر الثورة سجل أحداثها تغنى ببطولاتها واكب مراحلها عايش التجربة بكل وجدانه، اكتوى بنارها، وسجن من أجلها مرات عديدة، هيمن موضوع الوطنية والثورة على أشعاره وهذا ناتج لاحتكاكه كما سبق وذكرت اتصاله بشيوخ الحركة الاصلاحية وعضويته في جمعية العلماء المسلمين.

يضاف إلى ذلك دور البيئة والمحيط اللذين نشأ وتحرك فيهما إلى جانب ثقافته ([18]) كل ذلك كان له الأثر في إبراز شاعرية الشهيد المتأصل بمبادئ وقيم الإسلام، يظهر الالتزام بأوسع الصور في مواقف الشاعر الربيع بوشامة قولا وفعلا " ومسيرة حياته تثبت ذلك ويكفي إلقاء نظرة على قصيدة واحدة من القصائد التي كتبها أثناء الثورة لإدراك الحقيقة، إذ تكفي واحدة من هذه القصائد لتبرر في نظر الاستعمار ليس اغتياله فحسب، وإنما اعدامه بطريقة قانونية " ([19])، كانت كلماته تنبض بالحياء والالتزام، نشر الشجاعة والتضحية، حب الوطن، العروبة، والإسلام.

تجليات الالتزام بقضايا الوطن في شعر الربيع بوشامة (التزامه):

تعد أحداث الثامن ماي 1945 من الهزات التي كانت ضريبتها 45ألف شهيد عدت ارهاصا للثورة ومنعطفا في تاريخ الجزائر، فانفجر الشعر في هذه الذكرى ذكرى الدماء والدموع، "و الربيع بوشامة يتملكه الجزع كلما لاحت الذكرى بملامحها الأصلية مرعبة مزعجة صاخبة ناحبة إنه يتطلع إلى مواقف تغير هذه الملامح، وتكفكف تلك الدموع، وتضمد تلك الجراح " ([20]) فها هو يصرخ في وجه ماي، وهو إنما يلطم وجه المستعمر في قصيدة بعنوانها (عجبا لوجهك كيف عاد لحاله...):

قبحت من شهر مدى الأعوام يا ماي كم فجعت من أقوام
شابت لهولك في الجزائر صبية وإنماع صخر من أذاك الطامي
وتفطرت أكباد كل رحيمة في الكون حتى مهجة الأيام
تاريخك المشؤوم سطر من دم ومدامع في صفحة الآلام ([21])

فالشاعر يفتتح القصيدة بالدعاء على المستعمر الذي جعل هذا الشهر على الجزائريين جحيما وشقاء ولم يكن للشاعر في هذه الفترة غير الدعاء على الاستعمار أمام عجزه وضعف حاله، إن هذا الشهر صار موضع اتهام من هول ما حدث فيه من مجازر وسفك لدماء الأبرياء فهو يذكر الجزائريين بالفجائع والمآسي كلما استجدت الذكرى، يستهل قصيدته الميمية بالدعاء ويختمها بالدعاء، فالشاعر يدعو على ماي بلفظ (قبحت)ثم يناديه (يا ماي)، وبعد النداء يستعمل (كم) الخبرية الدالة على التكثير (كم فجعت) وهي من كنايات العدد، وهو إنما يدعو على الاستعمار لأنه جعل من هذا الشهر شهر الفجائع والأحزان وبالتالي فهو يستحق التقبيح، ودعا على الغرب في آخر البيت وإن كان استعمل الماضي للدعاء في (قبحت) وبين الدعاء والدعاء زخر المقطع بالصيغ الخطابية المتتابعة في الأبيات من نداء واستفهام وأمر. ينادي الشاعر شهر ماي مصورا إياه على أنه يسمع ويعقل (يا ماي)، ثم يدعو عليه بالقبح (قبحت) لأنه أفجع الجزائريين وهوله شيب الصبية وأذاه الطامي ذوب جلمود الصخر فصار مائعا وتفطرت له الأكباد ومهجة الأيام فغدا تاريخه سطرا من دم ومدامع خط في صفحة الآلام من شدة أهوالك النازلة، لقد

تجمعت في هذه الأبيات عدة صور جزئية مكونة من التشبيهات والاستعارات المتتابعة (يا ماي، انماع صخر، مهجة الأيام، تاريخك المشؤوم، سطر من دم ومدامع، صفحة الآلام،..) تعلقت هذه الصور الجزئية جميعها بماي وأحداثه وماي في هذه الصورة هو وجه آخر للاستعمار، لأن الشاعر شخصه ودعا عليه وعدد جرائمه وآثامه.، فهو يصوره عدوا ظالما من ناحية ومن ناحية أخرى يجعله ضحية ظالم آخر هو السلوك الاستعماري الذي ارتكب في رحاب شهر ماي كل الآلام ضد الجزائريين. نلمح تأثره بالقرآن الكريم الذي كان أحد مصادره معينا له من خلال الدعاء، وكذا عنصر التصوير الذي اعتمد على الأساليب البيانية التي شاعت في البلاغة العربية والتراث الذي كان من منابع ثقافة الشاعر رغم ذلك نقول الشاعر كان شاعر قضية لا شاعر صورة، والربيع بوشامة يكثر من ذكر الدماء والدموع، فقد كان من الأدباء الذين اعتقلوا بعد الحوادث ولم يطلق سراحه إلا في فيفري 1946، ويعد الشاعر عضوا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعاملا فعالا في الحركة الاصلاحية والتعليمية.

وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان (سرّ على الدمع والدماء الغوالي) مهداة إلى صدى النفوس المعذبة، والقلوب المسلولة، أرواح الشهداء في الثامن ماي يستهلها بهذه الصورة:

سر على الدمع والدماء الغوالي ياشهيدا في ذمة المتعالي
وامتط النور للسماوات تحذو ك أغاني الرضا وروح الجلال
و اترك الجسم للحديد والنيران نهبا مبعثر الأوصال
تبتغيه الكلاب والوحش قوتا في بيوت و أنهج وجبال
لا تشيعه بالدموع ولا تشفق عليه من شقوة ونكال([22])

إن الشاعر يسمو بمكانة الشهيد، ويرتفع بروحه ممتطيا النور إلى السماء، ولا شأن له بالجسم الذي غادرته روحه فبقي فريسة تنهشه الكلاب والوحوش.

إن وقع النكبة شديد على ذات الشاعر مما جعله يسخط على العالم ويلطم الزمان ويسكب الدموع بعدما استباح الخصم أرضه وقلبه ودمائه وجاهر بالحرب.

والربيع بوشامة يرى أن ثامن ماي لا يمكن أن يطوى وتقلب عليه الصفحة بل هو يدعو إلى تخليده ليستمد منه الشعب القوة في الكفاح فيوم الثامن ماي رمز خالد في صفحات التاريخ الجزائري وكيف للشاعر أن ينسى ماي وله معه تجربة خاصة من بين الشعراء فقد فيه الأب والأصحاب، كما اعتقل وشرد أهله وأحبابه بل لقد حكم عليه فيه بالإعدام

لي فيك يا ماي النو ائب والردى ذكرى ستبقى طيلة الأعوام
فقدان خير أب و أكرم صحبة وجحيم سجن خف بالإعدام
عجبا لوجهك كيف عاد لحاله من بعد أحداث عرّتك حسام
في ذمة التاريخ تسعة أشهر قضيتها في عزة وصدام ([23])

(عجبا لوجهك...) يصطنع صيغة التعجب السماعية (عجبا) ثم يتبعها (بكيف) الاستفهامية التي ضمنها التعجب والإنكار أيضا (كيف عاد لحالك..)،(عجبا لوجهك كيف عاد لحاله)تستوقفنا هذه العبارة فالشاعر يشخص ماي في هذه الصورة أيضا، ويتعجب من وجهه الذي عاد لحاله وصورته الأولى المشوهة بالدماء فيوبخه، لأنه ما يزال جاثما على قلوب الجزائريين يتجدد كل سنة فيذكر الجزائريين بالفجيعة فيفزعهم، قصيدته توشك في بعض الأحيان أن تكون صراخا لواقعه الأليم وحث أبناء شعبه للنهوض داعيا إلى النضال. فكانت صرخته على الدموع والدماء، متخذا من المأساة دعوة لثورة عارمة فكان شعره إرهاصا للثورة وإعدادا للجهاد، ونداء للمجابهة....نابعة من صميم وطنيته، حبه الصادق " الريادة في الحلم بالثورة، فقد نشأ وترعرع هذا الشاعر متبنيّا قضية الجزائر بكل مداها، عمقها، أبعادها...عاش متحمسا لآلام وآمال الجماهير الشعبية الكادحة التي أوقدت لهيبها، ورفعت مشعلها فصوّر ذلك كله بواقعية حية وإخلاص عميق "([24])، لذلك نجده يصرخ في وجه ماي ويدعوه إلى الانتقام والثأر من الظالم المستبد، ولكن الثأر لا يتأتى إلاّ بالقوة والغلبة التي افتقدها الجزائريون أنذاك، فيعود ويدعو متضرعا إلى الله للانتقام من العدو الظالم الهدام وسوقه إلى الإعدام وأصدر في حقهم أحكاما بالإعدام:

يا ماي مالك واجما لم تنتقم أو ما سقاك الظلم أسوأ جام
فارفع إلى مولاك شكوى ضارع يبرأ من الحكام والأحكام

و اسأل يد الجبار عاجل نقمة للظالم المستهتر الهدام
يا ماي إنا في انتظار حكومة فمتى يساق الظلم للإعدام
أنت ابن ذي الأهوال إن رام امرأ ألوى به في لحظة كحطام
عجل لهذا الغراب من رب السماء بقواصم محتاجة وغرام ([25])

يعود ويخاطب ماي " يا ماي مالك واجما لم تنتقم..."يدعو الشاعر الشهر إلى التخلي عن وجومه وتجاوز انتكاسته لينتقم من جلاده الذي أراق الدماء وشوى المهج والأكباد، يتضرع إلى الله ويسأل الانتقام من المستعمر الظالم ؛إنها دعوة صريحة إلى المجابهة وهي إعلان واضح عن تطور درجة الغليان الشعبي، فالشاعر أحد الذين عاشوا المأساة السابقة سجنا وتعذيبا ولوعة فقدان الوالد والأصدقاء، يتوعد الطغاة بالقضاء يدعو الشعب إلى التخلي عن الرجاء والتمني فالحرية تطلب بالكفاح والنضال. فالشاعر يتقلب بين الألم والأمل ويراوح بين الدعاء والرجاء ويجنح بين التهديد والوعيد. يظهر الالتزام الذي تغلب عليه المباشرة، سمة الخطاب والتقرير يسلط الضوء على المضمون دون الشكل كما أنه يخلو من الملامح والجوانب الجمالية، تنقيبا عما يكتنزه من مقومات إبداعية قد تفرض له البقاء والحياة وتجعله يقف بقامة عالية بين قامات الإبداع.

كل مرة يقدم لنا وجها جديدا لماي لعلها الذكرى ترتسم في كل مرة بصورة معينة، تزدحم فيها الأفكار والمعاني في ذهن الشاعر وتتصارع العواطف والمشاعر في نفسه قصائد الثامن ماي قدمت التعبئة السياسية وإعداد الشعب لنهوض بالثورة من أجل افتكاك الاستقلال.

ويقول:

برغمك ماي أذوق الهنا وأسعد فيك بطيب المنى
وأهصر غصني بكلتا يدي و أقطف منه ألذ الجنى
متى كان في ماي همة خير أما إنه رمز مكر الدنى
أسال دماء وأرهق شعبا وحاول تحطيم كل منى ([26])

ويقول مشيدا بالأرض الطيبة –سطيف تلك الأرض التي احتضنت الربيع وليدا وشابا وشهيدا- ؛ والجزائر التي لعبت دورا كبيرا في الفداء والتضحية:

هذه أرض الموت والدم والدمع لمن رامها بالاستعباد
سوف تبقى دار العذاب على كل دخيل مستعمر كيّاد ([27])
و اغتدت أرض الحمى مقبرة لبني الاسلام والضاد الفجيع
و اكتسى الكون حدادا مفزعا و انطوى الجو على حزن وجيع
وتعالت فيه أنات الصدى ونواح البوم والنعي البشيع ([28])

وتساوت عند الشاعر الأمور وغدت الأرض عنده في قمة حزنها لعمق المأساة حيث استبد الاستعمار بالشعب وحول حياته إلى جحيم فأبناء هذه الأرض من شقاء إلى شقاء؛ تصور بطولات الملايين من أبناء أرضها ؛ احتضنت هذه الأرض الثائرة المناضل والمجاهد لتحرير الوطن سائرا بين الجبال والتلال فحيثما تسير أرض الجزائر تحتضنك نلمح عمق وقوة وجزالة الألفاظ، ومادامت الحرية حق مشروع للشعب فلابد أن تكون " الدعوة إلى النضال في سبيل الحرية أمر شائع في شعر الجزائر، لأن بدونه لا يمكن للشعب أن يصمد ومن هنا تنتشر هذه الدعوة في ثنايا القصائد التي قيلت في الثورة " ([29])، فمن " خصائص بنية محتوى قصائده تكريس المقاومة وتجاوز الصعوبات وتغليب الأمل على مسيرة الكفاح المسلح نرى ذلك في مراثيه للشهداء التي يسمو فيها البطل فيقرر تجاوز الإنسان المكافح الصامد للموت العادي وهكذا يرتفع إلى مرتبة عالية حين يفلت من أيدي الطغاة ويسمو على المادة" ([30])، يهتم بمعالجة قضايا الواقع بقيم فنية يغلب عليها اليسر والسهولة والوضوح ومن ثم كانت صنعته الفنية تقوم على صحة اللغة وسلامتها وفصاحة اللفظة وبلاغتها ومتانة العبارة وسهولتها وقرب الصورة ووضوحها مركزا عنايته في هذه الصنعة على المزاوجة بين القيم التبليغية التوصيلية وبين القيم الفنية الجمالية، ويمكن أن تكون عنايته بالقيم التبليغية أكثر من عنايته بالفنية وذلك مراعاة لمقومات الرسالة الواقعية النضالية.

نستخلص من نصوص شعره وما جاء فيها من معان ومشاعر وسمات وأساليب يمكن أن يلمس المتلقي بعض الملامح من شخصية الشاعر وثقافته وجهاده بصفته داعية مصلحا ومعلما ومربيا وشاعرا وطنيا قضى حياته مجاهدا من أجل قضية وطنه فيسقط شهيدا على أرضه فداء لحريته واستقلاله ورحم الله الشهداء.

آمن الشاعر بأن الثورة هي سبيل الخلاص فكان ملتزما بهذا المبدأ حيث قامت قصائده برسالتها التعبئة السياسية، إعداد الشعب للثورة كما مجدت الشهادة في سبيل الله.

و الأديب الجزائري كان مبدعا وملتزما بقضيته الوطنية، من أجل الثورة والاستقلال والشهادة في سبيل الوطن ولأن الأديب هو ضمير الأمة الحي وقلبها النابض ولسان حالها يعيش مآسيها وأفراحها ثم يعبر عنها بصدق وحرارة، خاصة وأن الأدب يسجل ما قد يغفل عنه التاريخ أو السياسة رغم القهر والتسلط لتظهر قيمة هذه القصائد الوثائقية كانت كتاباته التزاما وتورطا وانشغالا عميقا بهموم شعبه في المقام الأول.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصدر:**

- القرآن الكريم
- الربيع بوشامة، الديوان، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الرويبة، الجزائر،ط،1994.

- **المراجع:**

1- أحمد دوغان، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر.
2- أبوحاقة أحمد، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
3- حواس بري، مفدي زكريا، دراسة وتقويم.
4- عبد الله الركيبي، الشعر في زمن الحرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994.
5- ربعي سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2002.
6- عزالدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص 374.
7- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار المأمون، ط 4، 1938، ج4..
8- محمد برادة، تحولات مفهوم الالتزام في الأدب العربي الحديث.
9- وهبة مجدي، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار العلم، بيروت، ط1، 1974،.

الهوامش:

[1] أبو حاقة أحمد، الالتزام في الشعر العربي ،دار العلم للملايين، بيروت ،1979،ص14.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار المأمون، ط 4، 1938، ج4، ص175.

[3] وهبة مجدي، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار العلم، بيروت، ط1، 1974، ص79.

[4] سورة الفتح، الآية :26.

[5] محمد برادة، تحولات مفهوم الالتزام في الأدب العربي الحديث، ص57

[6] عزالدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص 374.

[7] الربيع بوشامة، الديوان، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الرويبة، الجزائر، ط1، 1994، ص03.

[8] الربيع بوشامة، الديوان، ص04.

[9] الربيع بوشامة، الديوان، ص 04.

[10] الربيع بوشامة، الديوان، ص04.

[11] الربيع بوشامة، الديوان، ص 04.

[12] ربعي سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2002، ص 131.

[13] ربعي سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، ص 131.

[14] الربيع بوشامة، الديوان، ص 17.

[15] ينظر الربيع بوشامة، الديوان، ص 26.

[16] أحمد دوغان، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، ص 62.

[17] الربيع بوشامة، الديوان، ص 27.

[*] أكد بعض المساجين حصص الاستجواب الطويلة وبشاعة التعذيب الذي خضع له حيث علقوه مكبلا لأيام طويلة وقد بقي تحت الاستنطاق إلى أن استشهد " ينظر ربعي سلامة، موسوعة الشعر الجزائري، ص131.

[18] الربيع بوشامة، الديوان، ص 28.

[19] ينظر المصدر نفسه، ص 32.

[20] خرفي صالح، الشعر الجزائري، ص 215.

[21] الربيع بوشامة، الديوان، ص 58.

[22] الربيع بوشامة، الديوان، ص 50.

[23] الربيع بوشامة، الديوان، ص 59.

[24] حواس بري، مفدي زكريا، دراسة وتقويم، ص 54.

[25] الربيع بوشامة، الديوان، ص 59-60.

[26] الربيع بوشامة، الديوان، ص 150.

[27] الربيع بوشامة، الديوان، ص 221.

[28] الربيع بوشامة، الديوان، ص 228.

[29] عبد الله الركيبي، الشعر في زمن الحرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص 77.

[30] حواس بري، شعر مفدي زكريا، ص 96.

بيبلوغر افيا الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون (مسيرة النضال الفكري والسياسي)

Bibliography of the martyred poet Abdul Karim al-Aqun (March of intellectual and political struggle)

عائشة جباري، أستاذ محاضر أ

قسم اللغة والادب العربي، جامعة الوادي، (الجزائر)

djebbariaicha137@gmail.com

ملخص:

سنقدم في هذه الورقة البحثية عرض لأهم المحطات الحياتية التي عاشها الشاعر الجزائري عبد الكريم العقون وخاصة النشاط السياسي تحت لواء الحركة الوطنية متمسكا بمطلب واحد وهو استقلال الجزائر أو الشهادة.

كما سنعرض لأراء مختلفة لباحثين جزائريين من مجالات النقد والتاريخ كانت لهم وقفات مع الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون، فمنهم من كانت دراسته مستفيضة، فبالإضافة إلى التعريف به تم تناول شعره ودراسته من الناحية الفنية ودرجة الوعي الذي يحمله للنشء من الشباب الجزائري للتمسك بمبادئ الهوية الوطنية والثورة الجزائرية الكبرى.

الكلمات المفاتيح: الثورة، الاصلاح، التعليم، الوعي الوطني، الهوية الاسلامية

Summary:

In this paper, we will present a presentation of the most important life stations of the Algerian poet Abdelkarim al-Aqoun, especially the political activity under the National Movement.

We will also present various opinions to Algerian researchers from the areas of criticism and history, who had positions with the martyred poet Abdelkarim Al-Aqoun, including those whose studies were exhaustive. In addition, "His poetry and study were addressed technically and the degree of awareness he brings to young Algerians to uphold the principles of national identity and the greater Algerian revolution.

Keywords: Revolution, Reform, Education, National Awareness, Islamic Identity

توطئة:

الشاعر عبد الكريم العقون واحد من الشعراء الجزائريين الذين كان الالتزام في شعره بما يعيشه بلده وأبناء بلده من محن، العنوان الاسمى الذي يعلو قصائده وأينما حلت حادثة أو قصة كان يواكبها بشعره لذا غلب عليه أسلوب المباشرة والاخبار، وهذا لا يعني أنه يفتقر للشاعرية والابداع كما زعم بعض النقاد، ولكن المرحلة وصعوبتها كانت بحاجة إلى وقوف أبناءها كتف واحدة للدفاع على الوطن والعقيدة والقيم.

حياته: (المولد والنشأة)

ولد الشاعر الشهيد الأنيق حسب صورة له نُشرت بالبصائر)، عبد الكريم العقون ببلدة برج الغدير وبعد تعلمه التعليم الأولي بقريته على أبيه الشيخ مسعود، وعلى العلامة موسى الأحمدي نويوات، ينتقل إلى مدينة قسنطينة لينخرط في حلقة عبد الحميد بن باديس حيث قضى أربع سنوات في حلقته (1933–1936) قصد بعدها جامع الزيتونة بتونس من حيث نال شهادة التحصيل. وظل مدرّسا بمدارس جمعية العلماء إلى أن ألقى عليه الفرنسيون القبض في خامس عشر يناير من سنة تسع وخمسين وتسعمائة وألف، وظل معتقلاً في زنازنهم إلى اليوم الثالث عشر مايو من السنة نفسها حيث فاضت روحه تحت ألوان النكال [1]

لم ينعم العقون بحضن أمه إذ توفيت وهو مازال طفلا صغيرا بحاجة إلى حنانها ودفئها فكفله والده واهتم بتربيته وتعليمه فأدخله كتاب القرية، كأقرانه مثلما جرت العادة آنذاك في القرى الجزائرية المحافظة. فبدأ بحفظ القرآن الكريم في... كتاب الشيخ العربي بن العدوى، ثم واصل الحفظ على يد والده، ثم راجعه على يد الشيخ علي بن عبد الرحمان [2]

كان طيب الاخلاق متأنقا في لباسه، ولكننا لم نجلس للتحدث، كان أبيض البشرة ويلبس نظارة طبية، ولا أدري متى بدأ العقون نضاله في صفوف جبهة التحرير. قبض عليه العدو في مسجد المرادية حيث كان يلقي درسه يوم ١٥ يناير ١٩٥٩، وهو تقريبا نفس التاريخ الذي قبض فيه على الشيخ الربيع بوشامة، ولعل العقون كان من سكان حي المرادية.

وقد ذهب محمد ناصر إلى أن منظمة الجيش السري الإرهابية هي التي اختطفته واغتالته في نفس السنة، وسواء اغتالته هذه المنظمة أو منظمة اليد الحمراء، فإن الاسعمار كالأخطبوط له أكثر من ذراع يبطش بها، فقد قتلوه بعد التعذيب في الثالث عشر من مايو في الدويرة (من ضواحي العاصمة).[3]

نشاطه السياسي:

انخراطه في الثورة التحريرية وظروف استشهاده في الظاهر كان عبد الكريم العقون أمام السلطات الاستعمارية الفرنسية وعامة الناس مجرد إمام ومدير مدرسة بحي المدنية، لكن في الحقيقة كان يمارس نشاطا ثوريا مكثفا، وذلك من خلال السند المادي والمعنوي الذي كان يقدمه لجبهة التحرير الوطني بالعاصمة والتي أصبح أحد أعضائها البارزين، إذ كان يشغل منصب أمين المال بقسمة المرادية لجبهة التحرير الوطني، وهو ما جعله يقع أخيرا بيد الشرطة الفرنسية بتاريخ 15 جانفي 1959م التي اقتحمت منزله وألقت عليه القبض وحولته لسجن باب الوادي حيث بقي هناك ما يناهز ثلاثة أشهر قبل أن تحوله لسجن الدويرة، وبعد 04 أشهر من التنكيل والتعذيب أعدم الشاعر عبد الكريم العقون بتاريخ 13 ماي 1959م بمنطقة الخرايسية بالعاصمة.[4]

نشاطه الاصلاحي:

عبد الكريم العقون إلى جانب نضاله السياسي ومشاركته في تطور الحركة الوطنية كان مساهما في بعث الوعي ونشر العلم بين صفوف النشء الجزائري كغيره من رفاقه من اعضاء جمعية العلماء فعند عودته جمع أبناء قريته وبدا يدرسهم في الكتاب، لكنه سرعان ما ارتحل إلى مدينة برج بوعريرج واشتغل معلما بمدرسة (التهذيب) الحرة.

وعلى ما يبدو فإن طموحاته كانت واسعة إذ لم يكن يريد أن يعيش حياته كلها مجرد معلم في قرية نائية بل أراد أن يشارك مع إخوانه في الحركة الإصلاحية،ولهذا فقد ارتحل إلى العاصمة عند خاله، وسرعان ما أنشأ مدرسة حرة بقلب العاصمة أطلق عليها اسم (الفلاح) بمساعدة زميله الطيب العقبي. واشتغل معلما بها لمدة خمس عشرة سنة وهو يربي الأجيال، ويعلم النشء، ويغرس في نفوسهم مبادئ الإسلام، والروح الوطنية.

و لم يقتصر نشاطه الاصلاحي على مهنة التعليم فقط بل تعداه ذلك إلى إلقاء المحاضرات في المساجد بالجزائر العاصمة فيدعوا المواطنين للتمسك بدينهم واخلاقهم ومناهضة المحتل والثورة عليه ثم واصل نشاطه التعليمي بالمدرسة التابعة لمسجد المدنية.

وإلى جانب مهنة التعليم كان يلقي دروس الوعظ والإرشاد، حيث كان إماما بمسجد (سانتوجين) فمسجد المدنية كما كان يتردد على عدة مساجد أخرى بالعاصمة لتبليغ أفكاره الإصلاحية فكان يحث المواطنين على النضال والعمل الوطني. قال صديقه الشاعر محمد الأخضر السائحي: "عرف الشيخ عبد الكريم العقون عند سكان ببلكور كرجل دين أكثر منه شاعرا، وقد منحته وظيفة الإمامة من محبة الناس وتقديرهم ما لم يمنح غيره من الأدباء، كنت أرافقه أحيانا لقضاء الأمسيات عبر شوارع العاصمة فيميل إليه الصغار والكبار يلاقونه بالتحية والتسليم وقد كان هو شديد الحياء كثير التواضع

كما كان العقون عضوا نشيطا في جمعية العلماء المسلمين ومن دعاتها المتحمسين، حيث كان يحضر اجتماعاتها ويشارك في نشاطاتها الثقافية ويساهم في إلقاء الدروس والمحاضرات بمقرها. كان يلعب دور الواعظ والمرشد في المسجد ودور المعلم والمربي في المدرسة ودور الشاعر المبدع في قصائده التي كانت تحمل نفحة وطنية. ولم يتوقف صوته عن إعلاء كلمة الحق إلا عندما[5]

نتاجه من الشعر:

الشاعر عبد الكريم العقون مقل في شعره ويتميز بالعاطفية والوطنية والإصلاح وهو في شعره أقرب إلى التيار الرومانسي، وأسلوبه تجديدي ويميل إلى الرقة في العبارة والنغم في الألفاظ، وهو أقرب جيله إلى التيار الرومانسي الذي كان يمثله الطاهر بوشوشي، وقد نشر معظم شعره على حد علمنا، في جريدة البصائر من السلسلة الثانية، وربما نشر أيضا في صحف أخرى، وله ديوان يبدو أنه ما يزال مخطوطا [6]

والذي يعود إلى مجموعه يشتمل على قصائد لعبد الكريم العقون. وقد كان من الوطنية، والحس الشعري المتوهج ما جعل الفرنسيين يرصدونه كل مقعد إلى أن اعتقلوه ثم قتلوه في ضواحي مدينة الجزائر، فأي شاعر قتلوا؟ وأي جريمة ارتكبوا لو كانوا يوعوون؟[7]

وفي خضم هذه الحركة الأدبية النشيطة تفجرت موهبته الشعرية فكتب قصيدته الأولى عام 1938 عندما كان طالبا في معهد ابن خلدون وعمره لم يتجاوز العشرين ربيعا، ولكنه لم ينشرها بل اكتفى بإلقائها في اجتماع الطلبة الجزائريين الزيتونيين وهي بعنوان: يا شبابا قد طال نومك فانهض فهو يذكر فيها الشباب بمسؤولياته وينصحه أن يتسلح بالعلم والمعرفة:

أنت يا نشء روضة القطر أنتم بلبل الدوح تنعش الاسماعا
يا شباب الشمال دع عنك جبنا وخمولا و اقطع عليك النزاعا
يا شبابا قد طال نومك فانهض للمساعي فالدهري يجري سراعا[8]

ولغزارة شعر عبد الكريم العقون فإنّه تنوع فتناول فيه موضوعات كثيرة كوصف الطبيعة، وتخليد بعض تضحيات الشعب الجزائري مثل كتابته قصيدة تمجد شهداء ثامن مايو 1945 وتوجيه الناشئة على دأب شعراء الإصلاح، والنَّضح عن بعض المبادئ التي كانت تدافع عنها جمعية العلماء مثل قضية «فصل الدين عن الحكومة» والتي يقول فيها:

إن صوت الدين ناداكم فلبوا مسرعين
قد دعاكم لحياة، بعده الفوز المكين
فابعثوا من جديد رائعا للناظرين
بعدما دنس من قوم بغاة آثمين
حاربوه نهبوا أوقافه في الناهبين[9]

فبعد تأمل المقتطف، نجد أن الشاعر عبد الكريم العقون يقصد حقيقة الدين الذي دعا للتمسك به والحفاظ عليه حتى وان كان هناك تغيير في نهج الحياة وتم الاخذ بأساليب الحياة المتطورة، فلكي نرد الغزاة عنه علينا الانجذاب نحو تعاليمه لتكون حاضرة في تفاصيل حياتنا.

وها هو في قصيدة أخرى نجده ينظم مرحبا بالفنان العربي فريد الأطرش، الذي زار الجزائر في هذه الفترة، فيقول في مطلعها:

مرحبا بالبلبل الغرّيد في أيكنا، يشدو بأحلى النغمات
قد وهبناك قلوبا فاسقها خمرة قدسية فيها الحياة
هاتها من هيكل الوحي الذي يتراءى للنفوس الشاعرات
علها تمحو تباريح الجوى علها تنسي هموما كالحات[10]

ما يعد الأبرز في هذا المقطع، نشوة الشاعر عبد الكريم العقون بقدوم الفنان فريد الأطرش، ولأن الشاعر من محبي الفن الأصيل ها هو فلبه يهدى ليحل الفرح والأنس، بدل الحزن والجوى.

ومن الموضوعات التي برز فيها الشاعر عبد الكريم العقون غرض الرثاء، إذ نسج قصيدة متراوحة الطول يرثي فيها ويعظم المناضل التونسي فرحات حشاد يقول فيها:

قد اغتالك الموت الذي ليس يرحم ومن ذا الذي من أسهم الموت يسلم
أصابتك يا فرحات أسهمه التي تصيب فلا تخطي، تصمي و، تعدم
هويت كالطود مشمخر مجندلا فلكل فؤاد بالفجيعة مفعـــم
وأورثنا حزنا عميقا أدمـــعا غزارا من الحزن العميق تترجم

فمن بداية القصيدة، نجد الشاعر عبد الكريم العقون وقد غمره الحزن يصب معاني التفجع والفقد صبا لأن تونس خسرت من خيرة أبناءها سؤددا وكرامة، ليست تونس فقط المعنية بهذه الفاجعة، فالجزائر أيضا تنعي الخبر وتأسف لهذا المصاب، كيف لا وأفكار فرحات حشاد عن الإخلاص والوطنية والثورة راسخة في ذهنية الشباب وأفئدتهم

فالقصيدة تفيض صدقا، وتظفر معانيها حبا لرمز الشجاعة والتضحية، تنبعث من مفرداتها قيم التضامن والاخوة.

وليس ببعيد عن هذا المعنى نرى الشاعر عبد الكريم العقون – ومن أشهر ما فاضت به قريحته –قصيدة (الكون ضاق بكل حكم جائر) ضمنها تصوير لمشاهد مروعة لما ارتكبته السلطات الفرنسية الاستعمارية من جرائم ومجازر في حق الشعب الجزائري يوم 8 ماي 1945 الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون هو ثاني شاعر جزائري تناول يوم ثامن مايو الذي اقترف فيه الجيش الفرنسي بالجزائر أكبر مجزرة عرفها التاريخ الحديث ؛ ومن أكبر المجازر عبر تاريخ الحروب على الإطلاق. فقد نشر قصيدة حول الموضوع بعنوان: الكون ضاق بكل حكم جائر.

وكدأب الشعراء الجزائريين على ذلك العهد فإن عنوان هذه القصيدة هو المصراع الأول من البيت السابع عشر من القصيدة التي تقع في ستة وعشرين بيتا فقط، وذلك بالقياس إلى قصيدة الربيع بوشامة التي بلغت واحدا وخمسين بيتا يقول فيها[11]:

ذكرى على مر الزمان تكرر لمجاهدين جهادهم لا ينكر
ضحوا بأنفسهم لشعب مسلم والنفس أنجع للفداء، وأجدر
و سعوا لشعب طامح متطلع رام الحياة طليقة تتطور
المخلصون لدينهم ولشعبهم والثابتون على العواطف تجأر
كتبوا صحائفهم من حبر من دم نعم الدماء بها الشعوب تطهر[12]

كغيره من شعراء الجزائر المخلصين الذي تأثروا بالحادثة، وتركت في أعماقهم جرحا لا يلتئم أبدا، لا يمكن أن تنسى وحشية المحتل في التنكيل بالضحايا، واضطهاد العزل من الناس، كان مطلبهم بطريقة حضارية وسلمية الحصول على الاستقلال، ما قدمته فرنسا كوعد مقابل مشاركة الشباب الجزائري في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الجيش الفرنسي، لكن الرد لم يكن متوقعا تماما، كانت نتيجته حوال خمسة أربعين ألف شهيد.

ففي هذا النص نهج الشاعر أسلوب التوثيق والتسجيل، ولعل هذه مهمة أخرى أسندت للشعر الجزائري، الذي لم يكن الارتماء بين دفتيه للتأمل وامتداد الخيال، بل كان سلاح إلى جانب الأسلحة الموجهة للاقتصاص من العدو والوقوف ضد ما ينوي تجسيده.

ولم يكن عبد الكريم العقون الشاعر الوحيد الذي واسى المحنة بشعره، فهو إلى جانب شعراء كثر كان للحادثة مكان في قصائدهم، فتوحدت المعاني بين المواساة والحزن، والثورة والتنديد ببشاعة المحتل الغاشم، نذكر من هؤلاء محمد العيد آل خليفة، والشهيد الربيع بوشامة وغيرهم.

فلقد كان الكتاب والشعراء الجزائريون من الوعي الوطني والصفاء الفكري ما كان يجعلهم يدركون الأشياء، ويتوقعون حدوث الأحداث الكبرى على نحو ما ؛ ولذلك نجد العقون يصطنع لفظ الجهاد في أول بيت من قصيدته، فيصف به المناضلين والوطنيين والثوار قبل أن يثوروا. كما نلفيه، كما سنرى، يصطنع سمات أخرى دالة على القوة والعنفوان والثورة والغضب، والدعوة إلى العمل من أجل التحرر صراحة غير الشكوى والبكاء والدعاء، وهي السيرة التي نصادفها لدى الربيع بوشامة الذي كان يخاطب شهر مايو[13]

و للشاعر عبد الكريم العقون تجربة في غرض الغزل لكن عبد الملك مرتاض وصفه بأنه غزل فقهاء، فلا ينفعل قارئه، أو يتأثر به، وعلنا لا نستغرب ذلك فالشعراء الجزائريين في هذه المرحلة لم يكونوا ليتركوا الالتزام بالقضايا المطروحة والدفاع عن الوطن، وبث الوعي القومي في فكر النشء من الشباب الجزائري للتصدي للمحتل، ليبقى الايام والليالي يتمرس على نظم شعر الغزل.

ضف إلى أن الشاعر ذو نفس أبية متدينة تبتعد عن كل ما يسيئ إليها حتى لو كانت قصيدة موجهة إلى وصف المرأة، فالشعر غايته وطنية، ومن أهدافه زرع قيم الاخلاق والدين التي نص عليها الدين الاسلامي، والتي نص عليها رسولنا الكريم عليه أزكي الصلوات يقول فيها: [14]

إن نفشي قد انتشت بفتاة تضوعـــــت
بعبير محبـــــب أنعش الروح فارتقت
تطلب الوجي عندها وبه الآن ألهمَت
فغدا الشعر هابطا من سماء لها سمت
هي شعر مرتل هز نفسي فأنشدت

خاتمة:

الشهيد عبد الكريم العقون، كغيره من المجاهدين الجزائريين المخلصين، الذين ناضلو ا بالكلمة بلا هوادة، فكان سلاحهم العلم ودعوة الشباب للأخذ بتلابيبه فهو السبيل الوحيد للنجاة والظفر بالحرية.

وهو المجاهد والمصلح الذي شهد أحداث عظيمة رسمت مستقبل الجزائر وتاريخها، فكان حاضرا بقلمه وقلبه مواسيا، ناصحا لأبناءه وإخوانه من الجزائريين.

شاعر عاش وعايش ظروف حالكة من تاريخ بلاده فمنذ أن كان طفلا نشأ وهو لا يعرف أمه يوما، ثم رحلاته من مكان إلى آخر للتعلم، ليصير شابا خلوقا متأنقا يغمر فؤاده الحس الوطني والاعتزاز بالهوية الاسلامية، شعره وطني، يغلب عليه الطابع الرومانسي، لم يحد عن ما كان يحدث في وطنه من وقائع وأحداث.

قائمة المصادروالمراجع:

1- أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، دار البصائر للطباعة والنشر، الجزائر، 2007

2- بن سالم الصالح، عبد الكريم العقون في ذكرى استشهاده، البصائر النسخة الرقمية :https //elbassair.dz/

3- عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007

4- عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009

5- مليكة بن بوزة، الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون (المسيرة والنضال)، مجلة المدونة، ع 2، ربيع الثاني 1435، جانفي 2015

الهوامش:

[1] عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص، 253

[2] مليكة بن بوزة، الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون (المسيرة والنضال) مجلة المدونة، ع 2، ربيع الثاني 1435، جانفي 2015، ص 86.

[3] أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، دار البصائر للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص 32، 33

[4] بن سالم الصالح، عبد الكريم العقون في ذكرى استشهاده، البصائر النسخة الرقمية https: //elbassair.dz/

[5] مليكة بن بوزة، مرجع سابق، ص 88

[6] أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 33

[7] عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص 253

[8] مليكة بن بوزة، مرجع سابق، ص 87

[9] عبد المالك مرتاض، مرجع نفسه، 253، 254

[10] عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص 254

[11] عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2009، ص 296.

[12] المرجع نفسه، ص 297.

[13] عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج 1، ص 299.

[14] عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص 256.

إسهامات الأديب "أحمد رضا حوحو" في جريدة البصائر

The Contributions of the Writer Ahmed Ridha Houhou in Al-Bassair Newspaper

رتبة الباحث: أستاذ محاضر ب/ د. طهاري عيسى

قسم اللغة والأدب العربي –جامعة علي لونيسي البليدة 2 - البليدة (الجزائر)

مخبر انتماء: مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة1.

aissataha86@yahoo.com

ملخص:

ترمي هذه الدراسة إلى تقصي إسهامات الأديب الشّهيد أحمد رضا حوحو في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتأكيد على نضاله الفكري والأدبي في صفوف الحركة الإصلاحية سنوات الثورة التحريرية في محاربة الجهل والتخلف أولا، ومقاومة الاستعمار الفرنسي ثانيا.

وذلك بالإجابة عن الإشكالية التالية: من هو أحمد رضا حوحو؟ وما علاقته بالحركة الإصلاحية في الجزائر؟ وما هي أبرز إسهاماته الفكرية والفنية في جريدة البصائر؟

الكلمات المفتاحية: أحمد رضا حوحو، جريدة البصائر، الحركة الإصلاحية، جمعية العلماء، النشاط الصحفي.

Abstract:

This study aims to investigate the contributions of the martyr writer Ahmed Ridha Houhou in Al-Bassair newspaper; spokesperson of the Algerian Muslim scholar's association, emphasizing his intellectual and literal struggle in the ranks of the reformist movement during the years of the liberation revolution in order to fight ignorance and underdevelopment first, and resist French colonialism second.

That is by answering the following problems: who is Ahmed Ridha Houhou? What are his most prominent intellectual and artistic contributions to Al-Bassair newspaper? And what is the content of his articles?

key words: Ahmed Ridha Houhou**.** Al-Bassair newspaper**.** Algerian Muslim scholar's association**.** Reformist movement. Journalistic activity.

1. مقدمة:

أحمد رضا حوحو واحد من شهداء الثورة التحريرية، ومن أعضاء جمعية العلماء المسلمين النشطين، كان مربيا ومصلحا، وكاتبا متميزا، واعيا لرسالة الأديب، مدركا لقيمة الأدب ودوره في مجال الإصلاح السياسي والاجتماعي، كما عُرف بجرأته النادرة في طرحه للعديد من القضايا، ظهرت مع أول مقال له بعنوان" **الطرقية في خدمة الاستعمار**" واستمرت في كل إبداعاته بشكل لافت ومكثف.

ويرى أغلب النقاد والباحثين أنّ آراء حوحو كانت مفارقة لما كان سائداً آنذاك، وما كان متعارفاً عليه حتى بين كُتّاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فنتاجه الأدبي عموماً، وفن المقال خصوصاً يعد ثورةً على الاستعمار الفرنسي الغاصب، وتمردا على سياسته الساعية للقضاء على الهوية الوطنية الجزائرية.

ومن ثم، فإنّ هذه الدراسة تهدف للتعريف بنشاط أحمد رضا حوحو الصحفي في واحدة من أهم الصحف الجزائرية الصادرة في تلك الفترة، والوقوف على أهم مضامين مقالاته فيها.

2. أحمد رضا حوحو ونشاطه الصحفي:

لم يلتزم حوحو بنشر مقالاته في الصحف الوطنية فحسب، بل تجاوز نشاطه الصحفي حدود الجزائر، بحسب الظروف التي عاشها، وتنقلاته داخل وخارج الجزائر، فكتب في: **الرابطة العربية**[مصر]، **والمنهل**[بلاد الحجاز/السعودية]، **والثُّريا**، **والأسبوع** [تونس]،**والبصائر**، **والمنار والشعلة**[الجزائر]، ويصرح بذلك قائلا: «باشرت الكتابة في مختلف الصحف الجزائرية والتونسية وفي البصائر بالأخص»[(1)].

كان أول تعامل لحوحو مع الصحافة «سنة 1937م في مجلة الرابطة العربية لأمين سعيد التي كانت تصدر بالقاهرة»[2]، حيث نشر فيها مقالا «كان بعنوان "**الطرقية في خدمة الاستعمار**"»[3]، والملاحظ على العنوان أنه يشير إلى مدى تأثر حوحو بالأفكار الإصلاحية السائدة

في المشرق آنذاك، واستمر نشاط حوحو الصحفي أثناء فترة إقامته بالحجاز[1937-1945]، والتي تزامنت مع «ظهور مجلة المنهل السعودية بالمدينة المنورة سنة 1937م، لصاحبها ومنشئها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وهي من أعتق المجلات العربية ظهورا، وأمّدها عمرا، إذ لا يزال عطاؤها موصول الأنفاس إلى يومنا هذا»[4]

كانت مجلة "**المنهل**" فاتحة العطاء الأدبي والفكري لأحمد رضا حوحو، و« ميدانه الواسع للتعبير عن آرائه الأدبية وأفكاره الاجتماعية، حيث ظهرت له فيها عدة مقالات ومترجمات أدبية واجتماعية وبعض القصص والبحوث »[5]، فهو من كتّابها المداومين، إذ يعتبر ثاني اثنين في كتابة القصة في الأراضي الحجازية في تلك الفترة من ثلاثينات القرن الماضي مع محمد عالم الافغاني، فكانت الصحيفة التي ميزته بحق وأظهرته لجمهور القراء في المشرق العربي.

عاد حوحو إلى الجزائر في صيف 1946، وانضم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لتبدأ رحلته مع الصحافة الجزائرية، حيث شارك في تحرير جريدة **البصائر** في الفترة الممتدة بين الأربعينات والخمسينات، وذلك بالكتابة في النقد الأدبي، وقضايا سياسية، والسجال الفكري مع بعض الكتاب المعاصرين، نالت إعجاب القراء، كما نشر في جريدة "**الشعلة**" لسان حال شبيبة العلماء، التي ترأس تحريرها من يوم بروزها إلى أن توقفت سنة1951م، وهذا ما يؤكده عبد الرحمن شيبان قائلا: «في سنة 1949م أصدرنا مع فئة من الشبان العلماء بقسنطينة جريدة شعبية أسبوعية للنقد والكفاح أسميناها "**الشعلة**" وأسندنا رئاسة تحريرها إلى كفاءة الأخ حوحو حيث كان يحرر باب "**المسامير**" يدقها في ظهور الاستعماريين وأذنابه المارقين عن الوطن والدين»[6]، وتعد جريدة "**المنار**"، ثالث جريدة جزائرية تعامل معها حوحو، وهي جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة، صاحبها محمود بوزوزو[7] نشر فيها مقالا بعنوان: [**بيني وبين الناس**] في العدد 49 من السنة الثالثة، والصادر عام 1953 .

كما كتب حوحو في الصحافة التونسية، أولها مجلة "**الثريا**" التي تعد من أرق المجلات التي كانت تصدر في تونس آنذاك، صاحبها المثقف التونسي المعروف **نور الدين بن محمود**[8]، حيث نشر مقالا بعنوان "**الأدب الحيّ بين أدب القصة وأدب المقالة**"، في العدد الثاني عشر الصادر في عام

1946، وثانيها مجلة "**الأسبوع**"، ونشر فيها «في أكتوبر ونوفمبر 1953 مقالا طويلا في خمس حلقات قدم من خلالها قراءة نقدية لكتاب "**الشابي حياته شعره**" لصاحبه أبي القاسم كرو، ولقي التقريظ حظا كبيرا عند المؤلف الذي سيحتفظ بهذه الذكرى، وينشر كتاب "**نماذج بشرية**" لحوحو في عام 1955 في إطار سلسلة "**كتاب البعث**" التي كان يشرف عليها هذا الكاتب التونسي»[9]، ونستخلص مما سبق، أنَّ فن المقال نال النصيب الأوفر في أدب حوحو، الأمر الذي جعله يرتبط باسمه ارتباطا وثيقا.

3. إسهامات حوحو في جريدة البصائر:

- **جريدة البصائر:**

سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها مع مطلع القرن العشرين وبكل الوسائل لبعث نهضة فكرية في المجتمع الجزائري، لذا اهتم مؤسسوها بالصَّحافة، وأصدروا عدداً من الصحف للتعبير عن آرائها، وإيصال برنامجها الإصلاحي إلى الجماهير باعتبار الصحافة وسيلة هامة من وسائل النضال وإيقاظ الوعي، وتبليغ صوت الجزائر للعالم أجمع.

تعد جريدة "**البصائر**" أبرز هذه الصحف، وأكثرها شهرةً وانتشاراً، إضافة إلى أهميتها لما تركته من الأثر العميق في مسيرة الإصلاح الثقافي والديني، وقد «بلغت من الرقي والانتشار ما لم تبلغه جريدة عربية في الجزائر إذ كانت تطبع حوالي أربعة آلاف نسخة أسبوعيا»[10]، وهذا ما عرضها للكثير من مضايقات الاستعمار الفرنسي، حيث تم إصدار عددها الأول في 27 ديسمبر 1935م[11] ضمن سلسلتها الأولى [1935م- 1939م]، وما إن قامت الحرب العالمية الثانية حتى توقفت عن الصُّدور من تلقاء نفسها، مدة ثماني سنوات تقريبا، لتستأنف نشاطها ضمن سلسلتها الثانية [1947م- 1956م].

وقد «اهتمت جريدة البصائر بشؤون الأمة العربية خاصة شمال إفريقيا وكافحت من أجل إحياء اللغة العربية»[12]، حتى اشتهرت داخل الجزائر وخارجها بين المثقفين الجزائريين والعرب، باتجاهها الوطني الإصلاحي، وبمستواها الرفيع من حيث الأسلوب والقضايا التي تطرحها.

- **نشاط حوحو في جريدة البصائر:**

يعد الأديب **أحمد رضا حوحو** من أوفر الكتّاب الجزائريين حظا في جريدة البصائر، حيث كان له فيها نشاط صحفي متميز، إذ نشر عدداً من المقالات المتضمنة لآرائه وانتقاداته فجاءت« أدبية، واجتماعية وسياسية متنوعة بعناوين مغرية جذابة لم يكن لنا بها عهد من قبل في صحفنا»[13]، ونشر أول مقال له فيها، وهو ما يزال طالبا في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، سنة1937 في عددها 81، وكان عبارة عن كلمة تشجيع وتقدير بعثها إلى (**جمعية الشباب العقبي**) التي تبنت نشيداً حماسياً عبرت من خلاله عن وطنيتها الصادقة، «ولا أكتمكم أنّه هزني هذا النَّشيد الوطني، وأطربني، حيث ذكرني ببلدة ترعرعت بين أحضانها وإخوان تجمعني بهم وحدة الوطن وحدة الدّين وحدة الفكرة»[14]

كما شارك في تحريرها، بعد عودته إلى الجزائر مباشرة، حيث نشر عدداً من المقالات المتضمنة لآرائه وانتقاداته لمختلف القضايا الاجتماعية والسياسية وحتى الفنية، أبرزها:

- **سلسلة مقالات "في الميزان"**، كتب فيها عن ستة أساتذة من معهد ابن باديس, وهم: نعيم النعيمي، أحمد حماني, عبد الرحمان شيبان, عبد القادر الياجوري، العباس بن الشيخ الحسين, حمزة بوكوشة، وفي وصفه لهذه الشّخصيات كان حوحو «يعتمد على المبالغة في إبراز هيئة الشخص، وعلى تضخيم الملامح والمميزات الخاصة به، تماما كما يفعل رسامو الكاريكاتور»[15].
- **سلسلة مقالات "مع حمار الحكيم"**: مجموعة من المقالات بدأ كتابتها في جانفي 1949 وأول مقال كان بعنوان:" **ساعة مع حمار الحكيم**"، وقد كتبها على أساس من التّصور بأنّ حمار توفيق الحكيم زار الجزائر بأفكاره الفلسفية، وأنَّ الكاتب استقبله بوصفه أديباً، وراح يرسم له هموم الشّعب الجزائري ومثقفيه، وذلك بأسلوب ساخر على شكل حوار يدور بين حوحو والحمار، يتناول بالطرح والمعالجة الأحوال السّياسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها الشّعب الجزائري، وقد تعرض حوحو بسبب هذه المقالات لنقد شديد من قبل بعض النقاد، لكنّه لم يتوان في الرّد عليهم، حيث ألجمهم في كل مرة بحججه القوية وأسلوبه الساخر.

- **سلسلة "ما لهم لا ينطقون؟"**: مجموعة مقالات نشرها في جريدة البصائر، عرّف فيها الأدب، وأهدافه، وبيّن سبب تأخر بعض الأنواع الأدبية في الجزائر كالقصة، والرواية.
- **سلسلة "بيني وبين الناس"**: مجموعة مقالات تناول فيها بعض ما قاله النّقاد عن نتاجه الأدبي، إذ يقول عن نفسه: «ولكن كل هذا لا يمنعني من تصفية هذه الحسبة الصغيرة معه، وقد تعودت أن أصفي حساباتي مع الناس في الدنيا، فلا أتنازل عن حقي ولا أبقي حقا لأحد بذمتي»[16]

4. مضامين مقالات حوحو في جريدة البصائر:

أ- المضمون الأدبي:

المقالة الأدبية هي تلك التي «تدرس شخصية أو ظاهرةً أو اتجاهاً أو أثراً في الأدب العربي القديم والحديث أو الأدب الأوروبي الغابر أو المعاصر»[17]، وبهذا التعريف يكون حوحو من الأدباء الذين كتبوا مقالات ذات مضمون أدبي، فمنها ما تناول فيه فنون الأدب، ومنها ما تناول فيه بعض الأدباء، كما درس في بعضها الأخر الظواهر الأدبية المختلفة.

طرح حوحو الكثير من الآراء والأفكار والموضوعات الأدبية على صفحات البصائر، مثل: "**الآداب والفنون**"، و"**الأدب العربي... هل ينقصه التوجيه**؟"، و**رسالة الأديب في الحياة** "،.. ففي مقال له بعنوان [**الأدباء والفنانون**] يحاول أن يقدم لنا تعريفا للأديب قائلا: «الأديب هو الذي يستطيع أن يجعل من أدبه لغة روحية يخاطب بها أرواح الغير، يعبر بها تعبيراً صادقاً عن مشاعره، تعبيراً دقيقاً عن خلجات نفسه، وإحساساته ويصور بها تصويراً واضحاً جلياً أخيلته وتصوراته، دون أن يحسب حساباً لسخط هذا أو رضا ذاك»[18]، فالأديب كما يراه حوحو هو ذلك الإنسان صاحب الإحساس الصادق، الذي يشعر بالانفعالات التي تهزه، فيترجمها شعرا أو نثرا، دون خوف من أحد.

كما كتب مجموعة من المقالات في سلسلته الشهيرة: (**في الميزان**) قدم فيها تراجم لشخصيات أدبية وعلمية عاش معها، هم من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جاءت في شكل مقالة الصورة الشخصية، والتي هي «ضرب من الحديث الشخصي الأليف، والثرثرة

والمسامرة وتألق الفكاهة، ولا تخلو من السّخرية الناعمة أو الحادة تبعا لاتجاه الكاتب وألوان شخصيته محدثاً لا معلماً»[19]،

ومن أبرز هذه المقالات الأدبية ما كتبه عن **(عبد الرحمن شيبان)**، حيث يقول فيها: «أديب يمتاز بدقة الملاحظة ورقة الشعور، وتوقد الإحساس، وهو لا يتمذهب في الأدب، لأنّ هذا التمذهب يوجب التقليد، وهو يكره التقليد، وذلك لأنَّ تقليد مذهب بعينه يضطره إلى الاعتراف بغثه وسمينه، وصاحبنا لا يحلو له أن يأخذ إلاّ كلَّ طريف وألاَّ يعجب إلاَّ بكل ظريف، مهما كان مصدره ومهما كانت بيئته ومذهبه»[20]، ويضيف قائلا: «ديمقراطي الأفكار إلى حد بعيد ولكنه أرستقراطي الشخصية إلى حد بعيد أيضا،... إنّه ديمقراطي شعبي فيما يخص المجتمع والحياة العامة بسياستها واقتصادها ولكنّه أرستقراطي فيما يخص نفسه»[21]

والملاحظ على هذه المقالات أنها كتبت بأسلوب أدبي تميز بالسّرد القصصي، والسخرية الممتعة، واتسمت بالسهولة والوضوح، فحديثه عن هذه الشخصيات الأدبية لم يكن بالحديث العميق، الذي يثير قضايا الأدب والنقد، بل كان حديثا ينتقد فيه سلوكيات هؤلاء، وسرد عيوبهم هدفه الإصلاح والتوجيه.

كما ساهم حوحو في إثراء الحركة النقدية والأدبية الحديثة في الجزائر، حيث كتب مجموعة من المقالات عالج فيها بعض القضايا الأدبية في الشّعر والقصة والمسرحية والمقالة وقد سجل فيها رأيه ووجهة نظره، منها مقالات بعنوان: [ما لهم لا ينطقون؟]، ومنها مقالات بعنوان: [ما لهم يثرثرون؟] .و[إلى أين تذهبون بالأدب يا فقاقيع الأدب؟]، ففي مقال له بعنوان: [**الأدب العربي ...هل ينقصه التوجيه**؟]، تناول تلك المعارك الأدبية التي كانت سائدة بين الأدباء والنقاد في المشرق العربي، فذكر أهمية ما حققه هؤلاء الأدباء، لكنه سرعان ما وجه سهام نقده إلى هذا الأدب، إذ يرى أنّه «رغم تقدمه، وكثرة إنتاجه لم يرتكز بعد على أسس ثابتة متينة، بل تسيره ثورة فكرية عنيفة، ... وهكذا تسير في جنون تبني تارة، وتهدم أخرى»[22]

كما يوجه حوحو سهام نقده إلى كتّاب عصره ممن اعتمدوا على الأسلوب القصصي في مقالاتهم، داعيا كاتب القصة إلى ضرورة« أن يتقمص روح أشخاصه ويظهر بمظاهرهم، فينطق

بلغاتهم وأساليبهم الموافقة لسنهم، وطبقاتهم مراعيا جميع أحوالهم التي أبرزهم فيها، والإطار الذي أحاطهم به وهو بذلك يحي هذه الشخصيات ويجعلها حساسة حية تنطق بلسانها معبرة عن نفسها »[23]، والملاحظ أن نقده جاء دقيقا مفصلا، وهذا ما يؤكد أنّه على علم ودراية كبيرين بهذا الفن، كما أنه يعتمد على ذائقته الأدبية محاولا التجرد من أهوائه قدر الإمكان.

ب- المضمون الاجتماعي:

إنّ المقالة الاجتماعية هي ذلك النوع الذي «يعالج مشكلة من المشاكل الاجتماعية، وينقد العادات السيئة والتقاليد الضارة وينفر مما هو ضار، ويرغب في النافع المفيد»[24] ؛ أي أنّها تستنطق مشكلات النّاس وطبائعهم وعاداتهم، وتنتقد العادات والتقاليد البالية التي ترسخت في المجتمع، ودور الكتاب فيها «المشاركة فيما يدور حولهم على طريقة تقوم على الملاحظة الدقيقة والعمق والتأمل فيما يحيط بهم والاتزان في الحكم والبراعة في التهكم والسخرية»[25]، كما تمتاز بطابعها الإنساني، وبوفرة الشّواهد وبروز النزعة الإصلاحية.

وحوحو من الأدباء المناضلين في صفوف حركة الإصلاح الفكري والثقافي في الجزائر بعد انضمامه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تبنى كثيراً من القيم الفكرية والاجتماعية في ضوء وعيه بطبيعة العصر ومتطلباته، حيث برز إحساسه بمجتمعه في أغلب مقالاته التي نشرها في جريدة البصائر خاصة تلك التي جاءت ضمن سلسلة **"مع حمار الحكيم"**، ومما يلاحظه القارئ عليها، هو طغيان الاتجاه الاجتماعي، حيث كتب عن مشكلات الناس وطبائعهم وعادتهم، وتصدى في ايجابية للعيوب الاجتماعية في مواجهة فعَّالة ينشد من ورائها التقويم والإصلاح.

تطرق حوحو في مقالاته لأغلب الجوانب الاجتماعية، ووصف الواقع الجزائري وعرضه بتفصيلاته وجزئياته، كما عمد إلى توجيه ما يعيشه من أحداث، وما يشاهده من ظواهر إلى ما يخدم غايته الإصلاحية، والعمل على التّغيير نحو الأفضل، حيث نال موضوع التربية والتّعليم حظا مقبولا في مقالاته، باعتباره مربياً، ومعلما في مدارس الجمعية، ففي مقال له بعنوان: [**تقوية مدارك الطلبة بالخطابة والكتابة والفنون**]، يبين أهمية العلم في تطوير الفرد والمجتمع، ويؤكد على أنّه «أصبح وسيلة حيوية وضرورية لرقي الحياة والمعيشة سواء كانت الحياة فردية أو

اجتماعية ورقي الحياة الاجتماعية إنّما تتوقف على تقدم الفرد ورقيه، وما هذا المجتمع إلا مجموعة من الأفراد راقياً إن كانت راقية ومنحطا إن كانت منحطة»[26]، والموضوع نفسه في مقال له بعنوان: [**الصفحة الأولى في تاريخ معهد عبد الحميد بن باديس**]: «وما النهضة بدون علم إلاَّ محاولة محكوم عليها سلفا بالفشل، بل هي ضرب من القمار ولعبة من ألعاب الحظ التي تصيب مرة وتخطئ مراراً، ولكن مآلها الأخير إلى الفشل والخسران»[27]، فحوحو يؤكد على أهمية التعليم في نهضة الجزائر.

كما كشف حوحو عن خطورة نظام التعليم الرّسمي الفرنسي في الجزائر، قائلا: «هناك التعليم الرسمي، وهو مبني على قاعدة فلسفية عميقة وغامضة في نفس الوقت، وهي تعلم لتجهل»[28]، فهو هنا يفضح السّياسة التعليمية للاستعمار الفرنسي في تلك الفترة، والتي كانت تهدف للقضاء على الشخصية الجزائرية ومقوماتها الأساسية، وفق محاور[**الفرنسة، التنصير، الإدماج**].

لا ينسى حوحو - في الوقت نفسه- الإشادة بجهود **جمعية العلماء المسلمين** في هذا المجال، معددا أفضالها دون غيرها من الجمعيات الأخرى، «وذكرت جمعية العلماء ولم أذكر غيرها من الهيئات والجمعيات لأنّها عرفت وحدها بتحمل هذه الأعباء الثقيلة وعملها الصّامت المجدي في صالح هذه البلاد»[29]، كما أنّه لا يتوانى في انتقاد طرائقها في التدريس، وتوجيه النصح لمسؤوليها، قائلا: «فعلى المشتغلين بالتّعليم أن لا يرهقوا صغار التلاميذ بالاستظهار دون فهم، وأن يوجهوا عنايتهم إلى تربية قواهم العقلية وتقوية مداركهم»[30]. ويتضح من هذا الانتقاد خبرة حوحو في مجال التربية والتعليم.

كما أولى حوحو اهتماماً كبيراً للمرأة، مناقشاً في مقالاته في جريدة البصائر مكانتها في المجتمع وحقها في التّعليم، واعتبرها من أبرز القضايا التي يجب أن يهتم بها رجال الإصلاح في الجزائر، ففي مقال له بعنوان[**بريد حمار الحكيم**] أفاض في وصفه لما تعانيه المرأة الجزائرية، محدداً سبب جهلها وتخلفها، محملاً مسؤولية ذلك للرجل والمجتمع،« فإذا كانت المرأة على هذه

الحالة من الجهل فإنَّ تبعة ذلك تعود على المسؤولين من ذويها الذين لم يعنوا بتثقيفها وتربيتها، وتبعة ذلك تعود أيضا على مجتمعها الذي لم ينشئ لها وسائل التَّربية والتعليم»[31].

كما كشف حوحو عن وجهات النظر السائدة آنذاك حول موضوع وحجاب المرأة والمتشددين فيه، وسفورها والداعين إليه، قائلا: « المرأة الجزائرية التي تجتذبها اليوم قوتان متباينتان، فهذا فريق محافظ يريدها أن تبقى سجينة أربعة جدران محرومة من كل شيء، ومن كل نعمة حتى نعمة العلم؛ وإن خرجت لحاجة ضرورية جداً، فإنَّما تخرج ملفوفة في سوادها أو بياضها تتعثر في أذيالها؛ لا يعترف لها بحق ولا يعترف لها بمكانة، وهذا فريق يريدها سافرةً ماجنةً تغشى الملاهي والأسواق في غير حياء ولا خجل»[(32)]

ج- المضمون السّياسي:

المقال السّياسي مقال موضوعي، يدرس فيه كاتبه كل ما له علاقة بالسّياسة، كالأفكار السّياسية والوطنية والمشاكل الحزبية، ويحاول فيه أيضاً أن «يهاجم الاستعمار على اعتدائه على الحريات، ويبصر الجمهور بما يحيط ببلاده، ويستثيره للذود عن مقدساته، بأسلوب سهل، بعيد عن الزّخرفة »[(33)]، ونظراً للظروف السّياسية التي عاشتها الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، فإنَّ القضايا السّياسية مثل: مواجهة لاستعمار، وكشف جرائمه في حق الشعب، والدعوة إلى الحرية والاستقلال من أبرز الموضوعات التي تناولها حوحو في مقالاته خاصة قبيل الثورة وأثناءها، مبينا للعالم الصراع الدامي بين الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي، وهو دون شك صراع حضاري فكري ديني.

واجه **أحمد رضا حوحو** الاستعمار الفرنسي بكل جرأة وبطولة، بكلمات حادة وقاطعة لا مواربة فيها، أثبت من خلالها كيف تتحول الرؤية السياسية إلى نضال سياسي بالكلمة، حيث كتب عدداً من المقالات، ضمنها آراءه بكل صدق وصراحة، وأثبت من خلالها حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، في توعية الشعب الجزائري، وفضح مكائد الاستعمار الفرنسي.

وبقدر ما تبرز نزعة حوحو الإصلاحية، يظهر وعيه بقضايا أمته، فهو لا يتوقف في فضح الاستعمار الفرنسي وكشف ادعاءاته الكاذبة فيما يتعلق بالديمقراطية والحرية، ففي مقال له

بعنوان" **بيني وبين نفسي على هامش الانتخاب**" يكشف فيه حوحو صور إرهاب الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري، سعيا منه لجعل هذا الوطن مقابر وسجونا لأبنائه، حيث أشار إلى ما يحدث قبيل الانتخابات من قتل وسفك لدماء الأبرياء في سبيل إنجاح العملية الانتخابية، كل ذلك تحت شعار الديمقراطية، حيث يقول: «انتهيت من مطالعة صحيفة "**الجزائر الجمهورية**" اليومية الفرنسية وقد عرضت عرضاً مسهباً دقيقاً للحوادث الدَّامية التي وقعت في صور الغزلان يوم 4 أفريل المشؤوم الذي أضيفت فيه صفحة سوداء إلى تاريخ الاستعمار في هذه الدّيار ،تلك الحادثة التي قتل فيها رجال، ورملت فيها نساء، وثكلت فيها أمهات، ويتم فيها أطفال، كل ذلك ليجلس رجل من النَّاس ينسب إلى هؤلاء الشّهداء في الجنس وينسب إليهم في الدم. على كرسي يسمى كرسي النّيابة»[34].

وحوحو في هذا المقال صوّر لنا بشاعة المجزرة التي ارتكبها الاستعمار في حق الشعب الجزائري، وبيّن حجم الكارثة، خاصة الوسائل القمعية التي استخدمها ضد أبناء الوطن الآمنين، فيعلق ساخرا: «إنّه حقا لانتخاب حرٌ هادئٌ، هذا الانتخاب الذي كتبت أوراقه بالدماء، وسيق إليه المنتخبون تحت أفواه البنادق والرشاشات وملئت أثناءه السجون بالأبرياء ولكنّها الديمقراطية في القرن العشرين»[35]

وفي مقال سياسي أخر له بعنوان:[**في المؤتمر العالمي للسّلام**] تميز الخطاب السياسي لحوحو بالحماس الوطني، والغضب في وجه كل من يحاول النيل من الجزائر «إنّ الجزائر التي تعاني ما تعاني من ضغط الاستعمار واضطهاده، الجزائر التي تعاني ما تعاني من حرب الاستعمار الدائم بها، محاربة الدين، محاربة اللغة العربية، إغلاق المدارس العربية العديدة، وضربها بالقوانين الغاشمة الجائرة، لا شيء سوى تضخيم هذا الجيش الجرار من الأطفال المشردين وحرمانهم من نور العلم والثقافة،... ولهذا فإنّ الجزائر لا تحتج على الحلف الأطلنطكي، فحسب وإنّما ترفضه رفضا باتا»[36]، وقد نجح حوحو في إثارة مشاعر الحاضرين، وهز جوانب النفس الإنسانية فيهم.

كما يعد النّضال من أجل استقلال الجزائر جزءًا لا يتجزأ من مقالات حوحو السياسية، بأسلوب مباشر وغير مباشر، معبرا عن ولائه العميق لوطنه ولقضيته، حيث تكاد تكون فكرة الاستقلال المحور الأساس في مقالاته، وهذا ربما يعود إلى أنّه عاش الفترة التي واكبت النضج السياسي والوعي الاجتماعي نتيجة تأجج الدوافع الوطنية، والرغبة في الحرية والاستقلال، حيث بلغ النشاط السياسي والنضوج الأدبي ذروته، رغم أنّه كان أديباً مفكراً بالدرجة الأولى ولم يكن سياسيا محترفا.

يعد حوحو من أبرز دعاة الاستقلال والحرية لكل شعوب العالم، حيث لم يترك مناسبة في المحافل الدولية إلا ونادي فيها باستقلال وحرية الجزائر، فها هو يتكلم باسم الجزائر في المؤتمر العالمي للسلام ،صارخا بأعلى صوته ،معبرا عن موقف الشعب الجزائر، ورغبته في الحرية والعيش في أمن وسلام «إنّ الجزائر تريد الحرية والسلام لجميع الشعوب، فلا غرابة في أن تريد الحرية والسلام لنفسها فهي تمد يدها لكل من يريد لها كما يريد لنفسه أن تعيش حرة آمنة»[37]

لقد واكب حوحو تطور الأحداث والتحولات السياسية الوطنية داخل الجزائر وخارجها، فكتب عدة مقالات سياسية يمتزج فيها الغضب بالتحذير، والتهديد بالوعيد، في وجه كل من يقف ضد مصلحة الوطن، مؤكدا انه أديب ملتزم صادق الوطنية، لديه قناعة جوهرية بأن الاستعمار الفرنسي لا يريد الخير للجزائر، وإنّما يسعى لإبقائها دوما مستعمرة ما شاء لها أن تكون.

الخاتمة:

يعد أحمد رضا حوحو واحداً من الأدباء الشهداء الذين كان لهم الأثر الكبير في حركة الإصلاح الفكري والثقافي في الجزائر، سواء في مجال التعليم أو في مجال الصحافة، ويتجلى ذلك فيما تركه لنا من مقالات تنوعت مجالات موضوعاتها، بين سياسية واجتماعية وأدبية:

- حوحو كاتب صاحب رسالة إنسانية، وأديب ذو نزعة إصلاحية، عرف بكثرة نشاطه وسعيه الدائم إلى تغيير الأوضاع، ومقالاته التي نشرها في الصحف والمجلات في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع خير دليل على ذلك

- أدرك حوحو أهمية المقال، وأنه فن راقٍ يرمي لتنمية الذوق، وتثقيف النفس، وتوعية المجتمع، لذلك احتل حيزاً كبيرا في نتاجه الأدبي، كما أدرك دور الصحافة في نشر الوعي، والمساهمة في الإصلاح الاجتماعي والسياسي، لذلك تجاوز نشاطه الصحفي حدود الجزائر.
- ترك الكثير من المقالات في مجالات مختلفة من الفكر والأدب والنقد فهو من دعاة التجديد في الأدب الجزائري الحديث، والمساهمين في إثراء الحركة النقدية والأدبية الحديثة في الجزائر.
- تنوعت مقالاته ذات المضمون الاجتماعي والإنساني، أرسل من خلالها انتقاداته اللاذعة إلى المجتمع، كما لفت الأنظار إلى حقائق ذات أهمية كبيرة، فكان همه التوجيه والتربية والإصلاح.
- تميز حوحو بانتمائه الوطني تجاه أمته وبلاده، فلم يقف موقف الحيادي في مقالاته السياسية، بل وقف موقف المناضل الثوري في سبيل توعية الشعب الجزائري بما يحاك ضده من مؤامرات، المتمسك بمواقفه ومبادئه في سبيل الدفاع عمّا يؤمن به من أفكار.

قائمة المصادروالمراجع:

1. **أحمد رضا حوحو : جريدة البصائر**، [ع44، السنة 2 السلسلة 2، 26 جويلية 1948م] و[ع265، السنة6 من السلسلة2، 2أفريل 1954م] و[ع 65، السنة 2، من السلسلة2، 31جانفي 1949] و[ع79،السنة2من السلسلة2، 9 ماي 1949] و[ع90، السنة2السلسلة2، 5 سبتمبر 1949م] و[ع69، السنة2،السّلسلة 2، 28 فيفري 1949م] و[ع99،السنة 3 من السلسلة 2، 19ديسمبر 1949م،] و[ع 211،السنة 5 السلسلة2، 29 ديسمبر1952 م] و[ع225، السنة 5 السّلسلة 2، 10 أفريل 1953م] و[ع33، السنة 2 السلسلة 2، 26 أفريل 1948م] و[ع96، السنة 3 السّلسلة2، 28نوفمبر 1949م] و[ع55، السنة2 السلسلة2، 8نوفمبر1948م] و[ع 66، السنة الثانية من السلسلة الثانية، 7 فيفري 1949]
2. **أحمد رضا حوحو**: جريدة المنار، السنة3، ع49، 20 نوفمبر 1953،
3. **أحمد منور:** مسرح الفرجة والنضال في الجزائر، دراسة في أعمال أحمد رضا حوحو، دار هومه، الجزائر، ط1، 2005م.

4. **السيد مرسي أبو ذكرى**: المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982م.
5. **صادق بلحاج**: الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي(1919-1939)، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2011-2012م.
6. **عبد الرحمن شيبان**: في موكب الثورة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م
7. **عبد العزيز شرف**: أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2000م.
8. **علي مفتاح راشد**: فن المقال في أدب نجم الدين الكيب، جامعة السابع من أبريل،ط1، 2010م.
9. **عمر إبراهيم توفيق**: فنون النثر العربي الحديث، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
10. **محمد البشير الإبراهيمي**: جريدة البصائر، ع 34، سلسلة 1، قسنطينة، 1936م
11. **محمد الصالح رمضان**: شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007م.
12. **محمد بسكر**: أصوات الشمال، الأربعاء 16 ربيع الأول 1436هـ، الموافق لـ 07-01-2015، www.aswat-elchamal.com .
13. **مولود عويمر**: رابطة أدباء الشام، 12 نيسان 2014م، http://www.odabasham.net

الهوامش:

[1]- **أحمد رضا حوحو**: (ما لهم لا ينطقون؟)، البصائر، السنة 5 السلسلة2، ع 211، 29 ديسمبر1952 م، ص06

[2]- **محمد الصالح رمضان**: شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة للطباعة والنشر الجزائر، ط1، 2007م، ص178.

[3]- **أحمد منور**: مسرح الفرجة والنضال في الجزائر، دراسة في أعمال أحمد رضا حوحو، ص40.

[4]- **محمد بسكر**: ، (الأديب أحمد رضا حوحو في ذاكرة مجلة المنهل السعودية)،أصوات الشمال، الأربعاء 16 ربيع الأول 1436هـ، الموافق لـ 07-01-2015، 01-جويلية-2023.www.aswat-elchamal.com .

[5]- **محمد بسكر**: المرجع نفسه.

[6]- **عبد الرحمن شيبان**: في موكب الثورة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 15

[7]- **ينظر: محمود بزوزو**: المنار، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، ط1، 2007م.

[8]- **نور الدين بن علي بن محمود**: (1914- 1990): عمل مذيعًا أول بالإذاعة التونسية (1938)، أصدر نشرة «المروج»، وترأّس تحرير مجلة «الأفكار»، أصدر: «**الثريا- الأسبوع- الأيام**»، وفي باريس أصدر مجلة «الجامعة»

وأنشأ مطبعة "قرطاج" ومكتبتها، له عدد من القصائد، والمسرحيات والروايات، والمقالات. **ينظر**: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، 01- جويلية- 2023، www.almoajam.org

[9]- **مولود عويمر**: الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو في الصحافة التونسية، رابطة أدباء الشام، 12 نيسان 2014م، 01 جويلية 2023 ، 01- جويلية- 2023، http://www.odabasham.net

[10]- **صادق بلحاج**: الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي(1919-1939)، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2011-2012م، ص 32.، ص42

[11]-**ينظر: محمد البشير الإبراهيمي**: (آثار اعتقال الأستاذ العقبي في الأمة الجزائرية)، جريدة البصائر، ع 34، سلسلة 1، قسنطينة، 1936م ص1

[12]- **صادق بلحاج**: الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي(1919-1939)، ص 32.

[13]- **محمد الصالح رمضان**: المرجع السابق، ص 182.

[14]- **أحمد رضا حوحو**: (كلمة تشجيع وتقدير إلى جمعية الشباب العقبي)، جريدة البصائر، ع81، السنة 2 ، 17 سبتمبر 1937م، ص08.

[15]- **أحمد منور**: المرجع السابق، ص 48.

[16]- **أحمد رضا حوحو**: (بيني وبين الناس)، المنار، السنة3، ع49، 20 نوفمبر 1953، ص02

[17]- **عبد العزيز شرف**: أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، ص21.

[18]- **أحمد رضا حوحو**: (الأدباء والفنانون)، البصائر، ع55، السنة2 السلسلة2، 8نوفمبر1948م، ص7

[19]- **عمر إبراهيم توفيق**: فنون النثر العربي الحديث، ص47 .

[20]- **أحمد رضا حوحو** : (في الميزان: عبد الرحمن شيبان)، البصائر، ع265، السنة6 من السلسلة2، 2أفريل 1954م، ص06

[21]- المصدر نفسه، ص06

[22]- **أحمد رضا حوحو**: (الأدب العربي...هل ينقصه التوجيه؟)، البصائر، ع 65، السنة 2، من السلسلة2، 31جانفي 1949، ص03

[23]- **أحمد رضا حوحو**: (استنطاق الشخصيات في الأدب القصصي)، البصائر، ع 66، السنة الثانية من السلسلة الثانية، 7 فيفري 1949، ص03

[24]- **السيد مرسي أبو ذكرى**: المقال وتطوره في الأدب المعاصر،دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص74

[25]- **علي مفتاح راشد**: فن المقال في أدب نجم الدين الكيب، جامعة السابع من أبريل،ط1، 2010م، ص89

[26]- **أحمد رضا حوحو**: (**تقوية مدارك الطلبة بالخطابة والكتابة والفنون**)، البصائر، ع90 ، السنة2السلسلة2، 5 سبتمبر 1949م، ص11 .

[27]- **أحمد رضا حوحو**: (الصفحة الأولى في تاريخ عبد الحميد بن باديس)، البصائر، ع44، السنة 2 السلسلة 2، 26 جويلية 1948م، ص12 .

[28]- **أحمد رضا حوحو**: (مع حمار الحكيم)، البصائر، ع225 ، السنة 5 السّلسلة 2، 10 أفريل 1953م، ص8 .

[29]- المصدر السابق، ص12 .

[30]- **أحمد رضا حوحو:** (حمار الحكيم وعلم التربية)، البصائر، ع96، السنة 3 السّلسلة2، 28نوفمبر 1949م، ص2 .

[31]- **أحمد رضا حوحو**: (حمار الحكيم)، البصائر، ع69، السنة2،السّلسلة 2، 28 فيفري 1949م، ص6

[32]- **أحمد رضا حوحو:** (بريد حمار الحكيم)، البصائر، ع99،السنة 3 من السلسلة 2، 19ديسمبر 1949م،ص2.

[33]- **السيد مرسي أبو ذكرى**: المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص78.

[34]- **أحمد رضا حوحو:(بيني وبين الناس على هامش الانتخاب)**، البصائر، ع33، السنة 2 السلسلة 2، 26 أفريل 1948م ص7

[35]- **أحمد رضا حوحو: المصدر**نفسه، ص ن.

[36]- **أحمد رضا حوحو**: (**في المؤتمر العالمي للسّلام**)، البصائر، ع79،السنة2من السلسلة2، 9 ماي 1949، ص8.

[37]- **أحمد رضا حوحو**: المصدر نفسه، ص464.

المسرح عند الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو

Theater of the martyr writer Ahmed Reda Hoho

أستاذ محاضر (أ)بوجلخة فضيلة

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي (الجزائر)

Boudjelkha-fadhila@univ-eloued.dz

الملخص:

إن الكاتب والأديب المسرحي أحمد رضا حوحو من المؤلفين الذين نشطوا في مجال المسرح بداية من 1947 وحتى وفاته سنة 1956، وكتبوا مسرحيات فصيحة وعامية كاملة في محتواها ووأهدافها، وكانت حياة الكاتب زاخرة بالتجارب المسرحية تمثيلا وتأليفا رغم قصرها، لذا تعد مساهمته قوية ولها صداها في الحياة الأدبية والاجتماعية.

تعتبر تجربة الكاتب مهمة لخصوصيتها، فقد كانت تعالج أفكارا لها علاقة بالمجتمع الوطن الجزائري، هدفها تربوي تثقيفي، وهذا ما جعل منها نموذجا مسرحيا مثاليا رغم الأوضاع القاسية التي كانت تعيشها الجزائر.

الكلمات المفتاحية: المسرح. الأديب. الكتابة. أحمد رضا حوحو. الشهيد.

Abstract:

The Writer and the theatricalAuthor Ahmed Reda Houhou. was one of the authorswhowere active in the field of theaterfrom 1947 untilhisdeathin 1956. And theywrote colloquial and eloquent full plays. In their contents and their goals. And the writer's life was full of theatricalexperiences in acting and authorshipdespite of itsshortness. So his contribution isbeingconsideredstrong. And It has resonancein the literary and the social life.

The Author'sexperienceisbeingconsidered important because of itsparticularity. As it deals withideasrelated to The Algerian National Society. Its goal waseducational and cultural. And thisiswhatit made it anidealtheatrical model. Despite of the harsh conditions that Algeria was experiencing.

Key words: theater – author – writing- Ahmed Reda Houhou – Martyr.

مقدمة:

يعد الكاتب أحمد رضا حوحو أحد الكتاب الذين برزت أسماؤهم وقت الثورة التحريرية الكبرى، وتميزت تجربته الإبداعية بالتنوع، فهو قاص وكاتب ومسرحي وشاعر، عرفت مسرحياته بالواقعية ومعالجة قضايا مجتمعه كالبخل والغدر..، وترجم الكاتب العديد من المسرحيات والأعمال العالمية من اللغتين الفرنسية والانجليزية إلى العربية، منها لموليير وفيكتور هيغو...

تشكل تجربة الكاتب أحمد رضا حوحو حالة من التميز من ناحيتي التنوع والتجديد، يجمع فيها الكاتب بين الاقتباس والحرص على معالجة قضايا شعبه بأسلوب كوميدي أحيانا وتراجيدي أحيانا أخرى، كما يعتمد على المسرحية ذات الفصل الواحد، وهو نوع جديد في ذلك الوقت، بالإضافة إلى مسرحة الرواية، فالكاتب له رغبة ملحة في مواكبة التجديد والتغيير والتمرد على الوضع الذي يعيشه، ويحاول أن يحرض شعبه من النهوض والدفاع عن حقه في الحرية .

والقارئ لأفكار الكاتب أحمد رضا حوحو، يجد بأنها لا تختلف عن انشغالاته ومنجزاته السردية في تتبع أسباب ضعف المجتمع من كثرة الآفات الاجتماعية، ودور المرأة الفاعل في المجتمع وضرورة تعليمها والدفاع عنها كما جاء في قصتي (غادة أم القرى)و(نماذج بشرية)، وضرورة الاهتمام باللغة التي ترسخ الهوية الوطنية .

إن هدف الفنان هو أن يحقق الانسجام والتوافق بينه وبين الحياة، وبذلك يحدث نوع من التفاعل الوجداني بين ما يحسه في داخله وبين الوجود الخارجي، فهو يستطيع مراقبة الأحداث التي تقع في حياته والنفاذ إلى جوهر الأشياء، وبموهبته يستطيع نقل الوقائع إلى مشاهد مسرحية، يؤدي بها دورا توجيهيا وتربويا لا يخلو من السخرية .

تعد الفترة التي ذاع فيها اسم الكاتب أحمد رضا حوحو هي فترة اندلاع الثورة الجزائرية، وهي فترة حرجة كان يعيشها الشعب الجزائري والكُتاب، فهم معرضون للسجن والقتل في أي وقت، وقد سجن كثير من الكتاب المسرحيين، وهاجر بعضهم وتوقف بعضهم الآخر عن النشاط نتيجة التضييق الذي فرض على الممثلين والكتاب المسرحيين، مما أدى إلى إفلاسهم.[1]

نبذة عن حياة الكاتب أحمد رضا حوحو:

الكاتب الشهيد أحمد رضا حوحو واحد من الكتاب الجزائريين المتميزين الذين عرفتهم الساحة الأدبية خلال الفترة الاستعمارية، ولم يخفت صوته إلا باغتياله سنة1956، **عرف الكاتب بكثرة نشاطه فهو في البداية معلم وكاتب كتب في مجالات كثيرة، منها الكتابة الأدبية والصحفية والمسرح، إضافة إلى عمله ككاتب عام لمعهد عبد الحميد بن باديس**، عُرِفَ بمناهضته للاستعمار الفرنسي ودعوته لمقاومة المحتل من خلال محاربة كل أشكال طمس الهوية الوطنية، حيث أنه (لا سبيل لذلك إلا بمنهج علمي تربوي، يستجيب لحاجاته العلمية والفكرية فرد بذلك على ثقافة الإقصاء بنشاط إبداعي جزائري متميز، مستفيدا من إلمامه بالثقافة الغربية ومن تزوده بما يحفظ هويته العربية الإسلامية، ليرسم بذلك معلما من معالم المقاومة الثقافية الفكرية والأدبية)[2]

ولد أحمد رضا حوحو سنة 1911 في قرية من قرى الزاب الشرقي وهي سيدي عقبة بولاية بسكرة، التي كانت مركز إشعاعي ديني وثقافي، حيث التحق بالكتاب وتعلم مبادئ اللغة العربية، وقواعد الإسلام على أيادي شيوخ البلدة، ولما بلغ السادسة التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية سنة 1916، ومنها تحصل على الشهادة الابتدائية سنة1922، 1923م، بعدها أرسله والده إلى سكيكدة ليكمل دراسته التكميلية لنيل شهادة الأهلية سنة1928م، ولم يتمكن من متابعة تعليمه الثانوي نتيجة السياسة الفرنسية التي تمنع أبناء الجزائر من مواصلة تعليمهم، عاد الكاتب إلى مسقط رأسه وعمل بمصلحة بريد سيدي عقبة.[3]

تزوج في سنة 1934 وفي سنة 1935 هاجر بصحبة زوجته وأفراد أسرته إلى الحجاز بحراً، وما أن استقر به المقام بالمدينة المنورة حتى التحق بكلية العلوم الشرعية، أين توسع في علوم العربية والدينية، وتخرج منها عام 1938 بتفوق، حيث حصل على أعلى الدرجات، هذا التفوق أهّله إلى أن يعيَّن أستاذا بالكلية نفسها في البداية ،وفي بداية 1940 عمل في إدارة البريد بمكة.[4]

في الحجاز بدأ نشاطه الفكري والأدبي بالظهور في الصحف والمجلات، وأول مقال نشر له في مجلة (الرابطة العربية)بالقاهرة سنة 1937 بعنوان (الطرقية في خدمة الاستعمار)،وفي مجلة(المنهل) الصادرة في مكة، تنوعت كتابات رضا حوحو(**مثل مواجهة الاستعمار الفرنسي**

ومهاجمة الطرقية التي كان يرى في الممارسات الدينية لبعضها ما يتناقض مع جوهر الدين)[5]، وكان يترجم للمجلة ما يروق له من روائع الأدب الفرنسي، حتى ذاع صيته كأديب وقاص اجتماعي.

وفي 1945 عاد إلى الجزائر بعد وفاة والده، واستقر بقسنطينة عاملا بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أستاذا مصلحا في تدريسه وفي كتاباته، قام بعدة رحلات لبلدان عدة منها (الاتحاد السوفياتي)وتحدث عن ذلك في جريدة (الشعلة)[6] مبينا تطوره الاقتصادي والاجتماعي، وهدفه بعث الوعي في نفس القارئ الجزائري ليحطم الأغلال وينهض لبناء مجتمع قوي، عمل الكاتب في ميدان الصحافة في مجلة (البصائر)[7]و(الشعلة) التي تولى فيها رئاسة التحرير، وعمل على بث الوعي في النفوس، ومحاربة الاحتلال وكل الآفات الاجتماعية التي ظهرت في المجتمع الجزائري.[8]

وفاته:

عندما اندلعت الثورة التحريرية كان أحمد رضا حوحو يزاول عمله كالمعتاد في معهد ابن باديس، وقد كان مراقبا من السلطات الاستعمارية، وكانت تحوم حوله شكوك السلطة الاستعمارية، واعتقل في أوائل سنة 1956وعذب تعذيبا منكرا، وهدد بأنه سيكون مسئولا عن أي حادث يقع في المدينة، وأن مصيره الإعدام.

وفي 29مارس 1956 اغتيل محافظ شرطة قسنطينة على يد الفدائيين، فانطلقت حملة تفتيش واعتقالات واسعة وسيق الأديب أحمد رضا حوحو من منزله إلى سجن الكدية، ومنه إلى جبل الوحش، وهناك أعدم مع مجموعة من الشخصيات والمثقفين.[9]

إنتاجه الأدبي:

أنتج الكاتب والأديب أحمد رضا حوحو العديد من الأعمال في القصة والمقال، ففي فن المقال كتب المقالة السياسية التي تخص الوطن والاحتلال، والمقالة الاجتماعية التي عالج فيها الآفات والأمراض الاجتماعية، والمقالة الأدبية والمقالة القصصية التي تستند على القص كجانب في القصة القصيرة، وهو نتاج ثري بقي أكثره مختفيا في الصحف والمجلات.[10]

أما في مجال القصة فكان أولها(غادة أم القرى) كتبها في الحجاز سنة 1947، وهي عبارة عن قصة طويلة تحكي عن حرمان المرأة الحجازية من حقها في التعليم وحرية الرأي، وتعتبر من الإرهاصات الأولى التي أسهمت في تأسس الرواية العربية الجزائرية، ومن الناحية الإصلاحية ألف سنة 1953 كتابه (مع حمار الحكيم) الذي عالج فيه عدة قضايا، فكان عبارة عن مقالات حوارية ساخرة بين أحمد رضا حوحو وحمار توفيق الحكيم.[11]

وفي عام 1949 كتب مجموعته القصصية (صاحبة الوحي)، التي تعد وثيقة أدبية وتاريخية هامة للعصر الذي عاشه الكاتب، تطرح مشكلات الشباب والحب والزواج والعلاقات الاجتماعية، وتعالج سلوك الرجل ومواقفه وعلاقته بالمرأة بوصفه أبا وشقيقا وزوجا.

وفي سنة 1955 نشر مجموعة قصصية بعنوان (نماذج بشرية) وهي عبارة عن نقد اجتماعي بمنظور واقعي وأسلوب ساخر، وتتضمن الكثير من أفكار حوحو وآراءه حول بعض المشكلات والقضايا الاجتماعية.[12]

يقول الشيخ عبد الرحمان شيبان عند تقديمه لكتاب (مع حمار الحكيم): (يمتاز أدب الأستاذ حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاد،...إنها لتنبعث من نفسه الحقيقة الصادقة الناقدة انبعاثا، فهو خفيف في كلامه، خفيف في نكته، خفيف في حركته وسكونه، وهو يعالج ما يعالج من الشؤون بكل صدق)[13].

وهناك عمل آخر ينتمي الشكل القصصي هو (نماذج بشرية) ألفه الكاتب سنة1955، وهي سيرة ذاتية لمجموعة من الأشخاص في المجتمع، تختلف مشاربهم وتتباين مصائرهم.[14]

ـ نشاطه المسرحي:

إن ولع الكاتب رضا حوحو بالمسرح بدأ منذ شبابه الأول، لكن البداية المؤكدة لاشتغاله بالمسرح في إطار المسرح الهاوي، تعود إلى سنة 1929حين تحصل على شهادة الدروس المتوسطة وعاد إلى قريته، حيث انظم إلى جمعية (الشباب العقبي) التي أسسها المناضل شباح المكي، وجعل

مقهاه مقرا له، عين حينها رضا حوحو أمين سرها، وأحد أعضائها النشطين خاصة في مجال التمثيل المسرحي.[15]

وقد برع الكاتب في التمثيل وخاصة في تقليد الأعيان أو الشخصيات البارزة في المجتمع العقبي، ثم تحول إلى كتابة النصوص المسرحية القصيرة حين سافر إلى الحجاز، ونشر بعضها في جريدة (المنهل) المكية، منها (صنيعة البرامكة)و(أدباء المظهر)و(الواهم)، ونشر مقالات مطولة عن بعض أعلام الأدب والمسرح الفرنسيين، منهم موليير وفيكتور هيغو.[16]

وبعد عودته للجزائر سنة1945انظم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أين وجد ضالته في المسرح المدرسي للجمعية مما أتاح له فرصة تقديم بعض مسرحياته سواء المنشورة منه أو غير المنشورة[17]، ولأن المكان محدود لم يرض رغبة الكاتب فعمد إلى تأسيس جمعية(المزهر القسنطيني للموسيقى والمسرح)فقد كان (مديرا لفرقة المزهر وكانت هذه الفرقة تشتغل بالتمثيل والموسيقى في قسنطينة، وكان حوحو نفسه يعزف على بعض الآلات الموسيقية)[18]، وتأسست الفرقة سنة 1948 وظل يرعاها إلى سنة 1954[19]،و انبثقت عن انحلال (جمعية أحباب الفن)القديمة بقسنطينة، وتتشكل من مجموعة من الشباب ينشطون في ميداني الموسيقى والمسرح[20].

كان الكاتب مهتما باختيار اللغة المناسبة لمسرحياته حسب الموضوع وطابع المسرحية التي أعدها للعرض، فمثلا عندما تكون المسرحية تاريخية يختار لها اللغة الفصيحة، أما إذا كانت ذات طابع اجتماعي موجهة لعامة الناس فيختار لها اللغة العامية المهذبة لتكون الفائدة أكثر وتستقطب جمهورا أكثر، وهذه هي مميزات المسرح الجزائري في وقت الثورة فقد(كانت القاعات التي تعرض بها هذه المسرحيات تعرف إقبالا واسعا من مختلف فئات المجتمع الذي وجد فيها متنفسا له من ضغط حياته اليومية).[21]

اقتبس الكاتب أحمد رضا حوحو العديد من الأعمال المسرحية عن موليير ومارسيل بانيول، وفيكتور هيغو، ومن أعماله مسرحية المترجمة: عنبسة، بائعة الورد، النائب المحترم...،

كما ألف عدة مسرحيات أهمها: أدباء المظهر، الواهم، صنيعة البرامكة[22]، وكان هدف الكاتب هو تقوية المسرح لذلك أشرك الأوروبيين ليغنوا باللغة العربية.[23]

دامت تجربة حوحو المسرحية ما يقارب العشر سنوات، قدم فيها للإذاعة والمسرح العربي أكثر من عشر مسرحيات بالرغم من مضايقات المستعمر، ومحاولات احتوائه لكنه بقي صامدا، لأن دور الأديب في مرحلة الثورة هو(سياسي واجتماعي في آن واحد، هو اجتماعي لأن على الأديب أن يناضل مع الطبقة المحرومة في سبيل تطوير المجتمع الجزائري الحديث، وهو سياسي لأن هذا التطوير ينبغي أن يتم في إطار رؤية سياسية معينة،).[24]وبالنسبة للكاتب أحمد رضا حوحو فقد غابت السياسة إلي حد كبير في أعماله، لكن حضورها في القليل منها كان شديد الارتباط بالواقع مع فهم عميق له، وجرأة في نقده، جرأة ساخرة داعية إلي تغييره، وهي ملاحظة تغني تجربة حوحو المسرحية تمثيلا وتأليفا واقتباسا رغم قِصرها، كما لاحظ إسهامها الجيد والفعال في تنشيط المحيط الذي انبعثت منه وفيه في ظل الظروف القاسية التي نشأت عن الاحتلال).[25]

يفهم من ذلك أن فن المسرح عند الكتاب الجزائريين كان لخدمة المجتمع أخلاقيا ودينيا واجتماعيا، وهذا ما جعل المسرحيات تتميز بالحكمة والموعظة[26] .

ـ مسرحياته:

لقد تأثر أحمد رضا حوحو في مسرحه بالمسرح الفرنسي والمسرح الانجليزي المترجم إلى الفرنسية، ومثلت له عدة مسرحيات، ونشرت مسرحيات أخرى، ولا يزال الكثير منها مجهولا، من هذه المسرحيات:

- **عنبسة أو ملكة غرناطة**: وهي مسرحية تاريخية عاطفية جرت أحداثها في الأندلس،، تقع في ثلاثة فصول، وقد استوحاها الكاتب من أعمال (فيكتور هيجو)، ونشرتها مجلة (الحلقة)سنة 1972، وهي مسرحية ممزوجة بين العامية والفصحى، وتدور أحداث المسرحية حول شخصية (عنبسة)، وهي شخصية عربية لعبت دورا سياسيا في الأندلس.[27]

- **بائعة الورد** : مأساة من خمسة فصول، كتبت باللغة العربية الفصحى، اقتبسها الكاتب رواية (حاملة الخبز) للكاتب (كازافيه دي منتديان)، تدور أحداث المسرحية حول أرملة توفي زوجها منذ شهور وترك لها طفلين، تشتغل المرأة بوابة في معمل وتتعرض للسجن في جريمة لم ترتكبها، لكنها تخرج من السجن، وبعد سنوات تلتقي المجرم وتفضحه، لكنه ينتحر.[28]
- **الأستاذ:** مسرحية هزلية، تتألف من فصل واحد، تعتمد بالأساس على النقد الاجتماعي لما في المجتمع من نفاق واستغلال، فيقول في التقديم لها(كان عبد الحق عاملا بسيطا من عامة الناس، أميا لم يتلق من العلوم شيئا، لا قليلا ولا كثيرا، لا يعرفه أحد سوى زملائه في العمل وبعض جيرانه في الحي المتواضع الذي يسكنه لضآلة مركزه الاجتماعي ولانصرافه عن الناس بالكد في سبيل العيش، وذات يوم توفي عمه الثري . وكان وارثه الوحيد . فاستولى على جميع أمواله وثروته الطائلة، وأصبح من كبار الأثرياء، يشار له بالبنان، وما كاد يشيع الخبر حتى تجمهر الزوار على باب داره من مهنئين ومتسولين وفضوليين).[29]
- **دار الشرع أو دار الخصومة**: تتكون من ثلاثة فصول، تدور حول شخصية قاض، يعالج بها الكاتب بعض الآفات الاجتماعية من رشوة واستغلال.[30]
- **. ابن الرشيد**: كتبها في ثلاثة فصول، تتحدث عن المأمون بن هارون الرشيد، وما كان يعج به القصر من صور إيجابية وسلبية.[31]
- **أدباء المظهر:** تتكون من فصلين، وموضوعها يدور حول انصراف الناس عن الأدب الحقيقي واهتمامهم بالشكل، فهم يريدون أن يكونوا أدباء في وقت قصير، ورغم الفكاهة التي تغلب عليها إلا أنها تعبر عن النظرة المتشائمة للأدب.[32]
- **صنيعة البرامكة**: تتكون من ثلاثة فصول، موضوعها تاريخي يعود إلى عهد المأمون الخليفة العباسي السابع، وتروي واقعة القضاء عليهم من طرف هارون الرشيد.[33]
- **البخيل أو سي شعبان**: تتكون من ثلاثة فصول، وهي مسرحية مقتبسة عن مسرحية(البخيل) لموليير، مكتوبة باللهجة العامية.[34]

وهناك مسرحيات أخرى منها مسرحية(سي عاشور والتمدن)، وهي ملهاة في ثلاثة فصول، ومسرحية(النائب المحترم) وهي دراما اجتماعية في ثلاثة فصول، ومسرحية (أبو الحسن التميمي) ملهاة في ثلاثة فصول، كتبت باللهجة العامية، مقتبسة من حكايات ألف ليلة وليلة، ضاع منها جزء كبير....[35]

ـ خصائص الكتابة المسرحية عند أحمد رضا حوحو:

يورد الأديب رضا حوحو مجموعة من الخصائص للمسرح هي:

- **أولا**: أن المسرح يتوجه إلى المشاهدين، وبالتالي وخلافا للفنون الأدبية الأخرى فهو لا يشترط أن يكون المتفرج متعلما، ولا تقف الأمية حجرة عثرة في طريقه، وهذا ما يجعل الفن المسرحي فنا جماهيريا، يقول(والمسرحية لا تحتاج إلى قراء بقدر ما تحتاج إلى مشاهدين، حيث تتخاطفها فرق التمثيل المتعددة التي تقوم بعرضها على آلاف النظارة من مختلف الطبقات والبيئات، وحتى إذا احتاجت إلى قراء فإنه يكفي التعليم الأولي البسيط لفهم مراميها واستجلاء أغراضها)[36] .
- **ثانيا**: إن الأفكار في المسرحية تظهر مجسمة في شكل أشخاص يتحاورون بشكل عادي، وهذا ما يسهل فهمها ويقوي تأثيرها في النفوس (إن المسرحية أشد تأثيرا في القلوب، وأعظم نفوذا في امتلاك النفوس وذلك لتصويرها للحادثة أو الفكرة تصويرا دقيقا واضحا لا يحتاج إلى عناء في الفهم أو دقة في الملاحظة، إذ تبرز المعاني مجسمة في أشخاصها الذين تنطقهم بألسنتهم نطقهم العادي، الخالي من التكلف والغموض) .[37]
- **ثالثا**: إن الطابع العام لمسرحيات رضا حوحو هو التوجيه الأخلاقي وتوعية الجمهور، ويتجلى ذلك في العناوين التي يختارها لمسرحياته وتمثيلياته القصيرة مثل(دار الشرع أو داء الخصومة) أو(النائب المحترم).[38]وقد يعتمد الكاتب على الأسلوب المباشر لإيصال فكرته كما ورد في مسرحية (سي عاشور والتمدن)، ويؤكد الأديب رضا حوحو على أهمية المسرح في تهذيب أخلاق الفرد فيقول(وهكذا تقدمت الرواية المسرحية وتطورت الملهاة خاصة حتى أصبحت من عوامل الإصلاح الخلقي والاجتماعي، وتناولت أغراضا كثيرة ومبادئ مختلفة بالنقد والتهذيب)[39]

يغلب على كتابات أحمد رضا حوحو التوجيه، وجاءت بأسلوب ساخر يقول أبو القاسم سعد الله حول ذلك (لفت نظري في أدب حوحو ظاهرتان هامتان، الأولى السخرية والثانية براعة الحوار، فالسخرية ظاهرة شائعة في جميع آثاره حتى الجادة منها، يلتجأ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه وشؤون الحياة، وليس غريبا أن يعمد حوحو إلى هذا الأسلوب في مجتمع كالمجتمع الجزائري(..) وعندي لو أن حوحو امتهن الرسم لكان من أبرع الرسامين في فن الكاريكاتير)[40]

- **رابعا:** نوع الكاتب أحمد رضا حوحو بين اللغة العربية الفصحى والعامية، فإذا كانت المسرحية من نوع الدراما اختار لها اللغة العربية الفصيحة كما جاء في (ملكة غرناطة) و(صنيعة البرامكة) و(بائعة الورد)، جاء في مسرحية صنيعة البرامكة:

- (يقول **المأمون** :" مخاطبا المنذر بحدة"

من أنت أيها الرجل ؟! وبما استوجبت البرامكة منك ما تفعله كل ليلة في خرابات دورهم؟!..

- **المنذر:** "يطرق رأيه ويلتزم الصمت"
- **المأمون:** قل!! بما استوجبت البرامكة منك كل ما تفعله؟!
- **المنذر:** "في تؤدة وإنكار"

يا أمير المؤمنين! إن للبرامكة أيادي حضرة عندي فإن أذن لي مولاي أن أحدثه بحالي معهم فعلت...).[41]

أما إذا كانت الموضوعات من نوع الملهاة اختار اللهجة العامية حتى لو كان الموضوع تاريخيا أو شبه تاريخي كما جاء في مسرحية (أبو الحسن)و(سي عاشور والتمدن) و(البخيل) [42].

جاء في مسرحية (البخيل) حوار بين شعبان وحسن، يقول:

- **(شعبان:** آه لوعندي هذا المبلغ ما نشكيش طول عمري .
- **حسن:** لكنك بخير يا بابا، ما لازمكش تشكي والحمد لله، وأنت في ألف خير ونعمة.

– **شعبان:** كيفاه ؟ أنا في خير؟ تسمع كلام الكذابين الملعونين اللي يشعوا على هذا الخبر المكذوب.

– **حسن:** ما تغضبش يا بابا، وما فيهاش لزوم للغضب)[43]

يعود سبب التنويع في اللغة المسرحية إلى التزام الكاتب بمبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وما يتفق وأهدافهم الرئيسية في نشر اللغة العربية، ولكنه يتغاضى عن هذا المبدأ في الملهاة للدور الذي تلعبه اللهجة العامية في المواقف المضحكة، وأثرها في ذهن المشاهد، وهذا التنويع يقصد به إرضاء جميع الأطراف وإيصال الفكرة إلى عامة الناس.[44]

– **خامسا:** برع الكاتب رضا حوحو في توظيف الحوار في مسرحياته، ولكان في ذلك متميزا عن أقرانه من الكتاب، يقول عنه الدكتور سعد الله(قد برع فيه لدرجة كبيرة لم أعرف أديبا جزائريا وصل إلى مستواه فيه، استخدم حوحو الحوار في القصة والمسرحية وفي الموضوعات المختلفة، وكان حواره يمتاز بالسرعة والجدة والنكتة مما جعله خفيفا على الأذن قريبا إلى القلب).[45]

.المقاومة الثقافية في أعمال أحمد رضا حوحو المسرحية:

خدم الكاتب شعبه وبلده من خلال إنتاجه الأدبي والفكري ،عالج الكاتب المسرحي أحمد رضا حوحو موضوعات كثيرة، حاول من خلالها توجيه المجتمع وتوعيته بغرض النهوض به وتطويره ليدافع عن حقوقه، نذكر منها:

– **القضايا الاجتماعية** :لقد عالج الكاتب العديد من الأمراض الاجتماعية في مسرحياته بغرض محاربتها والنهوض بالمجتمع الجزائري منها قيمة الأستاذ والأدب في مسرحية (أدباء المظهر) و(الأستاذ)، والبخل في مسرحية (البخلاء الثلاثة)، ونتيجة السرقة والجشع (بائعة الورد).

– **الدفاع عن المرأة وعن حقوقها** :يركز الكاتب في أعماله الأدبية والمسرحية على المرأة باعتبارها هي الركيزة والدعامة الأساسية في المجتمع، وهي المدرسة الأولى للأجيال كلها، فيتناول زواجها وتعامل الناس معها، فهي عنده (مخلوق مغلوب على أمره مسلوب الحرية

والكرامة)[46]،وأورد الكاتب رضا حوحو ذلك في مسرحية (بائعة الورد) عندما اتهمها عمار بحرق المصنع وأخذ هو المال وهرب إلى الخارج، فيقول على لسان عائشة :

(عائشة: لا..لا أسكت أبدا ما دامت الأيام قد جمعت بيننا. إني أريد أن يعلم عموم الناس بأن عبد المحسن ما هو إلا عمار السارق القاتل المجرم الذي أضاف إلى جرائمه عارا لا ينسى.. ترك امرأة مسكينة تدفع ثمن إجرامه...امرأة تركت أولادها ولم تراهم إلى اليوم).[47]

- **التمدن والتقليد الأعمى**: يتقيد الأديب حوحو بتعاليم جمعية العلماء المسلمين التي تحذر من مسخ وتشويه الشخصية الأصلية الجزائرية، وهذا نقدا لما دعا إليه الأثرياء والنخبة في المجتمع الجزائري ودعاة الاندماج من خريجي المدرسة الفرنسية، فقد تناول في مسرحية(السي عاشور والتمدن)شخصية (سي عاشور) الذي يرى أن التمدن يكون بتطبيق حياة أهل المدينة، حيث تعلم فنون الأدب والموسيقى وهو الجاهل الذي قضى حياته في بساطة بصور تدعو إلى الضحك والسخرية، يقول :
- **رشيد** : (لعاشور) سي عاشور، اسمح لي إذا تقدمت في هذي الساعة خاطب بنتك لطيفة.
- **عاشور**: قبل كل شيء، قل لي راك متمدن ولا لا؟
- **رشيد** : هل تقصد يا سيدي بالمدنية العمل والخدمة والأخلاق، وإلا تقصد بها الكلام الفارغ والتفنيين وغير ذلك؟
- **عاشور**: ماكش متمدن أصلا أبعد عن طريقي، بنتي ما هيش لمثلك
- **سعدية**: إذا كان هذا ما هوش متمدن، أمالا سي المدني انتاعك النصاب، الفلاسفي هو المتمدن)[48].
- **القضايا التربوية:** عالج الكاتب مسألة التعليم في مسرحيي (الأستاذ)و(النائب المحترم)، ففي المسرحية الثانية يظهر (سي زعرور)، وهو معلم يحمل رسالة، كان يعمل في مدرسة خاصة لكنه طرد منها بسبب خلاف مع أحد الأثرياء، لكنه يتحول إلى الغش والاحتيال لربح المال، يقول حوحو ساخرا من المجتمع(والمال في عرف البشر هو الفضيلة وهو الشرف وهو العلم والأدب)[49]، يقول عبد المنعم ساخرا من (سي عزوز):

- **عبد المنعم:** لقد ضاع صوابك يا سيزان أتريدين حقا أن نستخدم ذلك المسكين بلحيته وطربوشه الهابط على أذنيه؟ أتريدين أن تستخدم أبلها في قضايا شائكة ؟يبدو أنك لا تهتمين بشيء سوى قبض المالية، أما نتائجها ومسؤولياتها فلا تهمك في شيء.
- **سيزان:** ليس هناك أي خوف من جهته، فالرجل بليد، ساذج طيب القلب، وقد طردوه من عمله بالمدرسة، أنا أتكلف به وأتولاه.
- **عبد المنعم:** حسنا ما دام الأمر كذلك، اتفقنا وأرى من الأحسن إسكانه هنا في الشقة الشاغرة فوقنا، ولنجعل له مكتبا خاصا به، لكن أين أجده الآن؟
- **سيزان:** لا تقلق إنه هنا (تدق الجرس، يظهر الخادم)قل لسي عزوز إني في انتظاره أريد محادثته؟
- **عبد المنعم:** الشيخ عزوز رجل أعمال يا للسخرية، يا للسخرية بالأعمال(يضحك، يدخل عزوز)).[50]

الخاتمة:

لقد خلف الكاتب أحمد رضا حوحو خلال مسيرة حياته كثيرا من الأعمال المسرحية، عكست هذه فكره ومنهجه النضالي خلال فترة إنتاجه الأدبي قبل الثورة وفي أثنائها، ولم يتوقف قلمه عن الحث والتحريض إلا باستشهاده، فهو يعتبر إضافة جيدة للمكتبة الأدبية الجزائرية وفتح بابا كبيرا على المسرح الجزائري في زمن الثورة من بابه النضالي والتوعوي.

قائمة المصادروالمراجع:

1. إبراهيم صحراوي : قراءة في مسرح الجزائري الشهيد أحمد رضا حوحو،جريدة القدس العربي ،السنة 17، العدد5199، 15 فيفري 2006.
2. أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007،
3. أحمد بيوض: المسرح الجزائري نشأته وتطوره، دار هومة، الجزائر، 2011،

4. أحمد دوغان: الثورة الجزائرية في المسرح العربي، محافظة المهرجان الوطني للمسرح المحترف، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.
5. أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة (المسرحية)، دار مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015،
6. أحمد رضا حوحو: مع حمار الحكيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1982.
7. أحمد رضا حوحو: نماذج بشرية، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012
8. أحمد منور: مسرح أحمد رضا حوحو (دارسة أدبية تحليلية مقارنة)، رسالة ماجستير، إشراف عبد الله ركيبي، جامعة الجزائر، 1989،
9. أحمد منور: مفهوم المسرح وأهدافه بين حوحو ومولييرر، مجلة الحلقة، دورية ثقافية تعنى بشؤون المسرح، ع4، 1993،
10. أسامة حوحو: الأستاذ أحمد رضا حوحو حياته وآثاره، (1910. 1956م)دراسة تاريخية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005، 2006.
11. الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري الحديث،دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009،
12. سعد بن البشير العمامرة: شهداء من بلادي الجزائر، مطبعة مزوار الوادي، 2006،
13. صالح لمباركية: المسرح في الجزائر النشأة والرواد والنصوص حتى سنة 1972، دار الهدى، الجزائر، 2005، ج1 .
14. عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر1931. 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983،
15. عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام..وقضايا ..ومواقف..) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993،
16. محمد الصالح رمضان: شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو 1911 ـ 1956،منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1984 .
17. محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.

18.محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، نقلا عن أحمد رضا حوحو : في الأدب والاجتماع (مخطوطة)،

19.نور الدين عمرون: المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنيت، باتنة، ط1، 2006،

20.يوسف قنفود ومحمد دراوي: محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو إبان الحركة الوطنية، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 5، العدد1، جوان 2021،

الإحالات:

[1] ينظر أحمد دوغان: الثورة الجزائرية في المسرح العربي، محافظة المهرجان الوطني للمسرح المحترف، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص: 27، 28

[2] يوسف قنفود ومحمد دراوي: محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو إبان الحركة الوطنية، مجلة البحوث التاريخية ، المجلد 5، العدد1 ، جوان 2021، ص:265

[3] محمد الصالح رمضان: شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو 1911 ـ 1956،منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، 1984، ص:11

[4] المرجع السابق، ص:12، 13

[5] الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري الحديث،دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص:79

[6] أسس الكاتب في قسنطينة مع مجموعة أصدقائه من العلماء الشباب الثائرين المجددين: هم أحمد حماني والصادق حماني وأحمد بوشمال جريدة أسبوعية ذات طابع هزلي نقدي تحت اسم (الشعلة) وتولى رئاسة تحريرها ، وهي أسبوعية (للكفاح والانتقاد)تصدر كل يوم خميس من أربع صفحات ، صدر عددها الأول سنة1949وآخر عدد سنة .1951، صدر منها 54 عددا.

[7] هي مجلة تصدر عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، متكونة من سلسلتين، والثانية هي التي نشر فيها الكاتب بداية من سنة1947.

[8] عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام..وقضايا ..ومواقف..)ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1993، ص: 168، 169

[9] سعد بن البشير العمامرة: شهداء من بلادي الجزائر، مطبعة مزوار الوادي، 2006، ص:67

[10] ينظر المرجع نفسه، ص: 170

[11] ينظر المرجع نفسه، ص: 173

[12] الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، ص: 92

[13] أحمد رضا حوحو: مع حمار الحكيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1982،(المقدمة للأستاذ عبد الرحمان شيبان)ص:8

[14] عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص:174

[15] أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة (المسرحية)، دار مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، المقدمة لأحمد منور، ص:11، 12

[16] ينظر عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص:12

[17] المرجع نفسه، ص:13

[18] عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر1931. 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص:491

[19] أبو القاسم سعد الله دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص86،87

[20] ينظر أحمد بيوض: المسرح الجزائري نشأته وتطوره، دار هومة، الجزائر، 2011، ص: 120

[21] أسامة حوحو: الأستاذ أحمد رضا حوحو حياته وآثاره، (1910. 1956م)دراسة تاريخية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2005، 2006، ص:41

[22] نور الدين عمرون: المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنيت، باتنة ، ط1، 2006، ص:103

[23] ينظر المرجع نفسه، ص:121

[24] محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص: 103

[25] ينظر إبراهيم صحراوي : قراءة في مسرح الجزائري الشهيد أحمد رضا حوحو،جريدة القدس العربي،السنة 17، العدد5199، 15 فيفري 2006، ص:11

[26] محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، ص116

[27] ينظر صالح لمباركية: المسرح في الجزائر النشأة والرواد والنصوص حتى سنة 1972، دار الهدى، الجزائر، 2005، ج1 ، ص: 98

[28] لمعلومات أكثر ينظر المرجع نفسه، ص:98، 99

[29] أحمد رضا حوحو : نماذج بشرية، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص:249

[30] عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص: 171

[31] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[32] أحمد منور: مسرح أحمد رضا حوحو (دارسة أدبية تحليلية مقارنة)، رسالة ماجستير، إشراف عبد الله ركيبي، جامعة الجزائر، 1989، ص: 59، 60

[33] ينظر المرجع نفسه، ص:61

[34] ينظر صالح لمباركية: المسرح في الجزائر، ص: 197

[35] ينظر المرجع نفسه، ص: 97،إلى 100

[36] محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، نقلا عن أحمد رضا حوحو : في الأدب والاجتماع (مخطوطة)،ص:26

[37] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[38] المرجع نفسه ، ص:29

[39] أحمد منور: مفهوم المسرح وأهدافه بين حوحو ومولييرر، مجلة الحلقة، دورية ثقافية تعنى بشؤون المسرح، ع4، 1993، ص:26

[40] أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص:93

[41] أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة ، ص:31، 32

[42] ينظر أحمد منور: مفهوم المسرح وأهدافه بين حوحو ومولييرر، ص: 30

[43] أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة ، ص: 338

[44] ينظر أحمد منور: مفهوم المسرح وأهدافه بين حوحو ومولييرر، ص:30

[45] أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص: 93، 94

[46] محمد الصالح رمضان: شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو، ص: 31

[47] أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة،(المسرحيات)، ص: 195

[48] المصدر نفسه، ص:283

[49] أحمد رضا حوحو : نماذج بشرية، ص:63

[50] أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة،(المسرحيات)، ص:489، 490، 491

جماليات التبئير في أدب الشّهيد أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" أنموذجا

The aesthetics of focus in the literature of the martyr Ahmed Reda Houhou, "Ghada Umm al-Qura," as an example

أستاذ محاضر -أ-/ حفري فطيمة الزهرة

قسم اللغة والأدب العربي –الشّهيد حمّه الأخضر -الوادي- (الجزائر)

البريد الإليكترونيhofri-fzohra@univ-eloued.dz

ملخص:

جُبِل الإنسان منذ ولادته على فطرة التّعلّق بكلّ ما يحيط به، وأكثر ما يظهر هذا التّعلّق في حبّه للمرأة وللمكان، هذا الأخير الّذي يترجم الكثير من الأفراح والأقراح في حضور صانعة الجمال.

مكوّنات سرديّة دفعت بالأديب الشّهيد أن يفعل أيقونة التبئير في منجزه الموسوم "بغادة أم القرى"، فيتأسّس من خلالها ليستدعي مختلف الجماليات؛ ورقة بحثيّة تعتمد التّنقيب عن كلّ ما من شأنه أن يوسع نطاق الدّلالة، ليفرضها واقع اعلاميّا في الكتابة السّرديّة، يتعانق المكان بالمرأة، فترسم صورة تتجاوز النّمطيّة إلى العجائبيّة..

الكلمات المفتاحية: التأثيث- التبئير - المرأة – المكان- إيديولوجيا – التقاطع

Abstract:

Since birth, man has been naturally created to be attached to what surrounds him, and this attachment is most evident in his love for women and for the place, the latter of which translates many joys and sorrows in the presence of the Creator of Beauty.

Narrative components that prompted the martyr writer to create an icon of focus in his work called "Baghdad Umm al-Qura", through which it was established to summon various aesthetics; a paper based on exploring everything that would expand the scope of meaning, to impose it as a global reality in narrative writing. The place embraces a woman, Retirezl'eau de l'eau.

key words: furnishing - focus - women - place - ideology - intersectionality

1/أحمد رضا حوحو الأديب الشّهيد:

أحمد رضا حوحو؛ أصيل ولاية بسكرة، وتحديدا بلدة سيدي عقبة رمز العروبة والأصالة، تحمل بين ظهرانيها الفاتح الفهري عقبة بن نافع، ولد الشّهيد الأديب "يوم 15 ديسمبر 1910م"[1]، بقرية سيدي عقبة، التحق بالكتّاب، في سنّ جدّ مبكّرة، شأنه شأن كلّ الجزائريين، ثمّ التحق بالمدرسة الابتدائيّة، قرّر والده إرساله إلى ولاية سكيكدة لمواصلة تعليمه، تحصّل على شهادة التّعليم المتوسّط عام 1928م.

لم يتمكّن الأديب الشّهيد من مواصلة تعلّمه الثّانوي نظير الممارسات القمعيّة الّتي كانت تمارسها فرنسا آنذاك، عاد إلى مسقط رأسه ليعمل بمصلحة بريد سيدي عقبة، لم يلبث "أحمد رضا حوحو" حتّى قرّر السّفر بمعيّة أسرته إلى الحجاز عام 1935م[2]"حين سافر ليستقر في المدينة المنوّرة ويلتحق بكلّيّة الشّريعة لإتمام دراسته، تخرّج عام 1938م متحصّلا على أعلى الدّرجات، وعيّن على أثر ذلك أستاذا بالكلّيّة نفسها، انتقل إلى مكّة المكرّمة، واشتغل في مصلحة البرق بالقسم الدّولي، عاد بعد ذلك إلى الجزائر عام 1946م بعد وفاة والديه"[3].

انظمّ بعد عودته إلى الجزائر لجمعية العلماء المسلمين، وأصبح عضوا فعّالا بعد اندلاع الثّورة التّحريريّة، وفي سنة 1955م ظلّ يمارس عمله بمعهد ابن باديس، اعتقلته الشّرطة الفرنسيّة في أوائل 1956م وهدّدوه بالإعدام باعتباره المسؤول الأساس عن كلّ حادث يقع للفرنسيين آنذاك، وقد وقع في 29 مارس 1956م اغتيال محافظ الشّرطة بقسنطينة، وأعتقل "حوحو" ليتمّ إعدامه في "جبل الوحش" بقسنطينة.

2/علامات فارقة في حياة "حوحو" الفكريّة:

أحمد رضا حوحو، شهيد الكلمة، شهيد النّضال من أجل حرّيّة الوطن، دافع عن الهويّة، دافع عن الإسلام والعروبة، أديب وسياسي وقاص وروائي من طراز رفيع، "أسهم في تأصيل القصّة الفنّيّة العربيّة في الجزائر"[4].

← 25 سبتمبر 1946م نشر أوّل مقال له في البصائر بعنوان "خواطر حائر".

← 1949م سجّل مشاركته في مؤتمر باريس الدّولي للسّلام، حيث مثّل الجزائر.

← 27 أكتوبر1949م قام بإنشاء جمعيّة المزهر القسنطيني، وكان يعرض فيها معظم مسرحيّاته، من بينها: ملكة غرناطة، بائعة الورود، البخيل.

← 15 ديسمبر1949م أسّس جريدة الشّعلة الّتي أصدر خمسين عددا منها.

← عمل "حوحو" على ترجمة من وإلى الأدب الفرنسي.

← "حوحو" رائد القصّة القصيرة الجزائريّة بدون منازع من بين أهمّها:"يأفل نجم الأدب"، "ابن الوادي"، "الأديب الأخير"، "صاحب الوحي".

← 1955 قام "حوحو" بنشر مجموعته القصصيّة "نماذج بشريّة" ضمن سلسلة كتاب البعث التّونسيّة[5].

← ترك لنا الأديب الشّهيد رواية "غادة أم القرى" عام 1947م، ناهيك عن جملة من المقالات الحواريّة السّاخرة الّتي تترصّد المجتمع وتترقّب أفعاله، وأوضاعه الاجتماعيّة، والثّقافيّة، والسّياسيّة.

عُرِف الشّهيد الأديب إتقانه للّغة الفرنسيّة، "الأستاذ أحمد رضا حوحو نشأته الأولى في بيئة تباين بيئتنا، ثمّ بثقافته الفرنسيّة الحرّة....وبما نعرفه فيه من موهبة النّقد البرّي، ودقّة الملاحظة، وفهمه الصّحيح باندماجه فيها خير من يعمل على عاتقه هذا الواجب المقدّس... وحرارة إخلاصه وغيرته على هذا الوطن المقدس"[6].

صنع "حوحو" مجدا تليدا بجرأته الّتي تجاوزت الحدود، يشيد أحمد بوشناق يوم 2-12-1962م في المدينة المنورة بالدّور المبجّل لـ "حوحو"، إنّ الدّور الجريء الّذي اعتمده الأديب الشّهيد من الخطوات الهامّة بمكان "الخطوات الجريئة الّتي يخطوها صديقنا" حوحو"... يشجّعنا ويغرينا على اقتفاء أثره واتّباع طريقته علنا نشاركه في حمل عبء ثقيل من أعباء نهضتها القادمة إن شاء الله"[7].

لا ينكر عاقل فضل الشّهيد الأديب "أحمد رضا حوحو" في تلميع صفحة الأدب الجزائري في القرن العشرين، رائد القصّة القصيرة، صاحب الرّأي الرّاجح، عُرِف بكلمته الطّيّبة، ومناهضته

للاستعمار الفرنسي ودعوته لمقاومة الاحتلال، ودعم الجهاد على كلّ الأصعدة، ساهم دعمه لا مشروط في دفع الثّورة الجزائريّة المجيدة قدما، ليتقفّى أثره الكثير.

3/رواية غادة أم القرى:

للأديب الشّهيد **أحمد رضا حوحو** تعدّ أوّل نصّ جزائري سردي، "وهي باكورة أعماله، طبعت سنة 1947م"[8]، أهداها إلى المرأة الجزائريّة، بل العربيّة؛ "إلى تلك الّتي تعيش محرومة من نعمة الحب...من نعمة العلم... من نعمة الحرّيّة، إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود، إلى المرأة الجزائريّة أقدّم هذه القصّة تعزية وسلوى"[9].



رواية جزائريّة تسرد واقع المرأة الجزائريّة بلسان الحجازية، واقع المعاناة تحت مسمّى الأعراف والتّقاليد الّتي لا تعطي الحقّ للمرأة في مجتمع ذكوري، من أهمّ مسلّماته، وأد الأنثى

وسحقها، فهي تمثّل الدّرجة صفر في معادلة الحياة، انطلق "حوحو" في هذا المنجز السّردي، ليرصد لنا بعين جزائريّة، وبرؤية نقديّة ما تعيشه الفتاة من ممارسات لا يحكمها منطق الإنسانيّة، ولا شرعيّة دينيّة، سلوكيات اخترقت حاجز التّعاملات والحوارات الإيجابيّة.

تروي لنا **غادة أم القرى** حكاية الفتاة العربيّة **"زكيّة"**، فتاة مسلمة تتقاسم العيش مع عائلتها المحافظة في إحدى مدن الحجاز، وهذا في منتصف القرن العشرين،فتاة تبلغ من العمر 18 سنة، من جميل الصّدق أن ترصد عيناها شابّا جميلا وسيما، تربطها به صلة قرابة من الأصول فهو ابن خالتها جميل، أحبّته حبّا جنونيّا، كيف لابنة سليمان أن تحبّ في مجتمع حجازي يتكلّم بصوت الأعراف والتّقاليد، تقدّم لخطبتها ابن أسعد "عبد الرّؤوف"، غير أنّ والدها أخبرهم بخطبتها من ابن خالتها جميل، توعّدت العائلة الثّريّة جميلا، فأدخلته السّجن لمدّة ستّة أشهر مع الجلد الشّهري.

عانت بطلة الرّواية **"زكيّة"** الأمرّين معا، الألم الّذي يبرّره الفقد، وعدم القدرة على البوح بما تشعر به في مجتمع لا يعترف بحبّ الفتاة، تتجنّد **"أم جميل"** هي الأخرى لتبحث عن مساعدة من أجل براءة ابنها فتعترض سبيل الملك أثناء عودته من الحجّ، فينظر في مصابها، ليزجّ بمن تسبّبوا في سجن جميل ظلما وعدوانا، تسوء حالة"جميل"فينتقل إلى جوار ربّه أثناء اعتراف المجرمون بجرمهم، في الوقت ذاته تتعرّض البطلة"لسقوط" على سلالم البيت فترديها ميّتة.

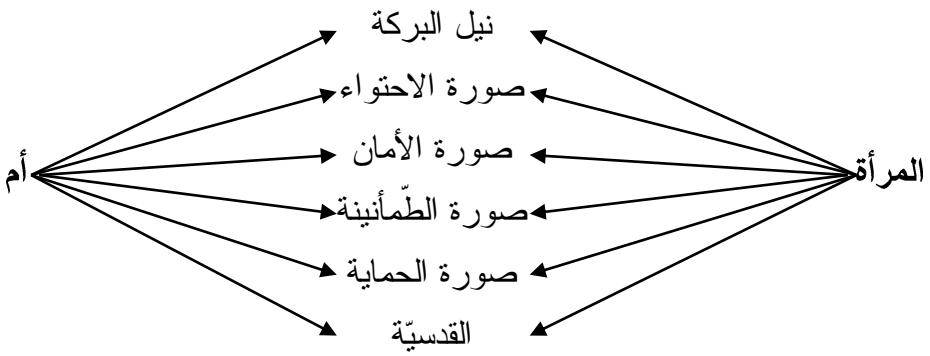
رواية قد تبدو للقارئ منذ الوهلة الأولى أنّها بسيطة، بساطة العيش، تعيش شخوصها حياة طبيعيّة، تسهر على كسب قوت يومها، تركن للأعراف والتّقاليد، تستجيب لسلطة المجتمع، رواية تبحث عن ترسّبات إيديولوجيّة، منحت كامل الحقّ لمجتمع متشبّع بالذّكورة، يسحق الهشّ من الأنثى، يتمرّد على الأخلاق والقيم، قدرته الطّبقيّة، تجيز له أن يقابل كلّ شيء بالمادّة، وحتّى إن كانت مشاعرا فطريّة لا دخل للإنسان في توجيهها.

4-/ما يجب أن يقال حول العنوان:

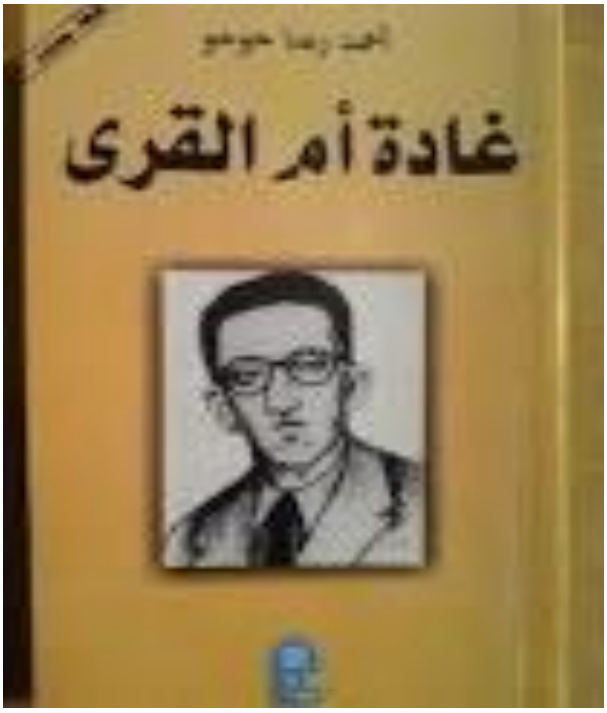
"غادة أم القرى" تعانق المرأة المكان، فتتكلّم بلسانه، وتستجيب لمتطلّباته،ارتبط الاسم المؤنّث بالمكان ؛وأي مكان؟إنّه المقدّس، تأنّثت قدسية المرأة ومطالبها الشّرعيّة على أرض مقدّسة،

أطهر بقعة على وجه الأرض، قبلة جميع النّاس، بُسِطت الأرض لمن حولها وكأنّها الأم الرّؤوم الّتي تحمي أولادها، ذُكِرت بملفوظها الصّحيح في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.[10]

يستمدّ العنوان شرعيته المقدّسة وحقوقه الّتي بشر بها الاسلام من قدسية المكان الّتي تختصر أهمّيّة المرأة وصور حمايتها من مختلف القيود، يمكن لنا أن نختزل هذه الصّورة في الخطاطة التّالية:



كتب الشّهيد الأديب **" حوحو"** عن المرأة وجعلها تتصدّر العنوان حتّى يسترجع لها بعض ما سُلِب منها،"حزّ ذلك في نفس رضا حوحو وراح يحنّ إلى تلك المرأة الّتي هي أخته وأمّه وجارته، ومواطنة في الآن ذاته"[11]، تقاسم الشّهيد الأديب المعاناة مع البطلة"**زكيّة**"، وكيف دافع عنها بكلّ قوّة الحروف والأصوات، جعلها تتوازى وقدسيّة المكان، وتشترك معه في الكثير من الصّفات



ينقسم العنوان إلى مركّبين اسميين، أمّا عن الثّاني فقد اتّخذ صورة المكان المقدّس **"أم القرى"** وقد تقدّمه اسم علم **"غادة"**، اسم مؤنّث "يعني الجميلة وقيل الفتاة النّاعمة المتمايلة برقّة ودلال، يقال: امرأة غيداء وغادة أيضا، أي ناعمة بيّنة"[12]، الغيداء اسم علم عربيّ الأصل أطلق على الشّجرة الغضّة الكثيفة.

تأخذ **"غيداء"** من اسمها الكثير من الصّفات؛ من بينها القدرة العالية على تحمّل المسؤوليّة، تمتلك تركيزا عاليّا، وسرعة بديهة، شخصيّة تتّسم بالهدوء والسّكينة، ولعلّ هذا ما حدا بالعالم النّفساني **غوردن أولبورت** أحد مؤسّسي علم نفس الشّخصيّة إنّ "اسم المرء يظلّ الدّعامة الأهمّ، لهويّته الذّاتيّة طيلة حياته"[13].

تأخذ **"غادة"** العنوان اسم **"زكيّة"** البطلة في المتن السّردي؛ تتكلّم بلسانها، وتعمل بأفكارها إلى درجة الاتحاد الكلّي، وكأنّهما مسمّى لشخصيّة واحدة، "فتاة معتدلة القامة، رشيقة القدّ، تكسو جسمها سمرة تشوبها حمرة خفيفة ذات عينين نجلاوين حالكة السّواد، جمالها الفاتن... شعرها الفاحم المرسلة جدائله خلفها، إنّها تدرك فتنة جمالها... ثغرها الجميل، وبدت ثناياها

ناصعة البياض شديدة الرّوعة وهي تلوح بين شفتيها القرمزيتين فكانت جميلة حقّا خليقة بفتنة العابد النّاسك"[14].

- تقاطع الأمكنة إيديولوجيّا:

يتحوّل المكوّن المكاني في "**غادة أم القرى**" من مجرّد أشكال هندسيّة إلى **نصوص علاميّة** تستدعي الفرجة في التّراث الشّعبي، وخصوصا إذا ارتبط بتلك الحرف اليدويّة، إنّه المكان الّذي خصّص لممارسة الهواية "كانت زكيّة منهمكة في أعمالها اليدويّة، يحوطها سكون شامل عميق، لا ترى حولها حركة عدا حركات أجرتها، وهي تنتقل بخفة فوق متن قطعة القماش الحريريّة البيضاء المثبّتة على قوام منسجها الخشبيّ، وهي تنثر وراءها أزهارا نضرة مختلفة الألوان والأشكال"[15].

تصنع الحرفة المكان،فتعبّر عنه، ترتسم ملامح البدويّة بالمنسج، فيصبح كلّ منهما ملاذ زكيّة، وهي الّتي تترجم مهاراتها الّتي ورثتها عن الأم والجدّة،"كانت الفتاة تقودابرتها بمهارة وخفّة، وهي منكبّة على منسج التّطريز بعطف وحنان، عطف الأم الحنون على فلذة كبدها"[16].

تنصهر الفتاة "**زكيّة**" في عالم العادات والتّقاليد، فتعبّر عن تقليديّة المكان بكلّ تمفصلاته، شابهت **الرّشا** وهي أمام منسجها، فالمنسج كفيل بأن يمنحها بعض الحرّيّة في انتقاء الألوان والأشكال، بل بإنهاء القطعة متى أرادت هي، تتقاطع "صورة البطلة" وعلاقتها بالمكان، وصورة الرّوائي "**أحمد رضا حوحو**" في كثير من مقاطع السّرد، كلّ واحد منهما "يحاول أن ينزع عنه الثّوب البالي، ويترك حياته الجامدة ليصل إلى ما وصلت إليه أقطار وبلدان تتاخمه على هذه الصّحراء، ونحن في هذا الدّور الخطير من أدوار الانتقال، أشدّ احتياجا إلى فهم حياتنا تفهّما دقيقا بعيدا عن سلطان العادة وما يضيفه من أثواب القداسة بعيدا عن انخداع المشاعر وجمود التّفكير".[17]

تشارك "**زكيّة**" عبر أفعالها السّردية في تطويق المكان تطويقا قدسيّا يثبت ارتباطها بالمقدّسات، وبالجانب التّعبّدي في الحياة،"الله أكبر... الله أكبر... واهتزّت الفتاة هزّة خفيفة، وعلت محيّاها الفاتن مسحة من الخشوع... خشوع المؤمن القويّ الإيمان حينما يتصوّر عظمة ربّه

وجلاله، ثمّ توجّهت نحو الكعبة وثبتت جامدة في خشوعها كأنّها تمثال، وغدت شفتاها تتحرّكان بسرعة مردّدة صلوات عديدة تتخلّلها زفرة مقتضبة ما بين آن وآخر"[18].

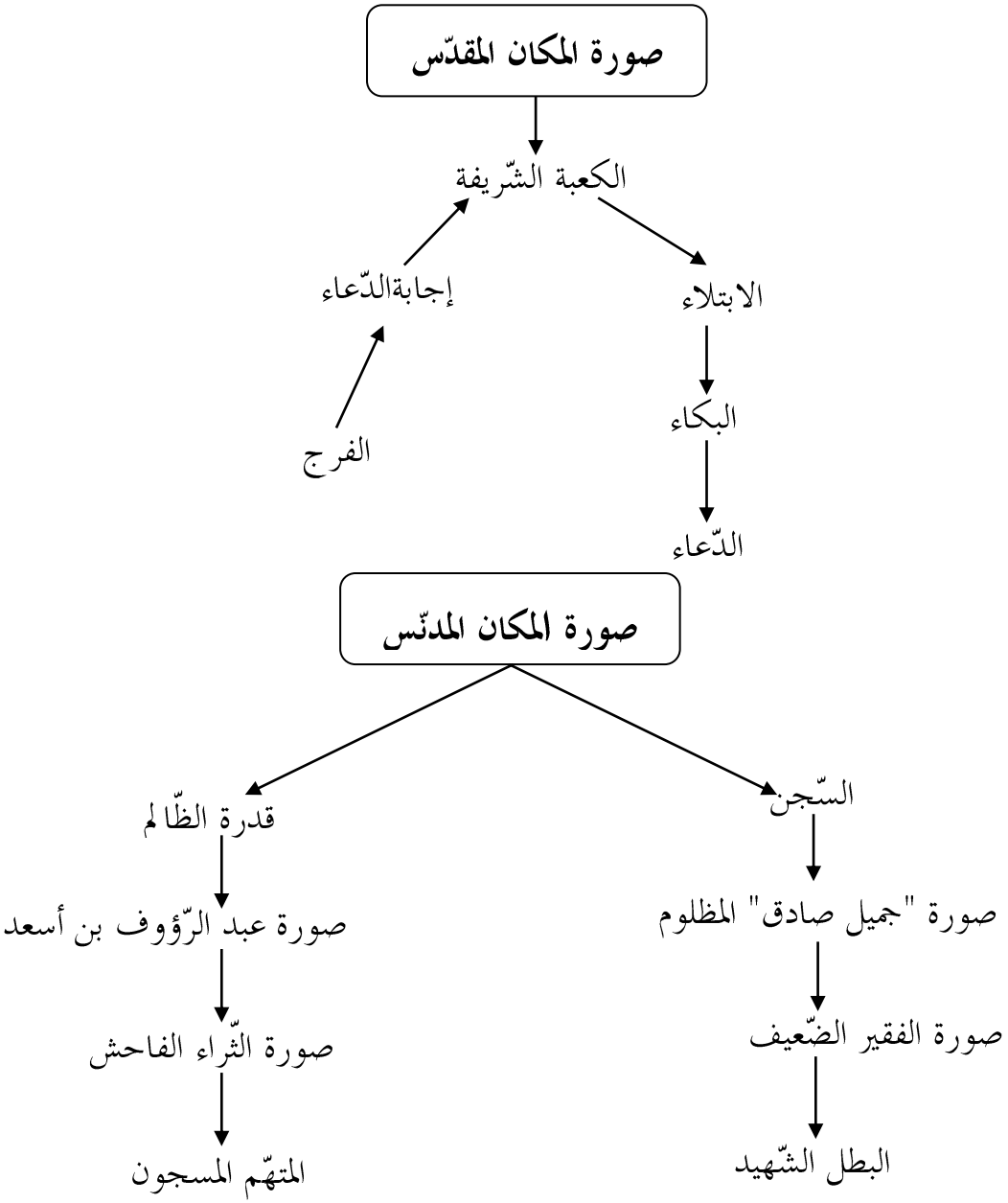
من الجميل بمكان أن تبثّ المرأة شكواها لخالقها وهي ما قامت به البطلة **"زكيّة"**الّتي كانت تجد في إقامة الصّلاة سلوى وعزاء، "ما انتهى الآذان حتّى أسرعت إلى مصلاّها وتوجّهت إلى ربّها تبثّه شكواها، وترجوه لتحقيق آمالها"[19]، من منّا لايقاسم زكيّة هذا الفعل التّعبّدي في صلاة شكر وحمد، أو صلاة استخارة... إلخ، فالله سبحانه وتعالى يأمر العبد بطاعته حتّى يريه من عجائب قدرته.

لم تبتعد كثيرا والدة **"جميل الصّادق"** عن ابنة أختها في جعل القدسيّة، ترتبط بالمقدس المكان، بل تأخذ أبعادا أيديولوجيّة،ومثالنا زيارة **"مكّة المكرّمة"** والدّعاء الكثير في مختلف أداء الشّعائر، وكيف تتحقّق إجابة الدّعوة هناك، وهو ما أكّدته رواية**"غادةأم القرى"**الّتي انتقلت فيها "**والدة جميل**" من مصدر ضعف، إلى فعل قوّة وإنجاز،"كان هناك مخلوق آخر لا يقلّ حزنا وألما عن زكيّة، وما ذلك المخلوق إلاّ والدة جميل، الّتي كاد أن يقتلها النّبأ ويقضي عليها، وغدت تجري من مكان إلى مكان لتستنجد بسراة القوم وذوي الجاه والسّطوة، ولكن من يلتفت إليها، أو يستمع إلى آنات قلبها الجريح"[20].

يتقاطع المكان أيدولوجيّا وفكرة **استجابة الدّعوة**، عادة ما يقصد الكثيرون **مكّة المكرّمة** من أجل تأدية المناسك والإلحاح في الدّعاءباستشفاء مريض، حمل عقيم، زواج عانس، فتح مبين... وغيرها من الأدعية، وهو ما تحقّق **"لأم جميل"** بعدما غُلِقت في وجهها كلّ الأبواب إلاّ باب الله تعالى، فقرّرت طرقه بقوّة "بيت الله، الله ألتجأ إلى الله، نهضت مسرعة والتفّت في ملاءتها السّوداء،وخرجت تتعثّر في أذيالها حين قصدت بيت الله، وكان مزدحما بالحجيج، وبكلّ صعوبة شقّت طريقها إلى الكعبة ووقفت منتصبة... ما بين الحجر الأسود والباب...إنّه لم يبق أحد سواك يا الله في هذه الدّنيا"[21]،"البقعة الّتي وجدت فيها الاطمئنان والرّاحة والسّلوى"[22].

بعد ما صالت وجالت **"أم جميل"** ترقّب قدوم الملك من أجل رفع مظلمتها ببراءة ولدها، جاءها الملك بنفسه إذ"تقدّم نحوها وقد ارتمت هذه على قدميه، ولكنّ الملك صاح: قومي قومي...

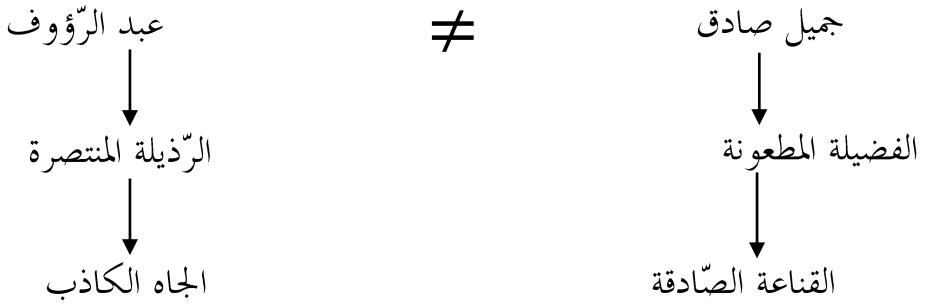
يا عجوز قولي ماذا دهاك؟، وأسرت المرأة إليه بكلام كثير وهو يصغي إليها بإمعان حتّى إذا ما انتهت ربت على كتفها وأخذ يطمئنها"[23]، وعلى إثر هذه المقابلة قرّر الملك بنفسه أن يشرف على إبانة براءة "جميل صادق" وهو ما كان فعلا، حيث حكم له بالبراءة.



يتقاطع المكان بقدسيّته وإجابة دعوة المظلوم،الّتي لا يوجد بينها وبين الله حائل، في قوله صلّى الله عليه وسلم (اتّقوا دعوة المظلوم، فإنّها تحمل على الغمام)[24]، أي السّحاب فترفع إلى السّماء مباشرة، وهو ما أكّده المظلوم "جميل صادق" بدعوته جرّاء ألم المظلوم الّذي يدفع حساب ذنب لم يقترفه ويسجن عقابا على فعلة لم يرتكبها."..اللّهم إنّك تعلم إنّي بريء...وإن كان قضاؤك قد نزل فإنّي لا أسألك ردّه وإنّما أسألك اللّطف فيه فاقبض روحي إليك... يا إلهي"[25].

أجاب الله دعوة المظلوم **"جميل صادق"** وفارق الحياة، وانتقلت روحه إلى بارئها "ما من شخص يعرف جميل صادق في مكّة إلاّ ويعرف الاستقامة والصّلاح، والمثل الأعلى للفضائل والتّقوى"[26]. تألّم كثيرا البطل عندما "سيق البريء إلى أعماق السّجن، حيث حُشِر هناك بين اللّصوص والمجرمين من البدو وغيرهم"[27].

انتصرت الرّواية في تأكيد قدسيّة البراءة والحقّ، وكأنّها تناشد صوت الشّرعيّة في الفضيلة والأخلاق، وتتصالح مع صحوة الضّمير، والوقوف إلى جانب المظلوم، يمكن أن نلخّص ذلك فيما يلي:



5/جبريّة الواقع وسلطة الإكراهات:

تمرّر لنا الرّواية الّتي بين أيدينا "**غادة أم القرى**" خطاب الأنثى المهمّشة، الّتي يسحقها المجتمع تحت راية الأعراف والعادات والتّقاليد، وتحت السّلطة الأبويّة، هي البطلة **"زكيّة"**؛"لقد وظف حوحو شخصيّة زكيّة وجعلها رمزا لكلّ امرأة رامت أن تثور على التّقاليد، أو تتمرّد على الطّقوس الّتي يبرأ منها الدّين الإسلامي، وترفضه العقود الاجتماعيّة في شرائع الأمم"[28].

ما من أمّة أو شعب في العالم إلاّ وكانت لها من الأعراف والتّقاليد مايبرز تميّزها، والمجتمع الإسلامي لا يشذّ عن هذه القاعدة، إلاّ إذا خالف شريعة الله وقوانينها،سلوكات فطريّة يقوم بها البشر، وما إن تطوّق بالأعراف والتّقاليد إلا وتصبح جدّ محظورة يخافها الفرد قبل المجتمع، ومن بينها الخوض في الحديث عن "الحب"، أو "إظهار الاهتمام بموضوع الزّواج" مثلا.

لقد تفطّن الشّهيد الأديب " **حوحو**"لمثل هذه القضايا الّتي أخذت منحا مغايرا تماما في مجتمع عربيّ إسلاميّ، وخير دليل على ذلك ما تسرّب لنا عبر خطوط السّرد من رواية **"غادة أم القرى"**، والّتي نلخّصها تباعا.

5-1/المحظورمن الحب:

كان الحديث عن الحب في مجتمع عربيّ إسلاميّ محافظ من العيب بمكان، حتّى أنّ المحدّث به أو عنه يصبح الشّاذّ الّذي يهابه الجميع، بل يرغب في تركه لوحده.

ترسم لنا رواية "**غادة أم القرى** "صورة المرأة الّتي يفرض عليها المجتمع التّكتّم والتّستّر على مشاعرها، وإن كانت طاهرة نقيّة"أخذت الفتاة تتّبع حركاته بدقّة، وقلبها الفتيّ يخفق وهي تحاول أن تكبت من جموده، كأنّها تخشى أن يفضح سرّها الّتي حرصت كلّ الحرص على كتمانه...التفتت بحركة آليّة يمينا وشمالا لتتأكّد مرّة أخرى من انفرادها، وأنّ ليس هناك من يراقبها"[29]، رقابة ذاتيّة فيها الكثير من الرّعب والقليل من الاستقلاليّة الّتي تكاد تعدم في مجتمع جدّ محافظ.

تختصر الرّواية **موضوع الحب** في كونه **الجريمة** الّتي لا يغفرها المجتمع "إنّ الحبّ جريمة لا تغفر في مثل هذه الأسر، ولو كان طاهرا نقيّا، وإظهار الاهتمام بالزّواج شيء مخجل ووصمة لا تمحى"[30]، إذا كان من العيب والعار أن يسمع صوت الفتاة الّتي بلغت من العمر عتيّا، فما بالك بصورتها الحيّة "تكرّر الطّرق بشدّة، وصفّقت له تصفيقاحادّا لتنبّئه أنّ ليس هناك من يجوز له أن يكلّمه أو يستقبله على عادة أهل البلاد"[31].

تهرّب الفتاة من قبضة الأعراف والتّقاليد لتصنع عالمها الخيالي الغامض لتتصالح مع ذاتها، غير أنّ"**زكيّة**""أحسّت بعبء التّقاليد ولا سيما على الفتيات، ويا ويل الشّقيّة منهنّ الّتي يطأ

قلبها الحب، فإنّها تعيش سمعذّبة تعيسة، فليس لها أن تتحكّم في قلبها، فتحبّ من تشاء وتبغض من تشاء، بل لا يجوزلها مطلقا أن تحبّ، فالحب جريمة لا تغتفر، وفضيحة شنيعة، فعلى الفتاة الّتي أصيبت بالحب أن تتستّر وتتكتّم ما أمكنها ذلك، وتنتظر يد القدر تفعل بها ما تشاء"[32]. على المرأة أن تستلم لقانون المجتمع وتذعن له.

تترافق كثيرا العادات والتّقاليد والأعراف وحياة الفتيات، حيث تصبح حياة "خاضعة لتقاليد شديدة، تقاليد الأسر القديمة، يجب إتّباعها والخنوع لتعاليمها لتعيش في أحضان المحافظة والتّقاليد"[33].

تربّت "**زكيّة**" تربيّة "دينيّة قويّة شديدة الغلو"[34]، لا يمكن لها أن ترفض ما يطلبه المجتمع وإن كان يتنافى وقبولها "فهي أعجز من أن ترفض الزّوج الّذي يختاره لها والدها، ولا حيلة لهاآنئذ إلاّ أن تستسلم للأقدار الّتي ربّما فرضت عليها شخص آخر لا تعرفه ولا تحبّه، تعيش معه مرغمة وكارهة"[35]، وكان الّذي كانت تهاب وقوعه **"زكيّة"** قد آن له الوقوع والتّحقّق ؛لولا ألطاف الله بها، ورصانة والدها.

استغلّ المجتمع عدم قدرة الملاك الضّعيف على إبداء رغبته بشيء ما، أو رفضه لشيء آخر، تتواءم هذه المشروعيّة وقرار "سي أسعد" الرجل الثّري الّذي يريد تزويج ابنه المعاق نفسيّا بتلك الفتاة **"زكيّة"** البارّة المتديّنةالّتي يكسوها الكثير من الحياء، يستغرب كثيرا الرّجل الفاحش الثّراء رفض "سليمان" لطلبه مبرّرا ذلك بقوله:" بعدما كان ينتظر من سليمان أن ينكب على قدمه فيلثمها ويقول له ابنتي جاريتك، هذا ما كان أسعد ينتظره... لا أدري إن كان من الحكمة أن تزوّج ابنتك من شاب فقير يعيش من النزر التّافه الّتي تتكرّم به الحكومة عليه وترفض زواجها من ثري في استطاعته أن يسعدها ويسعدك"[36].

أصبحنا اليوم في عالم مادّي براغماتي بامتياز، يعوّل على المادّة في كثير من الأحيان، بل يجعلها أساس التّفاضل حتّى في رابطة الزّواج الشّرعيّة، بل هناك من يحرص اليوم على ترصّد أصحاب الأموال والنّفوذ ليحقّق معهم رابط النّسب دون مراعاة الأخلاق، ولا ما يناسب بناتهن ويجعلهنّ سعيدات لا يشكون شيئا، كان المعلّم ها هنا الأب الصّالح الّذي رفض طلب الزّواج بحجّة

أجّجت لهيب العداوةوجعلتها منطلقا للزّجّ بالبطل "**جميل صادق**" البريء السّجن، "أيجرؤ سليمان هذا الحقير أن يرفض مصاهرتي؟ سأعلّمه كيف يحترمني ...سأجعل منه عبرة لأمثاله المتكبّرين المتأفّفين... وغدت روح الشّرّ فيه تعرض عليه أنواع الجرائم والآثام"[37].

لفّق الابن "**عبد الرّؤوف**" تهمة السّكر للطّيّب الخلوق "**جميل صادق**"، والّتي يعي كثيرا أنّها أكثر الجرائم منعا، "جريمة السّكر أشدّ من جريمة الاعتداء، ألغيت القضيّة الثّانية وحكم على "جميل" بحدّ الخمر وهو ستّة شهور سجناوثمانون جلدة، كلّ شهر"[38]، أصيب المتّهم البريء بصدمة نفسيّة، كيف لشاب في العقد الثّلاثين من عمره، شاب تشهد له البلدة بأخلاقه وسيرته الطّيّبة، أن يرمى بجرم السّكر المحرّم،الّذي يأخذ أبعادا نفسيّة أكثر منها مادّيّة، صورة الاحتقار والاستصغار لا تفارق الشّاب في مجتمع لا يعترف بالبراءة حتّى تثبت.

2-5/من الحب ما قتل:

يمارس المجتمع العربيّ الإسلاميّ المحافظ عديد السّلوكات، حتّى يثبت شريعة الله في أرضه وفي عباده، غير أنّ هناك من يوجّه هذه السّلوكات توجيها غير صحيح، فالرّقابة المجتمعيّة قد تؤدّي بالكثير من الأحيان إلى ما يحمد عقباه،إن تنصلّت من وجه الحقّ، وها هنا نستحضر قصّة الأصمعي الشّاعر العربيّ، عندما مرّ يوما على جدار فوجد أحد الشّباب قد كتب على هذا الجدار[39]:

يا معشر العشّاق بالله خبّروني* إذا حلّ عشق بالفتى كيف يصنع**

كتب له الأصمعي بجوار هذا الكلام:

يداري هواه ثمّ يكتم سرّه ***ويصبر في كلّ الأموروبخشع

عاد الأصمعي إلى نفس المكان فوجد الشّاب قد كتب:

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى* وفي كلّ يوم قلبه يتقطّع**

كتب له الأصمعي:

إذا لم يجد صبرا لكتمان سرّه*فليس له شيءسوى الموت ينفع**

انصرف الأصمعيّ فعاد مرّة أخرى ليجد الفتى قد كتب:

سمعنا وأطعنا ثمّ متنا فبلّغوا* سلامي إلى من كان للوصل يمنع**

حزن الأصمعي فكتب:

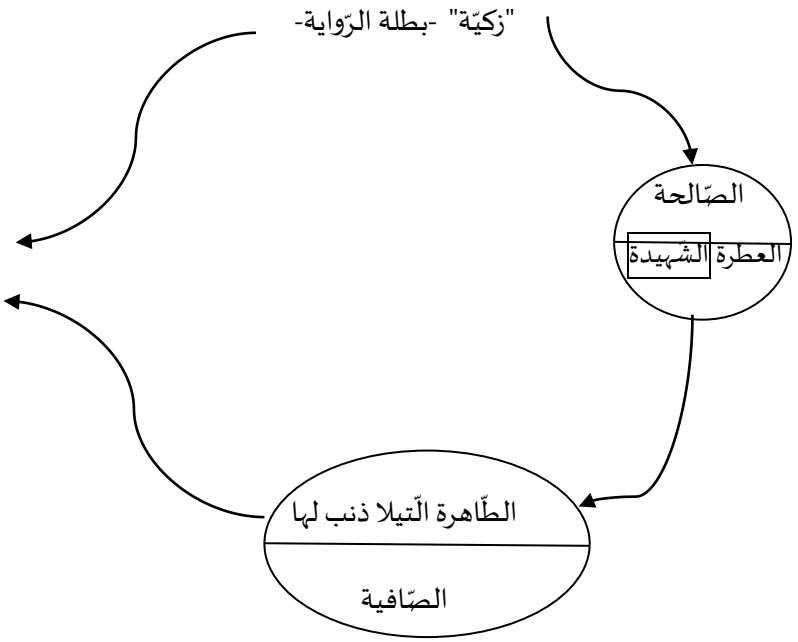
هنيئا لأرباب النّعيم نعيمهم* وللعاشق المسكين ما يتجرّع**

تتقاطع قصّة "**الأصمعي والفتى العاشق**" كثيرا وخطوط السّرد مع رواية "**غادة أم القرى**"، وتحديدا تلك القصّة الغريبة الّتي انتهت بموت العاشقين في لحظة واحدة، كلّ هذه القصّة بتمفصلاتها ومشاعرها الخفيّة المتكتّم عنها، في مجتمع لا يعترف بالحب، تنصهر في شخصية البطلة "**زكيّة**" وكيف أنّ تكتّمها بات السّبب المباشر في جعلها مجنونة؛ حيث أصيبت بالخبل، "استولت عليها نوبة نفسيّة مبرحة، أرسلت قهقهة عالية، تبكي تارة وتضحك تارة أخرى، فقد فارقها عقلها... أصيبت فجأة بخبال أثّر صدمة عصبيّة عنيفة"[40]، عاشت على إثرها الفتاة حياة الجنون واللاعقل، تضحك لأتفه الأسباب وتبكي لما يفرح، إنّه القدر الّذي أصاب زكيّة في قلبها قبل عقلها.

يحزن القارئ كثيرا عندما تنتهي الرّواية بصدفة غريبة، حيث تلتقي أرواح العاشقين في السّماء في الوقت نفسه، **فزكيّة** الطّاهرة النقيّة الوفيّة ترتقي إلى ربّها **شهيدة** بعدما كذّبت خبر موت "جميل صادق" "إنّكم تكذبون علي... قتلتموه... قتلتموه.... وغدت تصرخ وتجري على غير هدي، وهو ترجله فسقطت واصطدام رأسها بحجر درج السّلّم الصّلبة، فكانت الصّدمة عنيفة، فأغمي عليها، وأخذ الدّم يتدفّق من رأسها بغزارة"[41].

لم تتحمّل "**زكيّة**" الصّدمة "سلّمت الفتاة أنفاسها الأخيرة وتخلّصت من عالمها المادّي وقيوده الثّقيلة، وحلّقت بروحها في عالم الأرواح لتبحث عن حبّها المفقود"[42]، في اللّحظة ذاتهايبلّغ الملك آل مسعود بوفاة "**جميل صادق**" أثناء نقل خبر البراءة له، وما نخلص إليه أنّ الرّواية قد أنصفت "زكيّة" الّتي لها من اسمها الكثير ندرجه فيما يلي:

المشجّر الدّلالي للاسم



وأخيرا، تتألّق رواية **"غادة أم القرى"** لتصنع الشّخصيّة البطلة وما يعترضها من قضايا مجتمعيّة ونفسيّة تتأثّر بها وتؤثّر فيها، أنارت لنا الكثير من الزّوايا المعتمة الّتي تتقاطع وصحراء "بسكرة" مولد الرّوائي "**أحمد رضا حوحو**" ونشأته في صحراء الحجاز، الّتي كانت تظهر على شكل ترسّبات فكريّة ونفسيّة بامتياز.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1- الكتب:

1- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، الأنيس، السّلسلة الأدبيّة، إشراف محمّد بلقايد، وزارة الثّقافة، ط1، 2007م.

2- الصّحّاح للجوهري، مادّة غ،ي، د.

3- عبد الحفيظ جلّولي: وثائقيّة النّصّ في رواية "غادة أمّ القرى" لأحمد رضا حوحو، مجلّد القدس العربي، 2018/10/10م.

4- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب الأدبي، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2014م.

5- عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، أعلام وقضايا...، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983م.

6- فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد، اتّقاء دعوة المظلوم.

7- العابدي: قراءة في قصّة "غادة أمّ القرى" للأديب أحمد رضا حوحو، دروس على الخطّ، 2022/2021.

2- المواقع الإلكترونية:

8- كيف يؤثّر اسمك على شخصيّتك ((https://ww.bbc.com))

9- من نوادر الشّعر العربي، الأصمعي.

10- Redahauhauhttps://m.marefa.org.ahmed

11- V.https://mc-biskra.dz.

الهوامش:

[1]- عبد الحفيظ جلّولي: وثائقيّة النّصّ في رواية "غادة أمّ القرى" لأحمد رضا حوحو، مجلّد القدس العربي، 2018/10/10م.

[2]- العابدي: قراءة في قصّة "غادة أمّ القرى" للأديب أحمد رضا حوحو، دروس على الخطّ، 2022/2021، ص02

[3]V.https://mc-biskra.dz.

[4]- عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، أعلام وقضايا...، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983م، ص: 173.

[5]- ينظر:Redahauhauhttps://m.marefa.org.ahmed

[6]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، الأنيس، السّلسلة الأدبيّة، إشراف محمّد بلقايد، وزارة الثّقافة، ط1، 2007م، ص:09.

[7]- نفس المصدر ، ص: 07.

[8]- د. العابدي: قراءة في قصّة "غادة أمّ القرى" للأديب أحمد رضا حوحو، ص:04.

[9]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص:"ورد في الإهداء".

[10]- سورة الأنعام، الآية: 92.

[11]- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب الأدبي، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2014م،ص: 162.

[12]- ينظر: الصّحّاح للجوهري، مادّة غ،ي ، د.

[13]- كيف يؤثّر اسمك على شخصيّتك ((https://ww.bbc.com))

[14]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص: 13-14

[15]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص:12.

[16]- نفس المصدر ، ص: 13.

[17]- نفس المصدر ، ص: 01.

[18]- نفس المصدر، ص: 15.

[19]- نفس ، المصدر ص: 15.

[20]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص:45.

[21]- نفس المصدر ، ص: 54.

[22]- نفس المصدر ، ص: 54.

[23]- نفس المصدر ، ص: 56.

[24]- فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد، اتّقاء دعوة المظلوم، ص:13.

[25]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص:47.

[26]- نفس المصدر ، ص: 42.

[27]- نفس المصدر ، ص 40.

[28]- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب الأدبي، ص: 161.

[29]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص:16.

[30]- نفس المصدر ، ص: 25.

[31]- نفس المصدر ، ص: 17.

[32]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص:18.

[33]- نفس المصدر ، ص: 18-20.

[34]- نفس المصدر ، ص: 24.

[35]- نفس المصدر ، ص: 21.

[36]- نفس المصدر ، ص: 32-34.

[37]- نفس المصدر ، ص: 36.

[38]- نفس المصدر ، ص: 39.

[39]- ينظر: من نوادر الشّعر العربي، الأصمعي.

[40]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص:42-44-45-46.

[41]- نفس المصدر ، ص: 60.

[42]- أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص:65.

مظاهر الصراع الأيديولوجي في رواية (الدروب الوعرة)

للكاتب الشهيد مولود فرعون

Manifestations of the ideologicalconflict in the novel (The Rough Paths)By the martyr writer Mouloud Pharaoh

أستاذ محاضر أ/ فوزيةتقار

قسم اللغة والأدب العربي –جامعة الشهيد حمّه لخضر– الوادي(الجزائر)

teggarfouzia@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهمية الأيديولوجية في الرواية المكتوبة بالفرنسية قبل الاستقلال، وبالتحديد عند الكتاب الشهداء؛ إذ كشفت روايات هذه المرحلة عن توجهات أيديولوجية متنوعة؛ التي نتج عنها صراع حاد على مستوى الأفكار بين فئات مختلفة في فترة حرجة من تاريخ الجزائر، ورواية (**الدروب الوعرة**) للكاتب (**مولودفرعون**) (1913-1962) هي صورة لهذا الواقع المليء بالتناقضات، حيث تجلى فيها الصراع الأيديولوجي بمختلف تمظهراته: (الأيديولوجية البرغماتية، الأيديولوجية الاجتماعية المحافظة والأيديولوجية الدينية).

الكلمات المفتاحية: الصراع ـ الأيديولوجية ـ البرغماتية ـ الشهيد-الدروب الوعرة ـ مولود فرعون.

Abstract:

This study aims to show the importance of ideology in the novel written in French before independence, especially in Martyr writers. The novels of this period revealed various ideological orientations which resulted in an intense conflict at the level of ideas between different groups in a critical period of time in Algeria's history. The novel (The rough Paths) by the writer (Mouloud Pharaoh) (1913-1962) is a reflection of this reality which is full of contradictions and where the ideological conflict was revealed in its various manifestations: (pragmatist ideology, conservative social ideology, and religious ideology)

key words: conflict, the ideology, pragmatic, martyr, the Rough Paths, Mouloud Pharaoh.

توطئة:

إن علاقة الرواية بالأيديولوجية علاقة قوية وشديدة الارتباط والتداخل، لأن المبدع يستمد مادته من الواقع بمختلف مجالاته: السياسية، الاجتماعية والثقافية ويعبّر عن رؤيته تجاهه بأسلوبه الفني الخاص؛ عبر لغة السرد وحوار الشخصيات والمشاهد، فهي إذن إنتاج أيديولوجي له علاقة باللغة وبمختلف أشكال استعمالها، يتداخل مع الأيديولوجيا ومع التاريخ ومع التشكلات الاجتماعية المختلفة، كما يمكن للرواية أن تكشف عن الصراعات والاختلافات والقضايا التي تدور في المجتمع منتجة عدة أيديولوجيات تنمُّ عن تعدد المواقف بين مؤيدو معارض ومحايد، والروائي ينقل هذا الصراع بصورة مباشرة أو غير مباشرة؛ لأن الأدب عموما "يعدّ شكلا أيديولوجيا وتكون الأيديولوجيا هي البنية الفوقية للنسق الفكري، وللوعي الاجتماعي، تلك البنية التي تعبر عن علاقات اجتماعية محددة، وهنا يكون الأدب شيئا تابعا لوجود سابق، هو وجود الأيديولوجيات، ولا يمكن للأدب إلا أن يحتل مكانا مزدوجا، فمن حيث هو مطابق للأيديولوجيا فهو يعيد انتاجها ويعطيها شكلا"1، وهكذا تكون العلاقة بين الرواية والأيديولوجيا علاقة تكامل وترابط؛ كلاهما يتأثر بالآخر، لأنه أي عمل روائي لا بد له من فكرة أو أفكار جوهرية ينطلق منها.

وبما أن الرواية أكثر الفنون الأدبية انفتاحا على المجتمع ومشكلاته أصبح وجود الأيديولوجية ضروري جدا فيها ولا يمكن الاستغناء عنه، بل هي أحد مكوناته الأولية التي اقتحمت النص الروائي العربي بامتياز، والرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية كغيرها من الروايات الغربية والعربية ارتبطت بالأيديولوجيا، فكان متنها مسرحا للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، حيث حمل كتاب المرحلة الأولى(قبل الاستقلال) على عاتقهم تصوير معاناة الشعب الجزائري ووحشية المستعمر بتسليط الضوء على وجهه الحقيقي؛ هذا ما عجّل بظهور كتابات روائية جزائرية تطالب بحرية المواطن البسيط، وتتخذ من الثورة مرجعية حتمية لبنائها السردي، من أجل الخروج من دائرة المعاناة المستمرة وتحقيق الآمال في الاستقلال والحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية.

لقد شكلت الرواية الجزائرية الناطقة باللسان الفرنسي طفرةً نوعية في المضامين خاصة أثناء الثورة وبعدها، وحاولت نقل صورة صادقة عن وضعية الشعب الجزائري المأساوي، وتغيرت استراتيجية الكتابة بعد مجازر 08 ماي من وسيلة تقارب وتفاهم تحت أيديولوجية الادماج والمساواة، إلى إيديولوجية الرفض والتغيير، والروائي مولود فرعون خير من مثل هذا التحول في الرواية الجزائرية من خلال أعماله بدءا من رواية (ابن الفقير) إلى روايتي (الأرض والدم) و(الدروب الوعرة)، حيث كانت رواياته واقعية تعبّر بصدق عن فقر البيئة الريفية خاصة بلاد القبائل؛ وتهتم بالتفاصيل الدقيقة لحياة الجزائريين، بمعنى أن الروائي لم يكن معزولا عن طبقات الشعب، بل كان أكثر التحاما بمعاناتهم وآمالهم وطموحاتهم، وعلى هذا الأساس تهدف هذه الدراسة إلى رصد تجليات الصراع الأيديولوجي في الرواية المكتوبة بالفرنسية قبل الاستقلال والمنمذجة برواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون؛ من خلال الأيديولوجية البراغماتية والأيديولوجية الاجتماعية والدينية وفي الأخير من خلال أيديولوجية الكاتب.

أولا: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية:

لعب الاستعمار الفرنسي دورا كبيرا في مسار الرّواية في الجزائر، فلقد كان السبب الأول في تأخر ظهور الرّواية المكتوبة باللّغة العربية وميلاد الرواية المكتوبة بالفرنسية، فكانت الرواية رهينة هذا الواقع واتجهت معظمها إلى البحث عن الذات ومساءلة الانتماء التي غرسها الاستعمار بين أوساط الشعب (العروبة والاسلام والامازيغية)، وهكذا واجه المبدعون مصيرهم من خلال لغة تفرض منطقها بشكل كبير، وما اختيارهم للغة العدو إلا للتعبير عن القهر الذي شهدوه أمام أعينهم ولتمرير رسائل عامة للإنسانية جمعاء لتحريك بعض الضمائر المغيبة.

عرفت الرواية المكتوبة بالفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية، قفزة نوعية على المستوى الفني والكتابي "و قبل أن تنتهي سنوات الأربعينات بدأت الأسماء الجزائرية الحقيقية تلمع في الأفق، وفي تلك السنوات كان الاستعمار الفرنسي يتعامل مع اللغة العربية الفصحى باعتبارها من التراث، وكان يتم تعليمها في أضيق الحدود في فرنسا، وهكذا وجد الجيل الأول من الأدباء الجزائريين أنفسهم أمام اختبار واحد هو الكتابة باللغة الفرنسية التي يتقنونها" 2، حيث عالجت

روايات هذه الفترة مواضيع حساسة من عمق المجتمع الجزائري، كالفقر والجهل والطبقية والعادات والتقاليد، لذلك سادت في هذه الحقبة الرواية الإثنوغرافية التي تصف ما تراه العين دون التعمق في الأسباب الحقيقية لذلك، فواقعيتها واقعية انتقادية سطحية وخير من مثّل هذه المرحلة مولود فرعون، مولود معمري.

زد على ذلك، ظهرت محاولات أخرى في مجال الرواية تترصد المجتمع الجزائري من الداخل في تحولاته وتطالب بإدماج الجزائري في الفرنسي كرؤية أيديولوجيّة؛ في اعتقادهم بأنّ الجزائريين قد أتيحت لهم الفرصة للتّعرف على الفرنسيين بشكل أفضل ومن هؤلاء الروائيين: محمد ولد الشيخ، القايد بن شريف، عبد القادر حاج حمو وغيرهم من الذين أتقنوا الفرنسية وتبنوا الحضارة الغربية، "ففي عام 1947 نشرت الكاتبة (مارجيت طاووس عمروش) روايتها الأولى بعنوان الياقوتة السوداء (Jacinthe noire)"3؛ كانت هذه الروايات مجرد إرهاصات أولى للرواية الجزائرية لا تحمل البعد الإبداعي الفني والجمالي الذي نجده في الكتابات اللاحقة؛ لأنها كانت تحاول أن تقف على نصوص ممتعة من السير الذاتية وأخرى غرائبية تقوم على الخرافة والأسطورة دون التوغل في عمق المشكلات الحقيقية لمجتمعهم.

فضلا عن ذلك، برز تيار من الكتاب في الفترة الأولى يساند فكرة الاندماج والتعايش بين الأهالي والأوروبيين وينادي بالمساواة في الحقوق والواجبات، ولقد أسسوا بذلك أدبًا يعرف بالأدب الاندماجي (la literatureassimilationnist)،حيث عاج بعض الروائيين موضوعا مباشرا هو كيف سيكون الفرد الجزائري المسلم إذا تمّ حصوله على صفة الفرنسي؟ "لقد كان هذا السؤال محورا أساسيا في الروايات التي ظهرت في الفترة ما بين 1929م و1948م وهي قليلة لا تتعدّى سبع روايات في مجملها مثل: رواية (مريم بين النخيل) 1934م لمحمد ولد الشيخ و(بولنوار، فتى جزائري) 1941م لرابح زناتي و(ليلى فتاة جزائريّة) 1948م لجميلة دبّاش، ولكن تظل رواية (العلج أسير بلاد البرابر) 1929 م لشكري خوجة أهمّ رواية عالجت هذا الموضوع"4، كانت هذه الأرضية الفكرية التي انطلقت منها معظم روايات هذه المرحلة، وكل كاتب تناول الموضوع بأيديولوجيته الخاصة، فمنهم من دافع عن الاسلام ومنهم من ناقش فكرة الزواج المختلط، وتندرج ضمن هذا السياق رواية (ابن الفقير) 1939 لمولود فرعون.

غير أنه سرعان ما أن تغيرت هذه الأفكار تماشيا مع ما فرضته الأحداث العالمية والوطنية كانتهاء الحرب العالمية الثانية ومجازر 08 ماي 1945، والتي غيرت القناعات الأيديولوجية لصناع الرواية فحاولوا التّقرب من المجتمع الجزائريّ والتحدّث عن الطّبقة الدّنيا برصد همومها وآلامها تحت وطأة الاستعمار الفرنسيّ الوحشيّ واتجهوا باهتماماتهم العميقة إلى المسائل الوطنية والسياسية، "و أسسوا بدورهم لأدب أعاد النظر في مقولة الجزائر فرنسية، أطلق عليه النقاد فيما بعد بأدب الاحتجاج والرفض (la literature du refus et de contestation "5، وقد انخرط الكتاب بصورة مباشرة في أجيج الثورة مجندين لنصرتها، محاولين البحث عن أسلحة أكثر فعالية وأساليب أكثر بساطة لتحريك الفعل الثوري لدى الجمهور، فكانت أعمالهم أكثر واقعية وأكثر نضجًا والتزاما بالقضية القومية الوطنية.

بدأ يظهر التزام الكتاب في هذه المرحلة بقضيتهم الوطنية إذ نجد كاتب ياسين "يفضل نعتهم بالكتاب الثوريين على تعبير الكتاب الملتزمين"6، وبالتالي كانت مرحلة الخمسينيات تاريخ ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية؛ وهي رواية ذو نزعة احتجاجية لأنها عايشت البؤس والحرمان والقهر،و في الفترة الممتدة من1952إلى1962 اتسمت بالثورية "و تبلور فيها أدب المقاومة أكثر وأخذ أبعادا أكثر شمولية واتساعا(...) الطابع العام لهذا الأدب يؤكد أن كتابه التحموا بالواقع الجزائري وبالشعب وقاتلوا معه في خندق واحد وعلى جبهة نضالية واحدة"7، وأصبح الكاتب يقدس الحرية والشهادة في سبيل الوطن، ويزرع بذور أمل ممكنة في قلوب الشعب الجزائري مبشرا بالاستقلال الذي يلوح في الأفق؛ ومن هذه الأعمال نذكر: "رواية (الانطباع الأخير) سنة 1958 لمالك حداد؛التي تعدّ أولى الروايات التي صوّرت وقائع الثّورة المسلّحة بالإضافة إلى رواياتمحمد ديب(صيف إفريقي)1959"8،(الدار الكبيرة)1952 و(الحريق) 1954، ورواية (نجمة)1956 لكاتب ياسين ورواية (نوم العدل)1955لمولود معمري ورواية (الأرض والدم)1954 لمولود فرعون، علما أن هذه الروايات أغلبها نشرت في فرنسا وفي دور نشر معروفة؛ "حيث وجدت تعاطفا معها من قبل مثقفي اليسار الفرنسي خاصة والمثقفين المتنورين بوجه عام (...) وهذا ما عجّل بظهور أعمال روائية أخرى"9.

يعزو مولود فرعون هذا التطور فيقول:" خلال الحرب العالمية الثانية حدثت أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائريين فشعرنا على اثرها بتهيب وابتهاج؛ أي خروجنا من مأزق ممكن، فخرجنا من ذلك المأزق بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع"10،وفي الوقت نفسه صاحب هذه الفترة على المستوى الاجتماعي تعقد الوضع السياسي وتمرد الشعب، وتصاعد النضالو المقاومة وتوسع الثورة على نطاق واسع مما زاد في شراسة المستعمر، فكان من ضحاياه عديد من الأدباء الشهداء من أمثال: (أحمد رضا حوحو، الربيع بوشامة، محمد الأمين العمودي، مالك حداد ومولود فرعون.) .

وعلى العموم، فإنّ معظم الباحثين يرون أنّ فترة الخمسينيات كانت مرحلة حاسمة في مسار الرّواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة، إذ تعدّمولدًا استثنائيًا هجينًا بين ثقافتين؛ المضمون محلي والشكل فرنسي، هذه الكتابة وضعت هذا النوع من الأدب في إشكالية خطيرة: إلى أي جهة ينبغي أن ينسب؟ لذلك عاشت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية أزمة الهوية وأزمة التصنيف، هل هو أدب جزائري أم فرنسي؟ هل هو جزائري الأصل؟ أم هو فرنسي المرجعية الثقافية؟

إن ظاهرة الكتابة بلغة المستعمر في الحقيقة هي ليست خاصة بالجزائر وحدها، وإنما هي ظاهرة عرفتها معظم البلدان الإفريقية المستعمرة وأغلب الدول التي احتلتها الدول الأوربية في القارات الثلاث؛ لذلك نجد آدابا كثيرة كتبت بلغة مستعمريها كاللغة الإسبانية والإنجليزية والبرتغالية، وعليه إشكالية الهوية والانتماء هي تطرح على مستوى كل الآداب المكتوبة بلغة الآخر:(الإفريقي، الآسيوي..)، ولكي يعالج هذا الطرح بموضوعية ينبغي أن يدرس حسب رأي أحمد منور في "الإطار التاريخي الجغرافي، السياسي، مع الأخذ بعين الاعتبار في الوقت نفسه بظروف كل بلد وبخصوصياته اللغوية والثقافية وبطبيعة الاستعمار الذي خضع له"11 ،فهناك فرق بين الاستعمار الفرنسي والاستعمار الإنجليزي مثلا.

جدير بنا أن نعرف الأسباب التي أدت إلى إثارة هذه الإشكالية التي وضعت أصحابها في خانة الاتهام وجعلتهم مثارًا للتشكيك في الانتماء القومي:

أغلب روايات هذه المرحلة روايات إثنوغرافية؛ تصوير دقيق للمجتمع الجزائري، تهتم بسرد التراث المحلي بشكل تقليدي أو تعليمي، إذ اعتمد كتابها على الشكل المتداول الذي يكتب به المستوطنون، وظلوا على هذا الحال لفترة طويلة، وهذا الشكل الفني المعتمد جعلهم يبتعدون عن المضمون الثوري، في حين كانت رواياتهم المكتوبة بالفرنسية بعيدة عن القارئ الجزائري البسيط في ظل واقع تعليمي متدهور؛ بحيث كانت القراءة محصورة في عدد محدود من المتعلمين آنذاك، وهم لا يشكلون جمهورا قارئا، مما يستلزم أنها موجهة لقارئ واحد وهو القارئ الفرنسي.

كما لا نتجاهل موضوع النشر، فأغلب الروايات المكتوبة بالفرنسية قد نشرت في دور النشر الفرنسية، يعني أن فرنسا تعاملت مع هؤلاء الكتاب ككتاب فرنسيين باعتبار أن البلد المستعمَر هو بلد تابع لها، أي أن الجزائر أرض فرنسية، فهذه الروايات من وجهة نظرها هي فرع من الأدب القومي المستعمِر(الفرنسي).

فلا غرو إذن، أن تنعكس هذه الظروف على الكتاب الجزائريين المفرنسين وتثار إشكاليةواسعة الجدل حول أدبهم وحول انتمائهم وهويتهم في وقت مبكر، لكنهم برروا مواقفهمو دافعوا عن أنفسهم وبينوا وجهات نظرهم تجاه ما كتبوه عن الجزائر في الصحف والمجلات والمقابلات التلفزيونية والإذاعية قبل وبعدالاستقلال.

إن هذه التجربة الأدبية المتميزة كانت وليدة ظروف مختلفة:(ثقافية، اجتماعية، تاريخية، سياسية واقتصادية) فرضتها سياسة المستعمر، التي كان هدفها تجهيل العقول وإبقائها متخلفة بإغلاق المدارس العربية والمساجد والزوايا أمام أبناء الوطن، سعيًا منها إلى تكوين نخبة متأثرة بالثقافة الغربية، وبالتالي جعل الثقافة الفرنسية بديلاً عن الثقافة الوطنية، فقد أسهمت هذه العوامل في تكريس لغة المستعمر كلغة وحيدة للكتابة والإبداع، في هذه الأثناء وجد المبدعون الجزائريون أنفسهم يكتبون بلغة " الآخر" إما طوعًا أو كرهًا؛ متخذينها سلاحا مشتركا " في مواجهة لغة الجانب الأقوى آنذاك، فكانت اللغة الفرنسية سبيلهم لمحادثة هذا الطرف في ظل الظروف التي فرضها هذا المستعمر" 12، فهذا ليس جرمًا أو عارًا وإنما هي أيديولوجية تبناها الكتاب لنقل الصورة الحقيقية عن بشاعة المستعمر الفرنسي.

لقد أصبحت الرواية الجزائرية (الناطقة باللغة الفرنسية) ذات البعد الإنساني مساحة لإعلاء الكلمة الجزائرية للوصول إلى العالم ككل، لأن اللغة في الحقيقة ليست ملكية خاصة لأحد، بل هي ملك لمن يسيطر عليها ويجيد التعبير بها عن ذاته وغيره في كل المواقف، بأدوات أدبية وفنية تؤثر في عدد كبير من الجمهور، والكتاب الجزائريون أصبحت لديهم لغة قوية خاصة، قادرة على التعبير عن الفرد الجزائري بصدق وعن هويته الحقيقية التي شوهها المستعمر.

كثير من النقاد شككوا في انتماء الرواية الجزائرية المكتوبة بلغة المستعمر بحجة استعمال اللغة الفرنسية، لكن هذا ليس مبررا كافيا لصفّها في خانة الأدب الفرنسي وإحاطتها بكل هذه الهالة من التشكيك؛ هذا يعني أن الكتاب الفرنسيين المتواجدين بالجزائر والكتاب الجزائريين سواء؛ لأنهم في البيئة ذاتها ويكتبون بلغة واحدة؟ هذا غير ممكن، لأن الفرق واضح وجلي بينهما، وهذا الفرق يتمثل في الرؤية وأيديولوجية الكاتب وقوميته العربية وتناوله لقضايا المجتمع الجزائري بصدق؛ "فمن العيب بمكان ضرب هذه الانجازات الأدبية التي أوصلت قضية الجزائر خارج الحدود المحلية"13، أو اتهام الكتاب بالتقصير والانبهار بالحضارة الفرنسية، فحقيقة الانتماء "تكمن في ذات المبدع نفسه لا في اللغة التي يكتب بها؛ لأن الكتابة بلغة "الآخر" ـ حتى وإن كان هذا الأخير مستدمرًا أو محتلاً ومغتصبًا للأرض ـ ليس خطيئة تستوجب التوبة (...)، إنه أدب جزائري الروح والتوجه والاهتمامات والانتماء والهوية"14.

وعلى العموم، فإن هذه الإشكالية اتخذت أبعادا شتى ونالت حظها من الجدل على الساحة النقدية العربية والأجنبية سواء، و"بالرغم من لحظات اليأس التي كان يصاب بها الكتاب الجزائريون جراء هذا الموضوع والتي اسماها مالك حداد بـ :(اليأس الفني le desespoir (technique)"15، إلا أنه يقدم مبررا شافيا على ذلك من وجهة نظره؛ إذ يعتبر الكتابة باللغة الفرنسية " ناتج عن مجرد ظرف تاريخي طارئ أوجده الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهو لا محال زائل مع الوقت لا سيما أن تباشير الاستقلال كانت في ذلك الوقت (1961)، ومن الطبيعي أن تستعيد اللغة العربية اللغة الرسمية للبلد مكانتها في كل المجالات الثقافية والفكرية، أما جيلنا نحن فلن يكون إلا حينئذ سوى جيل انتقالي"16، وعلى هذا الأساس فالرواية المكتوبة بالفرنسية هي نتاج

الاستعمار، كما أنها تعتبر أدبا انتقاليا نقيا يعبّر عن هموم إنسانية ووطنية بصدق؛ يمثل مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر.

ثانيا: الطرح الأيديولوجي لرو اية الدروب الوعرة لمولود فرعون (المضمون/ اللغة)

1- الطرح الأيديولوجي لمضمون رو اية الدروب الوعرة:

صدرت الرواية المكتوبة بالفرنسية (الدروب الوعرة) (deschemins qui montent) لمولود فرعون سنة 1957م الصادرة عن دار النشر (le seuil) بفرنسا، والتي شرع في كتابتها سنة 1953، ترجمها إلى العربية (حنفي بن عيسى)، ولقد لاقت قبولا من طرف النقاد والجمهور، حيث ترجمت إلى لغات كثيرة منها العربية والروسية والألمانية، كما ترجم العنوان إلى مصطلحات مختلفة خاصة فيما يتعلق بـ (montent) ترجمت (الوعرة) تارة و(الشاقة)تارة أخرى وربما لفظة (الصاعدة) تارة ثالثة؛ كما جاء في الرواية على لسان البطل. "لقد وجدت نفسي أمام دروب وعرة، وما نحن في الواقع إلا قوم فقراء في بلاد فقيرة، وإني لأتساءل: هل كُتِبَ علينا بالفعل أن نكون أشقياء في هذه الحياة"17.

تدور الأحداث الرئيسة فيها بين قريتي (آيت واضو) و(إيغيلنزمان)، تتناول الظروف المعيشية الصعبة التي آل إليها الشعب الجزائري جراء الاستعمار الغاشم، لذلك جاء المضمون متماشيا مع العنوان تماما يقول على لسان البطل:" الدروب التي أسلكها، وسيسلكها الجميع دروب وعرة متصاعدة ونحن قوم فقراء في بلد فقير أشد الفقر"، ولعل المنطقة القبائلية النائية التي مسالكها خطيرة في الجبل جعلت الظروف صعبة جدا والوصول إليها أمر شاق، بالإضافة إلى العادات والتقاليد وتلك الثقافة التقليدية جعلت حياة الريفيين أشد قسوة، هذا ما أراد الكاتب اختصاره في عنوان روايته.

قدمت الرواية تصويرا إثنوغرافيا متكاملا عن حياة المجتمع الجزائري بصورة صادقة، فكانت مفتاحا للعبور إلى خصوصية العناصر الثقافي والاجتماعية التي تحتكم إليها المنطقة وهي تحت وطأة الاستعمار، تناول الكاتب فيها مواضيع وقضايا كثيرة، فالبطلان في الرواية من فئات مختلفة البطل عامر ابن امرأة أجنبية يحب ذهبية الفتاة المسيحية التي تولى الآباء البيض تربيتها

وفق الدين المسيحي، لذلك ركزت الرواية على قضايا أهمها الزواج المختلط وأثره على الأبناء، وقضية العمال المهاجرين وقضية الفقر والطبقية في المجتمع والتبشير المسيحي في منطقة القبائل.

تبدو أحداث الرواية في أول الأمر كما لو كانت بعيدة عن رؤية أيديولوجية أو سياسية؛ لأن مضمونها يتناول موضوعًا عاطفيًا (قصة حب بين البطل عامر وذهبية) في منطقة القبائل الجرجرية، لذلك نتساءل لماذا تكلم في روايته (الدروب الوعرة) عن الحب والرومانسية ولم يتطرق لموضوع الثورة الجزائرية وحرب التحرير وسياسة المستعمر المستبد صراحةً، هل هذا أسلوبه الخاص؟ أم أنه تعمد أيديولوجية خاصة؟

إن الرواية هي دراما عاطفية في قرية قبائلية، حيث نجد فيها مثقفًا قرويًا يكتب مذكراته منعزلاً في قرية نائية من جبال جرجرة، في الوقت الذي كان يتحرك الشعب الجزائري فيه نحو الثورة، فهذه اليوميات يرجع تاريخها إلى الخمسينيات، سنوات اليقظة بالنسبة للجزائريين ونهاية صدام الحضارات، "هي مرحلة مخيفة من السكونية والتمزق، ومن نتيجة ذلك أن هرب كثير من الأدباء إلى اتجاهات سكونية هروبية تعتمد على النقمة الداخلية أكثر من اعتمادها على الفعل الثوري، وما هذا التيار الرومانتيكي إلا رد فعل على الأوضاع المزرية"18، وفي هذه الفترة كان مولود فرعون ضائعًا وسط دوامة تفكيره المتضاربة بين فكرة الاندماج وبين فكرة الرفض والقطيعة للمستعمر، وبكل تأكيد انعكس هذا على شخوص روايته لذلك صوَّر أبطاله (ذهبية وعامر) في حالة من الضياع والتيهان والبحث عن الحل للخلاص من هذا الصراع الداخلي والخارجي.

لا ضير من أن حالة الهدوء الموجودة في اليوميات على مستوى أحداث الرواية، تدفع إلى الحيرة والاستغراب، هي عبارة عن منولوج داخلي وظفه الروائي كتقنية سردية جديدة لتعرية الذات ومواجهة النفس، لمساءلة التاريخ وتحليل الواقع المأساوي الذي وصل إليه الفرد الجزائري؛ إنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، ينبئ على بداية نضج الوعي، خاصة بعد مشاهدته لمجازر 08ماي 1945، لينتقل إلى المرحلة الثانية وهو نشوء العاصفة (الثورة) التي تندد باقتلاع المستبد من جذوره.

إن الكتاب في فترة الخمسينيات لم يتمتعوا بالحرية الكاملة أو بانطلاقة الإبداع، فقد أجبرتهم الأوضاع السياسية على التحفظ في كتاباتهم وممارسة الرقابة الذاتية على أنفسهم، فتجنبوا مواضيع حساسة وحذفوا أجزاء أساسية لا عن قناعة كتضحية منهم، وموضوع الرومانسية ما هو إلا خطة ذكية لتغييب المستعمر لتقبل أعمالهم للنشر، يقول مولود معمري :" كنت مضطرًا للتعبير عن أفكاري بأسلوب غير مباشر واللجوء إلى الغموض أحيانًا – وهذا أخطر وأعظم- إلى اختيار مواقف ما كنت اخترتها في إطار سياسي مختلف." 19

وفي هذا الضوء، لا يمكن أن ننفي بأن (مولود فرعون) تأثر بالتيار الرومانسي كباقي الكتاب العرب، لأنه عاصر التيارات الجديدة في أوروبا متأثرا بالإنجازات الأدبية للمدرسة المهجرية وجماعة أبوللو؛ حيث تبلور ذلك في رواياته، بتوصيفه لمقاطع سردية غرامية شكلت لوحات جميلة في رواية (الدروب الوعرة):" وفتحت ذراعي فاقتربت مني وعانقتني وأسندت رأسها على كتفي، ثم أحسست بها قد اتكأت عليَّ بجسدها كله، وتلاحقت أنفاسها قريبًا من أذني فضممتها إلى صدري، إلا أن أهدابها الطويلة أخذت ترمش قليلاً ثم اصفر وجهها ودارت بها الأرض فغابت عن الوعي."20

لقد طُعمت رواية (الدروب الوعرة) بالتيار الرومانسي بالرغم من أنها واقعية بامتياز، إلا أن هذا لم يقلل من مصداقية حقائقها لأنه جزء من واقعها، فالكاتب لم يركز على الجوانب المظلمة فقط من حياة الجزائريين، بل تناول الجوانب المضيئة التي تدفعهم للحياة رغم قساوتها، فالحب والرومانسية في الطبيعة الجبلية القاسية موجود بين أفرادها رغم كل الدروب الصعبة؛ دروب الطبيعة ودروب الحياة، فهو شعب لا يرضى بالانتكاسة والتقوقع؛ بل ينتفض ويناضل ويعيش الحياة بكل أشكالها من أجل سعادة الأجيال القادمة، فالرومانسية إذن هي بذور أملٍ ممكنة للاستمرار نحو واقع مشرق يستشرف الحرية لمواجهة المستعمر الذي لون حياتهم بالسواد حيث يقول: " فقد آن الأوان أن أسلك معك الطريق إلى أعالي الجبال وسيكون طريقنا وعرًا كغيره من الطرق ولكنه طريق مجهول لا يعرفه أحد(...) ولكن سنظل نسير على دربنا ولن ندعوا أحدا لمرافقتنا وكل من سار على الدرب وصل" [21]، من هنا يكون مولود فرعون قد تجاوز الواقعية السوداوية التي لازمت كتاب اللغة الفرنسية لفترة طويلة.

2- الكتابة بلغة الأخر أيديولوجية:

قدّم مولود فرعون تصويرا إثنوغرافيا مفصلاً عن المجتمع الجزائري؛ حيث نجح بإدخال القارئ إلى البيوت القبائلية للتعرف على تفاصيل حياتهم البسيطة حفاظا على مقومات الهوية الجزائرية، فهذا يعني أنه يعتز بانتمائه ويفتخر بتراثه الأمازيغي الذي تحاول فرنسا جاهدة طمسه، مستخدما الحرف الفرنسي كسلاح مشترك ليقول للمحتل: " أنا أناضل ضدكم بلغتكم ولأبعدكم عن (الدروب الوعرة) التي تعشق قبائلنا أن تعيش أجمل الأيام القبائلية فيها"22، إذن فالتزاوج اللغوي والثنائية الثقافية ما هو إلا تصور أيديولوجي اعتمد عليه الكاتب في رواياته.

إن اعتماد الروائي على الجانب الإثنوغرافي توحي بالسذاجة والسطحية وقصر الرؤية؛ هذا ما يراه المستعمر، لكن الكاتب الجزائري يحاول بث الروح الإنسانية فيه ليغير النظرة التي رسمها الكتاب الفرنسيون عن الجزائريين لفترة طويلة، "فالصورة التي قدمها المحتل عن الجزائري صورة مقيتة بصفته إنسانا بدائيا متوحشا تحكمه الغرائزُ والنزوات والذهنية الأسطورية. حيث سيطر المنظور الإثنوغرافي على كتابات الفرنسيين إذ حنطت هذه النظرة الإنسان الجزائري وأفرغته من ديناميته وفاعليته وإنسانيته وكينونته التاريخية، فلا يوجد فرق بينه وبين الأحجار والأشجار والحيوانات(...) توحي هذه الصورة بأنهم أمام جماعة بشرية بدائية معزولة في الزمان والمكان ومرشحة للانقراض لتدخل متحف التاريخ"[23].

لقد تسللت هذه الصورة البشعة إلى كل المجتمعات والرأي العام وأسهمت بدورها في تشكيل واقع مأزوم من خلال قتلها الرمزي للهوية الجزائرية في ظل عنف التاريخ، فظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ذات البعد الإثنوغرافي كرواية ضدية لمواجهة الرواية الاستعمارية فكان الحرف الفرنسي الوسيلة المثلى لمخاطبة الآخر الأقوى بلغته من جهة، وللوصول إلى العالم ككل من جهة أخرى، مركزة في مضمونها على جوهر الإنسان الجزائري على قيمه الأخلاقية والاجتماعية، على حسه الجمالي والفني وعن طبيعته الخلابة وثقافته المتنوعة.. وهكذا وجد الروائيون أنفسهم في مواجهة الآخر، مواجهة المغالطات والتشوهات التي مست الهوية والمقدسات، لتغيير هذا المشهد وإعادة المجتمع الجزائري المهمش لصيرورة التاريخ.

تجدر الإشارة، إلى أن أيديولوجية الكاتب يمكن لها أن تكون دينامية متحولة في حياته، كما هو واضح على المسار الفكري الذي عرف به مولود فرعون،(التعايش والاندماج)؛ لذلك عدّ صديقا لفرنسا التي تعتبره نموذجا للاندماجي المثالي والناجح؛ هذا ربما لغياب مسألة الثورة عن أعماله حتى تاريخ وفاته أو لعدم رفضه الوضعية الكولونيالية صراحة، هذا ما توحي به القراءة السطحية لأعماله لكن القراءة العميقة تبين بداية التحول الفكري له، حيث تضمنت رواية (الدروب الوعرة) موضوعا في غاية الأهمية هو صعوبة تحقيق التواصل بين ثقافتين مختلفتين أو استحالة التواصل بين شخصيات من ديانات مختلفة، وهذه الفكرة يمكن أن تفهم على أنها بداية التخلي عن الأيديولوجية المثالية السابقة وتبني أيديولوجية واقعية جديدة تتماشى مع الوضع المأساوي الراهن الذي فرضه المستعمر؛ هي الإيمان بالثورة والاستقلال.

لقد صرّح مولود فرعون بضرورة الحرية كحل حتمي للخلاص من براثن الاستعمار وأغلاله في "روايته (اليوميات) التي نشرت بعد اغتياله يوم 15 مارس 1962" 24، ففي فيفري 1956 كتب لألبير كامي رسالة جاء فيها:" قل للفرنسيين إن هذا البلد ليس لهم" 25، وتتجلى أيديولوجيته النضالية أكثر في روايته الجديدة (مدينة الورود) التي نشرها أبناؤه بعد وفاته، لتقضي على كل الشكوك التي كانت موجهة له حول علاقته بالثورة وقضية موالاته لفرنسا، معبرا عن رأيه صراحةً بأن الاستقلال هو الخلاص النهائي للجزائر، ولهذا السبب اغتيل على يد منظمة الجيش السرية سنة 15مارس1962.

ثالثا: الصراع الأيديولوجي وتجلياته في رو اية (الدروب الوعرة) لمولود فرعون.

ارتبطت رواية (الدروب الوعرة) بالواقع السياسي والتاريخي والاجتماعي للمجتمع الجزائري، رصد فيها مولود فرعون مختلف التغيرات التي طرأت عليه مركزا على معاناته وبؤسه في فترة الاحتلال بأسلوبه الخاص، حيث رسم شخصيات روايته بدقة فنية وحمّلها البعد الأيديولوجي المناسب لها، لذلك تحول نصه (الدروب الوعرة) من لوحة إبداعية فنية إلى نص محمل بأيديولوجيات مختلفة؛ نص استوعب أفكار الكاتب ورؤيته إلى العالم.

1. الأيديولوجية البرغماتية:

وهو نظام فكري يقوم على مجموعة من الممارسات والأفكار المتصلة بالأفراد أو الجماعات أساسه المنفعة الشخصية المتوارية تحت أقنعة مختلفة والمتصلة بالنزعة الفردية والأنانية، وهي أيديولوجية تسعى لتحقيق أهدافها وغاياتها بكل الطرق، أما طريقة تشخيص الأيديولوجية البرغماتية في نص (الدروب الوعرة) جاء على أشكال مختلفة تناوبت بين الظهور والاختفاء حسب شخصيات الرواية وأحداثها والتي سنشرحها في الآتي:

أ- أيديولوجية المستعمر:

أيديولوجية معروفة ومكشوفة للجميع، وهي بكل تأكيد برغماتية نفعية بالدرجة الأولى، قوية شرسة تسعى لتحقيق نفوذها بشتى الطرق والوسائل، مولود فرعون في متن روايته (الدروب الوعرة) لم يصرح بها مباشرة فهي أيديولوجية خفية يمكن للقارئ أن يستشفها من خلال عرضه لبعض النماذج السلطوية سواء على لسان السارد أو على لسان بعض الشخصيات التي عاشت هذه المواقف واستطاعت أن تكشف سياسة المستعمر الخفية.

لم يعتمد الاستعمار الفرنسي على الأسلحة العسكرية والوسائل المادية فقط في سعيه لاحتلال الجزائر، بل كان أكثر النماذج الاستعمارية في العالم تطرفا وتركيزا على الجوانب الاجتماعية والثقافية والعقائدية، من خلال تهديمه كافة البنى الدينية والأيديولوجية المكونة للمجتمع الجزائري واستبدالها ببنى أخرى من صنعه، ظهر ذلك جليا في الرواية بتنشيط الإدارة الفرنسية أجهزة دبلوماسية من الطبقة الثرية الجزائرية لتكون عيونها المنتشرة في كل شبر من أرض الوطن، فهذه الفئة هي الواسطة بين الإدارة الفرنسية والشعب.

يقف عامر بطل الرواية مستنكرا أمام سياسة فرنسا الماكرة باستغلال الطبقة الموالية لها التي تعدهم بالأموال والمناصب وفي القت نفسه تعطي حق الحرية والديمقراطية لسكان المنطقة باختيار من يمثلها في الانتخابات البلدية، لكن سرعان ما تتغير القائمة والأسماء ويضعون الشخص المناسب لهم في المكان المناسب لغيرهم، إذ يقول عن هذه الحادثة:" فإن هي إلا أيام حتى أدركنا أن الأسماء وحدها تتغير، وأن الذين يتناوبون عن الحكم أصبحوا عملاء للاستعمار

وجواسيس يتصرف فيهم الحاكم كما يشاء،(...) وقد تسلط على عباد الله وأعمل فيهم يد القمع والإرهاب" 26، فالطبقة الموالية هي من سكان المنطقة وتشاركهم الأرض والعرقو الدين لكن تختلف معهم في المصالح الفردية، وهي كما تبدو في الظاهر أنها تعمل من أجل مصلحة أبناء الوطن وتتبنى معهم نفس الأيديولوجية، لكنها في الحقيقة لا تملك أدنى سلطة أو قوة لتغيير الأوضاع لأن أيديولوجيتها تابعة لأيديولوجية المستعمر، لكونها في الأصل تستمد قوتها وصفاتها ومبادئها منها، فهي بمثابة الأيديولوجية البرغماتية الأم لها، وهذه الأيديولوجية الأخيرة سنجدها متغلغلة في كامل النص وتؤثر في الأيديولوجيات الأخرى (الدينية والاجتماعية) بطريقة أو بأخرى.

ب- أيديولوجية الفئة الموالية لفرنسا:

إن المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري لا تنحصر في ظلم واستبداد المستعمر له فقط؛ بل نجد الطبقة الموالية لفرنسا هي الأخرى أسهمت في هذه المأساة، فهي بمثابة الطبقة البرجوازية الصغيرة في المجتمع القروي، تتبنى أيديولوجية برغماتية نفعية لكنها أقل حدة من الأولى، تمثلها في الرواية طبقة الأعيان من قرية (إيغيل نزمان) تجسدت في الشخصيات الآتية: (شيخ البلدية، مقران، الناطور، صاحب اللحى الطويلة، عرش آيت سلمان وآيت العربي وحمروش).

الملاحظ أن الكاتب لم يصرّح مباشرة بالتوجه السياسي والفكري لهذه الفئة في المتن، وإنما يمكن بالقراءة العميقة اكتشاف ميولها وأغراضها، هدفها الأول هو ارضاء السلطات الفرنسية لتحقيق مآربها الفردية أو الفئوية، أما هدفها الثاني استغلال الفئة الضعيفة وإقصاؤها؛ هذا الإقصاء الذي يبدأ من أبسط تجليات الحياة المادية والمعنوية، مستعملة السلطة كوسيلة للاضطهاد والسيطرة، وعليه هذا الانقسام أنتج طبقتين في المجتمع حسب الولاء والعداء لفرنسا: الطبقة الأولى قوية مؤثرة وهي غنية نافذة، والثانية طبقة ضعيفة مستضعفة وهي الفقيرة المحرومة، مما نتج عن ذلك شرخا في البنية التحتية للمجتمع الجزائري.

ولعل أهم ركائز الفئة البراغماتية هو افتقارها للبعد الأخلاقي بحكم ارتباطها بسياسية المستعمر وخير من مثل هذه الأيديولوجية "شيخ البلدية"، الذي استغل منصبه لأغراضه الشخصية على الطبقة المحرومة، فالنساء الفقيرات يقمن بأعمال مجهدة كخادمات عندهم؛ من

أجل لقمة العيش كجلب الماء أو جني الزيتون،" بدأت أمها مالحة تشتغل عند أهله من بيت آيت سلمان، وتسقيهم كل يوم من العين ماءً" 27، هذه هي صورة المرأة المكافحة من أجل البقاء، فالفقر والحرمان والبطالة صور حقيقية لقرية (إيغيل نزمان) التي دمرها المستعمر وفرّق بين أهلها، فسياسة العنف والظلم التي طبقها الاستعمار ولّدت الكراهية والقسوة بين أفراد الشعب الواحد، مما جعل الفئة المولية للمستعمر مضطربة في سلوكها وأفعالها جراء ضياعها الفكري والقومي، وما هذه إلا أيديولوجية برغماتية مصغرة تكشف نوايا فرنسا الحقيرة وأيديولوجيتها البرغماتية الشرسة.

ج- الأيديولوجية المائعة / اللاأيديولوجية:

هذه أيديولوجية تندرج تحت الأيديولوجية البرغماتية الصغرى المذكورة سابقا، غير أنها تختلف معها بأنها واضحة في أهدافها النفعية، لا يهمها نظرة المجتمع لها، لا تمتلك أي مبادئ وأسس أخلاقية؛ هي فئة أنانية تسعى إلى تحقق مصالحها الشخصية بكل الطرق، حيث أن " الأيديولوجية النفعية تؤسس نظامها القيمي وفق تركيب منهجي، يعتمد فلسفة تتغير بتغير المواقف والمصلحة"28، فعائلة (آيت سلمان) مثلاً، هي من الفئة البرجوازية الصغيرة التي لا تمتلك أي أيديولوجية، بل هي مائعة تتحول حسب مصالحها الخاصة، يقول الراوي على لسان عامر" فمنهم من يتعاطى السرقة ليلاً ومنهم شهود زور ومنهم جواسيس" 29، ويضيف مستنكرًا من فعل مقران عندما وشى به إلى السلطات:" الجاسوس العميل وشى بنا للسطات بسبب الشغب الذي نقوم به واضطراب الحال، وعلى إثر تلك الوشاية نفت السلطات اثنين منا إلى الصحراء..، أما أنا فقد غضب عليّ الحاكم الفرنسي غضبًا شديدًا فنجوت من المنفى إلى مدينة بشار" 30، المثال السابق يوضح جانبا مهما من أيديولوجية المستعمر الذي يسعى إلى وضع جواسيس من أفراد المجتمع الواحد لمراقبة كل صغيرة وكبيرة في المجتمع الجزائري، وفي الأخير لا يمكننا أن ننكر بأن الفئة البراغماتية الجزائرية في قرية (إيغيل نزمان) قد خدمت المشروع الاستعماري بكل اخلاص وتفانٍ.

2. الأيديولوجية الاجتماعية بين المحافظة والتقليد :

أ- الملمح الإثنوغرافي في رواية الدروب الوعرة:

لقد صور مولود فرعون في روايته (الدروب الوعرة) واقعا اجتماعيا ارتبط ارتباطا وثيقا بالعادات والتقاليد، ورسم بعمق المجتمع القبائلي ووصف بإسهاب تفاصيل حياته اليومية التي تميزه عن غيرهم، وهي في الوقت نفسه تمثل العالم النموذجي للمجتمع القبائلي الريفي؛ حيث ركز على المعالم الجغرافية وصراع الفرد مع الطبيعة، فقرية (إيغيل نزمان) تقع في أعالي الجبال الجرجرية ووسط الأشجار والأحراش الكثيفة؛ وهي لفظة ذات دلالة ومعنى، فـ(إيغيل) تعني الجبل و(نزمان) تعني قديم جدًا، مما جعل دروبها صعبة والوصول إليها شاق.

يقدم الكاتب وصفا طوبوغرافيا دقيقا لهذه الطبيعة في مقاطع توصيفية طويلة يمكن للقارئ تخيلها: "جبال جرجرة كتلة متراصة ثابتة الأركان قممها المكسوة بالثلوج المحفوفة بالضباب تختفي هناك في عنان السماء إنها أسوار منيعة تفصلنا عن الدنيا وما فيها"31،من هذا المنطلق تأسس مجتمع (إيغيل نزمان) على الانغلاق والمحافظة وبقي حيّا داخل ميراث ثقافي تقليدي سائد لوقت طويل رغم محاولات فرنسا الكثيرة لاختراق وهدم هذا الفضاء الفكري والثقافي، ورواية (الدروب الوعرة) راحت تشق عباب الأحداث في تأن لترصد هذا العالم المليء بالسحر والجمال من جهة، والقهر والبؤس من جهة أخرى، وفي هذا المستوى من الدراسة سنتطرق لأهم التجليات التراثية المادية والمعنوية في متن الرواية والتي تعكس بدورها أيديولوجية المجتمع المحافظة.

اتكأ مولود فرعون على التراث الأمازيغي في الجزائر؛ الذي اعتبره جزءًا أساسيًا في تكوين الهوية القبائلية، إذ يعدّ اللباس معلمًا من معالم ثقافة أي شعب متمسك بأصالته، ففي رواية (الدروب الوعرة)كان للباس دور مميز في تقييم أصالة الفرد الجزائري في قرية (إيغيل نزمان)، يصف لنا (مولود فرعون) المرأة (ويـزة) في مظهرها الجميل عندما كان خطيبها مقران يراقبها: " وأبصر ويـزة تسبق البنات في ثوبها الناصع البياض، وقد وضعت على رأسها محرمة صفراء، وتمنطقت بفوطة من الحرير الأحمر كأنها الجبة الضيقة" 32، فاللباس القبائلي: (المحرمة، الجبة،

الفوطة) يعود إلى التراث الأمازيغي، ترتديه المرأة في الأيام العادية، وعمد مولود فرعون إلى توظيف الألفاظ المحلية ليعبر عن عمق وأصالة الفرد الجزائري.

الرجل القبائلي أيضا لا يمكن أن يستغنى عن برنوسه في كل المناسبات، لأن له ميزة خاصة لدى المجتمع الجزائري؛ إذ يرمز للرجولة والشهامة، يقدم (مولود فرعون) توصيفًا دالاً على ذلك: "و قد ارتدى بمناسبة ذهابه إلى السوق عباءة بيضاء فوق صدارة سوداء، ووضع برنوسه على كتفه" 33، يدل هذا الزي على الهيبة والوقار ومفخرة للرجال خاصة أيام الثورة.

ضف إلى ذلك، تعتبر الأكلات الشعبية إحدى روافد الهوية والتراث، التي كانت حاضرة في متن الرواية، والمعبرة عن الأصالة الجزائرية، إذ يتلذذ أفراد منطقة القبائل بالطبق الرئيس (الكسكسي)؛ رمز الكرم وحسن الضيافة، وخير مثال عن ذلك ضيافة نانا مالحة لعامر في بيتها، يقول في يومياته متلذذا: "كان صحن الكسكسي محطوطًا فوق القصعة الخشبية الكبرى المقلوبة على الأرض"34، لذلك كان أهم تقليد استوجب المحافظة عليه ونقله للأجيال بتعليم الفتيات فتل الدقيق" رجعت نانة مالحة من الحقل وتطلعت في حزن إلى ابنتها التي كانت منهمكة في فتل الدقيق من الشعير في قصعة كبيرة "35، زد على ذلك أكلات أخرى كالبركوكس والكسرة والسفنج، وكما يبدو أيضا أن المجتمع القبائلي مازال متمسكًا بإرثه التقليدي من خلال استعماله للأواني الخشبية والفخارية كالقصعة والكسكاس والرحى الحجرية؛ التي كانت النساء تحترفن صناعتها يدويا في تلك الفترة.

برزت ظاهرة اجتماعية أخرى منتشرة عندهم في الأعراس والمناسبات، هي تجمع أهل القرية لحضور مأدبة الأكل في مراسم الزفاف، فيسرد لنا الراوي زفاف مقران: "وكانت الدعوة عامة، وتناول الفقراء والمساكين الطعام ووزع منه على من تعذّر عليه الحضور من الأرامل،و أقيمت كذلك حفلة غداء فاخرة لأكابر القرية وشيوخها، وتواصلت حفلة النساء طوال الليل وسمح لهن بالغناء والرقص"36.

أما قضية شرف المرأة وفحولة الرجل عنصر أساس في المجتمع القبائلي، حيث يتجمع الشباب لانتظار صديقهم ليلة زفافه ليثبت رجولته، وينتظرون طلق البارود، ثم يتم تقديم

الاسفنج والبيض لهم كفأل خير للشباب "إن تقديم الاسفنج والبيض للرفاق العزاب من أهم الواجبات على المتزوجين فهؤلاء بإمكانهم أن يمطروا سقف داره بالأحجار، كما تقضي بذلك عادة متوارثة من القديم" 37،هذه العادات ساذجة وبسيطة لكنها أسهمت في التحام وتماسك المجتمع.

ب- الصراع الأيديولوجي بين البنى الاجتماعية:

حاول مولود فرعون جاهدا التوغل أكثر في المجتمع بإعطاء صورة حقيقية عن المرأة القبائلية ومأساتها، فهي مضطهدة من طرف أفراد أسرتها أو من طرف أفراد الطبقة الثرية، فحياتها عموما لا تخلو من العناء والشقاء، حيث تقوم بالأعمال الشاقة مثلها مثل الرجل كجلب الماء وحمل الحطب وجني الزيتون في حقل شيخ البلدية يؤكد الراوي ذلك: "رجعت نانا مالحة من الحقل ورمت على ظهرها أمام عتبة الباب حزمة صغيرة من الحطب"38.

تناول الروائي موضوع الزواج في المجتمع الذكوري، فالمرأة في المجتمع القبائلي لا تتزوج بمن تحب، وإنما تتزوج من الذي يخدم مصالح أسرتها، والمرأة الفقيرة لا تتزوج إلا فقيرًا معدمًا أو تبقى عانسًا، أما المرأة الشابة في عرفهم إذا مات زوجها بقيت أرملةً طوال حياتها راضية بقدرها المشؤوم، ويمكن للزوجة إذا أخطأت أن تُطرد إلى بيت أهلها وتبقى على هذه الحالة معلقة دون طلاق أو رجوع لسنوات عديدة، وبهذا يكون التواجد الفرنسي في الجزائر قد أنعش المشكلات الاجتماعية التافهة وأسهم في تفكك الأسر الجزائرية.

وفي هذا الصدد، عالجت الرواية ظاهرة في قمة الأهمية وهي هجرة الشباب جراء الوضع المأساوي، من خلال رسم المستعمر صورة مثالية عن الحضارة الأوروبية، حضارة الأحلام والآمال، لذلك أصبح الشباب الجزائري يفكر في الهروب من أرضه لتحسين المستوى المعيشي، جاء في الرواية:" نحن نعرف أنكم تغادرون بلاد الجوع وتذهبون إلى جنة الدنيا، ولكنكم ستظلون في تلك الجنة غرباء وتضطرون للعودة إلى جحيم بلادكم" [39]، ومن جهة أخرى شكّل موضوع الهجرة بؤرة خلاف في أحداث الرواية، الذي أنتج صرعا حادا بين جيلين؛ جيل الشيوخ وجيل الشباب، فالأول متمسك بعاداته وأرض أجداده، أما الثاني يحمل أفكارًا تقدمية تميل إلى التغيير والتجديد يقول الراوي" وذات يوم يحصل بين هؤلاء الشباب وبين الشيوخ سوء تفاهم، فيكرهون البلاد ولا

يفكرون إلا في الخروج منها، وقد تجد منهم من يرغم نفسه على البقاء في أرض الأجداد." [40]، علي ما يبدو أن سياسة فرنسا انعكست على العادات والتقاليد والأعراف السائدة بالسلب في المجتمع، حيث أصبحت الأسر الجزائرية تعاني من الصعوبات والتهميش والبطالة وانخفاض مستوى المعيشة، مما زاد حدة الصراع بين الأفراد والأسر في القرية الواحدة .

ج- الأيديولوجيات الدخيلة عن المجتمع القبائلي:

أنزل المستعمر الفرنسي حربا أخرى أشد فتكا من السلاح وهي الاستعمار الفكري والثقافي لطمس معالم الهوية الوطنية بكل أشكالها من خلال محاولة محوه بعض العادات العريقة بين الأفراد واستبدالها بأخرى، ومن العادات الدخيلة في قرية (ايغيل نزمان)، عادات الزواج فأهل العروسة يدفعون المهر بدل أهل العريس" إن أهل العروسة هم الذين يدفعون تكاليف جهاز البنت" 41،ومن العادات الأخرى التي أصبحت جزءًا من عاداتهم ويحافظون عليها فكرة زيارة العروس لبيت خطيبها وأخذ الهدايا لهم " فقد أصبح لزامًا عليهم بعد إعلان الخطوبة زيارة أسرة الخطيب لتقديم التهاني" 42.

لا ضير من أن هذه بدع جديدة في المجتمع الجزائري تحط من كرامة ومبادئ الأسر الجزائرية خاصة الفقيرة منها وتخالف الشريعة الاسلامية، زد أنها تزرع التفرقة بين العائلات الغنية والفقيرة، فقيمة الأسرة ومكانتها مربوطة بقيمة ما تملكه، وفي هذا السياق تقول(ويـزة) عن خطيبها مقران: " وجهه لا يروقني(...) ولا تنسي يا عزيزتي أن أهله أغنياء فلهم بقرة بضعة ثيران وكثيرًا من أشجار الزيتون ودار كبيرة" 43، يبدو أن البنية التحتية للمجتمع بدأت بالتفكك والضياع جراء دخول عادات غربية جديدة أثرت على العادات الأصيلة، ولا شك أن هذا هو المطمع الأساس الذي تصبو إليه السياسة الاستدمارية.

الواضح أن مولود فرعون صوّر الواقع الجزائري بعمق؛ استنبط روحه من المعطيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، مبينا خصائص وسمات تركيبة المجتمع القبائلي، الذي ظل متمسكا بعاداته وتقاليده معتزا بأصوله ودينه؛ وهي أيديولوجية محافظة متجذرة منذ القدم في تاريخه البربري كاللباس والمأكل والمناسبات وغيرها، كما أعطى صورة حقيقية عن حياة

المرأة القبائلية المتحفظة الحريصة على شرفها رغم كل الظروف القاهرة، وبهذا يكون الروائي قد قدّم لنا شريطا وثائقيا عن يوميات الفرد القبائلي من شروق الشمس إلى غروبها وهو يصارع الأمرين؛ الطبيعة الجبلية القاسية والمستعمر المتوحش، للحفاظ على أيديولوجيته من الأيديولوجية الدخيلة.

3. الأيديولوجية الدينية:

إن هدف الاستعمار الأول هو القضاء على الدين الاسلامي بإخراج المجتمع الجزائري من دينه، حيث أدرك جيدا أنه لا يمكن إخضاع هذا الشعب إلا بالإبادة الروحية والعقائدية لهذا الدين من نفوس الجزائريين، فالمنظومة الأيديولوجية الاستعمارية تقر بمشروعية وجود مثل هذه الأنظمة الدينية؛ قد خططت لها من قبل ذلك بكثير، لذلك اتخذت عدة طرق منها التنصير وتشجيع عمليات التبشير ؛ بإغراء وارغام الشعب اعتناق المسيحية لضمان حياة أفضل، وهذا واضح في الرواية: "انظروا إلى الراهبات وإلى الآباء البيض وما يقومون به من أعمال البر والإحسان، وما يقدمونه من خدمات لأمثالكم من الجاحدين بالنعمة، ثم قارنوا بينهم وبين الشرفاء والمرابطين الذين تدينون لهم بالولاء"44 ،وعليه ظهرت مشكلة الهوية في شكل صراع بين نظرتين مختلفتين، نظرة عروبية إسلامية ونظرة أخرى تبحث عن هوية جديدة (مسيحية).

يشير مولود فرعون إلى هذه الظاهرة التي انتشرت كثيرًا في بلاد القبائل ومدي خطورتها على الهوية الاسلامية، فالغزاة اصطحبوا معهم رجال الدين الذين قاموا بدور بارز في التحضير لعملية الاستيطان في الجزائر بتشجيع مادي ومعنوي من السلطات الفرنسية، فالدين المسيحي هو المهرب المثالي للفقراء الجزائريين للخروج من المأساة التي يعيشونها، وهي الملاذ الوحيد لتحقيق أحلامهم البسيطة، يقول في الرواية :" جميع الناس في آيتأضيو ميالون للحكومة –إذ أنهم بمساعدة الآباء البيض- يحصلون دائمًا على وظيفة(..) فإذا أنهوا الخدمة العسكرية وأحيلوا على التقاعد، عادوا إلى قريتهم ليحصلوا على أعمال مخصصة لهم،فيكون منهم القهواجي أو الناطور أو الدركي" 45، وبالفعل قد أثرت هذه الحركات التمسيحية على بعض أفراد قرية(إيغيل نزمان) وارتدّت عائلات

كثيرة عن الدين الإسلامي، وهم أصحاب الأيديولوجية الدينية المتحولة، لأن إيمانهم بالعقيدة ضعيف أمام الإغراء بالمال والنفوذ.

أما ردة فعل المسلمين يعتبرون الخروج عن الاسلام خيانة وعار " ونحن أبناء آيت العربي نعتبر أن الخروج عن الدين الإسلامي وصمة عار" 46، ومازالت الأغلبية في قرية (إيغيل نزمان) يقومون بعباداتهم المفروضة من: شهادة، صوم، صلاة وصدقة، يقول الراوي:" لم يكن يردد شهادة (لا إله إلا الله) إلا حملة النعش"47،كما ويؤمنون أيضا بالقضاء والقدر المكتوب، ويستنكرون من سياسة التبشير التي بمقتضاها تمّ هدم المساجد والزوايا وبناء الكنائس والدور، ويتجنبون الصلاة على الكافر، حيث حاول مقران أن ينتقد الشيوخ عندما صلوا على أم عامر (مدام) رغم اعتناقها الإسلام فيقول عامر " صلاة الجنازة لا تجوز على أمي، لأنها رومية وأنا أيضًا رومي، وأن شيوخ المرابطين أخطأوا حينما حضروا في الجنازة، واستنكر هذه البادرة واعتبرها عارًا".48

زد على ذلك، ظل الصراع الأيديولوجي الديني في الرواية منحصرا بين طرفين؛ الأول إسلامي يمثله مقران وعائلته والطرف الثاني التيار الشيوعي المساند للتيار الوطني ويمثله عامر لكنه انحل بعد ذلك، يقول عامر:" لو لا تعصبه، لعرف أن وطننا واحد. وأن إلهنا واحد (...) فليهنأ وحده بالدين والدنيا، وعندما ألفنا الخلية الشيوعية رفض الانضمام إلينا لأن الشيوعيون في نظرهم مسيحيون" 49، فشخصية عامر كما وصفها الكاتب تقدمية تنزع إلى التغيير والتجديد بينما مقران شخصية محافظة متمسكة بعاداتها وعرف قريتها، وعلى هذا الأساس رفض الاسلاميون التيار الشيوعي واعتبروه دخيلا عنهم.

وفي السياق ذاته نجد الروائي يقدّم صورة لرجال الدين، فيصور المقدس المبطن بالمدنس، حيث استطاعت شخصية الشيخ سعيد آيت سلمان أن تجمع بين المتناقضات فهو يدّعي التمسك بالدين من جهة ونجده يرتشي ويكذب ويفعل أي شيء لخدمة مصلحته الشخصية من جهة أخرى، وهي في الحقيقة مظاهر النفاق الأخلاقي والاجتماعي واضطراب القيم الحاصل في طبيعة الأيديولوجيا النفعية، يقول عنه الراوي" سعيد آيت سلمان شيخ يتظاهر بالورع والتقى ويناديه جميع الناس بابا سعيد احترامًا له، ويعتبر في القرية رجلاً حنكته الأيام(...)ومن المعروف عنه أنه

رجل الوفاء بالعهد، ولم يكتف خلال حياته الطويلة بالدسائس ونكث العهود"50،ومرد هذه التصرفات الأنانية وانعدام الصدق مع الذات، وهذا وجه أخر للإيديولوجية البرغماتية لكنها مقنعة وأشد خطورة لأنها تختفي وراء الدين.

فمن خلال هذه الأمثلة نجد أن الكاتب لامس المظاهر البارزة للتراث الشعبي بإيجابياته وسلبياته في البيئة الاجتماعية الجزائرية كأيديولوجية محافظة التي لها علاقة مباشرة بالأيديولوجية الدينية لتظهر في المقابل أيديولوجية المستعمر التي تحاول إقصاء وتقليص من حجم الأيديولوجيات الأصل.

خاتمة:

يعتبر الروائي الجزائري (مولود فرعون) من الكتاب الذين تكلموا عن الشخصية الجزائرية بكل تمظهراتها، وتناولوا بالوصف الدقيق والعميق الطبقات الاجتماعية وتفاعلها مع بعضها بعض ومع الطرف "الآخر"، مما يؤكد الاحترافية التي بلغها (مولود فرعون) على مستوى قدراته الفنية والجمالية، متخذًا من الحرف الفرنسي وسيلة لنقل مأساة وهموم وطنه ولمناهضة الاستعمار وسياسته، هكذا تمكنت رواية (الدروب الوعرة) من تجسيد الصراع الأيديولوجي القائم بين أطراف وجماعات مختلفة في مرحلة ما قبل الاستقلال من تاريخ الجزائر.

وأخيرا، يمكن القول أن صورة الشخصية الجزائرية حاضرة في الرواية المكتوبة بالفرنسية بقوة؛ حيث كانت أرض الجزائر مصدر إلهام وإبداع للكتاب، لأن وعي الكاتب بما يحدث في الواقع المعيش ومعايشته له في فترة الاحتلال الفرنسي مكنه من رصد الأحداث بكل تناقضاتها بصدق، فلم يكن (مولود فرعون) يملك إلا اللغة الأدبية للتعبير عن وجعه ووجع كل الجزائريين، ولقد كان ينتظر بشغف سطوع شمس الحرية على بلاده، إذ يعدّ مثلاً نموذجيًا لجيله؛ جمع فعلا بين (عالمين وثقافتين) ومثالاً للمبدع المخلص؛ استطاع أن يثبت أنه يمتلك القدرة على تأسيس شكل روائي مكتمل التخطيط والبناء يدفع القراء للميول له على المستوى الإنساني وكذا الأدبي.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ عمار بلحسن: الرواية والأيديولوجيا، نشر وتوزيع مراكش، المغرب، ط2، 2016.
2/محمد قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة العربية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1991.
3/عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982.
4/ أحمد منور : الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ(شأته وتطورّه وقضاياه)، ديوان المطبوعات، الجامعية، الجزائر، دط، 2007 .
5/ بوبكر عبد السلام، جلال خشاب: الكتابة السردية بلغة الآخر، هل هي خطيئة في حق الهوية؟ مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست، الجزائر، مجلد8، ع4،2019.
6/ واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986.
7/ نوال بن صالح : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، منشورات المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد07، 2011.
8/ مولود فرعون: الدروب الوعرة، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 5، 1990.
9/أحمد ابراهيم الشريف: مولود فرعون...الجزائري الرمز في ذكرى استشهاده، اليوم السابع (الأحد 15 مارس 2020)، (https://www.youm7.com/story).
10/ الطيب بودربالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة حمّه لخضر، الوادي، الجزائر، العدد2، 2010.
11/ حنان بن موسى: مولود فرعون وتحولاته..من الاندماج الذكي إلى الإيمان بالثورة، جزايرس، نشر في الجزائر نيوز يوم(21-03- 2011)،https://www.djazairess.com/djazairnews.
12/ عمر عيلان: الأيديولوجيا وبنية النص الروائي، دراسة سوسيوبنائية، في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة،الجزائر،ط2، 2001.

الهوامش:

[1] عمار بلحسن: الرواية والأيديولوجيا، نشر وتوزيع مراكش، المغرب، ط2، 2016،ص43.

[2] محمد قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة العربية العامة للكتاب، مصر،ط1، 1991،ص104،ص105.

[3] عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982، ص60.

[4] ينظر : أحمد منور : الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ(شأته وتطورّه وقضاياه)، ديوان المطبوعات، الجامعية، الجزائر، دط، 2007 م، ص98.

[5] بوبكر عبد السلام، جلال خشاب: الكتابة السردية بلغة الآخر، هل هي خطيئة في حق الهوية ؟ مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، المركز الجامعي تامنغست، الجزائر، مجلد8، ع4،2019،ص130.

[6] ينظر، عايدة أديب بامية : تطور الأدب القصصي الجزائري، ص72

[7] واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986، ص76،ص77.

[8] ينظر،أحمد منور : الأدب الجزائري باللّسان الفرنسيّ(نشأته وتطوره وقضاياه)، ص109.

[9] المرجع نفسه، ص108.

[10] عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص25.

[11] أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي،ص134.

[12] نوال بن صالح : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، منشورات المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد07، 2011، ص 222.

[13] واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص71.

[14] بوبكر عبد السلام، جلال خشاب: الكتابة السردية بلغة الآخر، ص 137.

[15] ينظر، واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص72.

[16] أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 160.

[17] مولود فرعون: الدروب الوعرة، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 5، 1990، ص263.

[18] ينظر، واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص66.

[19] عايدة بامية أديب: تطور الأدب القصصي في الجزائر، ص 55.

[20] الرواية، ص247.

[21] الرواية، ص 272.

[22] أحمد ابراهيم الشريف: مولود فرعون. الجزائري الرمز في ذكرى استشهاده، اليوم السابع (الأحد 15 مارس 2020)،(https://www.youm7.com/story) يوم الاطلاع: 15سبتمبر2023.

[23]الطيب بودربالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة حمه لخضر، الوادي، العدد2، 2010،ص8.

[24]حنان بنموسى: مولود فرعون وتحولاته.. من الاندماج الذكي إلى الإيمان بالثورة، جزايرس، نشر في الجزائر نيوز يوم(21-03-2011)، https://www.djazairess.com/djazairnews/، تاريخ الاطلاع:10 سبتمبر2023.

[25]الموقع نفسه.

[26] الرواية، ص 164.

[27] الرواية، ص 72.

[28] عمر عيلان: الأيديولوجيا وبنية النص الروائي، دراسة سوسيو بنائية، في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2001، ص 83.

[29]الرواية، ص217.

[30] الرواية، ص228، ص229.

[31]الرواية، ص236.

[32] الرواية، ص95.

[33]الرواية، ص81.

[34] الرواية، ص193.

[35] الرواية، ص81.

[36] الرواية، ص101.

[37] الرواية، ص102.

[38]الرواية، ص81.

[39] الرواية، ص 236.

[40] الرواية، ص64.

[41] الرواية، ص 59

[42] الرواية، ص59.

[43] الرواية، ص89.

[44]الرواية، ص26.

[45]الرواية، ص28، ص29.

[46] الرواية، ص180.

[47] الرواية، ص134.

[48] الرواية، ص167.

[49]الرواية، ص218.

[50] الرواية، ص50.

الشاعر الربيع بوشامة: المصلح، المبدع، الشهيد.

The poet Rabie Bouchama; reformer, creator, martyr

د. لبنى خشة –أستاذ محاضر أ

قسم اللغة العربية –جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)

khecha_loubna@yahoo.fr

الملخص:

كانت الثورة الجزائرية ثورة ملهمة للشعر والشعراء، ظهرت أسماء بارزة واكبت مسارها تجمع بين النضال المزدوج بالقلم والسلاح، وفي مقابل ذلك ظهرت أسماء أخرى لا نعرف عن شعرها غير القليل، لذلك تهدف هذه الدراسة للتعريف بالشاعر الشهيد (الربيع بوشامة) والبحث في سيرته وابداعه، من خلال دراسة شعره دراسة موضوعاتية إحصائية لتحديد أولا مواضيعه، ثم الوقوف على شعره النضالي الإصلاحي في جمعية العلماء المسلمين، وتتبع مراحل نضاله حتى استشهاده حاملا لقضية الكفاح الثوري.

الكلمات المفتاحية: الربيع بوشامة؛ الإصلاح؛ الإبداع؛ الثورة؛ الشهادة.

Abstract:

The Algerian revolution was an inspiring revolution for poetry and poets. Prominent names emerged and followed its course combining the double struggle with pen and weapon. In contrast, other names that we do not know about her poetry have emerged, so this study aims to introduce the martyred poet Rabie Bouchama, and research in his biography and creativity, by studying his poetry statistically thematic study to determine first his subjects, and then see his reformist struggle poetry in the Muslim Scholars Association, tracking the stages of his struggle until his martyrdom bearing the cause of revolutionary struggle.

key words: Rabie Bouchama; reform; creativity; revolution; martyrdom.

المقدمة:

يستوقفنا الحنين، والتاريخ، والذكرى، ونحن نقرأ الأحداث والعبرة...ودمًا خلّد الأسماء، وأشعارا حفظناها عن الأرض، وقد كبرت مسامعنا تردد شاعر الثورة... وتعددت الأقلام التي تكتب الشعر، شعرا وطنيا يتغنى فخرا واعتزازا، ويجسد الحماس والجهاد والتضحية، لكن أقلاما اقترنت اسماؤها منذ مهاد الكفاح بتوليفة فخمة للتعبير عن امتداد الدم والشهادة، وحمل النضال مع فيض مساره أسماء أخرى، غيبتها واجهة الرؤية، بل حتى أننا لا نعرف عنها غير النزر القليل، الذي لا يُشبع نهم الباحث، ولا يروي عطش الأرواق ...

ثم إنّ الثورة الجزائرية بكل أحداثها، كانت ملهمة للأدب -جزائريا أو عربيا-حتى أن هذا الإلهام لم يعد شيئاً يحتاج إلى تأكيد أو برهنة، كون هذه العلاقة الممتدة كانت ولا تزال عروة وثقى، يمتزج فيها الكاتب الجزائري وحروفه بالأرض روحًا ودمًا، سخر قلمه معولاً، لتزهر من ذاته أجمل ما تحمله الكلمة، كما سخرهُ سلاحًا ليدافع عن هذه الأرض حبا واعترافا بانتمائه، ومن الأسماء الشعرية التي استحقت أن نقف عند مسارها النضالي والشعري على حد سواء، الشاعر الربيع بوشامة*، الشاعر الشهيد الذي تشعب مساره، ليكتب اسمه على صفحة التاريخ مناضلا شهيدا، مستشرفا بمستقبل مشرق، وغدٍ أفضل، تعيش الجزائر هانئة في عز ورخاء، وقد جاء هذا البحث ليجيب عن جملة الأسئلة لعلّ أهمها؛ من هو الشاعر الشهيد الربيع بوشامة؟ كيف كان مساره النضالي في جمعية العلماء المسلمين؟ وكيف عبر عنه شعرا؟ وما هي مواضيع شعره؟ وكيف كتب الثورة؟ وماذا عن مساره النضالي في صفوف جبهة التحرير الوطني؟

ووفق منهج تاريخي سندرس شعره دراسة موضوعاتية إحصائية نستعين فيها بآليات الاستقراء والتحليل، لنتعرف على مسار الشهيد الإصلاحي في جمعية العلماء المسلمين، والنضالي في جبهة التحرير الوطني، والإبداعي الذي أثمر باكورة أعماله، من أجل إيفاء الشاعر الشهيد جزءا من حقه، ونسقط الأضواء على ما قدم، من خلال إحصاء القصائد التي جسدت مسار الإصلاح والنضال من دون أن نهمل الوقوف على أبياتها وجماليات الإبداع فيها.

1- المسار الإبداعي:

كُـلِّلَ المسارُ الإبداعي للشهيد، بمئة وأربع قصائد (104) جمعها الدكتور المؤرخ جمال قنان، في ديوان من 279 صفحة، وقدم له في حديث عن المسار النضالي والإبداعي للشهيد في 40 صفحة، وقد تباينت مواضيع شعره بين شعر الاجتماعي، والشعر الرومانسي، الشعر الإصلاحي، وشعر الطبيعة، والشعر الوطني والقومي، وشعر الثورة والبطولة والشهادة، وبعض الأناشيد، ويمكن إجمال مواضيع شعره، مع ذكر عناوين القصائد وعدد أبياتها في الجدول الموالي:

الغرض	القصائد
الشعر الإصلاحي	في عيد العلم (55 بيتا)، في سبيل العلم (62 بيتا)، شهيد العلم (24 بيتا) غن بالعلم ملهم الألحان (39 بيتا)، أقم عيدك (25 بيتا)، شيدوا للإسلام (بيتا 43)، أسس على التقوى (71 بيتا)، بالعلم والآداب (8 أبيات)، أيها المعلم حسبك الله (54 بيتا)، علم النور (37 بيتا)، فزت بالخلد (41 بيتا)، روح الوفاء (10 ابيات)، ذكرى ابن باديس (63 بيتا)، ملهم السجع في رياض السلام (20 بيتا)، أيها الصقر المُجلى في العُلا (67 بيتا). **15 قصيدة**
الشعر الوطني	يا للاستعمار (20 بيتا)، ليت شعري ماذا جنته "زواوة"؟ (50 بيتا)، رعاة الحمى مهلا (29 بيتا)، خرّاطة بين زلزال وقع، وبركان متوقع (52 بيتا)، حمى ڤنزات (47 بيتا)، أبواق الاستعمار (62 بيتا)، جزاء الخيانة (37 بيتا). **7 قصائد**
شعر الثورة	في ذكرى 8 ماي (65 بيتا)، في ذكرى فواجع 8 ماي (51 بيتا)، يا فتى الأوطان قم (68 بيتا)، روح جديدة (7 أبيات)، حي في الأبطال (40 بيتا)، حي البطولة (5 ابيات)، صوت الجهاد (13 بيتا)، أعمل النار والظبى في الأعادي (75 بيتا)، حياة ثائر في الجبل (43 بيتا)، لمن الجسم عالقا بالصخور (22 بيتا)، رثاء شهيد (21 بيتا)، إلى الله أخي (82 بيتا)، مبعث النور: "خلود الشهيد" (19بيتا)، فجيعة الطفولة

	(220 بيتا)، حقق لشعبك غاية الآمال (27 بيتا). **15 قصيدة**
الشعر القومي	فلسطين (11بيتا)، حي ذاك الصريع في الميدان (50 بيتا)، حييت يا ليبيا الشماء (41 بيتا)، حي بنت الكرام (14 بيتا)، في الحشا منك يا فلسطين (3 أبيات)، كيف ادعيت الرفق (9 أبيات)، حذاري من عهود الخائنين (9 أبيات)، حي في العرب (بيتين). **8 قصائد**
الشعر الاجتماعي	أَبُيَّ مهلا (15 بيتا)، صوت الضمير (17 بيتا)، رُب أثنى (7 ابيات)، تحية الاشقاء (14 بيتا)، يا شباب العرب هيا للعلا (37 بيتا)، كبر النفس (25 بيتا)، النفس؛ بن سلطان العفة، وسحر الجمال (36 بيتا)، ترى فتنة (بيتا 11)، حي لأبوة (57 بيتا)، يوم الأمهات (32 بيتا)، شاعر الضاد لك الله الأحد (20 بيتا)، ليت لي مثل الأنام (38 بيتا)، إيه حديثك (50 بيتا) ما لهذا الهجوم؟ (17 بيتا)، في الزواج (15 بيتا)، قل ما تشاء (11 بيتا)، على رسلكم صرعى الظنون (5 أبيات)، تحية وليد (38 بيتا)، فجعوها (68 بيتا)، يا صاح مهلا (48 بيتا)، شجون مكبوتة (14 بيتا)، قل لمن يبغي السفور (64 بيتا)، تهنئة بمولود (5 أبيات). **23 قصيدة**
الشعر العاطفي	قل لسعدي (11 بيتا) [والأصح قل لسُعدى]، اهلا وسهلا (10 أبيات)، قل لفتاة (10 أبيات)، سر دنياي (32 بيتا)، زهرة (8 أبيات)، مُنية النفس (22 بيت)، رأيتك في المنام (7 أبيات)، [صدى موسيقى في الشعر أو إيه يا شادي حنانيك] (33 بيتا) ملهم الشدو (10 ابيات)، أجمل كائن فوق الأرض (8 ابيات)، برغمك ماي (19 بيتا)، مليكة الحسن (6 أبيات)[من غريب هو في وطنه أو حب وحنين] (48 بيتا)، [تحية العام الجديد 1958، أو هنيئا لك الحب يا أبا عبد الله] (31 بيتا)، جفوتنا (4 أبيات)، هذا الغرام (8 ابيات)، [من وحي العاطفة أو عرضت لي مسحورة النظرات] (9 أبيات) **15 قصيدة**

شعر الطبيعة	أرني حسنا (35 بيتا)، بين أحضان الطبيعة (43 بيتا)، مرحبا يا ربيع (53بيتا)، أيها البلبل غرد (11 بيتا)، الربيع الحزين (14 بيتا)، حياة راع مغمور (39بيتا). **6 قصائد**
شعر الرثاء	عزاء وسلوى (30 بيتا)، مرحى علوت إلى السماء يا ساري (40 بيتا)، إلى الله اخي (82 بيتا)، أخي إليك سلامي (33 بيتا) **4 قصائد**
الأناشيد	نشيد الاستقلال (14 بيتا)، يا شهابا قد تجلى (14 بيتا)، صوت الجهاد (13 بيتا)، تحية الكشافة (6 أبيات)، ابنة العرب (14 بيتا). **5 قصائد**
مختارات شعرية متفرقة	رسالة خاصة إلى إدارة جريدة البصائر (6 أبيات)، الله ما أقساك! (10 أبيات)، استقم ولا تتهالك (4 ابيات)، وحي الذكرى (24 بيتا)، خواطر ...وأنّات(23بيتا)، قل لباغي (25 بيتا) **6 قصائد**

يقول الدكتور جمال قنان: « لقد كان الشاعر -رحمه الله- حريصا على نشر آثاره، ولقد أوصاني وأنا لا زلت طفلا بنشر ديوانه إن لم تسعفه الظروف للقيام بذلك، وكأنه يقرأ في لوحة المستقبل، ويبدو أنه قد بدأ فعلا في انتقاء بعض القصائد لنشرها في شكل مجموعة، وهذا قبل اندلاع الثورة، ولقد وجدنا كراسة كُتب عليها: "**هذه مجموعة شعرية من نظم الربيع بن الصديق بوشامة، أتقدم بها كأعز أثر وألطف تحفة، إلى أبناء العروبة والإسلام عامة، وحُماة الجزائر خاصة**"، ولم يسجل الشاعر في هذه الكُرّاسة سوى قصيدة؛ من وحي الذكرى، ومن وحي العاطفة، وخواطر وأنّات، وعرضت لي مسحورة النظرات، وحياة راع مغمور»[1].

وقد اجتهد جامع الديوان الدكتور المؤرخ جمال قنان، في جمع القصائد وترتيبها ضمن موضوعات، كما أعطى بعض القصائد عناوين، وأشار إلى ذلك في هامش كل قصيدة، لكن بعضا منها في غير موضعها، ومع ذلك يتقاطع تصنيفه مع تصنيفنا في بعض القصائد ويختلف في بعضها، وفي الجدول تصنيفنا الموضوعاتي بعد قراءة قصائد الديوان، ولو كان يتسع المقام لذكرنا تصنيف جامع الديوان لتتضح فروق التصنيف، وإذا جمعنا الشعر الوطني والقومي وشعر الثورة، كانت القصائد 30 قصيدة في مقابل الشعر الإصلاحي والشعر الاجتماعي معا، الذي يجمع 38 قصيدة،

أي بنسبة 39.52 % للشعر الاجتماعي الإصلاحي، وبنسبة 30.2% للشعر الثوري، مما يجعلنا نقول أن الشاعر اتجه نحو النضال الإصلاحي، أكثر لعلمه بأن استقلال الأرض يبدأ من الفكر الصحيح، لكن لا تبتعد النسب المئوية عن بعضها كثيرا فهي في مجال واحد، بنسبة أكثر للجانب الإصلاحي، وهذا يؤكد أن الاستقلال والتحرر يحتاج إلى نضال مزوج وخطى المسارين معا.

وعن شعره يقول أبو القاسم سعد الله: «أما عن شعره فقد عرفته على صفحات البصائر قبل سنوات من لقائي بالشاعر، فقد كان الربيع بوشامة، ينظم الشعر في مواضيع وطنية وعربية وأخرى تتعلق بالطبيعة والعلاقات الإنسانية، شعرهُ نظمٌ، وقلّما يحلق به في أجواء المعاني والصور البيانية، أو يبحث فيه عن جمال التعبير وفن القول، ولا شك أنه كان يتذوق الشعر بما حفظ من دواوينه وقرأ لفطاحله، ويبدو أنه كان يميل إلى المدرسة الرومانسية الاجتماعية ولكن بيئة الجزائر الثقافية الخالية عندئذ من النقد الأدبي جعلت توجيه وتقويم الشعراء أمرا غير وارد، وكنت أتبادل معه الرأي في الشعر العمودي الذي يلازمه، والشعر الحر الذي بدأت أحاوله وأميل إليه»[2].

2- المسار الإصلاحي:

كثفت المقاومة الشعبية حركتها منذ 1837م- إلى 1919 م مُحاوِلة تكسير الاستعمار أو زلزلة أركانه -على بساطة وسائلها- لكن المستعمر استطاع أن يُخمد نيرانها، وأن يضرب الشعب في عمقه، فحرم أبنائه من التعليم، وأغلق المساجد وكتاتيب تحفيظ القرآن، وقام بالتنكيل والتجويع، حتى يصرف العقول إلى سد العوز واسكات صوت الصحوة، وصارت هموم الشعب لقمة عيش تسد الرمق، وتكفيه الحاجة والتفكير، لكن على الرغم من ذلك لم يستطع المستعمر أن يغير عزيمة الشعب ورغبته في الاستقلال، وظهرت أسماء من العلماء والشباب وجهت المقاومة إلى الفكر الإصلاحي لتوعية الشعب وتعليمه، وتغيير اهتماماته، فكيف كان مسار الشاعر الإصلاحي؟ وكيف كان نضاله؟

لم يتبلور الفكر الثوري الذي أشعل لهيب نوفمبر، إلاّ بعد نيف من زمن، كان الفكر الإصلاحي أسبق في الظهور، يحاول تحسين حال الشعب وتوعيته، وقد «التحق الربيع بوشامة، وهو في ربيع عمره بمعترك الحياة العملية من بوابة الحركة الإصلاحية، مُنطلقا مما انطلقت منه

هذه الحركة في مشروعها الدعوي التربوي عن طريق الوعظ والإرشاد والتربية والتعليم والتهذيب والتثقيف، فعكف على إلقاء دروس بمسجد القرية، وأسس ناديًا ثقافيًا فتح أبوابه للشباب، يلتقي فيه بهم في حلقات التوعية والتكوين، وفي سنة 1937 أصبح عضوا عاملاً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رائدة النهضة»[3]، إنّ من يحمل قضية وأعباء النهوض بها، لا بد أن يتبنى مشروع فكر، وقد ظهر مشروع الفكر الإصلاحي في شعر الربيع بوشامة، من خلال بعض المواضيع التي جسدتها حروفه، وخصص في ديوانه قصائد تدعو للإصلاح وأخرى تحتفي بالتربية والتعليم.

أ- الإصلاح الديني:

كان المسجد ولا يزال صرحا للإصلاح؛ إصلاح حال المسلمين وتهذيب أخلاقهم، وإصلاح شؤون البلاد، وقد ساس قادة المسلمين الأمم من المنابر وحلقات العلم، والربيع بوشامة، حاله حال كل من بدأ مساره في الكُتّاب، يعلم جيدا أن المسجد أول أُسُسِ الإصلاح، لذلك خص المساجد بعدة قصائد على اختلاف فحواها، لكنها تصب في مصب واحد، يقول في قصيدة **شيدوا للإسلام**:

إنَّمَا المسْجِدُ المشَيَّدُ لِتَقْــوَى * مَعْقَــلُ المؤْمِنِينَ وَالإيمَــانِ**
وَمَنَارُ الضِيَــاءِ للعَقْلِ وَالــرُّوحِ ***وَمَسْرَى الحَيَاةِ لِلْوِجــْدَانِ[4]

إلى أن يقول:

يــُوقِظُ النَّــائِمِينَ حِسًا وَمَعْنَى ***وَيَحُثُّ السَــاعِينَ في كُــلِّ آنِ
لِتَحْرِيرِ الشَّعْبِ وَالوَطَنِ العَانِي * مِنَ الجَهْلِ وَالشَّقَا وَالهَوَانِ**[5]

ويذكر المؤرخ جمال قنان شيئا من مساره يقول: «عند منتصف الثلاثينات كانت منطقة بني يعلى إحدى قواعد الاشعاع في البلاد في حقل العمل الوطني والاصلاحي، وفي هذا المناخ العام شب الشاعر وتفتق وعيه، لقد كان في اتصال مباشر بالحركة الإصلاحية على الخصوص، عن طريق شيوخه؛ السعيد صالحي، والسعيد بن عمر، وكذلك الشيخ الفضيل الورتلاني، الذي كان كثير التردد على قنزات في ذلك الوقت»[6]، ولأن المسجد هو القاعدة الأولى لمنبع الوعي والنور، تتلوه

المدارس، التي تُبنى وتقوم على بلورة الفكر وتحديد وجهته، ركز الشاعر على خصوصية هذا المصدر النوراني، من دون أن يُهمل المدرسة، وفي قصيدة **أسس على التقوى**، يقول:

و ابْنِ المسَاجِدَ والمدَارِسَ في الحِمَى * للأنْفُسِ الحُرَى مِنَ الضُعَفَاءِ**

إلى أن يقول:

وانْهَـــضْ بِقَوْمِـــكَ نَهْضَةً جَبَّـــارَةً * تُحْيِّي بِهَـــا مَا كَانَ للآبَـاءِ**
وَتُعِيـــدُ للأوْطَانِ خَيْرَعُهُـــودِهَا ***في ظِـــلِّ دِيـــنِ اللهِ وَالعُلَمَـــاءِ[7]

ويستمر في محاورة المسجد محاورة تشخصية أو أنسنة للمكان المقدس، لأنه يعلم جيدا دوره، وقد «أقام في بلدته سنتين وبضعة أشهر بعد عودته من قسنطينة، استغلها في التعليم والإصلاح، حتى أثار نشاطه شكوك الإدارة الاستعمارية»[8] يقول:

فَاضْمُمْ إلَيْكَ جُمُوعَهُمْ في وِحْدَةٍ ***فَعَّالَةٍ مَوْصُولَـــةِ الأَجْـزَاءِ
فَعَسَاكَ أَنْ تُحْيِي الجَزَائِرَ مِثْلَمَا * أَحْيَيْتَ أَجْيَالاً مِنَ العُظَمَاءِ**[9]

ولا ينفك الإصلاح الديني يرتبط بالإصلاح المعرفي، فكل منهما يمتد للآخر ويكمله، لذلك كان كل معلم مصلح، يتخذ منهجا خاصا لإيصال فكرة، وكل مصلح معلم يتخذ طريقة خاصة في الارشاد والتهذيب، فكيف كان مسار الشاعر المعرفي؟

ب- الإصلاح المعرفي:

تقلد الشهيد عدة مناصب في التعليم؛ في قسنطينة (1937) أصبح عضوا عاملا في جمعية العلماء المسلمين، وفي (1938) أوفدته الجمعية العلماء إلى باريس رفقة الشيخ سعيد صالحي لمساعدة الفضيل الورتلاني، في نشاطه الإصلاحي بفرنسا، وفي خراطة(1942) معلما بمدرستها، وفي الجزائر العاصمة بمدرسة الهداية (1946) وبين (1947-1948) كافئته جمعية العلاء المسلمين وعينته مديرا ممتازا من الدرجة الأولى في سلكها التعليمي، «وتم تعيينه من طرف جمعية العلماء معلما ومديرا لمدرسة الثبات بالحراش في بداية العام الدراسي 1948-1949»[10]، وقد قام بدور فعّال حين عاد إلى قريته، ذلك أنّ « مسألة تربية وتعليم الناشئة وغرس روح العروبية والإسلام

فيهم، وتثقيف الكبار بتبديد ظلام الجهل عنهم والعودة بهم إلى اصالتهم وإلى عالمهم الحضاري الذي يميزهم عن غيرهم، اكتسب لديه أهمية قصوى ورسالة مقدسة لم ينقطع عن أدائها إلى آخر لحظة»[11]، وقد كتب عدة قصائد يتحدث فيها عن العلم ويركز على تربية النشء، مثل: [في عيد العلم، في سبيل العلم، شهيد العلم، غن بالعلم ملهم الألحان، أقم عيدك، بالعلم والآداب، أيها المعلم حسبك الله]، وفي قصيدة **في سبيل العلم**، يقول:[12]

وَنُـرَبِي النَشْءَ بِالعِلْمِ عَلَى ***خُلُـقٍ أَسْمَى لِيَحْيَا فِي أَمَـــان
قَـــدْ قَطَعْنَـــا العَـــهْدَ لله عَلَى ***أَنْ نَبُثَّ العِلْمَ فِي كُلِّ مَكَان

إلى أن يقول:

سَـــوْفَ تَلْقَوْنَ ثَبَاتًا مُعْجِزًا ***مِنْ رِجَالِ العِلْمِ أَبْطَالَ الـــرِّهَان
وَتَعُـــودُونَ بِدَرْسٍ صَـــارِخٍ: ***إِنَّ هَذَا الشَّعْـــبُ حُرٌّلاَ يُـــدَان

ثم يقول:

وَارْفَعُـــوا لِلشَّعْبِ بُنْيَانَ العُلاَ*وَاخْلَقُوا فِي أَرْضِهِ دُنْيَـــا الجِنَان**
وَ ابْتَغُـــوا تَحْـــرِيرَهُ مِنْ ذِلَّـــةٍ*سَوَّدَتْ غُـــرَّتَهُ بَعْـــدَ ازْدِيَـــان**

يقول في قصيدة **أيها المعلم حسبك الله**[13]:

أَنـــْتَ فِي الأَوْطَـــانِ أَعْلَى مَثَلٍ ***لِهَدْيِ اللهِ وَتَحْقِيـــقِ رَجَـــاءَه

إلى أن يقول:

وَتُشَـــيِّدُ الـــرُّوحَ وَالقَلْبَ ســـوَى ***بِنِظَـــامٍ بَـارَكَ اللهُ بِنَـــاءَه
إِنَّكَ المسْؤُولُ عَنْ هَذَا الحِمَى * وَعَن الشَّعْبِ الذِي يَبْغِي سَنَاءَه**

وفي قصيدة **غن بالعلم ملهم الألحان**، يقول:

لَيْسَ فِي الأَرْضِ كَالمَدَارِسِ نَفْعًا ***مَا اسْتَقَامَت عَلَى هُدَى وَأَمَانٍ[14]

وفي قصيدة **أقم عيدك**[15] يقول:

أَيَا بَانِيَ الشَّعْبِ هَذِي يَدٌ ** تَضُمُّ الشَّتَاتَ، وَتَشْفِي الأَحَن**
وَتُنْشِئُ بِالعِلْمِ جُنْدَ الفِدَا * يُكَـــافِحُ فِي السِّرِ أَو فِي العَلَن**
وَيُخَلِدُ صِيتًا رَخِيمَ الصَدَى * سَمَاوِيَّ سِرٍ، عَجِيبَ اللَّسَن**
فخـــارُ الجَزَائِرِ فِي يَوْمِهَا * وَأَغْلَى تُرَاثٍ لَهَا فِي الـــــزَّمَن**
لَقَدْ كَانَ -بِالحَقِّ- خَيْرَ المُنَى * لِشَعْبٍ مَرِيضِ القِوَى مُمْتَهَن**

وفي قصيدة **بالعلم والآداب**، يقول:

بِالعِلْمِ والآدَابِ وَالأَخْلاَقِ * تَسْمُو الشُّعُوبُ إلى المَقَامِ الرَاقِي**[16]

والملاحظ أن أغلب المقاطع تشيد بالعلم وأهله، وهو مبدأ جمعية العلماء المسلمين التي تركز على أهمية العلم، والطبيعي ان يتبنى الشاعر الشهيد هذا المبدأ ويكون حامل قضية يوَجِّهُهَا إلى تغذية الفكر بأهم ما يجب أن يتشبع به، فتركيزه على العلم الإصلاحي من خلال تنشئة جيل يحتفي بالعلم، ويفكر بالعلم، ويقاتل بالعلم، لأنه السبيل الوحيد والأوحد من أجل التحرر...

ج- رموز العلم والإصلاح:

لم يغفل الشاعر فضل العلم، كما لم يغفل فضل أهله، وقد خصهم بقصائد من شعر يعدد مناقبهم ويعترف بفضلهم، وفضل النور الذي أضاء حياته ودربه، وقد ذكر في ديوانه كل من ابن باديس، والابراهيمي، والورتلاني.

– العلامة عبد الحميد ان باديس:

يقول جمال قنان في مقدمة الديوان: «كانت إقامته في قسنطينة –التي لم تزد عن عشرة شهور-فترة خصبة في حياة الشاعر، لقد أثرت فيه شخصية ابن باديس وتعاليمه والمبادئ التي ينادي بها تأثيرا دائما ومستمرا حتى آخر لحظة في حياته، لقد كان يرى فيه تجسيدا حيا للإخلاص والتفاني في خدمة الوطن ونموذجا عاليا للقيم العربية الإسلامية في أجلّ معانيها وأنصعِ صورها»[17]،

فقد «كانت اتصالاته الأولى مع الشيخ الإمام مشجعة (...) بالنسبة للشاعر لقد أعجب ابن باديس بمستوى تحصيله وأخبره بأنه كان يتحتم عليه التوجه إلى جامع الزيتونة لاستكمال تحصيله، لكن الشاعر اعتذر بضيق ذات اليد، ووعده الشيخ بإمكانية مساعدته لهذه الغاية، لكن الأجل عاجله قبل أن تتحقق أمنية الشاعر»[18]، لكن هذا التحفيز شجع الشاعر وجعله يواصل المسار الإصلاحي والإبداعي لذلك خص ابن باديس بعدد من قصائده يذكر مناقبه وخصاله وهدفه الإصلاحي ويرثيه بعد وفاته، نذكر منها: [في عيد العلم، كبر النفس، علم النور، فزت بالخلد، روح الوفاء، ذكرى ابن باديس] يقول في قصيدة؛ **في عيد العلم**:

سَـــاءَتْـكَ حَالَـــةُ أُمَّـةٍ مَقْهُورَةٍ * تَحْيَـا عَلَى ذُلٍّ بِجُـــرْحٍ دامِ**
وَتَئِنُّ فِي دَرْبِ الجَهَـالَـةِ وَالــدُّنَى * وَالبُؤْسِ بَيْنَ ظَلاَلَـــةٍ وَظَلاَمِ**
فَـــوَثَبْتَ لِلتَحْرِيرِ وَثْبَةَ مَاجِدٍ * مَـــاضِي العَزِيمَةِ مُخْلَصَ لِقَوَامِ**[19]

إلى أن يقول:

وَتَرَكْـتَ لِلأَوْطَـــانِ ذُخْرًا نَامِيًا * جَمْعِيَّـــةَ العُلَمَـــاءِ خَيْرَ قَوَامِ**
بَادِيسُ حَسْبُكَ رِفْعَةً وجَمَالاً* هَذَا التَفَانِي فِي الجِهَـــادِ السَّـــامِي**

إلى ان يقول:

هَـذَا بَـــادِيسُ أَبُـــو نَهْضَتِنَا * يَرْعَى سرَاكُمْ فِي الجِـــهَادِ الحَامِي**
أَنْقِـذْ حِمَاكَ مِنَ المهَانَةِ وَالشَّقَا * بِعَزِيمَةِ المسْتَبْسِلِ المقْـــدَامِ**[20]

ويذكر ابن باديس بمرثية عنوانها **فزت بالخلد**، جاء في مطلعها قوله:

فُزْتَ بِالخُلْدِ فِي حِمَى الرضْوَانِ*يَا ابْنَ بَادِيسَ يَا فَتَى الأَوْطَانِ**[21]

ويصفهُ بعدد من الكنايات في باقي القصيدة نذكر منها: (راعي الهدى، قائد الحرب، راعي الحمى، باعث الشعب، حامى الذرى، هادي الحجى...)، وكل هذه الكنايات وغيرها تدل على الدور الريادي لابن باديس في المسار الإصلاحي الذي تبناه، وأورثه طلبته، كما تدل على مكانته عند

الشاعر الذي خصص له أكثر من ثلاث قصائد في الديوان، يذكر فضله ويعدد مناقبه، ويصف مكانته ودوره الإصلاحي، ويعكس محبته له ويرثي فقده.

« تأثر الربيع بوشامة بابن باديس فسار على هداه في حياته وبعد وفاته، وفي سنة 1942 التحق بخراطة لينشر فيها التعليم العربي الحر على الطريقة الباديسية، ولكن خراطة تعرضت إلى ما تعرضت له قالمة وسطيف أثناء حوادث الثامن ماي فاعتقل بوشامة ورمي به في السجن، ووجهت له تهمة التحريض على الجهاد، وصدر الحكم بإعدامه ولكن الحكم لم ينفذ، ولما خرج من السجن في فبراير 1942 على إثر العفو العام توجه إلى العاصمة وتعاطى التعليم في مدرسة (الهداية) بحي العناصر، وهناك اتصل بإدارة جمعية العلماء واتفق مع الشيخ الإبراهيمي على العمل في نطاق مدرسة الهداية، ثم تحول إلى مدرسة الثبات بالحراش ابتداء من سنة1948، وبعد عدة سنوات انتدبته الجمعية لتمثيلها في باريس (أغسطس 1952)حيث أصبح معتمدها ورئيس شعبتها، والمعروف أن الإبراهيمي قد زار باريس في طريقه إلى المشرق في يناير من السنة المذكورة»[22]

– البشير الابراهيمي:

يقول جمال قنان في مقدمة الديوان: «خرج الشاعر من السجن في شهر فبراير سنة 1946 في حالة مرض واعياء شديد، وبعد بضعة شهور انتقل الى مدينة الجزائر اتصلت به جمعية الهداية بحي العناصر، ليعمل كمعلم في المدرسة، وفي آخر شهر جوان من نفس السنة اتصل بالهيئة الإدارية للجمعية وتم الاتفاق بينهما عن شروط العمل وهو الاتصال الذي باركه الشيخ البشير الابراهيمي والذي أوصاهم بالشاعر خيرا»[23]، وقد أهداه الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، قصيدة عنوانها **ملهم السجع في رياض السلام**، يقول:

في حِـــرَامٍ لِلْعِلْمِ فَيْنَانُ دَوْحٍ * طَيِّبِ اليَنْعِ، ضَاحِكِ الأَكْمَامِ**
يَحْتَمِي فِي مُغَنَّاهُ أَشْبَالُ مَجْدٍ * تَحْتَ عَيْنَيْ أَبِيّ البِلاَدِ الهُمَامِ[24]**

– الفضيل الورتلاني:

يقول أبو القاسم سعد الله: «خلال الثلاثينات من القرن العشرين وصل إلى بني يعلى إشعاع الحركة الإصلاحية من رافد آخر وهو الفضيل الورتلاني كما وصلتهم مجلة الشهاب وتأثير حركة ابن باديس، وقد بدأ الربيع بوشامة، نشاطه بمساعدة شيخه السعيد صالحي على التدريس في جامع البلدة، ثم انضم إلى جمعية العلماء واعتنق مبدأها الإصلاحي، وفي سنة 1938 أوفدته الجمعية إلى باريس رفقة سعيد صالحي لبثّ أفكارها في أوساط العمال الجزائريين بعد التحاق الورتلاني بالقاهرة، وقبل أن يتم سنة في فرنسا استدعي للخدمة العسكرية ولكنه أعفي منها لضعف بصره، فالتحق بالشيخ ابن باديس في قسنطينة وتتلمذ عليه»[25]، ويهدي الشاعر صديقه الورتلاني، قصيدة عنوانها؛ **أيها الصقر المجلى في العلا**، يناجيه ويناشده كي يعود، لأن الوطن في حاجة إلى أمثاله يقول:

يَا لَكَ الله، أَمَا تَأوِي إلى * وَكْرِكَ المَاضِي وَمَسْرَاكَ الأَحَن**
إنَّـــهُ في حَاجَةٍ قُصْـوَى إلى * قَائِدٍ شَهْمٍ وَرَاعٍ مُؤْتَمَـن**
وَنَفَادِي شَعْبَنَا المَنْكُوبَ مِنْ ***قَيْدِ ذُلٍ وَعَذَابٍ وَوَهَــن
إنَّ أَوْطَانَكَ يَا "فَضْلُ" لَفِي * حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا مِنْ ذِي الفِتَن**
بَيْنَ ظُلْمٍ مِنْ قَرِيبٍ خَائِنٍ * وَشُرُورٍ مِنْ دَخِيلٍ ذِي أَحن**[26]

يقول أبو القاسم سعد الله «عرفت الربيع بوشامة أثناء الثورة عندما بدأت التعليم في مدرسة الثبات في الحراش، إحدى ضواحي عاصمة الجزائر، وكان عندئذ هو مدير المدرسة التابعة لجمعية العلماء، كان ذلك في نهاية شهر نوفمبر 1954، عرفت فيه الحزم والإخلاص، وقد حدثني عن رحلته إلى باريس لتنشيط حركة جمعية العلماء وسط العمال الجزائريين في غربتهم حتى يظلوا مرتبطين بوطنهم ولغتهم وإسلامهم، كما كان يحدثني عن أستاذه ابن باديس، وعن شخصيات الجيل السابق له من المعلمين والمصلحين وما جرى له معهم ومع الإدارة المدرسية والسلطات الفرنسية، وكيف تحمل الصعوبات والمضايقات التي كانت تضعها هذه السلطات في طريقهم، ومع ذلك كانوا مصرين على النجاح وبلوغ الهدف، وكان ينتقد بعض قادة جمعية العلماء في الجزائر نفسها وسلوك بعض معلميها، وكنت عندئذ معلما مبتدئا وصغير السن نسبيا وقليل التجربة، فلم

أكن أشاركه»[27]، و«رجع الشاعر إلى مدرسة الثبات بالجزائر حيث تعرفت عليه، وبقي يديرها ويدرس فيها إلى يناير 1959م، حين أوقفته السلطات الفرنسية، كان الشاعر يحب مهنته وخدمة اللغة العربية والإسلام في الجزائر وهذا هو شعار الحركة الإصلاحية، وطالما أشاد بوشامة بالعروبة والإسلام في شعره وأحاديثه، وبالإضافة إلى ذلك هناك موضوع الحرية والوطنية وأحداث الثامن مايو وقضايا فلسطين وليبيا ومصر، ولم ينضم بوشامة إلى أي حزب سياسي حسب علمنا وإنما كان قريبا من اتجاه حزب الشعب مثل العديد من معلمي الجمعية»[28]، والملاحظ في شعر الإصلاح، يقول محمد ناصر: أنه «انحصر هذا الشعر نتيجة تعلقه بالزوايا والمساجد في الأغراض الدينية(...) وإذ هي في الاغلب الأعم تتجه إلى مدح المشايخ والكبراء والتغني بالمآثر»[29]، وقد بدا هذا واضحا في ابداع الشاعر الذي اهتم بالفكر الإصلاحي في الكثير من قصائده، وقد مدح وأشاد بالدور الريادي لرواد جمعية العلماء المسلمين.

3- المسار النضالي:

3-1- شعر الثورة:

أ- التأريخ لأحداث 8 ماي 1945:

قبل أحداث **8 ماي 1945**، غادر الشاعر خرّاطة رفقة أحد أبناء سي محمد اعراب، إلى قرية آيت مرعي، المطلة على المدينة والقريبة من جبل بابور، وعاد لما سمع بترتيب المظاهرات ليشارك إخوانه، وحدثت المجازر التي أسالت الكثير من الدماء والحبر، وبعد مجازر 8 ماي عاد الى خراطة، أين تم اعتقاله وزج به في السجن، ولم يخرج من السجن حتى شهر فبراير 1946، وكانت كل هذه الأحداث متتالية سببا في تأريخه للأحداث وكتابته للفجائع الدامية، التي كانت ولا تزال، جرحا غائرا في تاريخ الجزائر، جعلت الشاعر يخلدها في أكثر من قصيدة [في ذكرى 8 ماي، في ذكرى فواجع 8 ماي] يقول الشاعر في قصيدة **في ذكرى فواجع 8 ماي:**

لي فِيكَ يَا (مَايِ) النَّوَائِبَ وَالرَّدَى * ذِكْرَى سَتَبْقَى طِيلَةَ الأَعْوَامِ**
فُقْدَانُ خَيْرِ أَبٍ، وَأَكْرَمِ صُحْبَةٍ * وَجَحِيمُ سِجْنٍ، حُفَّ بِالإِعْدَامِ**
فِي ذِمَّـــةِ التَّارِيخِ تِسْعَـــةَ أَشْهُرٍ * قَضَيْتُهَا فِي غَزْوَةٍ وَصِـــدَامِ**[30]

ويمثل شهر (ماي) رمز الفاجعة، وعنوان المرارة، عند الشاعر، وقد سخر قلمه متحدثا عليه علةّ يجيب، يقول:

أَصْبَحْتَ رَمْزَ الفَاجِعَاتِ بِذَا الحِمَى * تَبْدُو بَهِيمَا، مُفْزِعَ الأظْـلاَمِ**[31]

إلى أن يقول:

يَا (ماي) مَالَكَ وَاجِمًا لَمْ تَنْتَقِمْ * أَوَ مَا سَقَاكَ الظُّلْمُ أَسْوَأَ جَامِ؟!**
هَـــذَا حِرَامُكَ بِالدِّمَاءِ مُشَوَّهٌ * قَدْ عَـــجَّ بِالأَرْوَاحِ وَالأَجْسَامِ**
فَارْفَعْ إِلَى مَوْلاَكَ شَكْوَى ضَارِعٍ * يَبْرَأُ مِنَ الحُكَّـامِ وَالأَحْكَـامِ**
يَا (مَايُ) إِنَّـا فِي انْتِظَارِ حُكُومَةٍ * فَمَتَى يُسَاقُ الظُّلْمُ للإعْدَامِ؟!**[32]

وتأبى نخوة الشاعر إلّا أن تذيب تلك المرارة في شعور التّحدّي وقهر الاِسْتكانة، فإذا به يحفّز العزائم، ويشحذ الهمم، وترتفع عقيرته صداحة في قصيدة في **ذكرى 8 ماي**، يقول:

خَلِّ عَنْكَ الخَيَالَ واطْلُبْ* عَيْشَكَ الحُرَّ بالتَقْوَى وَالنِّضَال**[33]

وكانت للشاعر الشهيد الربيع بوشامة، المشاركة الفعالة في أحداث 8 ماي 1945 بمدينة خراطة، هذه المشاركة التي زج بسببها في السجن ومكث به مدة تسعة أشهر، ذاق خلالها العذاب الشديد، وعند حلول الذكرى الرابعة وقف والألم يعصر قلبه ليتأسف على منظر ماي الذي تحول بجرائم جنود الاستعمار من شهر ربيعي هادئ إلى شهر للتشاؤم والظلم

وَكَسُوكَ ثَوْبَ المُجْرِمِينَ إهانة * مَقْصُودَةً لِسَنَائِكَ البَسَّامِ**
مَا كُنْتَ أَهْلاً لِلْفَجَائِعِ وَالأَذَى* لَوْلاَ هَوَى فِي دَوْلَةِ الأقْوَامِ**

إلى أن يقول:

وَرَمُوكَ مِنْ بَيْنِ الشُّهُورِ بِوَصْمَةٍ * شَوْهَاءَ، تَبْقَى سَبَّةَ الأَعْوَامِ**[34]

وراح في بداية وقفته، يناصب شهر ماي العداء ويرسل اللعنات ويرميه بالقبح، لأنه أصبح شهر الفجائع والأهوال:

شَابَتْ لِهَوْلِكَ فِي الجَزَائِرِ صِبْيَةٌ *** وَانْمَاعَ صَخْرٌ مِنْ أَذَاكَ الطَّامِي
وَتَــفَطَرَتْ أَكْبَــادُ كُلِّ رَحِيمَةٍ *** فِي الكَوْنِ حَتَى مُهْجَـــةَ الأَيَــامِ
تَــارِيخُكَ المشْؤُومُ سُطِّرَ مِنْ دَمٍ *** وَمَدَامَـــعٍ فِي صَفْحَةِ الآلاَمِ[35].

ثم يثور لدعوة ماي ومن خلاله شعبه الأسير لفك القيد والثورة على الأعداء:

وَاسْــأَلْ يَدَ الجَبَّــارِ عَــاجِلَ نِقْمَةٍ *** لِلظَّــالِمِ المسْتَهْتِرِ الهَدَّامِ
عَجِّــلْ لِهَذَا (الغَرْبِ) مِنْ رَبِّ السَّمَا***بِقَوَاصِــمٍ مُجْتَاحَةٍ وَغَرَامِ[36].

ب- تمجيد البطولة:

يقول شوقي ضيف «البطولة في اللغة الغلبة على الأقران، وهي غلبة يرتفع بها البطل عمن حوله من الناس العاديين ارتفاعا يملأ نفوسهم له اجلالا وإكبارا»[37]، وإن كان هذا مفهوم البطولة في شكلها العام، فما بالك بمعترك من نوع خاص، بطولة تقود صاحبها لأعظم مرتبة، هي مرتبة الشهادة، وأي مرتبة أرفع تستحق إجلالا وإكبارا من مرتبة الشهادة! وقد صور أبناء الثورة الجزائرية البطولة في أشجع معانيها، وأبلغ صورها، صورا استحقت أن تخلدها الأقلام وتحفظها الأفهام، يقول في قصيدة **حي البطولة**، يقول:

حي البُطُــولَةَ فِي حُضْنِ الدَّمِ القَانِي *** وَأَبْكِ الدُّمُوعَ... ذَوْبَ وُجْــدَانِ
هَذَا ابْنُكِ الحُرُّ فِي سَاحِ الجِهَادِ قَضَى***هَذَا عَلَى الحِمَى مَدْدُودُ جُثْمَانِ[38]

وفي معرض الحديث عن علاقة الشاعر بالبطل عميروش يقول قنان: «كان الشاعر بوشامة يعرف المناضل عميروش قبل اندلاع الثورة، منذ كانا معا في باريس، وكان عميروش يجمع بين النضال في حزب الشعب والعضوية في نادي جمعية العلماء في عهد بوشامة، لاعتقاده أن الجمعية والحزب يتكاملان في رسالتهما الوطنية، وهذه الصلة بين الرجلين هي التي جعلت عميروش، وقد أصبح مسؤولا عسكريا في الثورة، يهيئ للشاعر منذ 1957، أوراق الخروج من الجزائر قبل إلقاء القبض عليه، ولكن الاعتقال حصل أثناء وجود الشاعر في مدرسة الثبات، ووجهت إليه تهمة تمزيق العلم الفرنسي»[39]، ولم ينس الشاعر معرفته بالقائد فقد ذكره كرمز بطولي، في قصيدة **حي في الأبطال**، يقول:

حيّ في الأَبْطَالِ فِتْيَانَ الفِدَاءِ *** وَأخْصُصْ "اعميروش" مِنْهُمْ بِالثَّنَاءِ
بَطَـلُ الثَّـــوْرَةِ يُبْلِي أَبَـــدًا *** في جِهَـــادِ المعْتَـدِي خَيْرَ البَلاَءِ
وَيَـــرُدُّ الصَـــاعَ صَاعَيْـــنِ لَـهُ *** بِقِتَـــالِ مُسْتَمِيتٍ وَدَهَـــاءِ

إلى أن يقول:

يَجْمَـــعُ الطِيبَةَ وَالحُـــبَّ إلى *** هِمَّةِ الأَبْطَـــالِ بَنَّائِي العُـــلاَءِ[40]

ج- الحث على الجهاد:

ولأن الجهاد صار حاجة ملحة في معترك الضغط والاستعباد الذي مارسه الاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري، رفع الشهيد الربيع بوشامة، قلمه ليحث على مسار الجهاد يقول في قصيدة يا **فتى الأوطان قم:**

يَا فَتَى الأَوْطَانِ قُمْ *** فَارْفَعِ اليَوْمَ العَلَم
وَتَقَـــدَمْ لِلْفِدَا *** بَـــاسِلاً رَاسِي القِيَم

إلى أن يقول:

وَلِلْكِفَـــاحِ الـــوَطَنِي *** الأَعَزَّ المُحْتَدَم
لاَ يَضُرَنَّـــك جِهَاد *** فَبِـــهِ خَيْـــرَ القِيَم[41]

وفكرة الجهاد فكرة راسخة عند الشاعر، سواء كان جهادا لتحرير أرض الجزائر، أو كل أرض عربية عانت ظلما واستبدادا تتطلع لكسر قيد الظلم والتحرر، ويؤكد فكرته في قصيدة **صوت الجهاد**، يقول:

أَغِثْ مُرْهَقًا في العَذَابِ الأَلِيمِ *** يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ في الجَحِيمِ
شُيُوخًا نِسَاءً وَكُلَّ يَتِيـــمِ *** تُنَادِي الجِهَـادَ، الجِهَادَ، الجِهَادَ[42]

وفي قصيدة **أعمل النار والظبى في الأعادي**، يقول:

أعْمِلِ النَّارَ والظِبَى في الأَعَادِي *** إنَّمَا هَذَا اليَوْمُ يَوْمُ الجِهَادِ[43]

وفي آخر قصيدة **أقم عيدك**، يقول

وَجَـاهِدْ لِيُؤْتَى طِيبُ الجَنَى * وَيَبْقَى ظَلِيـلاً نَظِيرَ الفِتَـنْ**[44]

فالوجهة واضحةُ المعالمِ في لفظ (جاهد)، والقطاف بعدها مستلذ في قوله (طيب الجنى)، والنتيجة في القصيدة وما بعدها دوام النعم، يقول في قصيدة **حياة ثائر في الجبل**:

إِنَّ الجِهَادَ * شَيْءٌ عَظِيمٌ**
يَلْقَى العِبَادُ * فِيهِ النِّعَمْ**[45]

4- من المسار النضالي إلى الشهادة:

إنّ المعادلة التي تحمل أكثر من متغير تكون نتائجها عادة متعددة، لكن المعادلة الجزائرية تحمل أكثر من ثابت، لتكون نتائجها ثابتة؛ فالإصلاح والتعليم ثوابت أولية لمعادلة الصحوة الفكرية، والجهاد والنضال ثوابت أساسية للصحوة التحررية، ويقف الشاعر عند هذه الفكرة والمعادلة المزدوجة ليبين طبيعة المسار النضالي في الجزائر، يقول في قصيدة **يا فتى الأوطان قم:**

كُلُّ مَا فِي أَرْضِنَا * حَرْبُ رِقٍّ وَنَهَم**
وَدْفَاعٌ دَائِبٌ * بَيْنَ أَطْمَاعِ النَّسَم**
جُنِّدَتْ فِيهِ قِوى * مِنْ سِلاَحٍ وَقَلَمْ**[46]

هذا التجنيد النضالي المزدوج الذي يجمع بين القلم والسلاح يؤسس لأرضية صلبة لا تنثني، يقول في قصيدة **لمن الجسم عالقا بالصخور:**

سَوْفَ لاَ نَنْثَنِي عَنِ السَّعْيِ حَتَى * يَقْضِي اللهُ بَيْنَنَا فِي المصِيرِ**[47]

في قصيدة **حياة ثائر في الجبل**، يقول في مطلعها:

سِــرْ لِلنِّضَــالِ * فِي كُــلِ حَــالِ**
حُــرَّ الخَيَــالِ * تَبْـنِي المَعَــالِ**[48]

فالنضال سواء كان فكريا أو مسلحا يبني المعالي، ويرفع أهله، وما البناء والرفعة إلاّ كسرا لحلقات الظلم والاستبداد، وهو طريق -ولو كان شائكا-لكن قطافه مبارك ودرجاته عالية، ولا أعز من نضال يتناسل توأمة كلٌ منها أجمل من الأخرى، إما عزة الاستقلال أو فخر الشهادة.

أ. الشهادة:

والشهادة حالة حتمية يتمناها كل مناضل مجاهد ويتوقعها في أي لحظة، وإيمانا بحالتين اثنين؛ أما الشهادة وإما الاستقلال، قال جامع الديوان «إن الشاعر كان ينظم القصائد أثناء الثورة ثم يبعث بها إلى جيش التحرير اعتقادا منه أنها ستظهر بعد الاستقلال»[49]، وحلما كان يراوده كما راود كل جزائري كتب الشهيد، نشيد للاستقلال قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، مستشرفا حالة الفرح وعودة عز الجزائر بعد تبدد البؤس والظلم والاستعمار، يقول:

كَبِّرِ اللهَ وَهَـلِّلْ * أَيُّهَـــا الشَّعْبُ المجِيدُ**
رَجَعَ العِزُّ المؤَثِل * وَ أَتَى العَيْشُ السَّعِيدُ**[50]

فلا عز لوطن إلاّ بخلاص أرضه من قيود الاستعمار، وتحرر شعبه من ظلم الاستبداد، ولا فخر له إلاّ بالنور الذي يُجمل العلم المرفرف عاليا، يقول الشاعر:

لاَ يَوْمَ لِلشَّعْبِ الأَبِيّ أَعَزُّ مِنْ * يَوْمَ الخَلاَصِ وَرُؤْيَةَ الأَضْوَاءِ**[51]

كتب الشاعر عن العلم والإصلاح والنضال والجهاد وجسد حلم الاستقلال والخلاص، بالنور المتدفق الذي يُجلى غشاوة وظلمة، ولم يهمل المعلم المصلح المناضل المجاهد، الذي كابد المشاق ليرسم ألوان الاستقلال، سواء أكمل المسار أو سلّم الأمانة لبارئها بكل فخر واعتزاز، وخلدّ من استشهدوا بمقاطع شعرية كثيرة.

ب. الشهيد:

ومن عز النضال والجهاد الوطني، إلى أعلى عزٍ في الرتب؛ الشهادة، كتب الربيع بوشامة يخلد من اهدوا أرواحهم كي يحيا الوطن في قصيدة **رثاء شهيد**، قال:

يَا شَهِيدًا فِي زَهْـــرَةِ العُمْرِ قَضَى***ظَامِئًـا لِلْعَلْيَـا ولِلْتَحْـــرِيرِ

إلى أن يقول في آخر القصيدة:

يَا شَهِيدَ الأَوْطَانِ حَسْبُكَ مَجْـــدًا *** أَنْ تَكُونَ القُرْبَانَ لِلتَّحْرِيرِ
وتسنّ الفِدَا لِكُـــلِّ هُمَـــامٍ *** عَبْقَرِي الأَعْمَـــالِ حُرَّ الضَّمِـــيرِ
نَمْ قَرِيـــرًا فِي ذِمَةِ اللَّهِ وَ أَنـــعِم *** بِسَـــلاَمٍ فِي جَنَّـــةٍ وَحَـــرِيرِ[52]

وفي قصيدة **إلى الله أخي**، يقول:

إِلَى اللهِ أَخِي عَبْـــدُ المَـــلِك* *** فِي الـــدَّمِ، الحُـــرِ الشَّهِيدِ المُعتَرك
وَالْتَحَـــقْ بِالصَّحْبِ مِنْ أَهْلِ الفِدَى *** والشَّهَادَاتِ، كَرِيمِ المسْلَك
مِنْ هَدْيِ القُرْآنِ وَالعِلْـــمِ الذِّي *** قَدْ لَقِيتَ فِيهِ اليَوْمَ مَصْرَعَك

إلى ان يقول:

وَمِـنَ الخُلُـــقِ المتِينِ المُرْتَـــضَى *** والجِـــهَادِ الـــوَطَنِيّ المشْتَرِك
أَيُّهَـــا المعْـــــدُومُ غَدْرًا وَاعْتِدَا *** بِقِوَى وَحْشِيَّةٍ سُودَ الشَّكك[53]

وفي قصيدة **مبعث النور: "خلود الشهيد"** يقول في مطلعها:

مَبْعَثُ النُّورِفِي ذَرَا الأَوْطَانِ *** حَسْبَكَ الله، نَمْ بِكُلِّ أَمَانِ
أَوْدَعَـــتْهُ الأَقْدَارُ أَسْرَارَ خُلْدٍ *** نَامِيَةٍ فِي ذِمَّةِ الرَّحْمَانِ
لَسْتَ عَنَّا بِغَائِبٍ رَغْمَ فَقْدٍ *** كَيْفَ وَالرُوحُ بَيْنَنَا كُلَّ آنِ[54]

الشهيد الربيع بوشامة، الذي كتب بكل ما أتاه الله من فكر تعليمي وإصلاحي ونضالي، نال فخر الشهادة يوم 14 ماي 1959، إعداما رميا بالرصاص، فكان شهر ماي شهر فجيعة لأهله وللجزائر، لكن لم يَفُتْهُ أنْ وظف قلمه في خدمة النص الشّعري الثوري، والذي يعبر في مجمله عن المأساة الجزائرية، وكم أدمت من القلوب، وكم أهدرت من الأرواح، فكان شهيد نضال مزدوج، وهو القائل في قصيدة؛ **حيّ ذاك الصريع في الميدان**:

رُح شَهِيدًا مُقَدّسَ الرُوحِ شَهْمًا *** مُشْرِقَ الوَجْهِ عَاطِرَالأَكْفَانِ[55]

فكان شهيدا كما تمنى، مقدس الروح شهما في نضاله، مشرق الحرف والوجه، عاطر الأكفان والمعاني، فحسبك الله أيها المعلم المصلح الشهيد، حسبك أن نلت أجر العلم، وأجر الإصلاح، وأجر الشهادة، رحمة ونورا تتنزل على قبرك وعلى كل من صدق وعده وأخلص نيته لله، وقدم روحه شرفا للوطن.

الخاتمة:

- لم تكتب مصادر التأريخ لأعلام الجزائر معلومات كافية عن حياة الشهيد الربيع بوشامة، فكلها تدور في فلك ما حققه المؤرخ جمال قنان، وما قدم عن مسيرة الشاعر الشهيد في بداية الديوان، وهذا الذي جعلنا نكتفي بعدد قليل من المراجع التي تناولت الموضوع.
- اشتمل الديوان على مئة وأربع قصائد (104)، تنوعت بين أغراض مختلفة، طغى الشعر الاجتماعي الإصلاحي، والشعر الثوري على غالية الديوان، كما لم يهمل اغراضا شعرية أخرى.
- كتب الشاعر قصائد عن العلم والإصلاح والنضال والجهاد وجسد حلم الاستقلال والخلاص، ولم يهمل المعلم المصلح والمناضل والمجاهد، الذي كابد المشاق ليرسم ألوان الاستقلال، سواء أكمل المسار أو سلّم الأمانة لبارئها بكل فخر واعتزاز، وخلدّ من استشهدوا بمقاطع شعرية كثيرة.
- بعض القصائد لا تستجيب للوزن العروضي (هي نظم وليست شعرا)، والبعض الآخر ينكسر وزنها في مواضع، حين يركز الشاعر على معنى الفكرة ينفلت منه الوزن، وقد حاولنا انتقاء المقاطع الشعرية التي تستجيب للوزن.
- نأمل أن تكون هذه الدراسة فاتحة للتدقيق أكثر في الديوان والوقوف على ألفاظ بعض قصائده، وتحقيق بعض الأشطر التي سقطت من القصائد، مع ضبطٍ متقن للإيقاع العروضي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (الموسوعة الثقافية الجزائرية) دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2007، المجلد 10.
2. -جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010
3. -محمد ابن سمينة: الربيع بن الصديق بوشامة، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، المجلد 04.
4. محمد ابن سمينة: الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، مجلة المصادر، العدد 18.
5. محمد ناصر الشعر الجزائر الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006.
6. -عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة، عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2007.
7. شوقي ضيف: البطولة في الأدب العربي، دار المعارف، ط2، 1984.
8. -خالد مرحوم: الشيخ الشهيد الربيع بوشامة –حياته وشعره، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد 1، 2023

الهوامش:

* ولد **الربيع بن الصديق بن الصغير بوشامة** في 29 ديسمبر 1916 م، في قنزات في بني يعلى ولاية سطيف، ومنذ العام السابع من عمره دخل المدرسة القرآنية (الكُتّاب)، فحفظ القرآن الكريم، كما التحق بالمدرسة الفرنسية فأكمل دراسته إلى السنة الأخيرة من المرحلة الابتدائية، ثم تفرغ لدراسة العلوم العربية والإسلامية فدرسها على شيوخ بني يعلى، منهم الشيخ سعيد صالحي، أحد أعضاء جمعية العلماء البارزين، في هذه الأثناء درس النحو والقراءات والتجويد والفقه والتوحيد، تقلد عدة مناصب في التعليم، ناضل بالقلم حتى اثار شكوك الإدارة الاستعمارية، تم سجنه بعد احداث 8 ماي 1945، استشهد في 14 مايو 1959،عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة، عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص-ص 90-91 / خالد مرحوم: الشيخ الشهيد الربيع بوشامة –حياته وشعره، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد 1، 2023، ص-ص233-234

[1] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 40

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، (الموسوعة الثقافية الجزائرية) دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2007، المجلد 10، ص 530

[3] محمد بن سمينة: الربيع بن الصديق بوشامة، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، المجلد 04، ص206

[4] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 105

[5] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص106

[6] المصدر نفسه، المقدمة، ص 6

[7] المصدر نفسه، ص107

[8] المصدر نفسه، المقدمة، ص 8

[9] المصدر نفسه، ص-ص 108-109

[10] المصدر نفسه، ص17

[11] المصدر نفسه، ص33

[12] المصدر نفسه، ص-ص 96-97-98

[13] المصدر نفسه، ص 113

[14] المصدر نفسه، ص101

[15] المصدر نفسه، ص103

[16] المصدر نفسه، ص111

[17] المصدر نفسه، المقدمة، ص7

[18] المصدر نفسه، المقدمة، الصفحة نفسها.

[19] المصدر نفسه، ص93

[20] المصدر نفسه، ص94

[21] المصدر نفسه، ص 121

[22] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه، ص531

[23] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص16

[24] المصدر نفسه، ص 127

[25] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه، ص 530

[26] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 131

[27] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه، ص529

[28] المرجع نفسه، ص531

[29] محمد ناصر الشعر الجزائر الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص 19

[30] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 69

[31] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[32] المصدر نفسه، ص70

[33] المصدر نفسه، ص61

[34] المصدر نفسه، ص 69

[35] المصدر نفسه، ص68

[36] الصدر نفسه، ص 70

[37] شوقي ضيف: البطولة في الأدب العربي، دار المعارف، ط2، 1984، ص9

[38] جمال قنان: ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 75 (ويذكر جامع الديوان أن هذا مقطع من قصيدة لم نعثر على تتمتها)

[39] المصدر نفسه ص-ص 29-32

[40] المصدر نفسه، ص208

[41] المصدر نفسه، ص203

[42] المصدر نفسه، ص 197

[43] المصدر نفسه، ص243

[44] المصدر نفسه، ص 104

[45] المصدر نفسه، ص230

[46] المصدر نفسه، ص204

[47] المصدر نفسه، ص 58

[48] المصدر نفسه، ص 229

[49] المصدر نفسه ص 34

[50] المصدر نفسه، ص 195

[51] المصدر نفسه، 110

[52] المصدر نفسه، ص33

* وقد اجتهدنا في البحث عن صاحب الاسم في المقطع الشعري، وأغلب الظن أن المقصود هو المعلم **عبد الملك فضلاء** (19أفريل 1920 - 15جويلة 1957) التحق بدروس عبد الحميد ابن باديس سنة 1937، زاول دراسته حتى وفاة ابن باديس، وعاد على مسقط رأسه، فأسس مدرسة في محيط مسجد القرية، شرع في تعليم الصغار وتوعية الكبار، شارك في مظاهرات ماي 1945، كان معلما في مدارس جمعية العلماء المسلمين [مدرسة النصيحة بالجزائر العاصمة (1947-1948)، مدرسة المرشدة بالجزائر العاصمة (1948-1949)، مدرسة القصر بالعجيبية بالبويرة (1949-1950)، مدرسة التهذيب (1955-1956-) وقد عيّن عضوا في لجنة امتحان شهادة التعليم الابتدائي الذي تقرر اجراؤها بمدرسة التهذيب يوم 15 جويلة 1957، واستشهد غدرا بهذا التاريخ] وقد باشر الشهيد الربيع بوشامة، عمله كمعلم في مدرسة الهداية منذ 1946،وهي من مدارس جمعية العلماء المسلمين، لذلك مساره

يتقاطع مع مسار الشهيد عبد الملك فضلاء، وبعد أن توصلنا هذه التقاطعات حصلنا على مقال للدكتور محمد ابن سمينة، موسوم ب: الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، عن مجلة المصادر العدد 18 يؤكد في ص223 ، أن المعلم عبد الملك فضلاء كان رفيق درب الشاعر بوشامة، في الإصلاح التربوي والتربية والتعليم.

[53] جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص-ص238-239

[54] المصدر نفسه، ص242

[55] المصدر نفسه، ص 63

محمد الأمين العمودي شهيد السلاح والقلم (جدلية الدَّم والحبر)

Muhammad Al-Amin Al-Amoudi, Poet of Weapons and the Pen (The Dialectic of Blood and Ink)

الباحثة: فاطمة صك

gazelsak@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى الغوص في جوانب مضيئة من حياة الشاعر الأديب والشهيد المناضل "محمد الأمين العمودي " ابن ولاية الوادي؛ حيث نحاول من خلال هذا المقال تسليط الضوء على حياة الرجل التي جمعت بين النضال الفكري والنضال المسلح، كما نعرج على إسهام الرجل في الحركة النضالية التي قادها الشعب الجزائري ضد قوات الاحتلال من خلال اتخاذه منبر الصحافة ميدانا للدفاع عن الوطن، وتسليط الدراسة الضوء على حياة الرجل، ونضاله الصحفي باعتباره صحفي بارع، وجريء، وخطيبا بليغا، وشاعرا حارب بحد قلم الصحفي وسلاح المجاهد، فحارب المستدمر بقوة الكلمة الهادفة والفكر الثاقب.

الكلمات المفتاحية: محمد الأمين العمودي، الأديب، الشهيد، النضال المسلح، النضال الفكري، الصحافة.

Abstract

This research paper seeks to delve into the bright aspects of the life of the poet, writer, and martyr fighter, “Muhammad Al-Amin Al-Amoudi,” son of Al-Wadi Province. Through this article, we are trying to shed light on the man’s life, which combined armed struggle and intellectual struggle. We also look at the man’s contribution to the struggle movement led by the Algerian people against the occupation forces by taking the press platform as a field for defending the homeland, and the study sheds light on the man’s life. And his journalistic struggle as a brilliant and bold journalist, an eloquent orator, and a poet who fought with the point of the journalist’s pen and the mujahid’s weapon. He fought the destroyer with the power of purposeful words and insightful thought.

Key words: Muhammad Al-Amin Al-Amoudi, writer, martyr, armed struggle, intellectual struggle, journalism.

الأدباء والمثقفون والكتاب والشعراء والفنانون الجزائريون كانوا دائماً في مقدمة الكفاح الوطني وسقط العشرات خلال النضال ضد الاستعمار وأثناء الثورة التحريرية. فمما لا شك فيه أن أيادي المستدمر الفرنسي لم تطلْ عامة الشعب فحسب، بل كانت تسعى جاهدة إلى إطفاء كل الأقلام التي تحاول إماطة اللثام عن جرائمه بشتى الطرق وتصفيتها ما أمكن لهم ذلك، نظرا لمعرفة فرنسا وحكامها بما تفعله الكلمة، فللكلمة سطوة وسلطة تضاهي سلطة وسطوة السلاح، ومما لا مراء فيه أن الشاعر محمد الأمين العمودي من الشعراء الذين جمعوا في نضالهم بين حمل السلاح وحمل القلم، وهو بهذا كان يسعى جاهدا لفضح العدو الغاشم وكشف ألاعيبه القذرة، السبب الذي دفع بنا للبحث في حياة هذا الرجل الفذ والقامة الأدبية والثورية العظيمة، الذي نذر حياته في سبيل الدفاع عن الجزائر وعروبتها، وهو ما ستكشفه هذه الورقة البحثيَّة.

1. نشأة محمد الأمين العمودي

محمد الأمين العمودي أصيل منطقة وادي سوف، مما يؤكد أن الشهيد العمودي قد عاش حياة مشابهة لحياة أقرانه من أبناء جيله جريا على عادة أهل المنطقة، إذ ولد هذا الأخير"حوالي سنة 1892م من أسرة عريقة في العلم والثقافة والوعي الوطني"[1]، فوالده هو الأمين بن يوسف العمودي وأمه مبروكة بنت علي لعبيدي، كما ذكر إبراهيم العوامر في كتابه "الصروف في تاريخ الصحراء وسوف"، ورغم تباين الروايات حول زمن ميلاده الحقيقي فيذهب البعض من الباحثين إلى ترجيح تاريخ ميلاده إلى سنة 1890م، ومن الذين يؤكدون هذا الطرح محمد بك في مقاله الموسوم بعنوان "محمد الأمين العمودي سيرة ونضال" على أن الرأي الأرجح هو ميلاده سنة 1890م مستدلا بذلك برسالة كان قد بعثها العمودي إلى الشيخ محمد الهادي الزاهري السنوسي صاحب كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر"يقول فيها :"أما حياتي فحياة كل مسلم جزائري، حياة لا يأسف على أمسه ولا يغتبط بيومه ولا يثق بغده...تلك حياتي من يوم عرفت الحياة وها قد دخلت السابعة والثلاثين من عمري ولم أظفر بعقد هدنة مع الدهر"[2]، فمن خلال عملية حسابية بين تاريخ الرسالة وفحواها حاول محمد بك إثبات التاريخ الحقيقي لميلاد العمودي، وهي على أغلب الظن الرواية الأقرب للحقيقة، وهو ما يذهب إلى تأكيده أيضا محمد الأخضر عبد القادر السائحي في كتابه "محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب" بقوله:"ولد محمد الأمين العمودي سنة 1890م،

بوادي سوف بالجنوب الشرقي للجمهورية الجزائرية"[3]. درس العمودي وحفظ القرآن الكريم في صباه بالمدرسة القرآنية وتعلم مبادئ اللغة العربية والفقه الإسلامي على يد الشيخ عبد الرحمان العمودي.

مر محمد الأمين العمودي بمراحل متعاقبة من التعليم في حياته؛ حيث "التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية (محمد بالحاج حاليا) إلى أن بلغ من العمر السادسة عشر سنة ثم التحق بمدرسة قسنطينة الفرنسية الإسلامية وهي المدرسة الثالثة في ذلك العهد بعد مدرسة العاصمة ومدرسة تلمسان التي تشرف على تكوين القضاة ورجال المحاكم الشرعية وأعوان الإدارة الأهلية"[4]، كما تقلد عدة مناصب إدارية و"ووظائف في مساره المهني منها وظيفة كاتب عدل في(فج مزالة)*، ثم وكيلا شرعيا في بسكرة النخيل باب الصحراء، والجزائر العاصمة، فعميد للوكلاء الشرعيين في العاصمة أيضا. كما شغل منصب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في السنوات الخمس الأولى من تأسيسها ما بين(1931-1936م)"[5]، في المقابل يذهب كل من سعد العمامرة والجيلاني العوامر في كتابهما "شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف" للقول بأن حياة الأمين العمودي تنقسم زمنيا إلى حقبتين زمنيتين كان لهما السبب في إبراز ملامح من حياته وقد قسما الحقب الزمنية على التوالي:

- الحقبة الأولى: وأطلقوا عليها اسم الحقبة التشاؤمية تيمنا بتلك المرحلة التي سبقت مرحلة انخراطه في الحركة الإصلاحية، وهذه المرحلة وإن دلت فهي لا تدل على نفسية العمودي بمفرده أو بمعزل عن حياة الشعب الجزائري، بل هي تدل على نفسية شعب بأكمله، وهي مرحلة تعكس سيكلوجية الشعب الجزائري من خلال كتابات الأمين العمودي.
- الحقبة الثانية: وهي مرحلة الكفاح الفعلي للعمودي من أجل إثبات مبدئه الإيجابي بدافع الإصلاح[6].

2. الأمين العمودي صحفيًّا:

كتب الأمين العمودي ونشر مقالاته الصحفية متنقلا من جريدة لأخرى عبر مسيرة حافلة من العطاء الفكري، إذ يعتبر العمودي من الأقلام البارزة والواضحة في المجال الصحفي، وفي هذا

السياق برزت كتاباته على صفحات الجرائد المحلية والعربية، ويمكننا أن نقوم بسرد هذه الإنجازات على التوالي:

- كتب في جريدة الأقدام للأمير خالد كانت تصدر بالعربية والفرنسية منذ عام 1919م إلى أن أوقفتها الإدارة الفرنسية سنة 1923م، وكانت تدافع وتطالب بالحقوق وإلغاء القوانين الجائرة وتحقيق المساواة لمسلمين شمال افريقيا"[7].
- أسس جريدة خاصة به تحت عنوان جريدة الدفاع (La Defense) سنة 1934م باللغة الفرنسية.

هذه الجريدة كان موضوعها الدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين معتمدا قوة الحجة وصدق الكلمة والموضوعية في طرح الأفكار؛ حيث اتخذ الأمين العمودي منبره هذا لمهاجم السلطة الفرنسية بلغتها-كانت تصدر باللغة الفرنسية- وموجها قلمه لخصوم الشعب، فاعتبرتها سلطة الاحتلال الغاشم جريدة مناهضة للحكم الفرنسي القائم، خاصة أن هذه الجريدة قد استقطبت إليها قراء فرنسيين، وهذه شهادة واضحة للرجل بقدرته وتصدره العمل الصحفي وفصاحته باللغتين العربية والفرنسية فاضطرت لإيقاف صدورها سنة 1937م[8].

كما يعتبر الخط السياسي لهذه الجريدة واضحا من خلال اتخاذها منبرا " للدفاع عن الأهالي الجزائريين ضد تجاوزات وتعسف المعمرين وممثلي الإدارة الفرنسية كما اهتمت كثيرا بالدفاع عن التيار الإصلاحي ضد خصومه"[9]، مما يعكس التوجه الفكري للشهيد الأمين العمودي ومحاولاته الدائمة في بث روح الإصلاح في مقالاته مما جعله محط أنظار المستعمر وعيونه.

وعقب تنقله من العمل في محكمة فج مزالة إلى محكمة بسكرة اعتبر العمودي من ركائز الأدب والصحافة والشعر مدعوما بنشاط ثُلة من نشطاء الإصلاح على غرار كل من محمد العيد آل خليفة والعقبي وغيرهم "وكان نشاطهم الثقافي والأدبي له آثاره الفعالة في صحف ذلك العهد منها جريدة المنتقد والشهاب وصدى الصحراء"[10]، هذه الأخيرة التي كان على رأسها أحمد بن العابد العقبي حيث تأسست ببسكرة سنة 1925م، وهي تعد "أول جريدة أسبوعية إصلاحية تصدرها هذه المدينة وقد شارك العمودي في تأسيسها وكان من أبرز كتابها"[11].

كما يؤكد أحمد توفيق المدني وهو أحد الرجال المفكرين وممن عرفوا العمودي عن كثب: "أنه ما لبث أن أصبح من رجال الصحافة المبرزين وكان قلمه قلما فرنسيا بديعيا يضاهي أو يفوق أقلام مهرة رجال الصحافة الغربيين"[12] وهذه شهادة واضحة ومؤكدة على قدرة الرجل في اتخاذه للصحافة سلاحا يقض مضاجع المستعمر. ومما يؤكد رأي توفيق المدني هو الصدى الكبير الذي نالتها كتابات الأمين العمودي الصحفية والتي تعدت بدورها حدود القطر الجزائري، فقد كتب في صحف متنوعة على غرار: الجرائد التونسية، و"جريدة الإقدام والمنتقد والنجاح والإصلاح وجريدة الجزائر برئاسة الزاهري والصراط السوي والبرق وغيرهم من الصحف والجرائد.

كما انتهج العمودي نهج الكتابة بأسماء مستعارة مثل ما كتبه في جريدة "البرق" التي كان من "أبرز كتابها وكان يوقع كتاباته باسم سمهري، وهو بهذا يحاول إيقاظ العقول وتوجيه سهام الاتهام للمستعمر بطرق مختلفة، فضجت الإدارة الفرنسية وأعوانها من جرأته فتعرضت للتوقيف في سبتمبر1927م"[13]، كما كان يوقع أيضا بأسماء مستعارة أخرى "كالفتى الزيباني..."[14].

- كما كتب أيضا في جريدة "المنتقد" والتي صدرت بقسنطينة يوم الثاني من جويلية 1925م وهي تصدر يوم الخميس من كل أسبوع وقد دلت منذ البداية على نهجها الإصلاحي وهي "تختلف عن سابقتها من حيث سلاسة الأسلوب ومتانة اللغة وعمق الأفكار (وعطلت بأمر حكومي بعد أن دامت أربعة أشهر في 29 أكتوبر 1925م أصدرت خلالها ثمانية عشر عددا)"[15].
- كما كتب في جريدة " الجحيم" بالتعاون مع الزاهري "وهي جريدة تأسست بقسنطينة في 30 مارس1933 كرد فعل على جريدة المعيار المهاجمة لجمعية العلماء"[16]، وهو من هذا المنبر قد وضع قلمه الصحفي رهنا للدفاع عن مشايخ الجمعية وعلمائها .
- و كتب أيضا في جريدة "الجزائر الجمهورية Alger Rèpublicain وهي التي كانت تصدر من العاصمة الفرنسية"[17]، وهذه دلالة واضحة على أن الرجل لا يهدأ ولا يركن أبدا عن كتابة مقالاته واتخذ الكتابة من عقر دار المستعمر.
- كتب في جريدة النجاح في عهدها الأول وهي جريدة صدرت "بقسنطينة يوم 14 أوت1920م، اشترك في تحريرها وإدارتها مع السيد عبد الحفيظ بن الهاشمي واستمرت إلى غاية 1956م"[18].

- كتب في صحف جمعية العلماء وهي السنة النبوية وتعتبر جريدة العلماء الأولى صدر العدد الأول منها في " الفاتح من مارس سنة 1933م كل يوم اثنين وصدر العدد من جريدة الصراط السوي في الحادي عشر من شهر سبتمبر من ذات السنة"[19].

وللحديث أكثر عن نشاط الأمين العمودي الحافل في الصحافة خاصة وأنه اعتبر من الأقلام الجريئة والقوية في الدفاع عن عروبة الجزائر، والمحافظة على هويتها، فإننا حاولنا حصر بعض مقالاته التي داوم على كتابتها في بعض الجرائد العربية ومحاولة تصنيفها حسب الموضوع:

أ- مقالات ذات بعد ديني[20]:

عنوان المقال	اسم الجريدة	العدد	تاريخ النشر
التجنس والتفرنس	الإصلاح	06	1929/10/03م
الجمعية الدينية	الإصلاح	14	1930/09/25م
إلى الأخوين بيضاوي وتأبط شرا	البرق	06	1927/04/11م
رجال البلاغ	البرق	17-10	1927/05/09م
لبيك لكن على شرط	الشرق	113	1927/09/02م

ب- مقالات ذات بعد اجتماعي[21]:

عنوان المقال	اسم الجريدة	العدد	تاريخ النشر
أخطار المدينة	البرق	08	1927/03/21م
المرأة المسلمة	الإصلاح	08	1929/11/28م
كلمة على السفور	الإصلاح	11	1930/11/23م
الحركة الإصلاحية	الإصلاح	05	1929/10/03م

ج- مقالات ذات توجه سياسي[22]:

عنوان المقال	اسم الجريدة	العدد	تاريخ النشر
بيان وإيضاح	الإصلاح	10	1930/02/02م

من الواضح أن مسيرة العمودي الصحفية كانت ترتكز على جوانب ثلاث وهي:

- الاهتمام بالجانب الديني في كتاباته لما له من أهمية بالغة في استنهاض الهمم، وزيادة الوعي الشعبي حول القضية، بالموازاة مع ما تقوم به السياسة الفرنسية في طمس الهوية الجزائرية.
- الاهتمام بالجانب الاجتماعي وهو ما يكمل الجانب الديني خاصة وأنه يسعى جاهدا في مقالاته إلى توعية المجتمع وتفطينه ببعض القضايا المهمة على غرار دور المرأة وأهمية توعيتها، لما كان يرى فيه من انعكاس إيجابي على المجتمع الجزائري.
- الاهتمام بالجانب الإصلاحي والدعوة في كتاباته إلى التمسك بالهوية العربية والإسلامية، والبحث عن منبر يجمع المجتمع الجزائري بكل أطيافه وفئاته.

3. مسيرة من حياته النضالية:

من المؤكد أن الشهيد البطل الأمين العمودي قد جمع بين النضال الصحفي والفكري، والنضال السياسي، فكانت حياته حافلة بالإنجازات الفكرية –مقالات صحفية في جرائد مختلفة- ومشاركته في النضال السياسي "فكانت الانطلاقة الأولى في مدينة بسكرة صحبة جماعة أطلقت على نفسها (جماعة الإصلاح الديني) تحت رئاسة المرحوم الشيخ الطيب العقبي"[23].

كما دعا الأمين العمودي رفقة ثلة من المثقفين والمصلحين الجزائريين إلى إنشاء منظمة فاعلة تجمع شمل الجزائريين وتقوم على إصلاح حالة الأمة المسلمة في الجزائر، وهنا أثبت "العمودي مشاركته الفعالة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين ثم في صياغة قراراتها وتنفيذها والدفاع عنها خاصة في جريدة الدفاع"[24]. فمع بداية الثلاثينات توجهت أفكار المصلحين والمفكرين نحو تأسيس وإنشاء جمعية العلماء المسلمين، وكان هذا على صفحات جريدة الإصلاح في عددها الرابع، إذ تدعو لضرورة التعجيل بتأسيسها، واتخاذها منبرا للإصلاح.

وهو ما كتب عنه العمودي في تاريخ سبتمبر 1930محيث عرض رؤيته في مقال في جريدة الإصلاح – أي ذات الجريدة – حيث رسم فيه ملامح وخصائص الجمعية الدينية والتي تجمع ستة علماء جزائريين وتسعى للتصدي للمؤامرة الكولونيالية الهادفة إلى إبقاء المستعمر جاثما على أنفس الجزائريين[25].

- " ترأس بعد ذلك جمعية شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان سنة 1937م، التي تصدت للموالين من الجزائريين والأجانب، معبرة عن طموحات الشعب الجزائري"[26].

4. وفاته:

توفي محمد الأمين العمودي شهيدا رغم تخليه عن مجال السياسية وانعزاله الحياة السياسية والإعلامية في أيام الأخيرة، إلا أن أيادي المستعمر لم تنس ماضيه المشرف، وكلماته المدوية فما فتأت تتربص به، وهذا "ما نجحت في تنفيذه جماعة اليد الحمراء الإرهابية وقامت بتصفيته"[27].

كما أضاف الأخ أحمد العمودي الابن الأكبر للأمين العمودي أن استشهاد والده كان في قرية العجيبة بالبويرة صبيحة يوم: الخميس 10أكتوبر 1957م؛ حيث كان متجها إلى عمله بمحكمة الجزائر، إذ تم إخبار العائلة في الغد بواسطة الدرك، ويضيف أحمد العمودي: "والسبب هو أن شيخ بلدية البويرة كان من الفرنسيين الرافضين للحرب ضد الشعب الجزائري، وكان يعرف النشاط الصحفي للشيخ العمودي، في كان مقررا أن يلقى ضمن مجموعة الأبرياء الذين اغتالتهم الأيدي الآثمة من الاستعماريين على الطريقة البشعة المتمثلة في حفرة كبيرة تلقى فيها جميع الجثث، فلما عرف شيخ البلدية المذكورة بأن الأمين العمودي من بين حصيلة حفير ذلك اليوم رفض التصريح للدرك بالدفن الجماعي وأمرهم بالاتصال بأسرته"[28].

وهكذا انطفأت شمعة من العطاء الصحفي والنضال السياسي على أيدي الاستعمار الغادرة وهي سياسة ظلت تنتهجها السلطات الفرنسية لتصفية الأقلام الأدبية والفكرية التي تنبض بقول الحق، والسعي وراء تبديد ظلام الحقيقة.

خاتمة

وفي الأخير وبعد نهاية هذه الورقة البحثية وختامها، والتي كشفت لنا بعضا من جوانب شخصية الأمين العمودي رغم تنوع نشاطاته والتي تروحت بين الصحافة والأدب والنضال السياسي وكخلاصة لهذا البحث نحاول حوصلة النتائج في النقاط الآتية:

- كشف لنا البحث أن تربية العمودي في بدايته كانت تربية تقوم على تعاليم الدين الإسلامي والاعتزاز بالهوية العربية.
- تعد شخصية العمودي شخصية فذة تتميز بالعطاء والنضال الوطني الصادق والحر، تراوحت بين تنوع وتعدد المواهب والإصرار الدائم على البحث عن الحقيقة.
- كان نشاط العمودي دليلا قاطعا على كونه صحفيا بارعا وسياسيا محنكا وخطيبا مفوها يمسك بزمام اللغتين العربية والفرنسية، وأديبا مبدعا بارعا.
- يعد دخول العمودي مجال الإصلاح الديني من أبوابه الواسعة بداية بالعمل الصحفي، ومعرجا على نشاطه داخل جمعية العلماء المسلمين.
- تنوع نشاط العمودي الصحفي خاصة في مقالاته بين المجالات المختلفة ومابين مصلح اجتماعي، ومتنقلا إلى الجانب الديني، ولم يفوت فرصة النقد السياسي وتوجيه الرأي العام بآراءه الصحفية الثاقبة.
- سخر العمودي قلمه الصحفي في سبيل خدمة القضية الوطنية خاصة في جريدة الدفاع، والتي عرج فيها على عديد القضايا وفتح الأفق واسعا لطرحه الجريء لبعض القضايا الشائكة خاصة ما يتعلق بالمرأة.
- ظل قلم العمودي الصحفي يدعو دائما إلى التمسك بالهوية الوطنية والعربية، والالتحام حول تعاليم الدين الإسلامي.

في الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في توجيه القارئ إلى البحث في بعض الجوانب من حياة هذا الرجل الفذ والقامة السامقة نحو القراءة عن العمودي ولم لا البحث في بعض الجوانب الأخرى من حياته.

المراجع:

[1] سعد العمامرة والجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف،(دط)، مطبعة النخلة، بوزريعة، الجزائر، 1991م، ص64.

[2] محمد بك، محمد الأمين العمودي سيرة ونضال، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، عدد 25، ص09.

[3] محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف، الجزائر، 1988م، ص16.

[4] سعد العمامرة والجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص64.

*** فج مزالة:** مدينة ميلة حاليا.

[5] حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، مجلة عصور الجديدة، عدد09، خاص بخمسينية الاستقلال الوطني، ربيع 1434هـ/2013م، ص141.

[6] ينظر: سعد العمامرة والجيلاني العوامر، مرجع سابق، ص64.

[7] محمد بك، مرجع سابق، ص18.

[8] ينظر: حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، ص142.

[9]La Dèfense. N01. 26 Janvier 1934.

[10] محمد الطاهر فضلاء، محمد الأمين العمودي الكاتب الشاعر الأديب والخطيب السياسي البارع، الندوة الفكرية الثالثة، الوادي، أيام02/03/04 ماي 1990م، ص14.

[11] علي غنابزية، مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920-1938م، مجلة البحوث والدراسات، المركز الجامعي بالوادي، العدد01، ربيع الأول 1425هـ-2004م، ص138.

[12] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات، ج2(1925-1954م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1977م، ص499.

[13] محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية 1847-1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص85.

[14] المرجع نفسه، ص356.

[15] محمد بك، مرجع سابق، ص15.

[16] محمد ناصر، مرجع سابق، ص134.

[17] محمد الصالح رمضان، الأديب شهيد محمد الأمين العمودي كما عرفته، مجلة الثقافة، ع43، شركة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978م، ص18.

[18] خليفة بن قارة، "الصحفي الذي لم يمت محمد الأمين العمودي 46 عاما بين التناسي والنسيان"، المدونة الفكرية 16 محمد الأمين العمودي، الوادي يوم: 10/09/08 أكتوبر 2003م، ص39.

[19] المرجع نفسه، ص150.

[20] محمد ناصر، المقالة الصحفية (نشأتها، تطورها، أعلامها من1903-1931م)، المجلد الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص241.

[21] المرجع نفسه، ص261.

[22] المرجع نفسه، ص241.

[23] سعد العمامرة والجيلاني العوامر، مرجع سابق، ص64.

[24] محمد بك، مرجع سابق، ص

[25] المرجع نفسه، ص72.

[26] م ن، ص ن. حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، ص142.

[27] حمزة بوكوشة، شخصيات منسية، مجلة الثقافة، عدد 06، الشركة الوطنية للإعلام والثقافة، الجزائر، 1972م، ص62.

[28] حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص61.

حضور المرأة في القصة الجزائرية القصيرة "قصة عائشة لأحمد رضا حوحو" مقاربة على منوال النقد الثقافي

The dipiction of Woman in the Algerian Short story Example:" Aicha" for its writer, Ahmad Ridha Houhou A cultural Criticism

ط د/ مسغوني الأمين

أ د/ قويدر قيطون

قسم لغة وأدب عربي-جامعة حمه لخضر-الوادي(الجزائر)

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي.

mesghouni-elamine@univ-eloued.dz

ملخص:

تحتفي القصة الجزائري بقضايا الهامش الاجتماعي، التي تتمثل بداية في مركزية الرجل وتهميش المرأة، إذ بدأ النقد الغربي والعربي على حد سواء في الحد من هذه الثنائية المتناحرة، وبدأت المرأة تتحرر من السلطة الأبوية التي يرسمها المركز الاجتماعي والثقافي منذ الأزل، فالقصة الجزائرية القصيرة تحتفي بحضور المرأة ودورها في الفن والإبداع والفكر، ومنها قصة عائشة لأحمد رضا حوحو التي تبرهن على دور المرأة الفعال في مختلف المجالات أهمها الفكرية والاجتماعية، لاسيما في الحقبة الكولونيالية التي عرفتها الجزائر في الماضي، وعلى هذا الأساس كيف تجلى حضور المرأة في القصة الجزائرية القصيرة؟ وما هي مساهماتها في تطور قضايا الأدب والنقد على حد سواء؟.

الكلمات المفتاحية: الرواية الجزائرية المعاصرة؛ المرأة؛ الجمالية؛ أحمد رضا حوحو؛ نماذج بشرية.

Abstract

The Algerian story in literature is known by its social marginalization cases. They dipict Man centerazation and the neglectiin of Woman. However, the Arab and Western criticism started decresing this feuding duality and the Woman became free from the parenthood authority which culture and society impose upon her. The Algerian short story embraces the woman's creativity and presence in Art and thought. Among

these short stories, Aicha for its writer Ahmad Rida Houhou. The latter impoves woman's important roles espicially ideologically and socially preciselly speaking in the colonial era that Algeria witnessed in the past. So, how was the Woman dipicted in the Algerian short story? And what are her contributions in literature notions and criticism alike?

key words: the Algerian novel; the Woman; ، Aesthetics; Ahmad Rida Houhou; human models.

مقدمة:

تعتبر مرحلة ما بعد الحداثة من أهم المراحل التي قلبت الفكر النقدي الغربي والعربي على حد سواء، إذ تأثر النقد بفلسفة هذا العصر، فحارب مفهوم النسق المغلق الذي سنته البنيوية في مقولات اللغة والنص والبنية كمقولات ثابتة تمثل لوغوس الأدب والنقد، فوجد النص نفسه محاصرا بين مستويات اللغة : المعجمية ،النحوية، الصرفية والبلاغية، غير قادر على الإفصاح بما تواريه اللغة خلف تلك المستويات، فبرز النقد الثقافي كثورة منهجية على النسق المغلق وأدلى بدلوه في إضافة العنصر الثقافي للنقد حتى يتمكن القارئ من فهم النص وتفسيره، ومن ثم تأويله، إيمانا بأن موت المؤلف تحيل إلى ميلاد القارئ بالضرورة، فدافع النقد الثقافي عن حضور الهامش الاجتماعي والثقافي والسياسي مؤمنا بانفتاح النص على ملابسات إنتاجه وتلقيه، فكانت المرأة أولى الهوامش التي تستدعي إعادة الاعتبار لدورها في المجال الفكري عموما.

1- تصورات مابعد الحداثة للأدب والنقد

1-1- النقد الثقافي: المصطلح والمفهوم

تبدأ مرحلة تدخل القارئ مع بداية عصر ما بعد الحداثة التي تولي اهتماما للمتلقي وتسلمه زمام أمور فهم النص وتأويله، فقد اقتصر النقد الأدبي على فهم النص وتفسيره حسب ما تقول بنياته الداخلية ومستوياته اللغوية، وحسب ما تقرره البلاغة والمؤسسة الأكاديمية، يقول الغذامي: "لقد أدى النقد الأدبي دورا مهما في الوقوف على (جماليات) النصوص، وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي، مع هذا وعلى الرغم من هذا أو

بسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي، وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسلة بالجمالي، الشعري والبلاغي، حتى صارت نموذجا سلوكيا يتحكم فينا ذهنيا وعمليا"[1]، والجلي أن النقد الأدبي اقتصر على تجلي الجميل النصي بغض النص عن مضمرات النص وما تبيحه ثنايا السطور، إذ وقف النقد الأدبي موقفا صارما ضد الأدب في علاقته بالواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، وما يترتب عن ذلك من هوامش تخفيها اللغة والأنساق المقررة سلفا.

وعلى هذا الأساس، فقد عرف الأدب بقدرته الهائلة على استقطاب مختلف القضايا المتشابكة بجميع ملابساتها مثل قضية الحضور النسوي في الفكر والأدب والنقد، فقد مثل مجالا رحبا يخوض فيه المبدع ويفسح له المجال للتعالق مع مختلف تلك القضايا التي يفرضها الراهن من حين لآخر،ويعالجها في قالب فني يلتفت إلى المجتمع والإنسان ويتخلى جزئيا عن مبدأ "اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها" الذي ساد طويلا في مرحلة السلطة الكلاسيكية على مختلف مجالات الحياة، رغبة للاعتقاد بما يقابله من ضرورة فهم الأدب في علاقته بالواقع في بدايات القرن التاسع عشر، الذي بات من اهتمامات الأدباء والنقاد في العالم الغربي والعربي على حد سواء؛ فعلاقة الأدب بالواقع مثلت ثورية منهجية حداثية تحدت انغلاق النص في شاعريته المعهودة في التجلي الجميل، فالنقد الأدبي بمفهومه المتداول تحول إلى طاغية يحول بين الأدب ومختلف السياقات الأخرى.

وفقا لهذا الطرح، يضع عبد الله الغذامي ثلاث خصائص تميز النقد الثقافي تتمثل في:

أ- لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على الخطابات والظواهر التي لا تقرها المؤسسة الأكاديمية.

ب- يستفيد النقد الثقافي من مناهج التحليل العرفية كالتأويل والتاريخ.

ج- التركيز على أنظمة الخطاب والإفصاح كما في حفريات فوكو، ودريدا في مقولته: "أن لا شيء خارج النص"، ومفاتيح التشريح النصوصي البارتي[2]، ويبدو أن الغذامي يثور منهجيا علة النقد الأدبي الذي يعتبره قد أفل وشاخ ويجب أن يستبدل ببديل شامل يجمع بين الأدب

والنقد والثقافة في مؤسسة فكرية لا يهمش فيها فرع من هذه الفروع في حضور الآخر، فالنقد الثقافي البديل يسعى إلى مركزة الهامش وتهميش المركز البطرياكي الذي ترسب من الثقافة الغربية في صور الميتافيزيقا وثقافة النخبة والأنا المتعالية التي صنعتها الرأسمالية.

2- نسق النسوية في القصة الجزائرية المعاصرة في كتابات الأدباء الشهداء

تجلت ملابسات التحرر للهامش في القصة الجزائرية القصيرة منذ أن عمد أصحاب الاتجاه الإبداعي إلى الثورة على سلطة الرواية والخوض في الكتابة القصصية القصيرة مع مجموعة من الأدباء يجمعهم مرتاض في قوله: "شهد الشهر السابع من سنة خمس وعشرين من هذا القرن ميلاد القصة الجزائرية على يد محمد السعيد الزاهري الذي نشر في جريدة "الجزائر" محاولة قصصية عنوانها " فرنسوا والرشيد". ومنذ ذلك اليوم والقصة الجزائرية تدرج، ثم تحبو، ثم تنهض على ساقيها، ثم تتطور بها الحياة، وتتقدم بها السبيل إلى غاية الفن القصصي خطوات شاسعة. فقد وجدنا هذه القصة تخطو خطوات خجولة طورا، وجريئة طورا آخر على أيدي محمد السعيد الزاهري، ومحمد العابد الجلالي، وأحمد بن عاشور، وأحمد رضا حوحو، ثم أبي القاسم سعد الله، فهؤلاء الخمسة أسهموا حتما في بناء هذا الصرح الضخم"[3]، فقد كان للأدباء الجزائريين عظيم الفضل في التعريف بالقصة القصيرة التي ارتبطت بالواقع بصورة مباشرة فاهتمت بمضمراته وبدأت بدور المرأة التي تجلى في تلك الفترة مع الخلافات والتدخلات السياسية على الجزائر، فقد كانت المرأة ذات باع طويل المساهمة في شؤون السياسة والمجتمع والثقافة والحفاظ على عادات الجزائر وتقاليدها وتراثها الأصيل، فكانت هناك نماذج حية لتلك المساهمات مثل : لالة فاطمة نسومر، حسيبة بن بوعلي، مليكة قايد، وريدة مداد، مريم بوعتورة، ...فمارسن مهنة التمريض وتسيير جماعات مسلحة ضد الاستعمار منذ 1830 بشجاعة تضاهي شجاعة الرجل وقوته وكفاحه.

يقول حوحو في نقده للثقافة الجزائرية في الحقبة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر واصفا الحال المزرية التي بلغها هذا المجتمع من انحطاط ديني وأخلاقي وفساد اجتماعي وسياسي وتدهور مس جميع المجالات :" عائشة امرأة ككل النساء الجزائريات، واحدة من آلاف النساء

اللائي يموج بهن المجتمع الجزائري المظلم، لم تتخرج من مدرسة لا شرقية ولا غربية ولم تتلق أية تربية خاصة أو نشأة معينة، عدا التربية الفطرية والنشأة المحافظة، المفروضتين من هذه البيئة الجزائرية الوحيدة التي لا تعرف التطور ولا التغير، وعاشت عائشة في محيطها الضيق المظلم لا تعرف عن العالم الخارجي شيئا"[4]، فالاسم الذي يعتمده حوحو" عائشة" مستمد من الثقافة العربية الأصيلة، يعود إلى اسم زوجة النبي ﷺ "عائشة أم المؤمنين" التي تعتبر رمز الشجاعة والأخلاق الرصينة والتمسك بتعاليم الدين الحنيف.

ثم يردف الكاتب قائلا: "لا تعرف عن نفسها إلا أنها عورة يستحي ذووها من ذكر اسمها وأسماء والدتها وعمتها، فهن جميعا يكون نوعا خاصا من المخلوقات لم تفهم كنهه، ولم تحاول أن تدرك كنهه، ولكنها تعلم حق العلم أن وتلدها وغيره من رجال الأسرة يطلقون عليهن جميعا اسم "العباد" ولا يتلفظون بهذا الاسم إلا مقرونا بكلمة اعتذار، وكثيرا ما سمعت والدها يتحدث مع جاره فيقول "عبادي حاشاك" يقصد جميع نساء الأسرة فيعتذر عن ذكر أسمائهن كما يعتذر حينما يتلفظ بلفظ قذر أمام شخص محترم"[5]، والواضح أن الرجل الجزائري شأنه شأن الغربي الذي يؤمن وفرويد أن: "المرأة لا تصلح إلا لإشباع رغبات الرجل"، فأن يعتقد الرجل أن المرأة عورة، هذا إنقاص من قيمتها ومكانتها التي صانها الدين الإسلامي الحنيف، إذ يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾[سورة النساء/الآية 19]، فالمجتمع العربي يسير على خطى الدول الغربية التي تحط من قيمة المرأة، ولا يمتثلون لسلطة العقيدة في قضية المرأة التي كانت من أهم وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:" "واستوصوا بالنساء خيرا"، وفي سياق آخر يقول:" "رفقا بالقوارير" وغيرها من مقامات تقديس المرأة ورفع مكانتها في الدين الإسلامي.

وفي صدد الأدب والنقد النسوي، فحتى الغرب ذاته أعاد للمرأة قيمتها التي أهدرها العصر اليوناني الذي كان يعتقد أن الفكر يقتصر على الأبوية، وأن المرأة آلة للإنجاب والمتعة والمحافظة على البيت والتربية السليمة للنشء، فالمرأة مرت بمراحل طويلة من التهميش التي استجمعتها ماري

ايجلتون في كتابها الموسوم: النقد الأدبي النسائي:" لماذا ننظر؟ كيف ننظر؟ إن الشك في جدوى النظرية منتشر في طول الحركة وعرضها، فنحن نواجه تاريخا طويلا من النظريات الأبوية التي تزعم أنها قد أثبتت بصورة قاطعة أن النساء أدنى من الرجال وليس من المستغرب إذن أن نلتزم الحذر"[6]، فهذا السعي الحثيث الذي تمارسه ناقدات هذا الاتجاه لدحض معتقدات النظرية الذكورية فقيادة سيغموند فرويد في ما يسميه" الحسد القضيبي" وغيره من الفلاسفة الأبويين ما يدعوا إلى التأمل في حقيقة هذا النوع من الأدب الذي يثبت نفسه في الساحة الأدبية والفكرية عموما وبصفة كبيرة، فهي:" أشبه بتيارات اجتماعية وسياسية تلتقي في النقد النسائي حول فكرة الانتصار للمرأة والمطالبة بفرص لها مساوية للرجل في النظام الرمزي، أو رفض النظام الرمزي للرجل باسم الاختلاف أو التخلص من هيمنة الرجل"[7]، فالحضور النسوي في إبداع الرجل يدل بصورة قاطعة على رفض المرأة لقانون العبودية والدعوة إلى التمرد على السلطة ومختلف أنماط فلسفة التمركز بصورة قاطعة.

يواصل الكاتب في عرض الهامش النسائي في المجتمع الجزائري في ستينيات القرن الماضي،فيقول: "هي إذن كائن تافه لا مسئولية له في الحياة، بل إنها أتفه، من أي حيوان من الحيوانات التي يملكها والدها الذي لا يستحي من ذكر حماره أمام الناس، ...كل هذا لا يعنيها ولم تفكر فيه، بل إنها لا تملك حق التفكير فيه، فهي تسير في طريق مرسوم محدود"[8]، لهذا السبب المطلق تمرد النقد الثقافي على النقد الأكاديمي، وأطلق عنان الهامش، ثم درس تأثيره على الفرد والمجتمع قبل الأدب والفن والنقد عموما، فالنسق الذي سنته البنيوية في 1961 ظل يتكرر في بصور جديدة تجلت في المجتمعات ومجالاتها التي بنت لنفسها نسقا فحوليا، وفرقت بين طبقات بنياته فالذكر ليس كالأنثى في الثقافات والحضارات بمختلف امتداداتها.

والمرأة نسق مضمر يتواجد لحظة إبداع الرجل، سواء أكان معه أو ضده، فالرجل يثور على المرأة لكن لا يتنصل من وجودها لحظة الإبداع، ما يدل على كينونتها الثابتة بطريقة أو بأخرى، فهي هامش متمركز في عقل الرجل المبدع وغيره، لذلك حاولت المرأة تمزيق قناع هذا الرجل وتجاوزت المطالبة بالندية في المجتمع إلى الندية في الحياة الفكرية والنقدية على حد سواء،مثلما

الشأن في كتابات ليلى بلعبكي، ومستغانمي، وغيرهما من أديبات الجزائر ذات الصيت النقدي والأدبي العالمي الذي يتجاوز شهرة الرجل بكثير، فقد جسد الكاتب لحظة الانقلاب هذه في قوله:"وهكذا تتابعت أيام عائشة في قريتها إلى أن حدث الحادث الجليل الذي خرج بها عن المألوف وجعل من حياتها صورة تختلف عن صور بنات جنسها"[9]، فالكاتب يحاول بطريقة أو بأخرى أن يكشف عن صوت الأنثى المضطهدة في المجتمع، والتأكيد تماما على الهوية الأنثوية التي تستدعي حالات خاصة تتلائم وطبيعتها، فعائشة نموذج المرأة الرافضة لسلطة الرجل/ الفكر/النقد الأبوي وترفع شعار المساواة والندية واحترام الآخر، يقول: "فخرجت بفكرها عن ذلك المحيط الضيق الذي تعيش فيه إلى محيط أوسع تبحث عن شيء ما، أي شيء كان يميزها عن الأخريات، شيء جديد وكفى، وشاء القدر أن تطرق سمعها أحاديث سياسية وأفكار وطنية، وشاعت أحاديث السياسة والوطن في تلك الأيام حتى عمت الأوساط المختلفة ووصلت إلى بيئتها، فرحبت بها واعتنقتها مدفوعة بدافع حب السمو والرغبة في أن تكون لها أفكار وأحاديث ترتفع عما تفكر فيه وتتحدث به الأخريات"[10]، فعائشة صورة البطلة التي يوليها الكاتب أحمد رضا حوحو أهمية بالغة في القصة، إذ يعدها محورا تبنى عليه يبلغ من خلالها رسالة سامية عن الهامش النسوي في الجزائر كصورة لباقي الدول العربية والغربية التي تصنع الطبقية الاجتماعية وتساهم في عمقها وتوغلها في الراهن، فيبين أن الشخصية هنا قد ذابت، وبنيت امرأة نصوصية ذات رسالة اجتماعية وسياسية، تحطم من خلالها نسق الإخضاع والهيمنة، ففي فترة الاستعمار الفرنسي على الجزائر من 1954 إلى غاية 1962 كان للمرأة دور هام في المساهمة في حركات التحرر والقيادة التي لم تقتصر في حقيقة الأمر على الرجال المجاهدين أمثال رضا حوحو بالذي جاهد بالقلم وكان مثالا يحتذى به في الالتزام بقضايا الواقع الجزائري الكولونيالي، أو غيره ممن جاهدوا بالنفس والنفيس في سبيل تحرير الوطن، فلم يغفل حوحو على الاعتراف بجميل أولئك النسوة اللاتي حاربن بطريقتهم وضحين من أجل الانتصار بشجاعة الرجل أو تفوق، فالمرأة الجزائرية مثال على الصدق والشجاعة والتضحية، لذلك كان لها نصيب في كتابات أحمد رضا حوحون رغم الصورة التي رسمها الرجل لها من ضعف وخيانة وخوف.

فمن ترسبات التلاقح الثقافي تعنيف المرأة لأنها كما يعتقد يوحنا الدمشقي أنها:"حمارة عنيدة"، إذ من خلال الاستعمار الغربي الفرنسي على الجزائر ترسبت هذه الأفكار الطبقية التي تميز الرجل عن المرأة وتنحاز للطرف الأول باعتبارات سلطوية جسدية وفكرية ونقدية ومفاضلات اجتماعية سلبية تخلق فجوة بين الرجل والمرأة.

ويبدو أن الكاتب يعتبر المرأة مقدسة كما تقر بذلك العادات والتقاليد العربية والتراث الجزائري الأصيل: "قالت عائشة أنها وطنية، وآمنت بذلك ايمانا راسخا، واعتقدت اعتقادا قويا أنها لابد من أن تجني ثمرة ذلك عاجلا، وشاء ربك ألا تنتظر طويلا، فقد انتشلتها هذه العقيدة المقدسة من خضم رذائلها... ثم وفقت للاهتداء إلى زوج متواضع صالح بنى بها دون أن يسألها عن ماضيها، ولم تشأ أن تسأله عن مستقبله، وإنما اكتفت بالعيش البسيط في أحضانه راضية وهي صامتة كالقبر"[11]، فالمرأة المؤدبة المسايرة لأفكار الرجل لا تعد امرأة فاشلة، إنما هي امرأة تعتقد بسلامة ذلك وقدرة الرجل على حمايتها في سياق الود المتبادل والاحترام والوقار، ففي ذلك مسايرة لمرحلة التأنيث التي مر بها النقد والأدب النسوي في بداياته 1840، لكن هو أسبق من ذلك بكثير في قوله تعالى:﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بغض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾[سورة النساء/الآية 34]

والواقع أن علاقة الأدب بالنسوي بالواقع تندرج تحت طائلة علاقة الأدب بالواقع، كون الواقع بوتقة تضم مختلف هذه الأطراف المتصارعة، فهذه العلاقة تندرج في سياق ارتباط الأدب بالثقافة المنتجة لهذا النص والبيئة المؤثرة في إنتاجه.

وفي الشعر الجزائري المعاصر يطغى حضور المؤنث على كتابات الرجل، إذ يبرز ذلك في قول الشاعر الجزائري ميداني بن عمر:

كم مشطت شعرها
فوق نسيانه-كي يراها
وكم كتبت فوق كفيه نقالها
فتوضأ في دمعها ومحاها

ارتمى فوق ريش اليقين...

حين ترسمه امرأة تحت كتانها [12]، فالتأنيث مضمر حاضر في كتابة الرجل الذي يبدع على حساب المرأة ولا يستطيع التخلي عن كينونتها في النص، إذ تعتبر بنية مركزية تحرك أحداث النص وتبلورها.

وعلى هذا الأساس فقد ركزت الدراسات النسوية بوصفها أنساقا اجتماعية متوارية خلق النسق الأكاديمي على ما يلي:

- "إرساء وتكريس صيغة التجربة الأنثوية التي يعتقدن أنها متميزة في التفكير والشعور وإدراك الذات والعالم الخارجي
- البحث عن السمات المتصلة بالتجارب الأنثوية كالحمل والرضاعة والأمور العاطفية
- محاولة اكتشاف تاريخ أدبي للموروث الأنثوي، وإبراز سمات "لغة الأنثى"
- التركيز على بعض التيمات النسائية، ومحاولة إظهار عبقرية البناء الأدبي النسوي"[13]، فالنسق الهامش يرتبط بالدرجة الأولى بالمرأة ومدى تحقق حضورها في الأدب والفن والنقد وسائر مجالات الحياة التي باستطاعتها مشاركتها مع الرجل، واحترام خصوصية كل طرف من أطراف هذه الثنائية الجدلية.

خاتمة

تعد المناهج النقدية الغربية ملاذا يتحقق من خلاله معنى النص، من خلال البحث في دلالاته المختلفة التي تتنوع وتتعدد حسب مقولات المنهج النقدي الواحد، فالنص يستقبل مقولات النقد ليفصح عن خباياه وكوامنه المختلفة.

تعتبر القصة الجزائرية القصيرة وعاء يضم مختلف قضايا الراهن في رحابة، كالقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية المتعلقة بالمجتمع والبيئة التي أنتجته.

تعد قضية المرأة وحضورها في النص الأدبي قضية مركزية في كتابات ما بعد الحداثة التي قلبت موازين النقد الأدبي وأفسحت المجال أمام الهامش الأنثوي للتمركز في مختلف البنى الفنية والإبداعية التي كتبت بقلم الرجل والمرأة على حد سواء.

يدافع الكاتب أحمد رضا حوحو عن حرية المرأة ويبرز مدى قدرتها على اجتياح عالم الرجل بقوة من خلال قصته القصيرة "عائشة".

يعتبر أدب الشهداء نموذج لتضحية هؤلاء في سبيل الوطن الذي يحمل في طياته مفخرة وشجاعة أولئك الكتاب بالتزامهم بقضايا الراهن الجزائري في فترة الستينيات، فلم يقو الاستعمار الفرنسي أثناء تواجده على أرض الوطن بتثبيط هؤلاء أو منعهم من تبليغ رسائلهم الفنية التي تحمل رسائل مشفرة تتأتى بعد تحليل القارئ وتأويله، ما يعرف في النقد الثقافي بالبحث عن الهامش النصي.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013.
2. بسام قطوس، دليل النظريات النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، دامعة الآداب، الكويت، دط، دت.
3. عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3،2005.
4. عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، دط، 1990
5. ميداني بن عمر، فوق أفراحه، ضمن كتاب: قبل أن تنفذ الكلمات، دار الثقافة، وادي سوف، 2007.

المراجع:

[1] عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3،2005، ص8
ينظر: عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، م س، ص32.[2]
عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، دط، 1990، ص16.[3]
أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013، ص16.[4]
المصدر نفسه، ص16.[5]
بسام قطوس، دليل النظريات النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، دامعة الآداب، الكويت، دط، دت، ص190[6]

المرجع نفسه، ص186.[7]
المصدر نفسه، ص17.[8]
المصدر نفسه، ص17.[9]
المصدر نفسه، ص17.[10]
المصدر نفسه، ص18.[11]
ميداني بن عمر، فوق أفراحه، ضمن كتاب: قبل أن تنفذ الكلمات، دار الثقافة، وادي سوف، 2007،ص19.[12]
[13] بسام قطوس: دليل النظريات النقدية المعاصرة، م س، ص ص190/191.

جمالية الإبداع الأدبي لشهداء الجزائريين جدليتي المداد والدماء

The beauty of the literary creativity of the Algerian martyrs between the dialectics of ink and blood

طالبة دكتوراه جهيدة رضوان

د-نوال قرين

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة قاصدي مرباح –ورقلة-(الجزائر)

مخبر النقد ومصطلحاته.جامعة قاصدي مرباح –ورقلة-

redouanedjahida97@gmail.com

ملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى البحث في كتابات الشهداء الأدباء الجزائريين بين الواقع النضالي والهاجس الأدبي، فقد شهد تاريخ الجزائر النضالي العديد من الشهداء المبدعين في عديد من المجالات الأدبية، ممن خلدوا أدبا عظيما عظمة استشهادهم وانتقالهم إلى الرفيق الأعلى.

تهدفُ هذه الورقة البحثية للوقوف عند تجليات صورة الشهيد في الإبداع الأدبي الجزائري، مسلطين الضوء على الكاتب الأديب الحبيب بناسي من خلال أعماله الأدبية بين خصوصية الإنتاج وسؤال الإبداع في ظل الظروف القاسية للاستدمار الفرنسي الهمجي الغاشم.

الكلمات المفتاحية: الأدباء الشهداء؛ صورة الشهيد؛ خصوصية الإنتاج؛ الإبداع؛ الحبيب بناسي

Abstract:

Through this study, we seek to investigate the writings of the Algerian literary martyrs between the struggle reality and the literary obsession. They are alive among us with their poetic works that pulsate with patriotism, with zeal for religious affiliation and Islamic identity, with short stories that establish the seed of change for the better in an Algerian Muslim society whose language is Arabic, and with novels that may be written in the language of the other, but they carry between their lines bullets aimed at the

chest of à brutal colonialist who crouched for a long time. On the breath of the Algerians Vktmha.

This research paper aims to stand at the manifestations of the image of the martyr in Algerian literary creativity, highlighting the writer Habib Benassi, through his literary works, between the specificity of production and the question of creativity under the harsh conditions of the brutal and brutal French colonialism.

key words: martyr writers; image of the martyr; Production specificity; creativity; Habib Benassi;

توطئة:

ليس بالضرورة أن يقتصر الاستشهاد على شخص بعينه أو صاحب مهنة محددة؛ إنما قد يكون الشهيد مُدرسا أو طبيبا أو عاملا أو مهندسا، كما قد يكون كاتبا مُبدعا يتقن حمل السلاح للقتال، ويحترفُ حمل القلم للإبداع، فالشهيد ظل ويبقى رمزا للبطولة والفداء، ونموذج للتضحية والعطاء من أجل الوطن، لذلك كرمه الله سبحانه وتعالى –نظرا لقداسته- بالخلود، وجعل مصيره الفردوس الأعلى؛ حيث يقول عز وجل في كتابه العظيم: "ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزقون" الآية 169، من سورة آل عمران، ولذلك ارتبطت الشهادة بالمعاني السامية، واعتبرت في الدين الإسلامي أرقى أنواع الموت، وارتسمت صورة الشهيد في المخيال الجمعي ناصعة البياض، تُصاحبها التكبيرات والزغاريد، وحملت الشوارع أسماءهم، وحاكت المخيلة الشعبية الأغاني والأهازيج في التغني ببطولاتهم.

وقد عرفت الساحة الأدبية أسماء بارزة لشهداء أدباء خلدوا أسماءهم بأحرف من ذهب في تاريخ الجزائر العظيم، أمثال: مولود فرعون، أحمد رضا حوحو، ألأمين العمودي، عبد الكريم العقون، الحبيب بناسي، الربيع بوشامة ....وغيرهم؛ ممن كانوا -دائما- في طليعة الكفاح الوطني خلال سنوات الإرهاب الماضية، حين كانوا هدفا للموت، وسقوط العشرات منهم، وقبل ذلك خلال النضال ضد الاستعمار الفرنسي، وأثناء ثورة التحرير المجيدة، كل هذه التضحيات سواء كانت بالدماء أو بالقلم دفاعا عن الحرية والوطن، وسنقفُ من خلال هذه المداخلة على الأديب الشهيد الحبيب بناسي، الذي كان ضمن أحد أبناء الجزائر الذين أخذوا مواقعهم في الطليعة من مسيرة

أمتهم، ومضوا يجودون بحياتهم من أجل حياتها حتى سقط شهيدا على أرضها فداء لحريتها وعزتها وأصالتها وسيادتها، حتى عُد واحدا من أدباء جيل الثورة، يعود له الفضل في تطوير الفن القصصي الجزائري المعاصر، وإثراء الحياة الأدبية بعد الاستقلال .

السيرة الذاتية للشهيد الحبيب بناسي:

وُلد الحبيب بناسي بتاريخ 13 ديسمبر 1928م، بمدينة المشرية، بولاية سعيدة، ولما بلغ الثانية عشر من عمره انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري والكشافة الإسلامية التي كونت لها فرعا بمدينة المشرية.

طالب أديب ثائر؛ إذ عُرف منذ نعومة أظافره بالتمرد على كل صور الطغيان والظلم والاستبداد، كان له من النضال والروح الوطنية، ما جعله يُناهض فرنسا الاستعمارية ورجعيتها بقلمه وفكره، وهو لا يزال طالبا متجولا بين الجزائر والمغرب وتونس، كتب ضدها قبل وبعد اندلاع الثورة التحريرية، إلى أن التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، لتوافيه المنية، ويسقط في ساحة الشرف، وهو لم يتعد 28 سنة من عمره.

ظهرت مواهبه الأدبية أثناء نضاله في حزب الشعب مبكرا، وكذا نشاطه النضالي، خاصة عندما وقعت أحداث الثامن من ماي 1945، وكان لنشاطه -هذا- الفضل في التعرف على شخصيات بارزة كانت في المعتقل بمدينة المشرية، مثل: الشيخ العربي التبسي والشيخ سعيد الصالحي،....وغيرهم، وعند سفره لمدينة الجزائر العاصمة التقى بالكثير من زعماء حزب الشعب، وقد شارك بإلقاء خطب حماسية، ولما اشتد النزاع بين جناحين في حزب الشعب حول طريقة مواصلة الكفاح كان الأديب الحبيب بناسي يميلُ مع الذين يطالبون بالإسراع في الكفاح المسلح، لأن ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة، ومن أهم ما ميز نشاط الأديب الشهيد سنة 1954 هو كتابته لسلسلة مقالات على شكل مراسلات نشرها بصحف تونسية، وكان موضوع مقالاته يدور حول الثورة واحتضان الشعب الجزائري لها، وقد اتصلت به جبهة التحرير الوطني بعد أن لفت نشاطه الصحفي انتباهها له فكلفته بالإشراف على تأسيس خلية فدائية، وأصبح مُرشدا ومنظما للحركة الفدائية بمدينة سيدي بلعباس، كما شارك في أكبر هجوم شنه الفدائيون على المدينة في

نوفمبر سنة 1956، والتحق بعد هذه العملية بصفوف جيش التحرير الوطني وصعوده إلى الجبال من أجل الكفاح، إلى أن سقط شهيدا –رحمه الله- بتاريخ 15 ديسمبر 1956، في دوار تابع لدائرة تلاغ في ولاية سيدي بلعباس، وتُفيد بعض الشهادات انه استشهد حرقا، وذلك بعد معركة بين جيش التحرير وقوات الاحتلال الفرنسي.

أحمد بناسي رائدا من رواد القصة القصيرة في الجزائر:

إن الأعمال القصصية في الجزائر، بلغت درجة عالية من الوعي، وتميزت بالموهبة الفريدة والعبقرية الفذة، والذوق الحسن والمقدرة على الكتابة، والعمق في التعبير والتجاوب الكبير مع الأحداث، والمواضيع المرتبطة بالإصلاح والمجتمع، أما مضامينها فجاءت لتعكس الواقع الجزائري بمختلف مراحله التاريخية، لأن الأدب –عموما- وليد البيئة، يعكس صورها ويُعبر عن مظاهرها، والقصة القصيرة الجزائرية الحديثة شأنها شأن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، تأثرت بالواقع والمحيط الجزائريين، وأثرت فيهما وعكست الكثير من مظاهر الفكر الجزائريين وبلورت الكثير من الأفكار والعادات السائدة في المجتمع على مراحل تطور المجتمع الجزائري، ومن أبرز المضامين التي عالجتها القصة الجزائرية الحديثة نجد المضمون الوطني، المضمون الاجتماعي، المضمون الوجداني، المضمون الديني، والمضمون الإنساني.

ثم إن المتأمل للقصص الثورية الجزائرية يرى: "تميز جيل الثورة بأنهم ذو فضل كبير على تطوير الفن القصصي الجزائري، تجاوزوا بفنهم مرحلة الثلاثينات والأربعينات، وقدموا جهودا إبداعية عبرت عن ظروف الحرب، وصورت نضال الإنسان الجزائري لطرد المستعمر خصوصا أثناء الحرب التحريرية 1954-1962، وبذلك أسهم الأدب في دعم الثورة" [1].

يُعد الأديب الحبيب بناسي أحد رواد كتاب القصة القصيرة بالجزائر، ويقول الأستاذ شريبط عن الآثار الأدبية للشهيد في كتابه "مباحث في الأدب الجزائري المعاصر": " أن الأديب الشهيد قد ترك عملا واحدا، طُبع جزأه الأكبر بجامعة تلمسان عام 1956، وهو "صرخة القلب"؛ وهو كتاب يحتوي على لوحات قصصية يغلب عليها الأسلوب الرومنسي، كما بدا أسلوبه في هذا الكتاب قريبا من أسلوب الكاتب اللبناني جبران خليل جبران، وخصوصا في نزعته الثورية فقد

تحدث عن الرسم بقوله: "من أنت أيها الرسم أحياتي أم روحي؟ أم ملك مقدس بعثت به أرواح الجمال من تلك السماوات الروحانية ليخاطب روحي ويعانقها فتمتزجان وتسموان معا إلى برزخ الأرواح، أم أنت روح فنيس آلهة الحب والجمال؟"

والمُلاحظ أن هذا الأسلوب قد تغير وصار واقعيا، ليتجلى ذلك خصوصا في مقالاته ومراسلاته التي كتبها في مرحلته الأخيرة.

ومن كتاباته كذلك "يتيم الأصنام"، "شهداء الأدب والسياسة"، "دماء ودموع"، "شهيد بلا قبر"، لبيك يا جمال"، "الحنين إلى الوطن"، "الإمام عبد الحميد ابن باديس"، و"الثورة الجزائرية.... كيف نشأت؟"[2].

من خلال مؤلفاته يتضح لنا أن خطابات الشهيد السردية، ومؤلفاته الأدبية كانت إضافة نوعية للأدب الجزائري الحديث من خلال أسلوبه في الكتابة، إضافة إلى المضامين المتعددة، والمواضيع المتنوعة فيها.

أعمال الحبيب بناسي الأدبية بين خصوصية الإنتاج وسؤال الإبداع:

يُوصف قلم الشهيد الحبيب بناسي بأنه كان خصبا، فأحسن استخدامه في الدفاع عن قضية جزائره، والتعريف بمآسيها لدى الخاص والعام، كما يُعزى له الفضل في إثراء الساحة الأدبية الإبداعية والنقدية التي تعد اليوم شاهدا على الثورة التحريرية، ولعل من أبرز أعماله الأدبية –على الإطلاق-ثلاثيته القصصية المتمثلة في: "مأساة أسرة"، شهيد بلا قبر" وقصة "الدكتور الشهيد".

"قصة "مأساة أسرة"؛ -وهي قصة ذات طابع وطني-تجسد لنا نهاية أسرة جزائرية ثرية، تملكُ أراضي واسعة، وضيعة جميلة، وبضعة سيارات فاخرة، وقد ألقت السلطات الاستعمارية القبض على معيلها، بعد أن أخبرها حساده بأنه يأوي في بيته مجموعة من المجاهدين نهارا، ويُقدم إليهم كل ما يحتاجونه.

أما قصة "شهيد بلا قبر"؛ فإنها تصور قصة شاب مثقف، يحمل شهادة الليسانس، تخرج من جامعة القاهرة بمصر، تحديدا من كلية الآداب واللغات، ويعمل مراسلا صحفيا للجرائد الوطنية الجزائرية، وأثناء وجوده بالقاهرة كان يُراسل الصحف الوطنية في الجزائر، ولكنه ما إن سمع بقيام الثورة حتى عاد إلى بلاده، إلا أن سلطات الاستعمار الفرنسي، سارعت، فألقت القبض عليه بتهمة أنه همزة وصل بين القاهرة والثورة في الجزائر، لتُدخله إلى غياهب السجن، ولما رفض البوح بأسرار الثورة قُتل، ثم رموا جثته في البحر[3].

وتأتي قصة " الدكتور الشهيد" لتخص بالذكر سيرة المجاهد الجزائري الحكيم "بن عودة بن زجرب" وطريقة استشهاده الفذة.

وفي قصة "الطبيب" تتجلى طريقة بناسي في الحديث عن انتشار أخبار الثورة، وتغلغلها في البيئات الجزائرية؛ حيث يُمهد لذلك بتغير طباع شخصياته، ويصنع جوا متوترا بينهم وبين المحيط، فملامح الشخصية المحورية "الطبيب" –مثلا- تتغير طباعها، فيحس عمالها بجفائه، وابتعاده عنهم، ويفقدون بذلك الجلسات الممتعة التي كان يُنظمها لهم في بيته، وفي معظم الأحيان يكون هذا التغيير دافعا قويا للناس إلى معرفة الأمور الجديدة، كما ان للكاتب أسلوبا جديدا في تقديم شخصية "المجاهد"، فهو لا يكشف أمره للناس منذ الوهلة الأولى، وإنما يُقدمه في صورة شخص غريب عن الديار أو الحي، لا يعرف المواطنون عنه شيئا، فالمجاهدون يأتون إلى بيت الطبيب في ساعة متأخرة من الليل، ولا يبرحونه طوال النهار، فإذا أقبل الليل وأسدل ستائره السود، خرجوا حيث لا يعلم أحد مقصدهم، مقنعون ولا يتحدثون إلا هامسين، ويرتدون ملابس خاصة، ويحملون أنواعا من الأسلحة والذخائر الحربية.

ولقد حقق هذا الأسلوب هدفين هامين:

الأول: أنه خلق "تشويقا" حادا في نفوس الأهالي لمعرفة هؤلاء الغرباء المقنعين أو الذين لا يتحدثون إلا همسا، ولا يخرجون إلا حين يشتد ظلام الليل من جهة، والثاني: أنه أشار إلى السرية والحذر اللذين اتسمت بهما الثورة التحريرية، وعلى كل فإن هذا العمل للحبيب بناسي يعد من أساليب العمل الفدائي، كيف لا وهو رجل الفداء وشهيد الواجب الوطني؟

بهذه التقنيات –وغيرها-حاول الأديب الحبيب "الحبيب بناسي" تطوير مفهوم الكتابة الأدبية، وتجاوز التعريف السائد –آنذاك-للأدب، مُستعينا بذوق فني رفيع، وقد قادته رؤيته الجديدة للفن أن يُواكب تطور الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر، ليكون بذلك سباقا إلى موضوعات حرب التحرير، إلا أن موضوعاته كانت قليلة، و–ربما-ينقصها الصقل.

الخصائص الفنية المُعتمدة في قصص الحبيب بناسي:

أ- الأسلوب:

يُعنى بالأسلوب الصورة التعبيرية التي يصوغ بها الكاتب قصته، متضمنة اللغة، والعبارات، والصور البيانية، والحوار.... وما إليها من عناصر الصياغة، ومن خلاله تتجلى براعة القاص في العرض، ويُعتبر الأسلوب جزءا مهما من القصص الأدبية؛ إذ يسهم في بناء الأحداث، وإعطائها المزيد من الدراما والإثارة، كما أنه يعكس شخصية الكاتب، ويجعل النص مميزا وفريدا، ويمكن للأسلوب أن يعزز من قوة الرسالة التي يريد الكاتب إيصالها للقارئ.

وإذا ما دققنا النظر في أسلوب الحبيب بناسي، فنجده يعمدُ إلى لغة بسيطة وسلسلة، وأسلوب ماتع، إضافة إلى أن نصوصه تزخر بالصور البيانية كالاستعارة في قوله: "فإذا أقبل الليل وأسدل ستائره السود"، ونلتمس هذا في قصة "الطبيب"، والتشبيهات والكنايات، وتوظيف المحسنات البديعية كالطباق والمقابلة والكثير من السجع، والمُلاحظ أن الغاية من توظيف بناسي لألوان الزخارف والبديع والبيان لم يكن لإبراز كفاءته اللغوية، وإنما لتقريب المعنى وتثبيته في ذهن المتلقي.

ب- الشخصيات:

للشخصية تعريفات عديدة، سنقتصر منها على مفهوم الشخصية القصصية فهي "أحد الأفراد الخياليين، أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة" [4]، ولا يجوز الفصل بينها وبين الحدث، لأن الشخصية هي التي تقوم بهذه الأحداث، وينتقي القاص –في معظم الأحيان- من

الشخصيات التي يوظفها للتعبير عن أفكاره وآرائه شخصية محورية تتجه نحوها أنظار بقية الشخصيات، كما أنها تقود مجرى القصة العام .

أما الشخصيات التي اعتمدها الحبيب بناسي في نسج قصصه فهي شخصيات وطنية، تمتاز بالثقافة العالية، وحسن الأخلاق، فنجد بطل قصته "شهيد بلا قبر" يحمل شهادة الليسانس من جامعة القاهرة، ويعمل مراسلا صحفيا للجرائد الوطنية الجزائرية، أما قصة الدكتور الشهيد فتمثل سيرة المجاهد الجزائري الحكيم "بن عودة بن زجرب"، وبيان طريقة استشهاده.

والمُلاحظ في قصص الحبيب بناسي أن الشخصيات التي يوظفها معظمها –إن لم نقل كلها- تشترك فيها الشخصيات الثورية، وتشترك في صفة عامة وهي إضافة انتماؤهم إلى أسر غنية ذات جاه كبير ومال كثير وعلم غزير، ليتبين لنا ان الأديب الحبيب يكاد ينفرد بهذا الوصف في تاريخ القصة الجزائرية، لأن معظم القاصين الجزائريين صوروا شخصية الثري إلى جانب شخصية الخائن الذي يحافظ على مصالحه، وتنمية ثروته بشتى السبل والوسائل حتى وإن كانت ضد قيم بلاده، أو ضارة بشعبه، أو حتى بأهله، وأن القضاء عليه أمر لا يقل شانا عن القضاء على المستعمر، أو حليفه الطبيعي المعمر، كما يمكن اعتماد الملامح التي رسمها الحبيب بناسي للجندي الفرنسي في قصصه قاعدة أساسية لصورة الفرنسي في النتاج القصصي الجزائري، فالفرنسي سيء الخلق، عديم الإنسانية، قلبه خال من الرقة، لا يسمع غير صوت الباطل ونداء الظلم.

ج- البيئة المحلية:

من العناصر المؤثرة تأثيرا كبيرا على طبيعة وأحداث الخطاب السردي، عنصر البيئة الذي يخلق الفن، ويتبلور في أجوائه، وهو لا يقل أهمية عن عنصر الحبكة وعنصر الشخصيات في الرواية أو القصة؛ ويُعنى بعنصر البيئة "حقيقة الرواية الزمانية والمكانية، أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم وأساليبهم في الحياة"[5].

ويمكن اعتبار زمان ومكان الحدث أسلوبا فنيا، يستعمله القاص للوصول إلى تقريب العمل القصصي إلى أذهان القُراء بجعله ممكنا أو محتملا، وهذا يعني أن "وظيفة الزمان والمكان في العمل القصصي هي خلق الوهم لدى القارئ بأن ما يقرأه قريب إلى الواقع، أو جزء منه"[6].

ونجد أن عنصر البيئة في قصة "شهيد بلا قبر" تمثل في القاهرة؛ يقول الحبيب بناسي: "....كانت بيئته في القاهرة....أثناء وجوده بالقاهرة كان يُراسل الصحف الوطنية..."[7]

وفي قصة "مأساة أسرة" كانت البيئة جزائرية، وهي قصة أسرة جزائرية، تملك أراضي واسعة، وضيعة جميلة، والتي كانت تأوي في بيتهم مجموعة من المجاهدين نهارا.

البُعد الموضوعاتي في كتابات الحبيب بناسي:

ظلت الثورة هي المرجعية الأيديولوجية والفنية التي ينطلق منها الحبيب بناسي كغيره من الكتاب الجزائريين، قصد استعادة تاريخهم النضالي؛ إذ سجل التاريخ أن أعظم ثورة شهدها العالم العربي هي ثورة الجزائر، التي خاضها الشعب الجزائري ضد المستدمر الفرنسي الغاشم، فكانت بوابة للأدباء والشعراء للدخول إلى معركة الكتابة النضالية التي تبحثُ عن التغيير، وفي هذا السياق يقول شريبط أحمد شريبط: "حفلت القصة منذ عام 1947 بتطور الرؤية الفنية ويقظة الوعي الثوري، خصوصا بعد أن دعمت هيئة تحرير مجلة "البصائر" بانضمام أحمد رضا حوحو إليها وغيره...كما كان لأحداث الثامن من مايو 1945 أثر فعال في بلورة الاتجاهات الفكرية الوطنية آنذاك.

وهكذا جرى العمل على التأسيس الفكري للثورة، ورفض الذل والاضطهاد المسلط من قبل المستعمر، الذي لم يتوان في إخراس الأصوات وتكميم الأفواه، ليس هذا فحسب بل راحت الثورة تُشكل مادة خام للروائي والقاص الجزائري، ينهل منها ويغذي القارئ بأفكار ورُؤى تنطلق منها وتعود إليها، فقد تحدث الكاتب بناسي عن ثورة التحرير الجزائرية الخالدة وبطولات المجاهدين الأبطال، مجسدا ذلك في أعماله: "صرخة القلب"، "مأساة أسرة"، "الثورة الجزائرية...كيف نشأت؟" وغيرها من الأعمال الأدبية الأخرى.

من خلال ما سبق ذكره نستخلص أن موضوع الثورة كان شغل بناسي الشاغل، إذ صور لنا من خلاله معاناة الشعب الجزائري في الثورة، وجوانب إنسانية كالتضامن والتآزر مع المجاهدين خدمة للوطن الجزائري، وهذا ما التمسناه من خلال قصصه السالفة الذكر.

الكاتب الشهيد الحبيب بناسي في ميزان الأدب والنقد الجزائريين:

عرفت الحياة الأدبية والثقافية في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية تطورا ملحوظا، فقد كثر عدد الكتاب، ورجع بعضهم إلى أرض الوطن، وتخرج بعضهم الآخر من معاهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أفاد جيل الثورة الأدبي أكثر من غيره من التطور الذي بلغته الحياة الأدبية بعد الحرب العالمية الثانية، للتقدم الذي طرأ على مختلف الأنواع الأدبية إثر تأسيس النوادي والجمعيات الثقافية، وانتشار الصحف اليومية والمجلات الدورية التي تُعنى بالإبداع، فقد ظهر أثناء الثورة التحريرية عدد من كتاب القصة، يُعزى لهم الفضل في تطوير الفن القصصي الجزائري المعاصر، وإثراء الحياة الأدبية بعد الاستقلال .

"برز كتاب عديدون خلال سنوات الثورة التحريرية (1954 – 1962)، بعضهم استمر في ممارسة عملية الإبداع، وواصل كتابة القصة القصيرة، وبعض آخر قل إنتاجه أو توقف، مع أن كتابات هؤلاء تتوافر على الحس الفني والموهبة الأدبية الرفيعة[8]، والحبيب بناسي أحد أدباء جيل الثورة، والذي يعد أحد أعلام كتاب القصة القصيرة في الجزائر، إلى جانب المقالات القصصية.

الحبيب بناسي كاتب موهوب، صقلته تجارب الحياة، رغم صغر سنه، ولولا أن الموت أدركه مُبكرا لكان له شأن كبير في الأدب الجزائري المُعاصر؛ إذ أن كتاباته التي تركها تتصف بالثراء والجد في البحث عن أشكال أدبية جديدة.

ولعل كتابه "صرخة القلب" تدخل ضمن القصص السردي أو المقالة القصصية، فقد نوه محمد منيع بالصرخة وعرضها على القراء، قائلا: إن المؤلف بذل جهودا شاقة، وبكى وحن إلى الوطن، وواجه الحيرة والألم، لأنه جاء من غربة وحل بوطن مضطرب، وتألم لحال أمته المعذبة، ولكن السيد منيع لم يصف لنا الكتاب ولا محتواه، فبقي محتواه غامضا على من لم يقرأه، كما أنه لم يتحدث عن حجمه ولا عن مكان صدوره[9]، وقد احتوى كتابه "صرخة القلب" على عدة فنون كالخاطرة، المقال الأدبي، والمقال السياسي والصحافي والمقالة القصصية، وكان على دراية واسعة بمسار الأدب الجزائري، واتجاهاته الفنية والفكرية.

حاول الحبيب بناسي تغيير مفهوم الأدب السائد في الحياة الأدبية، وخصوصا في منابر العلماء، حيث كان الأدب إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية مقصورا على الشعر ودراسته[10]، ووصف الأدب بأنه "أفكار وخواطر تولدت من عوامل كثيرة، وتجمعت في فرد واحد أو في أفراد متعددين" [11].

كتب الحبيب بضعة قصص تعد إضافة للأدب الجزائري –عموما-ولفن القص الجزائري – خصوصا-، واكب من خلال هاته القصص أحداث الجزائر الاجتماعية والسياسية، منها قصة بعنوان "يتيم الأصنام" وأخرى بعنوان "الحب والشرف".

وكتب في السياسة ثلاث قصص قصيرة، وهي عبارة عن مقالات صور من خلالها بعض جوانب الوضع السياسي في الجزائر بعد اندلاع ثورة نوفمبر العظيمة في 11/ 11/ 1954.

عالج في خواطره موضوع "الحب"، الذي كان شبه محظور في عهده، وقد كتبه برؤية وأسلوب رومانتيكيين حادين، يفيضان بأفكار الكاتب العربي المبدع جبران خليل جبران، فهذه الألفاظ المشهورة في كتاباته: الهيكل والناموس، الغيب، المحراب، الخمر، والمواكب. إذ لا تكاد تخلو منها أية خاطرة من خواطر الحبيب بناسي؛ ويقول في إحدى خواطره: "إنك بعد حين ستلتقي بالحبيب في عالم ما وراء الغيب، وسترفرف بجناحك إزاءهُ، وهناك تدخل محراب الحب، وتنحني لذاته المقدسة، وتشرب من خمره، وتسمع أناشيد ترتلها مواكب المُحبين..."[12]

بالإضافة إلى هذا، فقد حاول الحبيب بناسي تغيير مفهوم الأدب السائد في الحياة الأدبية، وخصوصا في منابر العلماء، حيث كان الأدب إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية يقتصر على الشعر ودراسته، ووصف الكاتب الأدب بأنه "أفكار وخواطر تولدت من عوامل كثيرة، وتجمعت في فرد واحد أو في أفراد متعددين"[13].

وليس هذا فحسب، بل راح الحبيب يكتب بضعة قصص تعد فتحا في القصة الجزائرية المعاصرة على صعيد الموضوع والفن، واكب بها أحداث الجزائر الاجتماعية والسياسية، منها قصة بعنوان "يتيم الأصنام"، وأخرى بعنوان "الحب والشرف"[14]؛ إذ تُصور الأولى طفلا فقد والده أولا، ثم والدته التي هوت عليها جدران العمارات أثناء طوافها بشوارع المدينة بحثا عن طعام له، بينما

تُصور الثانية وبرؤية رومنسية عاطفية الحب في الريف الجزائري، وفيها وصف ملامح الشخصية المحورية، ويقوم هذا الوصف بوظيفة هامة من حيث الكشف عن صفات البطل النفسية والجسمية، ونلاحظ في هذه القصة ضعفا فنيا، قد يعود سببه حديثه الطويل عن حب القائد الرئيسي "نابليون" لزوجته "جوزفين"، وثأر نابليون من زوجته عندما علم بخيانتها، فقد اتخذه بطل القصة عبرة ومثلا احتذاه عندما اكتشف أن خطيبته تخونه مع شاب آخر، فسارع إلى طلاقها، وجاء ضعف القصة في خاتمتها الوعظية التي جاءت على لسان صديق البطل، وهي بذلك لا تختلف عن نهايات القصص الإصلاحية في المرحلة الأولى.

وقد واصل الحبيب بناسي في عملية التأليف والإبداع؛ إذ نشر قصصه الحيوية الجميلة في تونس، بعد اختفاء البصائر، وتفرق قرائها وكتابها على الصحف الأخرى، ومنها الصحف التونسية أيام الثورة، فنشر بناسي ثلاث قصص في جريدة الزيتونة بتونس سنة 1957، ومنها "مأساة أسرة"، و"شهيد بلا قبر"، و"الدكتور الشهيد"، وكانت تشترك كلها في أنها ذات طابع سياسي؛ حيث صور فيها الكاتب بعض جوانب الوضع السياسي في الجزائر بعد اندلاع ثورة نوفمبر الخالدة في أول نوفمبر 1954.

خاتمة:

لم تكن الكتابة الأدبية والإبداع الفني في الجزائر حكرا على شريحة معينة من الأشخاص دون غيرهم؛ بل شهدت الساحة الأدبية والثقافية في تاريخ الجزائر أدباء وهم شهداء، صنعوا تاريخا بطوليا مجيدا مزيجا بين ثنائية الدم والقلم، فحملوا السلاح لتحرير وطنهم المفدى، وإلى جانب السلاح راحوا يدونون بيراعهم ومدادهم ما جادت به قرائحهم، رغم محاولة المستعمر الفرنسي تشديد الخناق عليهم، واظطهاد الثقافة الوطنية ومحاربتها بكل الوسائل الممكنة، وخاصة أنها تعتمد على اللغة العربية أداة للتعبير والتفكير، فأزمع على طمس معالمها وتدثير بنيتها، والتشكيك في كفاءتها، لكن الشعب الجزائري استطاع ان يتجاوز هذه المحنة التي فرضها عليه الاحتلال.

أسماء كثيرة لشهداء أدباء صنعوا تاريخ جزائرهم العظيم عظمة أبطاله، وخلدوا أسماءهم بأحرف من ذهب في تاريخ البشرية، ولعل الكاتب الأديب الحبيب "بناسي الحبيب" واحد من هؤلاء، الذين ثاروا في وجه المستعمر بالقلم والسلاح؛ فعُد رائدا من رواد الأدب الجزائري، مصنفا واحدا من أدباء جيل الثورة بكتاباته القصصية ومقالاته السردية، التي تحتسب إضافة للأدب العربي –عموما-والجزائري –خصوصا-

قائمة المصادروالمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول.
2. الحبيب بناسي، صرخة القلب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة 2، 1984.
3. شريبط احمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، (1947-1985)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، د،ط 1998 م.
4. عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، 1925-1967، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية 1982.
5. عبد الله خليفة الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، (ليبيا، تونس)، الطبعة الثالثة، 1978.
6. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د،ط، 1925 م،.
7. فائق مصطفى، في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للتوزيع والنشر، الموصل، العراق، الطبعة 1، الجزء 1، 1410-1989.
8. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1955.

الهوامش:

[1]: شريبط احمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، (1947-1985)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، د،ط 1998 م، ص 120.

[2]: عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د،ط، 1925 م، ص 185.

[3]: الحبيب بناسي، صرخة القلب، المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر، ط 2، 1984، ص 65.

[4]: عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، دار العرب للكتاب، تونس، ص 152.

[5]: محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1955.

[6]: فائق مصطفى، في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للتوزيع والنشر، الموصل، العراق، الطبعة 1، الجزء 1، 1410-1989.

[7]: شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947، 1985، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1998، ص 5.

[8]: شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 110.

[9]: أبو القاسم سعد الله، كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص 132.

[10]: عبد الله خليفة الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، (ليبيا، تونس)، الطبعة الثالثة، 1978، ص 26.

[11]: شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 110، 111

[12]: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، 1925-1967، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية 1982.

[13]: الحبيب بناسي، صرخة القلب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة 2، 1984، ص 139.

[14]: عبد الله خليفة الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 26.

الأديب الشهيد الشيخ العربي التبسي

The martyr writer Sheikh Al-Arabi Al-Tebsi

طالبة دكتوراه زغبيب سعاد

أ.د. هواوي نهيان

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي (الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية - جامعة الوادي

souadzagbibe@gmail.com

ملخص:

تعددت أشكال مقاومة الجزائريين للإستدمار الفرنسي وتنوعت أساليبهم فمنهم من صاوله بسلاحه ومنهم من دافعه بإصلاحه ومازالت جمعية العلماء راية في جحفل هؤلاء. ومن زمرة من استماتوا تحت عجاج تلكم الراية.

فهذا البحث يتحدث عن مسار حياة أديب شهيد وإحدى الشخصيات الجزائرية المجاهدة والثائرة والمصلحة في آن واحد، رائد من رواد الفكر الإصلاحي في الجزائر وعضو مؤسس لجمعية العلماء المسلمين ألا وهي شخصية الشيخ العربي التبسي: مجاهد القلم وشهيد السلاح الأديب الشهيد الذي لا قبر له تمت الاستعانة بالسيرة الذاتية للشيخ وبعض المقالات الصادرة عنه وبعض المراجع التي تناولت نشأته وجهاده، ونظهر أيضا سيرة وإبداع العلامة الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي وتكوينه العلمي منذ أن كان طالبا في جامع الزيتونة المعمور ثم جامعة الأزهر الشريف وحتى عودته للجزائر وبداية نشاطه فيها وتطبيق العلم الذي سعى إليه خارجها والتحاقه بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كعضو سنة 1931م ثم كاتب ثم نائب ثم كرئيس فعلي في غياب الرئيس الرسمي الشيخ البشير الابراهيمي وآخرها اختفاؤه وشهادته في سبيل الله ثم الجزائر يوم 04/رمضان/1377هـ-1957/04/04م.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، بطل الثورة، العربي التبسي.

Abstract:

There were many forms of the Algerians' resistance to the French colonialism and their methods varied. Some of them used their weapons and some of them motivated them to reform it، and the Association of Scholars is still a banner in the crowd of these. And from a group of those who died under the banner of that flag.

This research talks about the life path of a writer، a martyr، and one of the Algerian personalities who struggle، rebel، and interest at the same time. One of the pioneers of reformist thought in Algeria and a founding member of the Association of Muslim Scholars، which is the personality of Sheikh Al-Arabi Al-Tepsi: Mujahid Al-Qalam and the martyr of the weapon، the martyr who has no grave. The biography was used. The sheikh's biography، some articles issued by him، and some references that dealt with his upbringing and struggle. We also show the biography and creativity of the scholar Sheikh Al-Arabi Bin Belkacem Al-Tebsi and his scientific formation since he was a student at Al-Zaytouna Al-Ma'mur Mosque، then Al-Azhar Al-Sharif University، until his return to Algeria and the beginning of his activity there and the application of the knowledge he sought outside it، and his joining the Algerian Muslim Scholars Association as a member in 1931 AD، then a writer، then a deputy، then As an actual president in the absence of the official president، Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi، the last of which was his disappearance and his martyrdom for the sake of God، then Algeria on 04 / Ramadan / 1377 AH - 04/04/1957 AD.

key words: The Algerian revolution، the hero of the revolution، the Arab Tepsi.

مقدمة:

لقد كان احتلال فرنسا للجزائر شر خالص جاس خلال الديار، ولعل أنكى ما كان منه هو جعل هذه الأمة المسلمة. أمة اقرأ. أمة أمية الحرف، ترى ولدانها لا يستطيعون حيلة للتعليم، ولا يهتدون سبيلا إلى ذلك، لقد لبثت في هذا ومثل هذا مئة عام غير منقوصة حتى بلغ البلاء أشده واستوى، فكان للأدباء دور كبير في الثورة الجزائرية خاصة ومحاربة ظلم الاستعمار خاصة من كان

يتمتع بمكانة عالية وعلم وافر في كل المجالات كالشيخ العالم المصلح المجاهد العربي التبسي فما هي سيرته وأهم مقالاته وإبداعه في تاريخ الجزائر؟

1- المولد والنشأة:

هو التبسي الجزائري الزيتوني الأزهري السلفي المصلح الثائر والأديب الشهيد الملقب نفسه بالكوكب التبسي، وصاحب الامضاء، وهو العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات الجدري الملقب التبسي، وأمه هي السيدة آمنة بنت عبيد بن فرحات الجدري التبسي، اصوله الأسرية تنتمي إلى قبيلة النمامشة العريقة عشيرة الجدور، والنمامشة قبيلة أمازيغية كبيرة تمتد من مدينة خنشلة إلى شرق تبسة، حيث اختلف في تحديد تاريخ ميلاده فذكر محمد على دبوز أنه ولد في سنة 1895م[1]، أما احمد العيساوي فذكر انه ولد سنة 1881م حسب شهادة الميلاد المستخرجة من بلدة تبسة.[2] رغم أن عقد ازدياد الشيخ من بلدية العقلة، ينُص على أن ميلاده كان سنة 1888م، حسب ما ذكره مطروح العيد وهذا التاريخ نفسه ذكره شقيقه الأصغر الحفصي، الذي كان يقول أن والده لم يرد تسجيله في قوائم المواليد الرسمية الموجودة بالبلدية التي كانت تديرها إدارة فرنسية بدوار السطح كعادة سائر الجزائريين الناقمين على هيمنة الإدارة الاستعمارية خشية تجنيده الإجباري في الجيش الفرنسي.[3]

ولكن حسب شهادة الميلاد المستخرجة له بتاريخ 20/10/1927م والمسجلة تحت رقم239/1927م) فإنه ولد في الفاتح جويلية 1891م بقرية اسطح من أحواز بلدية العقلة دائرة الشريعة - الواقعة جنوب غرب مدينة تبسة –[4]، كان يعرف في سجلات الإدارة الفرنسية بلقب الجدري وفرحات واشتهر بلقب العربي التبسي وكان العربي وحيد والديه فلم ينجباه إلا بعد عقد من زواجهما.

ولما بلغ العربي قرابة الست سنوات توفي والده بلقاسم وهو في عقده الخامس، ليصبح العربي يتيما منذ طفولته، وسرعان ما تزوج عمه عمار من أرملة أخيه بلقاسم بحسب أعراف قبيلة النمامشة، فكان له نعم الأب العطوف الرحيم معوضا ابن اخيه حرمان عاطفة الأبوة الذي فقده ورزق العربي بعد زواج أمه بعمه عمار خمسة إخوة هم (الحفصي، البشير، بلقاسم،

الهادي، عبد المجيد)[5]، وقد كان من عائلة فلاحية فقيرة لكنها متدينة، فأبوه وجده من حفاظ كتاب الله ومدرسيه، عالمين بالدين واللغة العربية.

حفظ العربي القرآن الكريم على يد والده (ت 1320هـ/1903م)، والتحق سنة (1324هـ/1907م) بزاوية سيدي ناجي بالأوراس ومنها انتقل بتوصية من شيوخه فيها إلى زاوية مصطفى بن عزوز بنفطة سنة (1327هـ /1910م)، والتي كانت ذائعة الصيت، خاصة ان خريجيها كان بإمكانهم الالتحاق مباشرة بالزيتونة وبغيره وهو ما حدث للعربي، فبعدما اتم تكوينه بالزاوية في مختلف العلوم من فقه ومنطق واصول، وفنون اللغة العربية، والادب، وعلم الكلام....

التحق بعدها بالزيتونة سنة (1331هـ /1914م)، ونال شهادة الأهلية بعد بضع سنوات من الاجتهاد والمثابرة والتحصيل، ورحل إلى القاهرة في حدود سنة (1339هـ/ 1920م)، حيث انضم لطلبة الأزهر الشريف وحصل على شهادة العالمية، واستغل فرصة وجوده بمصر ليحضر حلقات العلم، ويزور المكتبات وذلك إلى غاية سنة 1347هـ/ 1927م حيث عاد فيها إلى تونس للحصول على شهادة التطويع المؤهلة لمباشرة مهنة التدريس.[6]

كان الشيخ التبسي أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البارزين، وقد تولى العديد من المهام فيها فهو كاتبها العام في منتصف الثلاثينات، ونائب رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي بعد وفاة ابن باديس، ولما تأسس معهد ابن باديس سنة 1947م كلف بإدارته، وعندما سافر البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي سنة 1952م أُسندت إليه رئاسة الجمعية بالنيابة، واستمر على ذلك إلى قيام الثورة واستشهاده سنة 1957م.

عُرف الشيخ العربي باتساع معارفه العلمية في علوم الشريعة الإسلامية وفنون اللغة العربية وآدابها، صاحب شجاعة في إبداء الرأي ومحاربة البدع وفي تصديه لخصوم الاصلاح من المستعمرين وأعوانهم كان متفانيا في خدمة أهداف جمعية العلماء، يشارك بقلمه ولسانه وجهده في تبليغ رسالتها العلمية والإصلاحية، كان مربيا فاضلا، وكاتبا قديراً، ومديراً ناجحاً، وقد شهد بفضله وكفاءته في العلم والعمل والإمامان ابن باديس والإبراهيمي.

وكان الشيخ التبسي عالما ملتزما بمقتضيات علمه في فكره وسلوكه، يسعى جاهداً لجعل هذا العلم واقعا ملموسا في حياة الناس وثقافتهم وسلوكهم، لا مجرد معلومات تملأ عقولهم دون أن تحدث أي أثر في واقعهم.

كان وطنيا صادقا، ثائراً بطبعه، يحارب الاستعمار ويعاديه إلى النهاية، ومما كان يوصي به مواطنيه قوله: "من عاش منكم فليعيش بعداوة فرنسا، ومن مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر"[7].

2- تكوينه العلمي:

نشأ - رحمه الله- في أحضان أسرة فلاحية فقيرة، في غاية الحفظ والصيانة، وكان أبواه في شدة الغرام بالعلم، فغرسا فيه حب العلم بوجدانهما وحديثهما وعملهما في طفولته الأولى، فنشأ محبا للعلم كأبويه.[8]

أما مسيرته في طلب العلم فهي تمتد لأكثر من 30 سنة متواصلة فقد تعلم على يد والده وأعمامه،(1895_1902) فقد كان والده إلى جانب عمله في الزراعة يتولى تحفيظ أولاد القرية القرآن الكريم في كتّابه.[9]

بدأ حياته العلمية على يد والده بعد أن بلغ السادسة من العمر، فتعلم القراءة والكتابة، وبدأ حفظ القرآن، وبعد وفاة والده بقي أربع سنوات بكتاب بلده يحفظ القرآن حتى بلغ الثانية عشرة من عمره، وفي سنة 1324هـ/1907م انتقل إلى زاوية سيدي ناجي الرحمانية بالخنقة جنوب شرق خنشلة، أين حفظ القرآن كاملا في ثلاث سنوات.

وبعد أن حفظ القرآن وكان قد بلغ الخامسة عشرة من عمره انتقل إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز بنفطة جنوب غرب تونس وذلك سنة 1327هـ/1910م، وكان من شيوخه فيها: الشيخ إبراهيم بن الحداد، والشيخ محمد بن أحمد، والشيخ التابعي بن الوادي، وفيها أتقن رسم القرآن وتجويده، وأخذ مبادئ النحو والصرف والفقه والتوحيد. وفي سنة 1331هـ/1914م التحق

بجامع الزيتونة بتونس العاصمة ليتم دراسته الثانوية، فنال شهادة الأهلية، واستعد لنيل شهادة التطويع لكنه لم يتقدم إلى الاختبار.

وبعد سبع سنوات من التعلم في الزيتونة رحل إلى القاهرة حوالي سنة 1339هـ/1920م، ومكث فيها يطلب العلم في حلقات جامع الأزهر ومكتباتها الغنية إلى سنة 1927م، وحاز على الشهادة العالمية.

وفي مصر وجهه علماء الأزهر إلى كتب أبي إسحاق الشاطبي، فدرس كتاب الموافقات وكتاب الاعتصام، وفهمهما فهما عميقا، وكان لهما أثر كبير في حياته العلمية ومسيرته الدعوية.

ثم عاد الشيخ -رحمه الله- إلى الجزائر عام 1347هـ/1927م؛ ليبدأ نشاطه الدعوي في مدينة تبسة التي أصبح ينسب إليها.[10]

3- عودته إلى للجزائرونشاطه بها:

قضى العربي حوالي سبعة عشر (17) سنة خارج الجزائر، وهبها لتحصيل العلم وتوسيع المدارك والتفقه في مختلف الفنون والعلوم لاسيما الشرعية منها، وكأنه ابتغى بناء قاعدة فكرية وروحية في نفسه، أولا من اجل مهمة شاقة ونبيلة يحققها لوطنه لاحقا، وهو ما حدث فعلا بعودته للجزائر سنة 1347هـ/1927م، حيث شرع في الوعظ والتدريس للكبار والصغار في مسجد صغير (ابن سعيد) بمسقط رأسه، ولما ضاق بالناس انتقل إلى مسجد المدينة (العتيق) الذي تشرف عليه الادارة الاستعمارية، فضايقته واوقفته فعاد ثانية إلى المسجد الأول.

واشتملت دروسه تلك على مختلف علوم الفقه والسيرة والتاريخ الاسلامي...إلخ، وجمع بين الحديث في امور الدين والدنيا، لكنه سرعان ما تعرض مرة اخرى للمضايقة من قبل اعداء الدعوة الاصلاحية من طرقيين، واعوان للإدارة الاستعمارية، خاصة لما كثر عدد المواظبين على حضور دروسه، والمتأثرين بأفكاره.

ولما ضاق به الحال عمل بنصيحة الشيخ ابن باديس له وانتقل إلى مدينة سيق بالغرب الجزائري ابتداء من سنة 1930م مديرا لإحدى مدارسها الابتدائية، ومدرسا بها، وكان له أكبر الأثر

في بث روح الإصلاح في تلك الجهة من الوطن، وكان قد انضم إلى مجموعة العلماء الرواد في إطار مساعي تكوين جمعية دينية إصلاحية.

وقد لفت الشيخ التبسي الأنظار إلى نشاطه الحثيث قبل وبعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كان له دور ومساعي في تأسيسها وكان نائبا لكاتبها العام وقد طلب إليه أهل تبسة بالرجوع إليهم فعاد سنة 1933م، وشرع في التحضير لافتتاح مدرسة {التهذيب} للبنين والبنات في السنة الموالية (1934م).

ولم يلبث الشيخ التبسي أن اختير لتقلد منصب الكاتب العام للجمعية خلفا للشيخ الأمين العمودي وذلك سنة 1935م، وتولى أيضا رئاسة لجنة الإفتاء نظراً لزاده الفقهي والعلمي، واستمر على ذلك إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وبعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1940م انتخب الشيخ التبسي نائباً للشيخ البشير الإبراهيمي وكانت له مساعي كبيرة باسم الجمعية داخل ائتلاف حركة احباب البيان والحرية (AML)، مما عرضه للسجن بتهمة التآمر مع الألمان ضد الدولة الفرنسية وسجن لمدة ستة اشهر، وتكرر اتهامه بالتحريض على تمرد في ماي 1945م فاعتقل ولم يفرج عنه إلا مع صدور قانون العفو في العام سنة 1946م.

عاد الشيخ بعد إطلاق سراحه إلى التدريس بالجامع الأخضر بقسنطينة، كما أنه تولى الإشراف على جمعية التربية والتعليم التابعة للجمعية، والتي تم نقل مقرها مؤقتا إلى تبسة، وبعد افتتاح معهد الشيخ ابن باديس سنة 1947م عين التبسي مديرا له، ومما قال في الكلمة الافتتاحية ما يلي: {{أيها الإخوان إن التعليم بوطنكم هذا في أمتكم هذه ميدان تضحية وجهاد، لا مسرح راحة ونعيم فلنكن جنود العلم في هذه السنة الأولى ولنسكن في المعهد كأبنائنا، ولنعش عيشهم، عيش الاغتراب عن الأهل فانسوا الأهل والعشيرة، ولا تزورهم إلا لماما، أنا اضيقكم ذرعا بالعيال وعدم وجود الكافي ومع ذلك فها أنا فاعل فاعلوا وها أنا ذا بادئ فاتبعوا}}.

وقد اعترض اهل تبسة على ذلك إلى أن خاطبهم الشيخ الإبراهيمي، وقال هذا الأخير عن ذلك {{أرضينا أهل تبسة الكرام الذين كانوا يعدون انتقال الأستاذ التبسي عنهم كبيرة يرتكبها من

يتسبب فيها، وإقناعهم بأن الشيخ العربي رجل أمة كاملة لا بلدة واحدة، ورجل الاعمال العظيمة لا الأعمال الصغيرة فاقتنعوا، وأمنا لهم مشاريعهم العلمية والدينية بإيجاد من يخلف الأستاذ فيها فرضوا مخلصين....}} (وبقي مديرا للمعهد حتى إغلاقه أواخر سنة 1956م من طرف الإدارة الاستعمارية).

ورغم أنه قد جمع مسؤوليات عدة في آن واحد ابتداءً من سنة 1952م حين تولى رئاسة الجمعية نيابة عن الشيخ الإبراهيمي الذي كان في المشرق فإنه استمر أيضا في متابعة شؤون التعليم بالعاصمة واشرف على جريدة " البصائر"، بالإضافة إلى ادارة المعهد الباديسي كما سبق وذلك إلى غاية اختطافه.[11]

4- موقفه من الثورة:

تجب الإشارة إلى استجابة الشيخ التبسي السريعة لنداء الثورة، وفي هذا الشأن تذكر المصادر حدوث اتصالات بينه وبين قادة الثورة لاسيما أنه شخصيا دعا إليها منذ امد بعيد، وقد دعا إلى تلبية نداء الجهاد الذي رفعه الثوار المجاهدون وقد رصد التبسي أحداث أول نوفمبر 1954م على لسان الجمعية في مقال {{حوادث الليلة الليلاء}} حيث كتب قائلا:

{فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة وقعت كلها ما بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من صبيحة الاثنين غرة نوفمبر وهو عيد ذكرى الأموات ولقد بلغ عدد تلك الحوادث ما يزيد عن الثلاثين ما بين الحدود التونسية وشرقي عمالة وهران، إلا أن عمالة قسنطينة وخاصة جهتها الجنوبية كانت صاحبة المقام الأول فيها، وكادت تتركز الحوادث في جهات جبال أوراس في خط يسير من باتنة إلى خنشلة ثم يشمل الجنوب.. إننا لحد هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث وأسبابها وليس بين أيدينا إلا ما تناقلته الصحف وشركات الأخبار. فلا نستطيع أن نعلق عليها أدنى تعليق إلى أن تتبين لنا طريق الصواب، فليس من شأن {{البصائر}} أن تتسرع في مثل هذه المواطن.. لكننا من جهة أخرى رأينا أنه لا يمكن أن يخلو هذا العدد من جريدتنا من ذكر هذه الحوادث التي تناقلت صحف العالم بأسره تفاصيلها فقررنا الاكتفاء بذكر أهمها، ولسوف نتتبع ذلك بغاية الدقة والاهتمام..} وفعلا تابع الشيخ التبسي

باهتمام مستجدات الساحة السياسية بالجزائر، وكتب في نهاية نوفمبر 1954م ما يلي: ((ما هذا أيها القوم؟، أن الساعة ساعة جد وليست ساعة هزل، إنني لا أدافع عن مذياع القاهرة، ولا عن مذياع واشنطن، لكنني أقول وأؤكد أنه لا يوجد مذياع في الدنيا بلغت قوته ما بلغت أن يحدث حركة انتفاض في أي أمة من الأمم وفي أي بقعة من بقاع الأرض، فإذا ما أردت أن تعرف سبب وقوع الحوادث ففتش عن تلك الأسباب بكل دقة، وبكل حكمة، وبكل نزاهة فوق أديم الأرض التي وقعت عليها، وبين ما تنطوي عليه جوانح أهلها من آلام الحرمان والبؤس)).

وكتب مقالا بعنوان {{كتاب الأدغال}} نشر على صفحات {{البصائر}} بتاريخ 18 فيفري 1955م، مما قال فيه: "وتململوا وتحركوا، ودبت فيهم روح الحياة الحرة الجامحة التي تحطم كل معترض مهما كان قويا عاتيا، وتقدموا إلى الأمام يخوضون معركة الحياة وقد حملوا أرواحهم فوق أيديهم فيزحفون إلى الأمام، ولا يتقهقرون أبدا إلى الخلف، وقد علموا أن الحياة لا عزة ولا شرف، ولا علم فيها ولا عمل، ولا حكم فيها ولبنيها، ولا سلطان فيها لذويها، إنما هي حياة خسة ومذلة أفضل منها الموت العزيز والفناء الشريف"[12].

5- الكتابة والتأليف والخطابات:

كتب الكثير من المقالات في الصحف، خاصة صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العديد منها حماسية منها:

- هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فانقذوها.
- ألا أيها النوام هبُّوا.
- الجزائر تصنع بك أيها الجزائري أينما كنت.
- دعوة الى تحرير الوطن ونبذ الاستعمار.

وكمثال على ذلك نورد ما يلي:

سنة 1954 رحل إلى البقاع المقدسة رفقة صديقه الشهيد أحمد بوشمال العضو الإداري في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعد العودة عُقِدَ اجتماع أعيد فيه انتخاب الهيئة الإدارية لجمعية العلماء يوم 23 جمادى الاول 1375هـ الموافق لـ7جانفي 1956م وألقى فيه الشيخ التبسي خطاباً هاماً، وصدر بلاغ رسمي جاء فيه ما يلي:

"...ويعلن بكل صراحة أنَّ النظام الاستعماري المفروض بقوة السلاح على القطر الجزائري منذ 1830 هو المسؤول الوحيد عن كل المآسي والمصائب والويلات التي وقعت في القطر الجزائري، وذلك بما أحدثه فيه من ميز عنصري مخضل، وما سلكه فيه من سياسة التفقير والتجهيل والحرمان من كل نعم الحياة بالنسبة للعنصر الإسلامي، وما حارب به الدين الإسلامي في أقدس مقدساته، وما أجهز على التعليم العربي القرآني في كل جهة من جهاته...وما تعمده من محق جنسية الأمة الجزائرية، ومحاولة ابتلاعها، ومحو كل مظهر من مظاهر سيادتها.

"ويترحم على الشهداء الأبرار الذين ذهبوا ضحية القمع الأعمى الفظيع، ويدعو الأمة للقيام بواجبها نَحو أبنائهم وعائلتهم، وكفالتهم كفالة يوجبها الإسلام، وتفرضها المروءة والشرف".[13]

وفي مجال البدع فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

ففي كتاب بدعة الطرائق في الإسلام هناك أيضا مقالات منيرة وصفحات أنيقة، للشيخ المصلح العربي التبسي- أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المبرزين- أبطل فيها ثلاثا من أهم بدع الطرقية وهي:

- بدعة تحديد الأذكار.
- بدعة إعطاء العهود للأتباع.
- وبدعة التصدي للدعوات.

وقد أجاد الشيخ في طريق استدلاله على بدعة الطرائق في الإسلام، وأبان بالبراهين الواضحة منافاتها لما كان عليه هدي السلف الصالح. وهذه المقالات (ثلاث) نشرت في مجلة

الشهاب الجزائرية، التي أنشأها رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله (مج 4 عدد 166، 168 و169 سنة 1347هـ 9281م)، فما كان من كاتب هذه السطور إلا جمع ما تناسب وافترق في هذه الرسالة لتكون في متناول العام والخاص.

ثم إني بعد جمعي لهذه المقالات وقفت على مقالة للشيخ بعنوان ((إن كنت حاملا فلدي غلاما)) نشرتها مجلة الشهاب في عددين (مج 4 عدد 177 و178 سنة1347هـ/92م) رد فيها على المدعو (ناصر معروف) أحد أنصار الطرقيين الذي كتب مجموعة من المقالات في جريدة البلاغ رد فيها بزعمه على مقالات الشيخ التبسي ((بدعة الطرائق في الإسلام)). ولقد ألحقت هذه المقالة بالمقالات الثلاث تتميما للفائدة.[14]

وعلى العموم نجده كتب على صفحات مجلة {{الشهاب}} في الفترة ما بين سنتي 1962و1933م وبلغت مقالاته بها 15 وكتب في جريدة {{النجاح}} وفي {{البصائر}}.

وقيل أنه من أصدر جريدة {{السنة النبوية}} التي صدرت في الثلاثينات باسم الجمعية والتي سرعان ما عطلت بسبب هجومها الشفوي على أهل الطرقية الضالين وأعوانهم.[15]

أما بالنسبة للكتابات الثورية عند الشيخ العربي التبسي التي هي نوع من الجهاد يتماشى مع ظروف العصر وتطوراته لنشر الوعي القومي. فالمتتبع لهذه الكتابات يجد روح الثورية متجذرة من خلال الدعوة إلى الجهاد وتحرير البلاد بتهيئة البيئة الخصبة للعمل الثوري عن طريق نشر الأفكار الثورية في كتاباته التي عالج فيها عدة قضايا وتجارب لمعاناة يومية يعيشها الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار وتطلعه لاسترجاع الكرامة والحرية المغتصبة التي لا سبيل لانتزاعها إلا بالقوة السلاح والجهاد، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة. كما ترك لنا مجموعة من المقالات الثورية المتنوعة في أطروحاتها يجمعها قاسم مشترك واحد هو الدفاع عن الإسلام والدود عن حمى البلاد وصون كرامة العباد.[16]

6- استشهاده:

أمام هذه الصلابة التي أبداها الشيخ التبسي أمام المستعمرين، وإدراكا منهم لخطورة بقاء

مثل هذه الشخصية العلمية البارزة إلى جانب الثورة، رأوا أنه من الضروري التخلص منه، لكن كيف؟ إن اعتقال الشيخ او قتله علنا سوف يزيد من حماس الشعب للجهاد وحقده على المستعمر لذلك كان من مكرهم أن عهدوا إلى منظمة "اليد الحمراء" باختطافه واغتياله، وهذه المنظمة الإجرامية التي تضم غلاة الكولون صنعتها المخابرات الاستعمارية لتنفيذ جرائمها ضد الجزائريين عامة والمثقفين منهم بالخصوص، ثم استبعاد أية تهمة عن السلطات الفرنسية، ومحاولة إلصاقها بالمجاهدين لزرع الشكوك وإثارة الغموض وتشويه صورة الثورة لدى الشعب!.

روى الشيخ عبد اللطيف سلطاني، أمين مركز جمعية العلماء، أنه قبل حادث الاختطاف بخمسة أيام وصلت الشيخ التبسي رسالة إنذار إلى مركز الجمعية عن طريق بريد (الجزائر المحطة) جاء فيها: {{إلى الشيخ العربي التبسي، نطلب منك أن تخرج من الجزائر حينا قبل أن يفوت الوقت}} وهذه ربما نصيحة من أحد المطلعين على المكيدة المدبرة والمشفقين على الشيخ، عرف تدبيرة المكيدة فحاول أن ينصحه بهذه الرسالة، كما يمكن أن تكون محاولة أخيرة من المخابرات الاستعمارية لدفع الشيخ التبسي إلى مغادرة البلاد لتتفادى تداعيات تصفيته بالطريقة المدبرة، ومهما يكن مصدر هذا الإنذار، فإن الشيخ العربي التبسي اختار البقاء ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.[17]

في مساء يوم الخميس، وليلة الجمعة 4 أفريل 1957اقتحم الجنود الفرنسيون (أو جنود تلك العصابة السرية) منزل الشيخ بمدرسة حي بلكور وانتزعوه من فراش مرضه انتزاعا، وعومل بغلظة وفظاعة، وأهين أمام أعين ابنه الكبير، فقد بعثروا كتبه، وداسوا بأقدامهم مصاحفه، وحجزوا محفظته بما احتوته من مستندات وأموال قد تكون له أو للجمعية، ثم اخرجوه حافي القدمين، حاسر الرأس، في ثياب النوم (لا يكاد يستر جسده شيء)، ولم يراعو فيه مكانته الدينية العالية، ولا سنه المتقدمة، ولا حالته الصحية المتدهورة، واقتادوه الى مصير مجهول، واغتالوه في مكان ما بعد ما أيام من التعذيب، وأخفوا جثته فلم يُعرف له قبر إلى الآن.[18]

أما طريقة إعدام الشيخ رحمه الله فإن الحقيقة التي توصل إليها المؤرخ أحمد عيساوي نقلا عن أحد مجاهدي وقيادي المنطقة الخامسة والسادسة، الذي روي له قصة اختطاف الشيخ نقلا

عن صديقه إبراهيم الجوادي البوسعادي الذي تعرف عليه بعد الاستقلال في الأكاديمية العسكرية بشرشال، حيث كان لصديقه إبراهيم صديق أيام الثورة التحررية ومن قبلها كان صديقه في جيش الاستعمار الفرنسي في فرقة القبعات الحمراء وعن خلفيات إلتحاقهما بالثورة التحريرية يقول السيد أحمد إبراهيم: "لقد كنت أنا وصديقي القبائلي ليلا في حي بلكور بقيادة السفاح "ريمون لاغايارد Larayard Raymoune" وكنت أنا وصديقي في تعداد فرقة الجيش الذين راقبوا العملية، واستمروا يشاهدون ما حدث للشيخ العربي التبسي، حيث بقي نزيلا في سجن القبعات الحمر بالعاصمة طيلة أربعة أيام من غير طعام ولا شراب ولا لباس وقد تكفل بتعذيبه جنود السنيغاليين، والشيخ بين أيديهم صابر لا يتكلم، حتى نفد صبر ريمون منه، وبعد عدة أيام من التعذيب جاء يوم الشهادة حيث أعدت للشيخ التبسي طنجرة كبيرة مليئة بزيت السيارات والشاحنات العسكرية وأوقدت النيران من تحتها حتى درجة الغليان. ثم طلب ريمون من الجنود السنيغاليين حمل الشيخ وهو عاري الجسد وأوثقوا يداه ورجلاه ثم رفعوه فوق الطنجرة وطلبوا منه الاعتراف وقبول التفاوض وتهدئة الثوار والشعب لكن الشيخ ظل يردد بهدوء الشهادة فخابت مساعيهم في انتزاع منه الاعتراف، ثم وضع وهو معلق من رجليه داخل الطنجرة فأُغمي عليه فأُنزل شيئا فشيئا إلى أن أُدخل بكامل جسده الطاهر، فأحترق وتبخر إلى أن تلاشى رحمه الله، وذلك اليوم كان على وجه التحديد بين 11-12أفريل1957 وهو اليوم الذي قرر فيه الالتحاق بصفوف الثورة الجزائرية.

وينطبق استشهاده بقوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾، (سورة الأحزاب: الآية23) .

وأيضا في نفس السياق كان قد سجل المجاهد محمد زروال شهادة أسندها إلى المجاهد "أحمد الزمولي"، عن أحد الجزائريين كان يعمل في الجيش الفرنسي، قال هذا الأخير {{كنت حاضراً عندما رجال العدو صهريجا كبيرا وضعوا فيه مادة الزيت، ثم أشعلوا النار في تلك المادة، ثم تضافرت جهود أربعة من أفراد العدو على الشيخ العربي التبسي فحملوه بين أحضانهم ورموه في ذلك الصهريج، قال الراوي: "وقد رأيت كيف تطاير شعر رأس الشيخ من شدة لهب النار وألسنتها المتطايرة في عنان السماء، قبل أن يسقطه أولئك الأربعة في قعر الصهريج...}}.[19]

- وقد حاولت السلطات الفرنسية التنصل من هذه الجريمة الشنعاء، فزعمت أن الذين اختطفوه هم "الارهابيون" أي رجال جيش التحرير وجمعية العلماء كذبت هذا التضليل، وأعلنت للرأي العام العالمي أن فرنسا هي التي قامت بهذا الفعل الشنيع.

وظل مصيره مجهولا، وقبره غير معروف إلى أن اتضح مؤخراً من بعض الشهادات التي قد تكون صحيحة أنه مدفون في "عين ذهب"، ولاية تيارت.

الخاتمة:

إن الأديب الشهيد الشيخ العربي التبسي وسماته الوطنية ومساره العلمي وإبداعه في تاريخ وعهد الثورة الجزائرية والجزائر يكمن أنه من ابرز من ناضلوا عن عروبة الجزائر ودعوا إلى تحررها وتقدمها وفي نطاق الحضارة العربية الإسلامية فهو العضو الفعال بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد كان فيها شيخ ليس كبقية الشيوخ وعالم ليس كسائر العلماء، شيخ شغل الناس بسيرة موته . على أنهم مع العتب لم يشغلوا بسيرة حياته ،. إنه الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي الجزائري، الذي كانت له البصمة الظاهرة والوصمة الباهرة في ديوان الجمعية تعليما وتأديبا وإدارة وتوجيه.

قائمة المصادروالمراجع:

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2. أحمد شنتي وعبد الرؤف عاشور، البعد التربوي في فكر الشيخ العربي التبسي من خلال آثاره ومواقفه، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة تبسة، المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022.
3. أحمد محمود عيساوي، البعد العالمي لشخصية الشيخ العربي التبسي 18911957م/1308-1377هـ، مجلة المنهل، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1 العدد (02) - السنة (01) - ديسمبر 2015.

4. الحاج بوشعيب، علم الكلام والفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي ومساهمته في صناعة البعد الحضاري في المجتمع الجزائري، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة عين تموشنت المجلد 06 عدد خاص2022.
5. بشير سعدوني، الشيخ "العربي التبسي" والقضية الوطنية الجزائرية، مجلة الدراسات الإسلامية جامعة الجزائر2، قسم التاريخ –العدد الثامن – جانفي 2017.
6. دويدة نفيسة، شخصية العربي التبسي قراءة في التنشئة والمسار(1891-1957م)، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، قضايا تاريخية العدد01-1437هـ2016م.
7. سعيد بورنان، الشيخ العربي التبسي والثورة الجزائرية، مجلة الإحياء، جامعة تيزي وزو المجلد: 20، العدد: 27، نوفمبر2020.
8. محمد بن إبراهيم السعيدي الشيخ العربي التبسي العالم المصلح المجاهد، إعداد مركز سلف للبحوث والدراسات 2018، أعلام السلفية 10.
9. محمد شايب شريف، بدعة الطّرائق في الإسلام للشيخ المصلح العربي التبسي ((عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين))، الجزائر، من سنة 1424هـ، صف ونشر الكتاب أبو عمر الدوسري.

الهوامش:

[1] دويدة نفيسة، شخصية العربي التبسي قراءة في التنشئة والمسار(1891-1957م)، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، قضايا تاريخية العدد01-1437هـ2016م، ص99.

[2] أحمد محمود عيساوي، البعد العالمي لشخصية الشيخ العربي التبسي 1891-1957م/1308-1377هـ، مجلة المنهل، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1 العدد(02)- السنة (01)- ديسمبر 2015، ص08.

[3] الحاج بوشعيب، علم الكلام والفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي ومساهمته في صناعة البعد الحضاري في المجتمع الجزائري، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة عين تموشنت المجلد 06 عدد خاص2022، ص528.

[4] دويدة نفيسة، مرجع سابق، ص99.

[5] أحمد محمود عيساوي، مرجع سابق، ص08.

[6] دويدة نفيسة، مرجع سابق، ص99.

[7] سعيد بورنان، الشيخ العربي التبسي والثورة الجزائرية، مجلة الإحياء، جامعة تيزي وزو المجلد: 20، العدد: 27، نوفمبر2020، ص647-648.

[8] محمد بن إبراهيم السعيدي الشيخ العربي التبسي العالم المصلح المجاهد، إعداد مركز سلف للبحوث والدراسات 2018، أعلام السلفية 10، ص02.

[9] أحمد شنتي وعبد الرؤف عاشور، البعد التربوي في فكر الشيخ العربي التبسي من خلال آثاره ومواقفه، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة تبسة، المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022، ص 765.

[10] محمد بن إبراهيم السعيدي، مرجع سابق، ص02-03.

[11] دويدة نفيسة، مرجع سابق، ص100، 101.

[12] دويدة نفيسة، مرجع نفسه، ص101-102.

[13] بشير سعدوني، الشيخ "العربي التبسي" والقضية الوطنية الجزائرية، مجلة الدراسات الإسلامية جامعة الجزائر2، قسم التاريخ –العدد الثامن – جانفي 2017، ص427.

[14] محمد شايب شريف، بدعة الطّرائق في الإسلام للشيخ المصلح العربي التبسي ((عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين))، الجزائر، من سنة 1424هـ، صف ونشر الكتاب أبو عمر الدوسري، ص03.

[15] دويدة نفيسة، مرجع سابق، ص102-103.

[16] الحاج بوشعيب، مرجع سابق، ص531.

[17] سعيد بورنان، مرجع سابق، ص660-661.

[18] بشير سعدوني، مرجع سابق، ص 43.

[19] سعيد بورنان، مرجع سابق، ص661.

منسوب الحنين وثورة الأهواء قراءة في قصيدة "حب وحنين" ضمن سيمياء الأهواء للشاعر الشهيد الربيع بوشامة

Mansubalhaninwathawratal'ahwa' qira'at fi qasida "hubinwahanin" dimnsiamya' al'ahwa' lilshaaeiralshahidrabiebushama

الأستاذة/ نزيهة زهواني

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي(الجزائر)

مخبر الدراسات النقدية، جامعة الوادي.

nahlladoga@gmail.com

ملخص:

إن الحرب ظاهرة إنسانية طبيعية لكنها تتسم بالعنف والتدمير، كما أنها تؤدي إلى معاناة الانسان في كل مكان، ولأن الشعر يعبر عن مشاعر الانسان في مختلف الظروف فإنه يعكس أيضا مشاعر الحنين إلى الماضي الجميل ولحظات السلام في زمن الحرب . ووفقا لسيمياء الأهواء فإن الحنين عاطفة تنشأ من الشعور بالفقد والغياب والتباعد، وتتميز برغبة الانسان في العودة للماضي . وفي الحرب يكون الحنين إلى الماضي أكثر حدة بسبب الشعور بالفقدان الذي يسببه الموت والدمار . تصف القصيدة رموز الحنين والحب بشكل عميق والعواطف والأحاسيس التي يعيشها الشاعر إبان الثورة التحريرية المظفرة، فتنقل القارئ إلى عالم الذكريات والأحاسيس المتجددة .

الكلمات المفتاحية : الحنين – سيمياء الأهواء – الغياب – العواطف.

summary:

War is a natural human phenomenon, but it is characterized by violence and destruction, and it leads to human suffering everywhere. Because poetry expresses human feelings in various circumstances, it also reflects feelings of nostalgia for the beautiful past and moments of peace in times of war. According to the semiotics of desires, nostalgia is an emotion that arises from a feeling of loss, absence, and distance, and is characterized

by a person's desire to return to the past. In war, nostalgia for the past is more intense because of the feeling of loss caused by death and destruction. The poem describes the symbols of nostalgia and love in a profound way and the emotions and feelings that the poet experiences during the victorious liberation revolution, transporting the reader to the world of renewed memories and feelings.

key words: nostalgia – semiotics – absence – emotions**.**

مقدمة:

لقد وقع العالمان الفرنسيان ألجيرداس غريماس ALGIRDAS JULIEN GREIMASوجاك فونتن ,JACQUEs FONTANILLE في أواخر القرن العشرين سيمياء الأهواء الذي يعد أهم المناهج النقدية المعاصرة من خلال الكتاب الذي أصدراه سنه 1991 بعنوان " سيميائيات الاهواء "، وتستند سيمياء الأهواء إلى فكرة أن الخطاب الأدبي يعبر عن المشاعر والأحاسيس الانسانية، وأن هذه المشاعر والأحاسيس هي التي تحدد مسار الخطاب وتطوره، وبمعنى آخر الاهتمام بالمشاعر الجسدية والأهواء الذاتية بعد أن كان التعامل سابقا مع سيميائية الفعل والعمل؛ فظاهرة الهوى مألوفة تنتمي إلى المعيش اليومي، كما يمكن أن تتجسد في صفات يتداولها الناس ويصفون بعضهم بعضا، استنادا إلى ممكناتها في الدلالة، وفي التوقع الانفعالي كالبخل والغيرة والحسد وغيرها، كما أن الهوى جزء من كينونة الانسان وأحكامه وتصنيفاته . والنص موضوع الدراسة يعكس حالة شعورية تتأسس على الشوق الذي يشكل حالة من الهوى أو الأزمة الإستهوائية ؛ هذا الشوق والحنين الذي تولد عن طريق الفراق والتباعد لأسباب عدة مما يرشح سيمياء العواطف على قدرتها في البوح عن الدلالات الكامنة في النص وتبيان الأبعاد الايحائية فيه، " مما يمثل حالة من التطور في الدراسات السيميائية التي لا تقف عند دوسوسير، وبيرس، وموريسا، وإمبرتو إيكو، إنما أرادت أن يعتمد إلى معاينة العواطف والانفعالات من منظور مغاير لمنطوقات علم النفس لأن سيمياء الأهواء ترتكز على الحالة العاطفية التي تعبر عنها الذات المبدعة (موسى، 2018)

وقد سيطر هوى الحنين على ذات الشاعر في قصيدة حب وحنين، فكان له الأثر البالغ في انتاج الخطاب، وجاءت القصيدة شحنة عاطفية واحدة تشبعت بها الذات تحت تأثير الاستهواء .

سأحاول في هذا المقال الكشف عن أثار هوى الحنين ذلك من خلال الكشف عن تجليه في الخطاب، وكيف تشكل في الذات قبل التجلي؟ وما الذي ساعده على التشكل؟

سيمياء الاهواء:

إن السيمياء علم يدرس العلامات وما تتضمنه من شفرات وأنظمة خطابية، والموضوع الرئيسي للسيميائيات بكل اتجاهاتها هو العلامة بكل تمظهراتها وتجلياتها، وتُعرَّف بأنها العلم الذي يدرس الإشارات أو العلامات، وتُعَرَّفُ بأنها " دراسة العلامات وكل ما يُحيل عليها : عملها وعلاقاتها مع العلامات الأخرى، وإنتاجها وتلقي المستعملين لها." (عياشي، 2004، صفحة 38) فالعلامة هي الموضوع الأساسي الذي تتمركز حوله السيميائيات.

وسيمياء الأهواء هي امتداد للسيميائيات العامة، حيث اعتمدت على البعد المعرفي والمبادئ العامة لها، والبناء النظري الخاص بالأهواء يستمد مبادئه ومفاهيمه وتصنيفاته الأساسية من " السيميائيات الكلاسيكيه" (فونتني، 2010) على حد تعبير فونتني ؛ غير أن "الأساسي عند غريماس في دراسة الهوى ليس هو التعرف على العلاقات الدالة على الأهواء، بل الاهتمام بآثارها المعنوية كما تتحقق في الخطاب ." فهي ترى في الهوى عنصرا فاعلا ضمن عناصر أخرى تنتج الفعل، والهوى عنصر أساسي في إنتاج الفعل، " وإذا كانت سيميائية الفعل تهتم بالفعل في علاقته بالموضوع، فإن سيميائية الأهواء تهتم بالحالة النفسية أو الذات الانفعالية في علاقتها بالموضوع أو الأشياء(غير أنها)... لا تهتم بالهواء في نفسه ولكن بآثاره في المعنى كونه ينتج معاني مشفرة ومتمظهرة في النصوص ."(الملجمي، 2016)

والاستهواء La phorie هو الباب الذي تلج منه سيمياء الأهواء في تحليل النصوص وهو " المادة التي تُشكَّلُ منها الأهواء فبدون هذا الاستهواء لا يمكن الحديث عن أهواء "(الأحمر) . إذ هو تلك الرغبة الداخلية للانفعال، أو استعداد الذات للقيام بفعل الهواء .

كما تُعنى بالتوتير protensivite الذي هو تلك القصدية في التوجه نحو الرغبة أي استهداف تلك الرغبة والسير بها الى التحقق " إنه استهداف للكتلة الانفعالية، والدفع بها إلى

التجسد في حقل التوتيرات المرئية... والتوتير هو الممر الضروري لولادة التكييفات (أرغب في/ أستطيع / أعرف ...) وهي الصيغ الأساسية التي تحدد علاقة الذات بعالمها."(أجرعام، 2015)

وتُعنى أيضا بالمصير؛ الذي هو حاصل التوتيرات نتيجة الانشطار الاستهوائي، مما يمهد الطريق إلى بروز الدلالة أي الانتقال من حالة إلى أخرى . والنظير الذي هو تلك المحددات الفعلية التي تفرض على الموضوع؛ أي القيمة التي تمنح في حاله الهواء إلى الموضوع، وبمعنى آخر فإن " التوتير الاستهوائي الذي يدفع إلى تصنيع الذاتي وربطها بالموضوع، فالتوتير يولد الاستهواء، والاستهواء يولد الانفعال، الذي يقف وراء الكفاءة الذاتية، وهو ما ينتج عنه عناصر عاملية أو فعل تلفظي خطابي كما هو موضح في الشكل الآتي :

توتر ← استهواء ← هوى ← كفاية ذاتية ← فعل "(الملجمي، 2016)

هذا المخطط يوضح كيفية تشكل الهوى في الخطاب .

وعلى حد قول فونتني " هكذا أصبحت الغيرة والحسد والتحدي والبخل والاستفزاز والحب وكل الطاقات الانفعالية المصنفة ثقافيا واجتماعيا ضمن الأهواء موضوعا من موضوعات السيميائيات، وقابلا للدراسة من منظور الخطاطة نفسها ."(بنكراد، 2012/ 1433)

من خلال ما سبق نعي أن سيمياء الأهواء تركز على المشاعر والأحاسيس الانسانية التي هي من أهم الجوانب التي تحدد قيمة العمل الأدبي، كما تعد من المناهج النقدية الشاملة التطبيق لأنها أضافت بعدا جديدا للدراسة النقدية للأدب، بحيث تساهم في الكشف عن الجوانب العاطفية للخطاب الأدبي .

والحنين وفقا لسيمياء الأهواء هو عاطفة تنشأ من الشعور بالفقد والغياب، وتتميز برغبة الانسان في العودة إلى الماضي، حيث يكون الحنين الى الماضي في زمن الحرب أكثر حدة بسبب الشعور بالفقدان الذي سببه الموت والدمار وحتى السجن والتعذيب ... ويمكن ملاحظة تجليات الحنين في زمن الحرب وأيام الثورة التحريرية من خلال القصيدة التي جادت بها قريحة الشاعر الربيع بوشامه في زمن محفوف بالدمار والفقد والفواجع المتتالية، والتي تعكس مشاعر الشوق إلى

الزوجة والأهل والأصدقاء، والرغبة في العودة إلى الحياة الطبيعية، أو بالأحرى الحنين والتوق إلى الحرية.

إن البحث عن العواطف في النص لم يعد بالأمر الهين كما كان معروفا سابقا، " فالأمر يتجاوز هذا النوع من الملاحظات إلى مقاربات أكثر عمقا فالمقاربة التي تتغيَّ الاشتغال على سيمياء العواطف تجسد أبعادا قارة في أعماق النص "(موسى، 2018، صفحة 328) لأن التركيز على الأهواء والعواطف والأحاسيس كونها خاصية من خصائص الذات لا بد أن " تفضي إلى شيء ما وبناء على هذا فإن ما يتم التركيز عليه في تعاطي الأهواء هو الاهتمام بآثارها المعنوية كما يتجلى في الخطاب، لا التعرف على العلامات الدالة عليها " (فونتني، 2010، صفحة 10) وهذا ما سأحاول التحدث فيه.

يستهل الربيع خطابه بالمساءلة والمناجاة بقوله :

زوجتي كيف أنتم والقرابة يا حبيبا أفدي بعمري شبابه

(بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بشامة، 1994)

حيث تتلبس الشاعر حالة قلق ناتجة عن عاطفة البعد أو الفقد والغياب ... التي تنشأ من الشعور بالألم والمعاناة وعدم الاستقرار التي سببتها الحرب، وهو هنا يعبر عن هذه العاطفة من خلال مساءلته ووصفه لزوجته، فقد قدم الشاعر السؤال لأنه ناتج عن قلقه وتوتره المولد لشحنة الحنين والاشتياق.

هوى الحنين :

حنين ← يرجع إلى المدونة الهاوية

شعور داخلي يتجه نحو المحبوب ← اتصال

فالفائض العاطفي الذي تشعر به ذات الشاعر أذكى رغبتها في البوح بهذا الشوق، ومن خلال القصيدة فقد تجلى الحنين في علامات تشي بدلالات تتجسد من خلالها الحالة النفسية

للذات وهي :(غبت عنكم، لست أعلم مسرة أو كآبة/ خافق مشوق/ يوالي اضطرابه/ يخشى يقاسي/ تفكر فيكم /تطير عنه صوابه... . إن الرجل الذي يخط هذه الأبيات هو ثوري متنكر عن قبضة العدو، الذي أجبره أن يترك خلفه زوجة وأطفالا لا يهتم بهم أحد حيث؛ أن العدو قد ركز اهتمامه وتتبع تحركاته لاتصاله بالجيش " فظهر اسمه في إحدى الجرائد الاستعمارية عند أواخر شهر مارس 1957. لقد نشرت الصحافة الاستعمارية رسالة عثرت عليها عند أحد الفدائيين ولحسن الحظ لم يكن الاسم صحيحا في جزئيه، فبدلا من بوشامة الربيع كتب بوشامه طالب ومع ذلك فقد اتخذ احتياطاته بالرغم من كونه خَمَرته فكرة عدم تمكن السلطات الفرنسية من الاهتداء اليه لأن اسم بوشامة منتشر بكثرة في البلاد ."(بوشامة، ديوان)

كان الشاعر متنكرا بهويته المهنية كمفتش لمدارس جمعيه العلماء المسلمين وقد اتفق وزوجته على مراسلتها واعطائها العنوان الذي ستراسله عليه لتخبره بمن سأل عنه وقد اتفقا على "استخدام كلمات كوديه بهذا الشأن" (بوشامة، ديوان، صفحة 20) وفي هذه الظروف ولدت قصيدة حب وحنين.

يقول:

غبت عنكم ولست أعلم ماذا نالكم من مسرة أوكآبة

إن قلبي لخافق ومشوق لنجواكم دائما يوالي اضطرابه

وهو يخشى من كل شيء عليكم ويقاسي في حاله كل صبابه

ويرى كلما تفكر فيكم بدوات تطير عنه صوابه

ولعل الأقدار تحنو عليكم وتريكم خيرا وحسن إجابة.(بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بشامة، 1994، صفحة 210)

إن الحنين الحاضر في هذه الأبيات ما هو الا نقيض للتلاقي الذي ولده التباعد، ومما عمق هذا الشعور استحضار الشاعر علامات مقرونة بحاله وهي خفقان القلب، وشوقه لنجواهم، فهو دائم خائف مضطرب مشغول البال ؛ وهذا الاضطراب بدوره يرمي بذات الشاعر لفتح صندوق

الثقافة الروحية في الوقت ذاته، حيث تتناجى الأرواح وتتحدث شيفرات الكتابة لتكون هذه الشيفرات بدورها من يزيل غيمة الكآبة ولو لثوانٍ وتبعث الحياة في ذات الشاعر كما يهوى، حيث تتداخل الرومانسية مع المأساة بين ثنايا الكتابة؛" وقد يتصور الشاعر نفسه .. سطرا في كتابه ليمثل أقصى درجة للجسدية المتحولة إلى كتابية خالصة، تتجاوز الكتابة المادية إلى رغبة الشاعر في أن يقرأه الآخر بوصفه كتابة متخيلة، تنوب عنها كتابته في شعره ؛ كما قال ابن تمام :

كتبت ولو قدرت جوى وشوقا إليك لكنت سطرا في كتابي

فوعي الشاعر الكتابي يأتي ... [في ثنايا] ليُحيل القصيدة إلى رسالة واعية بذات كاتبها أو إلى ذات واعية برسالتها." (البنأ، 2003، صفحة 237)

إن هذا القلق وتوالي الاضطراب أصبح علامة تتلاطم بها ذات الشاعر وتهتز بعنف فيتشكل التوتير عبر انتقاء مفردات تترجم الشحن الإستهوائية المولدة للحنين، ذلك أن هذا الحنين متولد من الهم والقلق والفراق.. مما يؤدي الى كدر الذات التي لا تقوى على فعل شيء سوى الكتابة

يقول:

أي بالله يا "فطيمة" قلبي حدثيني بالروح طي الكتابة

إن حرفا من فيك يسعد حالي ويجلي عني أشد سحابة

ويعيد الحياة في كأحلى ما تكون الحياة ريا حبابة(بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بشامة، 1994، صفحة 210)

إنه فعل الهوى وفعل الكتابة ؛ حيث " أن محصلة كل هذا هي أن كتابة الهوى ... ليست بالكتابة الذاتية بالمعنى الشخصي أكثر منها كتابة تنأى بصاحبها أن يضع نفسه موضع الرقابة المنغصة للعيش سواء كان الرقيب الأنا أو الأخر ... وبين الرقيب والحبس يعطي... [الشاعر] الهوى الملتبس بالكتابة معنى آخر .(البنأ، 2003، صفحة 226)

ثم يقول:

ليت شعري هل تذكرين عهودي أم تناسيتي وأطرحت الصبابة

وتشاغلت بالأحبة من أولادنا والأحداث ذات الغرابة

إن تكوني سلوتي عني فإني حافظ الود لن أضيع كتابه

كيف أنسى عهد لحب كريم قد فتحنا بالنور والنار بابه

وجعلنا الله الرقيب شهيدا من يخنه يُجزى عذابه.

(بوشامة، ديوان، صفحة 210)

وفي المقابل لا يمكن تجاهل نبرة اللوم النابع دائما من موجة الحنين؛ فاستهوائية الشاعر ممزوجة باستهوائية الملامة وذلك من خلال علامات خطابية تقودنا إليها في كلمة سَلَوْتِ (إلتهيت عني)... عتابه/طيب العفو إن أسات إليه ...

إن هذه الملامة في الحقيقة هي الشحنة المنبثقة من ذلك الاضطراب والقلق والخوف من النسيان وهذا ما يؤجج طاقة الاستهواء لانبعاث الحنين والاشتياق، وهنا تتشكل وترتسم بشكل واضح ويتجلى الفعل المؤدي إلى عاطفة الحنين بل والبيت الرئيسي في قهر الذات وانحصارها مما جعلها تجبر على الفراق لتدخل في حاله اغتراب.

يقول :

لو ملكت الخيار كنت دوما عنكم لا أروعكم بالغيابه

غير أن الظلم الشنيع أبى الا شقاء الوراء وبسط المهابة

ارتكاب التفريق بين صحاب وشريك عمر وأهل نِسَابة

فرق اليوم بيننا فكلانا مُبعد عن أخيه يشكو اغترابه

(بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بشامة، 1994، صفحة 211)

وتزداد الأزمة الإستهوائية تعمقا فالشاعر لا يملك خيارا ليكون قريبا بل الاستعمار هو الذي أدى إلى هذا الفراق والتباعد ليسود الحزن والكآبة، ويغمر الذات طوفان القلق والخوف فتصطدم المشاعر ضمن علامه تدل على قهر الذات خوف الرقابة... وكل هذه العلامات تدل على أنْ لا مفر من التباعد والتفارق حيث أن التوتير هنا ينبثق من هذه الاحاسيس .

إن هذا الهوى لا يسير وفق وتيرة واحدة، حيث تعتريه حالات من المعاناة والحزن والألم دل على ذلك وجود الاستفهامات المتوالية في خطاب القصيدة ؛ مما يؤكد حاله قلقه وتوجسه وحيرته وتشظيه، غير أنه يعلن الالتزام والمثابرة والمجاهدة، ويحفظ عهد الوفاء . غير أن بريق الأمل ينبعث لينير ذات الشاعر المؤمنة باللقاء ولو طال التباعد ؛ مؤمنة بالحرية التي تحلم بها رغم كل شيء ولو بعد الموت.

هوى الخوف:

شكوى ⟵ مدونه هووية

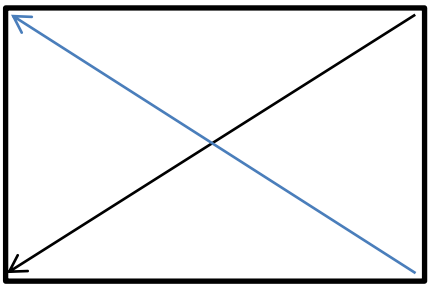
انزعاج يظهر على الشاكي ⟵ انفصال اغتراب حاله قلق .

والشاعر في الحقيقة هنا يحن الى حرية وطنه، وذاته تتوق شوقا إلى تلك الحرية والأمن والسلام والاستقرار والسعادة فيهنأ عندها بوجوده العائلي وسلامه النفسي، كل ذلك تكشف عنه حزمه من الدلالات من بداية القصيدة، إلى استرجاع اللحظات المبهجة في الأزمه من أجل توازن الذات وشحن النفس بمقومات وتقوي الفاعلية، ويضع المشاعر بنفسه من أجل أن يكشف لنا عن هذه الحالة التوتيرية في هذا النص، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هل استطاع الشاعر تجاوز هذا القلق ؟ هل استطاع الانتصار عن الزمن؟

إن وجود الحرب جعل الشاعر في حاله نشاط دائم من أجل الحرية ؛ إذ يعرف جيدا أن هذا الكيان غريب عن أرضه وعرضه ودينه، مما جعله في صدام دائم معه، فيتولد التنافر الذي جعل الشاعر الشهيد بعيدا عن ذويه، مما يستدعي هو الحزن والخوف في عدة مواطن من القصيدة، وهنا تتجسد الشكوى في منتهاها ويبلغ الحنين ذروته، وهذا ما وشت به الدوال . وعلى الرغم مما يحس به الشاعر من مراره الشكوى الا أنه استطاع أن ينظر إلى الجانب الآخر من هذا

الصراع النفسي، ويحول الأزمة الاستوائية _ الحنين _، إلى جانب مضيء ويختمها بالتضرع إلى الله مجيب الدعاء ويمكن تمثيلها كما يلي:

الحنينت ضاد الجهاد (استثمار هوى الحنين في جهاد المستعمر)



حزن (حالة البعد تضاد واندفاق البعد وفراق الأهل) الشوق أنتج القصيدة

ويختم الشاعر القصيدة بهوى التضرع قائلا :

رب إنا نرجوك لطفا ورُحمى بضعاف ملوا حياة الذبابة
و أرادوا _ من غير ظلم وبغي _ أن ينالو حرية وحسابه
و يحوز استقلالهم وعلاهم ويكون في العاملين ذؤابة
ويعيشوا كالناس في كل أرض بسلام وعزة ومهابه
ونظام يسوده روح عدل واخاء وحكمة وندابة

(بوشامة، ديوان، صفحة 211)

حاولنا أن نتلمس المداخل التي يمكن أن ندخل فيها إلى النص، وهو نص حيوي خاضع للتكييف مع الزمن، ولا يزال قادرا على الاستجابة للنقد الحديث، وقد انكشف الشعور بالذات المتلبسة في حالة استهوائية وهي القلق الاستعداد للتعبير على حالة الاستهواء، وذلك متوفر عنده من خلال الحديث عن الهم والتباعد وكثره السؤال ثم روح الحنين والشوق إلى الأهل بل إلى الحرية ولو بعد الموت والفناء . ثم تضرع الى الله سبحانه وتعالى في أن يعم السلام وينتصر الوطن ويسترجع حريتهم.

إن العواطف هي مبعث التأثير والتأثر، وهي المسؤولة عن انبثاق الدلالات المختلفة، وهي بمثابة المحرك، كما تعتبر المشاعر والأحاسيس القاعدة التي يبنى عليها أي عمل فني ؛ فعلى أساسها

يبلور الحس الانساني الحقائق الذاتية بمشاعره وخياله وأبعاده المختلفة، وعليه لا يمكن تجاهل هذا النوع من الدراسات السيميائية فعالم المشاعر يشكل مرحلة هامة لا يمكن تجاوزها لأنها المسؤولة عن توليد المعاني والدلالات، وهكذا فإن قصيدة حنين وحب للشاعر الربيع بوشامة مثال واضح على تجليات الحنين في زمن الحرب، وترجمة لحمولة من دلالات ذاتية في ظاهرها وطنية في عمقها .

المراجع:

1. _ا معجم السيميائيات. الأحمر. (بلا تاريخ).
2. _ ديوان الشهيد الربيع بشامة ،الربيع بوشامة. (1994).. (المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، المحرر) الجزائر،، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد .
3. _ سيرور التأويل من الهرموسية الى السيميائيات، سعيد بنكراد. (2012/ 1433). (المجلد 1). الجزائر، الجزائر: منشورات الاختلاف.
4. _ الشعرية والثقافة، حسن البنأ. (2003).. المركز العربي الثقافي.
5. _ سيمياء العواطف قراءة في قصيدة نام الخلي للأسود بن يعفر. ربابعة موسى. (نيسان / شعبان، 2018). مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب(مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب)، 353-327.
6. _ سيمياء الحزن في ديوان مبتدأ لبكاء آخر دراسة في ضوء سيميائية الأهواء.علوي أحمد صالح الملجمي. (24 مارس، 2016). مجلة الأثر، صفحة 145.
7. _ سيمياء الأهواء من حالاتالأشياء إلى حالات النفس، غريماس، فونتني. (2010). (المجلد 1). (سعيد بنكراد، المترجمون) دار الكتاب الجديدالمتحدة.
8. _ سيمياء الأهواء. تم الاسترداد من ديوان العرب. مريم أجرعام. (الأحد اغسطس، 2015).
9. _العلاماتية وعلم النص (منذر عياشي، المترجمون) (المجلد 1). (2004).الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

الشيخ محمد السعيد الزاهري، حياته وأدبه

Sheikh Muhammad Al-Saeed Al-Zahri, his life and literature

د. عنتررمضاني

قسم اللغة والأدب العربي، جامعة غرداية -الجزائر-

مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري

ط.د سهى حيمور

قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

ملخص:

يعتبر الأديب محمد السعيد الزاهري أحد أبرز العلماء الذين أنجبتهم الجزائر، علما وأدبا وجهادا، ويشهد له سجلّه الحافل بالمنجزات التاريخية والأدبية بذلك، فقد كان قلما سيالا دفاعا عن الأمة الجزائرية، وردًّا لسياسات الاستدمار الغاشمة، فجمع رحمة الله عليه، بين الجهاد والأدب، ولم تمنعه سيرته الجهادية الكبرى، ومشاغله والمهام الموكلة إليه في الجانب الصحفي من أن يسجل اسمه في طبقات الأدباء بالجزائر، بل بذل جهده من أجل ذلك أيضا، حتى غدا أحد أركان الأدب في الجزائر المحروسة.

الكلمات المفتاحية: محمد السعيد الزاهري، الجهاد؛ الأدب؛ الصحافة؛ الإبداع.

A**bstract**;

The writer Mohammed said Zahiri is considered one of the most prominent scholars that Algeria has produced, science, literature and jihad, and his track record of historical and literary achievements testifies to this.he was a fluent pen in defense of the Algerian nation, and in response to the brutal policies of destruction, God's mercy on him, he combined jihad and literature, and his great jihadist biography, his concerns and the tasks

assigned to him in the journalistic side did not prevent him from registering his name the pillars of literature in Algeria are guarded.

key words: Muhammad Al-Saeed Al-Zahri, Al-Jihad; literature; the press; creativity.

إن الدارس والمتتبع للحركة الأدبية في الجزائر، ليجد الكثير من الأقلام المبدعة، واليراعات السيالة، كانت تخوض مضمار الإبداع والكتابة في فترة صعبة هي فترة الاستدمار الغاشم، الذي ضيق على الكثير ممن رفعوا أقلامهم منددين به، ورافضين للعبودية الغاشمة الظالمة، ولم يتوقف الأمر عند هذا بل راحوا يؤلفون، وينشرون بما أتاحت لهم الظروف من سبل وطرق، ويجمعون بين الجهاد بالسنان، والجهاد باللسان، حتى يعبروا عن قضاياهم، أو عما يخالج أفئدتهم في تلك الفترة، إما تنديدا بالأوضاع الراهنة أو حضا على التغيير في الجزائريين، أو بعثا للقيم النبيلة وإحياءً للمبادئ الفاضلة التي اتصف بها الجزائري، أو تسلية ونفثا لمعاناة خالجت قلوب أولئك الكتاب والشعراء، لأن الأدب الجزائري مرَّ بنكبات ومحن لم تطل أدبا غيره، حيث مست كيانه وروحه، وقبل هذا دينه ولغته، فلم شارك المجاهدون والعلماء في ميدان المعركة فحسب، بل تعداه للمشاركة بالقلم تعليما وتأليفا وتصنيفا، ومن هؤلاء الأعلام الشهداء والأدباء نجد الأديب محمد السعيد الزاهري رحمه الله، الشاعر والصحفي الألمعي، الذي سخر علمه وثقافته في سبيل تحرير بلادنا، فكتب وألف وصنف وحرر ودبج المقالات والقصائد خدمة لهذه الأرض الطاهرة ودفاعا عنها.

مولده وسيرته:

ولد محمد السعيد الزاهري بليانة[1]، وقد اختلف في تحديد تاريخ ميلاده، فأغلب الذين ترجموا له يحصرون تاريخ ميلاده بين سنتي (1897-1900م)[2]، يقول الزاهري في ترجمته الموجودة في كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر):" ولقد سألتني عن ترجمتي فخذها مجملة مما يأتي: في 25 شعبان 1344 هـ، نفضت يدي من ستة وعشرين عاما تمت لي من عمري وما أنا بآسف على شيء فيها، مثل ما أنا آسف على أيام الصبا. أيام كنت لا أعرف شأنا من شؤون الحياة ولا أشعر بتكاليف الدنيا. كنت خالي البال أحسب أن الدنيا كلها نعيم وأن العيش فيها هنيئا مريئا[3].

تربى الزاهري في أسرة متدينة عالمة ومحافظة، فهي أسرة عريقة تمتد في العراقة وتدعي النسب الشريف بانتمائها لآل البيت[4]. انتقلت كفالته لجده لأبيه (علي بن ناجي الزاهري) الذي اعتنى به عناية خاصة، واكتشف فيه صفات النجابة والذكاء والهمة والشجاعة، يقول الزاهري: "كنت في صغري اسأل أمي مسائل كثيرة في الكون ومكونه وكانت تجيبني كما تفهم فإن سألتها عما ليس لها به علم أسكتتني كرها فأفر إلى جدتي لأمي اسألها عن تلك المسائل فأجدها أرفق بي لأنها لم تكن مسئولة عن تربيتي.

بلغ خبري إلى مسامع الجد الأستاذ الشيخ علي بن ناجي الزاهري فخف غبطة وارتياحا وأنشد:

وإذا رأيت من الهلال بدوه * أيقن بأن سيصير بدرا كاملا**

وأمر أن يكثر من إحضاري بين يديه فكان يأمرني بكل لين أن اسأله عما يخطر ببالي فيجيبني بما يملا صدري يقينا وإيمانا. نظف عقلي من تلك الخرافات التي احسب أن المسلم لا يعتد بإسلامه ما لم يعقد فؤاده على صحتها واحسب أنها دين من لم يدن الله به فقد خسر الدنيا والآخرة وباء بغضب من الله[5].

حفظ القرآن في مسقط رأسه، وتلقى المبادئ الأولى على يد علماء عصره، في ليانة يقول الزاهري:" تلقيت على يد هؤلاء الأساتذة جميع معلوماتي الابتدائية بحرية تامة في البحث وإبداء الأفكار، فكنت أرى في وجه أحدهم طلاقة مشرقة وابتسامة عذبة إذا عارضته في فهم مسألة وأراه تعروه خفة وانشراح مهما طلعت بنظر غير نظره، فكانوا يزيدونني بذلك إقداما ونشاطا في طلب العلم ومضاء في العزيمة عليه"[6]، ثم التحق بقسنطينة، وبقي فيها بضعة أعوام يستمع إلى علم وأدب الشيخ عبد الحميد بن باديس، حتى نال بغيته، بالرغم من الضغط الشديد عليه بسبب سياسة ابن باديس الصارمة، يقول الزاهري:" قد كان لي شغف شديد بدروس هذا الأستاذ وما كنت أقوى على ترك القراءة عليه لولا الضغط الذي كان يضغطه على حريتي في التصريح بإفهامي وقد برمت بسوء التأديب الذي كان يأخذني به ويأخذ به تلاميذه أجمعين"[7]. فضاقت نفسه بسبب حزم الشيخ ابن باديس في تربية طلابه، وتقييد حرياتهم، فانتقل لجامع الزيتونة بتونس، ولقي هناك جمعا غفيرا من الطلبة الجزائريين أمثال: مبارك الميلي والعربي التبسي وغيرهم"[8]. يقول

الزاهري:" قرأت بتونس على أشياخ كثيرين أعلام وغير أعلام، واتخذت أعلاما لازمت صحبتهم مدة مقامي مثل: الشيخ محمد النخلي، والأستاذ عثمان بن الخوجة، والشيخ معاوية التميمي وغيرهم"[9].

وقد كانت تونس آنذاك ملاذا خصبا لمن رام تعلم العلم والآداب، لما توفرت عليه من مناخ فكري وثقافي، نشطه أدباء تونس آنذاك، فالتف الزاهري حول الأستاذ معاوية التميمي، وأطلق على مجموع الطلبة اسم "النادي الأدبي"، وظل يراسلهم ويبعث لهم إسهاماته الأدبية كل ما سنحت له الفرصة، وله قصيدة مشهورة بعنوان إلى نادي الأدب يقول في بعض أبياتها:

يحـــاربي دهـــري ويبغـــي بـــي الشـــرّا * كـــأن لـــه عنـــدي بآبائـــه وتـــرا**

فآونـــة تلقـــى وثـــاقي بكفـــه * ويومـــا تـــرى أيامـــه بيـــدي أســـرى**

فيـــا ليـــت هـــل صـــحبي بتـــونس حـــافظوا * ذمـــامي فـــإني مـــا برحـــت بهـــم بـــرا**

ويـــا ليـــت شـــعري هـــل هـــم يـــذكرونني * إذا كانـــت الكاســـات جـــد بهـــا المجـــرى**

فمـــا زلـــت أبقـــي العـــز مـــا عشـــت جاهـــدا * وذو القلـــب يبقـــي العـــز أو يســـكن القبـــرا**[10]

وإلى جانب دراسته بالزيتونة فإن (للزاهري) نشاطا أدبيا وفكريا كبيرا وبية ذلك تلك القصائد الشعرية والمقالات الفكرية والأدبية التي نشرها في الصحف التونسية، خاصة جريدة النهضة التي احتفت بإنتاجه الأدبي، بل وقصر إنتاجه على تلك الجريدة بين (1923-1925م)، وظل يثابر على مراسلتها حتى بعد تخرجه في جامع الزيتونة وعودته إلى الجزائر[11].

وكان أكثر من لازمهم من الشيوخ في جامع الزيتونة: الشيخ معاوية التميمي العالم الجليل والمتبحر في علوم اللغة يقول عنه الزاهري: "وكنت ألزم الشيخ معاوية التميمي من ظله في كل كتاب يدرسه من كتب الأدب، مثل الكامل للمبرد وغيره، ثم صاحبته حتى تخرجت عليه في الأدب العربي، ذلك أنني ما وجدت أحدا أوسع منه خبرة بكلام العرب، ولا أبصر منه بمواقع النقد، ولا أصحّ منه ذوقا، ولا أحزم منه في تمحيص الحق من الباطل في كل مشكلة تنزل[12].

يذكر أنه كتب قصيدة يهنئه فيها نشرت في جريدة النهضة العدد 572، 03 ماي 1925م، يقول في بعض أبياتها:

«معـــاوي» إن تـــرزق ذكـــاء وفطنـــة *** فإنـــك فـــي التبيـــان ســـحبان و ائـــل
«معـــاوي» إن تـــرزق مـــن العلـــم بســـطة *** فإنـــك قـــد أوتيـــت لطـــف الشـــمائل
طبـــاع كمـــا شـــاء الجلـــيس رزقتهـــا *** نســـيم الصـــبا جـــاءت بريـــا الخمائـــل
«معـــاوي» إن مـــن يجاريـــك للمـــدى *** فـــذاك لعمـــر الحـــق لـــيس بعاقـــل

فكانت رحلته العلمية لتونس خصبة وثرية، أعانت على تشكل شخصية محمد السعيد الزاهري الشاب المحب للعلم ولوطنه، والذي يعمل جاهدا وبكل ما أوتي من قوة ليدفع عن وطنه كل ما يشينه من سياسات القمع والاستدمار التي حزت في نفسه وفي نفوس غيره من العلماء الأجلاء، ليعود في صيف عام 1924 لمسقط رأسه، بعد أن نال شهادة التطويع في سائر العلوم برتبة متوسط، وقد تخرج معه زملاؤه من أمثال مبارك الميلي وعبد السلام بن سلطاني، وقد كتب أحد شعراء تبسة قصيدة نشرت في مجلة النجاح بإمضاء: م ص ج تبسة، يمدح فيها الطلبة المتخرجين في جامع الزيتونة وعلى رأسهم الزاهري والميلي وعبد السلام يقول فيها:

دع المنـــازل هـــذا الفخـــر حـــن لـــه *** أولـــوا الحجـــا سبـــروا الأحـــوال والمـــلأ
مبـــارك وســـعيد والســـلام بهـــم *** قطـــر أضـــيم يهنـــي إذ بهـــم كفـــلا
إنـــي لكـــم نخبـــة الأبـــرار والنـــبلا *** مهنـــئ مـــن فـــؤادي شـــاكرا جـــذلا[13]

كما نشرت جريدة النهضة التونسية تهنئة لأسرة الزاهري خصوصا، والجزائر عموما، بنجاحه، معلقة عليه الأمل الكبير في بث العلم في ربوع الجزائر، مشيدة بتلك القصائد التي شاد قوافيها، وازدانت بها معاصم الجريدة[14].

ومما يدل على اعتراف الزاهري بفضل الزيتونة عليه وعلى مسيرته العلمية الحافلة، كتب مقالا بعد تخرجه معترفا بفضلها عليه وعلى متنوري الجزائري يقول فيه:" أنا مدين لكلية جامع الزيتونة بتونس، فقد تخرجت فيها وأحرزت (شهادة التطويع)، وما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب والإصلاح الديني هذه أيضا مدينة لجامع الزيتونة ... ومنزلة جامع الزيتونة هذا في قلوبنا

وقلوب الأمة الجزائرية كلها هي منزلة عالية جدا، فكلنا نحبه ونرضاه ونهفو إليه، ونتمنى له الخير وزيادة العمران"[15].

عاد محمد السعيد الزاهري لأرض الوطن هو يحمل هموم الإصلاح مع ثلة مباركة من العلماء والأقران الذين درسوا معه في الزيتونة وغيرها، يحمل هم وحال وطنه الذي نهشه الفقر والجهل والاستدمار، ولكن سعى واجتهد كي يزيل كل مظاهر البؤس بما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويدفعه لذلك ما أصبح متاحا من وسائل كالصحافة والنوادي والجمعيات، فقد كان سباقا لذلك، خاصة في افتتاح عدد كبير من الصحف والمجلات التي تعنى بشؤون الوطن ونشر الثقافة والوعي.

عضويته في جمعية العلماء المسلمين:

كان محمد السعيد الزاهري ممن حضروا اجتماع الجمعية الأولى بنادي الترقي بالجزائر العاصمة، ولكنه لم ينتخب في مجلسها الإداري الأول، وقد انتخب في السنة الثانية لقيام الجمعية، ولما كان الزاهري صاحب ثقافة عربية إسلامية، وذا أسلوب أدبي مشرق في الكتاب، فقد أسندت إليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رئاسة تحرير صحفها الناطقة بلسانها بمعية الشيخ الطيب العقبي رحمه الله[16]. وللعلم فإن نشاط الزاهري في الجمعية لم يقتصر على رئاسة الصحف ودبج المقالات الضافية في شتى قضايا المجتمع الجزائري آنئذ، بل تعداه إلى تمثيل جمعية العلماء في الداخل والخارج في بعض الأحيان، (مثل انتقاله لتلمسان ممثلا عنها هناك، ثم وهران، وفي خارج الوطن مثل الزاهري الجمعية في مؤتمر طلبة شمال أفريقيا الذي انعقد سنة 1934م في المدرسة الخلدونية بتونس وقد ألقى الزاهري تقريرا في الجلسة الأولى للمؤتمر عن حالة التعليم العربي في الجزائر[17].

واختيار ابن باديس للزاهري عضوا في الجمعية يدل على مكانته العلية، ومنزلته السمية عند وعند علماء الجمعية ككل، وسيرته العلمية وجده واجتهاده شاهد على حسن سيرته وهمته العالية.

منزلته بين الأدباء:

للزاهري مكانة عالية في قلوب الجزائريين، وعند علمائها على وجه الخصوص فابن باديس رحمه الله كان يثني عليه خيرا، وشهد له بالفضل والخير والثقافة والعلم غير واحد من العلماء الأفذاذ داخل وخارج الوطن، قال عنه أحمد حماني:" كان الشيخ الزاهري أديبا ممتازا، غزير الإنتاج، يشير عليه قول الشعر الجيد، ولكنه يكتب النثر بأسهل وأيسر مما يكتب الشعر، شهد له بطول الباع في الكتابة الشيخ عبد الحميد بن باديس وغيره"[18]، وقال عنه العلامة عبد الحميد بن باديس يقول:" عرفنا الشيخ السعيد الزاهري شاعرا خنذيذا، وعرفناه كاتبا رحب البيان بليغا، وعرفناه في هذا الكتاب (يعني كتاب الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير) داعية إسلاميا كبيرا، وقد خاض مسألة الحجاب، والمرأة الجزائرية، ومسألة الإسلام والتغريب، والشبيبة المتعلمة، فأبان الحقائق، وأقام الحجج ما لا يلقاه أشد الخصوم –إذا اتصف-إلا بالإكبار والتسليم"[19].

وفي مقدمة كتابه الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ثناء عاطر من عطوفة الأمير شكيب أرسلان وقد أعجب بفصول من كتابه يقول:" إنه يرى أن أركان الأدب العربي في الجزائر اليوم هم أربعة: الزاهري وباديس والعقبي والميلي"[20]، وفي شهادة الشيخ زهير الزاهري رحمه الله يقول:" عاش محمد السعيد الزاهري فقيرا ومات فقيرا، لم يكن يملك من حطام الدنيا شيئا، ولو أراد أن يعيش حياة مترفة ومنعمة لسلك طريق الممالاة؛ ممالاة السلطات الاستعمارية القائمة"[21].

ويقول عنه الأديب حمزة بوكوشة رحمه الله:" كان عفيف النفس، لا يقيم وزنا للمستقبل القريب -بله البعيد-وما يستدعيه من إعداد يواجه به مطالب الأيام»[22].

ويقول عند الناقد الكبير عبد المالك مرتاض:" الزاهري من الكتاب المقتدرين الذين ملأوا الصحف المشرقية طولا وعرضا، فرفعوا رأس الجزائر، ورسموا لها صورة مشرفة في ربوع الشرق العربي كله"[23].

هذه كلا شهادات شاهدة ودالة على منزلة الأديب محمد السعيد الزاهري، وأنه صاحب فضل عميم، على هذا الوطن، فقد قدم تضحيات جسام، في سبيل نشر العلم والثقافة والوعي، والدفاع عن هذا الوطن، ضد الاستدمار الغاشم.

فأصبح معلما ومربيا وصحفيا وأدبيا وشاعرا يدبج المقالات، ويرتجل الخطب، ويسهم في الكتابة الأدبية فكان بذلك أحد رواد الأدب في الجزائر، وقد أصدر جرائد عديدة من بينها، الجزائر، البرق، الوفاق، المغرب العربي وغيرها[24].

آثاره ومؤلفاته:

قبل أن نعرج على جهوده في ميدان الصحافة ونشر الثقافة والجهاد ضد الاستدمار، نذكر ما ألفه وصنفه من مؤلفات ضاع منها الكثير، ولو بقيت ليومنا هذا لكانت شاهدة على طول باع الرجل، وثقافته العالية، رغم انشغاله بالثورة والإعداد والتخطيط للاستقلال، وكان مزمعا أن تطبع هذه المؤلفات وكلن ليقضي الله أمرا كان مفعولا فقد ضاعت كلها ولم يبقى منها إلا شتات فصول منها خاصة مؤلفه شؤون وشجون الذي نشر بضع مقالات في الصحف الوطنية، وهذه المؤلفات[25] هي:

- **حاضر تلمسان**: وهو كتاب لم يوضع مثله في العربية عن أي بلد من بلدان الجزائر، وهو وضف دقيق مستوعب لمدينة تلمسان (العاصمة التاريخية) وبيان واف عن أحوالها الحاضرة كلها، وقد كتب بأسلوب يشوق القارئ ويستهويه، وهو مشتمل على عدة فصول منها: (جوهرة المغرب)، و(الحياة الاجتماعية) وغيرها، ويقع في قراب 300 صفحة، وهو مزين بكثير من صور أجمل المناظر في تلمسان.
- **بين النخيل والرمال**: هي فصول مغرية رائع في وصف الواحات بالجنوب الجزائري كبلاد (الملثمين) ووادي سوف ووادي ميزاب، والأغواط وغيرها.
- **حديث خرافة**: هذا الكتاب كله لذة ومتاع، وهو نظرات وأفكار في الأدب والحياة والاجتماع، في أسلوب رائع وجميل.
- **شؤون وشجون**: هو فصول مختلفة في موضوعات مختلفة تسر القارئ بعذوبتها وطلاوتها.
- **كتاب الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير**: وهي سلسلة مقالات نشرها في مجلة الفتح لمحب الدين الخطيب، جمعت في ما بعد.

وفاة تسبق أمانيه: استشهد رحمه الله بعد أن اغتالته أيادي الغدر، وقررت تصفيته بعد أن دبروا له عملية اغتيال غادرة، زوال يوم 19-05-1956م، حيث رمي بوابل من الرصاص، ثلاث في الظهر واثنتان في الرأس، كانت كافية لترديه قتيلا بالقرب من كاتدرائية العاصمة في مكان غير بعيد عن الفندق الذي يسكنه، وسط جموع غفيرة كانت وقتها في الشارع، ليعم الرعب والصخب وسط المارة ويلوذ القاتل بالفرار دون أن تعرف وجهته[26].

وأيا تكن أسباب وفاته رحمة الله عليه، فقد خسرت الجزائر رجلا بأمة، بذل كل شيء من أجل أن يرى هذا الوطن مستقلا محررا، يعيش رغد العيش مثله مثل بقية الشعوب العربية والإسلامية في العالم.

جهوده الصحفية في مقاومة الاستدمار:

بذل الشيخ محمد السعيد الزاهري قصارى جهوده في سبيل العناية بالمجلات ونشرها، فعندما تخرّج من الزيتونة سنة 1924 عاد إلى الجزائر وواصل نشاطه في الصحف العربية والجزائرية، كما شرع في تأسيس عدة صحف أهمها: صحيفة الجزائر عام 1925م، التي كتب عنها ابن باديس رحمه الله في مجلة المنتقد قائلا: "جريدة سياسية أدبية أخلاقية اجتماعية تصدر بالجزائر لصاحبها الشاعر الشيخ السعيد الزاهري، جلا علينا العدد الأول منها مقالات بليغة في متانة التعبير وسمو الفكر، ونبالة المقصد، وثقة لبلوغ الغاية، وجدير بها إذا كان السعيد واضعها أن يكون السعد طالعها"[27].

لقد كانت جريدة "الجزائر" ميدانا للنثر والشعر معا، ومن شعرائها الكبار الزاهري نفسه، يقول الزاهري مخبرا عنها:" ولما لم يعد لي من غرض أقعد به في تونس رجعت الى عاصمة الجزائر في سبيل صحيفة وطنية عربية القلم أأسسها بعاصمة البلاد فأنشأت جريدة «الجزائر» وجعلت شعارها «الجزائر للجزائريين». أصدرت منها أعدادا ثلاثة لم تصبر الادارة على حرارتها وصدق وطنيتها فعطلتها وشيكا[28]. وقد أوضح الزاهري في العدد الأول منها أنه إنما أصدرها لتكمل الرسالة الوطنية التي بدأتها جريدة "الإقدام" للأمير خالد رحمه الله[29].

ثم أنشأ بعد ذلك صحيفةالبرق1927/1933م، ذات الاتجاه الإصلاحي وهي لسان حال جمعية العلماء الديني، حيث تعتبر جريدة "البرق" الجريدة الثانية من حيث الأهمية، وقد ظهر عددها الأول في7 مارس 1927 تحت إشراف محمد السعيد الزاهري وإدارة محمد عبد المجيد رحموني، وكُتب في أعلى الجريدة: "صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية فكاهية"، وقد سارت على نهج إصلاحي فكانت تشبه جريدة "المنتقد" للشيخ عبد الحميد بن باديس، وكانت "البرق" تُطبع في قسنطينة لتوزع في بسكرة، ولكن منذ العدد السابع عشر صارت تطبع في تونس وتُنقل عبر القطار لتوزع في بسكرة وقسنطينة، وقد صدر من جريدة البرق سبعة وعشرون عددا، وقد ضمّت كبار الكتاب المصلحين أمثال السعيد الزاهري (تأبط شرا)، العمودي (سمهري)، العقبي (السلفي)، وفعلا فقد كان ركنها الدائم" قوارص" وأسلوبها اللاذع سببا في تعطيلها في سبتمبر 1927[30].

كما اشترك الزاهري مع الشيخ الطيب العقبي وبرئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس في انشاء ثلاث مجلات على التوالي هي: السنة، الشريعة، والصراط، وتميزت كتابات محمد السعيد الزاهري في المجلات الثلاث من حيث الأفكار، مواصلة الهجوم على الطرقية وكشف سلوك شيوخها، أما من حيث الأسلوب فقد طبع مقالاته الأسلوب القصصي الشيق الجميل[31].

ومن المجلات التي أنشأها الزاهري أيضا جريدة "عصا موسى"، التي كانت تجمع مجموعة من الكتاب الشباب، وطالت انتقاداتها شخصيات سياسية وطنية وفرنسية، كانت مجلة نصف شهرية، صدر العدد الأول منها سنة 1950 م، وقد حكى الكاتب الطاهر بن عيشة عن علاقته بمحمد السعيد الزاهري وجريدة عصا موسى قائلا: "لقد كان لي شخصيا شرف الأخذ عنه، والتعرف على تقنيات فن وعلم الصحافة، وذلك عندما عملت سكرتير جريدة "عصا موسى " التي كانت تصدر تحت إدارته، وبنسبة 80% من تحريره، وهي صحيفة وطنية تهتم بالنقد السياسي والاجتماعي، وفي هذا النقد يستعمل الزاهري الشعر الهجائي، والقصص القصيرة المحبوكة فنيا، ويستعمل مراسلين وهميين ليس لهم وجود محدد في المجتمع، ولكن الأفكار التي يطرحها على ألسنة المراسلين هي أفكار مطروحة فعلا على الرأي العام الجزائري

وهذه الأفكار في الغالب تتعلق بالاستعمار وعملائه وما يفعلون من مضرة وإساءة للمجتمع الجزائري، وبعد صدور 11 عددا من الجريدة، صدر قرار استعماري بمنعها وسجن الشيخ السعيد الزاهري في السجن العسكري[32].

كما أنشأ الزاهري أيضا صحيفة "الجحيم" التي كانت تصدر في المطبعة الجزائرية بقسنطينة في حدود قصيرة جدا ما بين مارس وماي عام 1933، وكانت بداية تأسيسها متزامنة مع صحيفة السنة، ليكون آخر عدد منها وهو العدد السابع 11 / 05 / 1933[33].

كما أنشأ جريدة "الوفاق" عام 1938م لتجسيد أفكاره بعد انسحابه من جمعية العلماء المسلمين بسبب عدم توافق توجهه وفكره مع ما عرض في المؤتمر الإسلامي آنذاك، بالإضافة إلى جريدة المغرب العربي التي أسسها سنة (1947-1956)، والتي كان يديرها ويحرر أإلب صفحاتها[34].

كتابات محمد السعيد الزاهري (المدونة الشعرية والنثرية)

لم يكتف الزاهري بالنشر في الصحف الوطنية فحسب، بل تعدت إبداعات حدود الوطن لتصل المشرق العربي وغيرها من بلدان العالم، رغم تضييق الاستعمار عليه، وذكر محمد الهادي الزاهري في كتابه شعراء الجزائر في العصر الحاضر قائلا: "فلم تستطع المراقبة الاستدمارية منع الشيخ الزاهري من الاطلاع على الصحافة الشرقية ومراسلتها والمساهمة في تحريرها[35]، وقد كانت بدايات ذلك مع الزاهري في الصحف التونسية التي نشر فيها مجموعة كبيرة من القصائد والمقالات المهمة، والتي عنيت بالكثير من القضايا السياسة والأدبية والثقافية، فقد نشر في صحف الوزير والنهضة، والزهراء أكثر من 20 مقالا وقصيدة نوعت بين أعدادها وصفحاتها، وهو مما يدل على طول باع الزاهري في الكتابة والنشر أيضا.

والراصد لأعداد هذه المجلات منذ تأسيسها في عشرينيات القرن الماضي يجد أن القلم الزاهري لم يلبث إلا وأن شارك في تحبير قصائد، نشرت في صفحاتها، أو تدبيج مقالات زينت بها أعدادها، خاصة وأنه كان اسما معروفا آنذاك، وقلم يعتد به في النخبة التونسية عامة، والجزائرية خاصة، وقد حازت جريدة النهضة أكثر عدد من منشورات الزاهري، وفي الجدل الآتي رصد لبعض ما تم جمعه منها:

الجريدة	المقال
النهضة	13 مقالا
الوزير	أربع مقالات
الزهراء	قصيدة شعرية
الزمان	مقال واحد

بالإضافة إلى مقالات أخرى في مجلة الزمان والأمة لم نستطع الحصول عليها، فهذا الثراء والكثرة في ما كتبه الزاهري تدل على مقدرته وموهبته البيانية، وسعة اطلاعه وثقافته الكبيرة، فقد كتب في جل المجالات والقضايا المهمة آنذاك، هذا كله في جرائد تونس فقط.

فكيف لو جمعنا كل مقالاته التي نشرها خارج تونس أيضا، فقد ذكر الدكتور عبد المالك مرتاض في كتابه (الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر) أن الشيخ محمد السعيد الزاهري كتب في ثماني جرائد عربية هي: المقتطف (1876)، والمقطم (1888) ليعقوب صروف، وفارس نمر، المنار (1898) لمحمد رشيد رضا، الفتح (1926) لمحب الدين الخطيب، الجهاد (1931) لتوفيق دياب، الرسالة (1933) لأحمد حسن الزيات، القلم الحديدي لجورجي الحداد، السمير لإيليا أبي ماضي[36]. ويعلق الدكتور مولود عويمر على ثراء المدونة الزاهرية المنشور خارج الجزائر بأنه لم يشبهه أحد في كثر النشر إلا اثنان هما: عمر بن قدور، وأبو يعلى الزواوي اللذان كتبا في الصحف المشرقية[37]، وقد كان شرفا عزيزا أن يكتب الجزائري في الصحف المشهورة المشرقية، برغم الظروف الصعبة التي يعانيها والتضييق الثقافي والفكري آنذاك، وهذا الجدول يبين لنا المجلات التي نشر فيها الزاهري وبلدانها:

مصر	سوريا	تونس	الجزائر
الرسالة، الزهراء، الفتح، المقتطف،	المجمع العلمي العربي	الزمان، الوزير، الزهرة، النهضة.	السنّة، الشريعة، الشهاب، الشهاب، الصراط، الإصلاح، البرق، الجزائر، المغرب العربي، الوفاق، النجاح، المنتقد، النور، وادي ميزاب، الأمة.

الحديقة، المعرفة، المقطم.			

ومن العجيب أن كاتبا بمثل هذا القدر لا يحظى باهتمام الدارسين والمهتمين بالشأن الأدبي والتاريخي إلا في القليل النادر، وقد نقل الدكتور مولود عويمر تساؤلا حق له أن يطرحه، عن الكاتب الكبير والبحاثة الأستاذ (أنور الجندي) لم يتطرق في كتابه الضخم موسوعة (تاريخ الصحافة الإسلامية) إلى الشيخ الزاهري ومقالاته السابقة على الرغم من تعمقه في البحث عن هذه المجلة، ودراسة كتابها من المشرق والمغرب"[38].

وللإشارة فإن جهود الزاهري لم تقتصر على الجانب الصحفي فحسب، بل تعدته للجانب التربوي أيضا، فقد بنى مجموعة كبيرة من المدارس وأشرف عليها، وشجع على إنشاء النوادي والجمعيات أيضا، من ذلك: مدرسة التربية والتعليم ببسكرة 1927م، جمعية "الإصلاحية" بوهران 1934م، مدرسة الشبيبة القرآنية بالأغواط 1926م[39].

المدونة الشعرية للشيخ محمد السعيد الزاهري:

تعتبر مسيرة الزاهري الشعرية ثرية بكل المقاييس، رغم ضياع الكثير من قصائده خاصة المنشور في الصحف المشرقية، ولا نملك دليلا قاطعا بعناوين ما نشره في تلك الصحف خاصة (مجلة القلم الحديدي، والسمير، والمنار، والجهاد)، بيد أن القلم الزاهري يعد من الأقلام الشاعرة والتي لان لها القول الشعري، يقول الزاهري في حديثه عن الشعر:" أما إن سألتني عن شأني في الشعر، فإني كنت أول مرة أفتش عن الكلمات الغريبة أينما كانت لأصور بها ما أريد من المعاني، وكنت أراني في ذلك من المحسنين ولم ألبث حتى أصبحت الغرابة أبغض ما يكون اليَّ، فطفرت طفرة واسعة من أسلوب في الشعر الى أسلوب آخر بلا تدريج.إني إذا لمن يقولون في الشعر بطفرة الناشئين (راجع قصيدتي «أنين **الجزائر**» و«الشرق **والغرب**[40]» قبل الطفرة وساو بينهما وبين ما لي غيرهما من القصائد تر صدق ما قلت لك)[41]. وأما قصيدة (أنين الجزائر) فقد ظفرت بها منشورة في

مجلة الإقدام للأمير خالد، وقد شحنها بجملة من المفردات الغربية والتي تحتاج في شرحها أن تعود للقواميس والمناجد، يقول في بعض أبياتها:

يـــا للجزائـــر منهـــا ضـــها وســـطًا[42] * حكمـــا عليهـــا، وكانـــت أمـــة وســـطًا**

لملكهـــا كانـــت الأيـــام صـــا غـــرة * أكـــان أقســـط ذلـــك الملـــك أم قســـطا**

لكنـــها وعيـــون العـــدل تحرســـها * جـــرت علـــى الـــدهر مـــن أعجابهـــا ربطـــا[43]**

فكتب الزاهري في شتى المواضيع، ولكن للأسف لم يجمع شتات أشعاره إلى الآن بصورة تستوعب كل إبداعاته، ورغم محاولة الأستاذ عبد الكريم طبيش المتخصص في أدب الزاهري، إلا أنه لم يجمع سوى 17 قصيدة فحسب، في الديوان الذي نشره مؤخرا عن دار خيال، وله في ذلك مسوغات جعلته يجمع هذا القدر الضئيل من الديوان حيث يقول:" لا ندعي أننا استطعنا جمع كل آثار الزاهري الشعرية في هذا الديوان، وإنما ثمنا بثبت كل قصائده التي وقعت عليها أيدينا، وهي موزعة في جرائد وطنية وعربية، وأعترف أنني لم أبذل جهدا كبيرا في البحث عن الإبداع الشعري لهذا الأديب الذي ربما يكون قد نشر في جريدة الإصلاح والوفاق وعصا موسى التي لم يتيسر لي الاطلاع عليها"[44]. وصدق الأستاذ طبيش، فجمع شتات شعر الزاهري من الصحف لا يحتاج جهدا فرديا لباحث تتلقاه الصعوبات من كل جانب، خاصة من ناحية غياب أرشيف يستوعب ما نشره خاصة في الصحف الجزائرية، في انتظار ما يحنّ به موقع (غاليكا) الفرنسي الذي في كل مرة ينشر بضع جرائد كانت تصدر قديما، بل هو ف يحاجة لجهد مؤسسات تتبنى مثل هذه المشاريع الوطنية، وأعتقد أن هناك آخرين مثل الزاهري في حاجة لجمع آثارهم وكتاباتهم.

وقد يسر الله لي هذا الأمر بعد لأي وجهد كبيرين، سعيت من خلالها لاستيعاب كل ما نشره في الصحف الجزائرية والصحف المشرقية وخاصة التونسية، في رحلة بحث دامت أكثر من خمس سنوات، جمعت فيها أشعار الزاهري ما يربو عن: 30 قصيدة، منشورة في نسخ أصلية لصحف جزائرية وعربية.

وعن شعر الزاهري يقول طبيش:" يعتبر شعر الزاهري مرآة حقيقية لما يجول ويختمر بخلده، ويغلي في صدره، إنه الأداة الأفصح –من خلالها-عن حبه لوطنه وذوبانه فيه، فإذا بكى

فبكاؤه لوطنه، وإذا فرح فله، ومن أين يأتيه الفرح ويدخله السرور وهو يرى بلاده بين أنياب البؤس يمضغها مضغا، وفي فقر يأكلها أكلا[45]، فالشعر بالنسبة إليه هو الشعور الداخلي المفعم بالأحاسيس الجياشة التي تتولد من خلال ظروف الإنسان، فيترجمها في قالب لغوي، ولهذا يتعجب الزاهري من أبناء الجزائر كيف لا يتأثرون بالواقع المرّ فيندفعون للتعبير قائلا:" وأبناء الجزائر يشعرون بهذه الآلام، فما لهم لا يكونون شعراء؟"[46].

ويمكن تصنيف أشعار الزاهري ومنتجه الشعري عموما في المواضيع الآتية:

- القضايا الوطنية.
- شعر المدح والمواساة.
- شعر الانحراف الديني.
- الشعر الذاتي (الشخصي): الرثاء، الوصف، الغزل.

ويمكن تقسيم مجموع القصائد التي جمعتها إلى ما يأتي:

القصائد	الموضوع
07 قصائد	القضايا الوطنية
07 قصائد	شعر المدح والمواساة
05 قصائد	شعر الانحراف الديني
11 قصيدة	الشعر الذاتي (الشخصي): الرثاء، الوصف، الغزل.

على أن القصيدة الواحدة قد تجد فيها مواضيع أخرى قد تكون وطنية أو شعر مواساة، أو انحرافا دينيا أو ما شابه ذلك، وقصائد الزاهري كما يقول طبيش:" تفيض حبا وحنان وشفقة ورحمة بالوطن الجزائري، وتزخر بوعوده على أنه سيبعث في قومه الحياة بأعماله الصالحة، وأقواله الصادقة، وأنه سيسعى وراء الحق المسلوب والضائع لاسترداده من براثن الاستدمار الغاشم[47]، يقول الزاهري في قصيدة (الجزائر تحيي الجزائر):

وأطلـــــب حَقًّـــــا للـــــجزائرِ ضـــــائِعًا *** ولـــــو كـــــان محميًّـــــا بأنيـــــابِ أَغْـــــوالِ

فَلَيْسَـــــتْ حُقـــــوق جـــــدَّ فِـــــيهُنَّ طَالِـــــبِ *** تفـــــوتُ ولـــــو صـــــينتْ ببـــــابٍ وَأَقفـــــالِ

وأركـــب متـــن الجـــدّ واللّـــين إنّنـــي *** رأيـــت ركـــوب الجـــدّ واللّيـــنِ أَولَـــى لِـــي
وَأنشُـــر فـــيهم مـــا انطـــوى مِـــن مفـــاخرٍ *** وفضـــلٍ لِلَاجْـــدَادِ أوَائِـــلَ أَقْيَـــالِ[48]

وبعد قراءة فاحصة لمنتج الزاهري الشعري وجدت أنه تناول في الشعر الوطني عدة قضايا هامة، تتمثل في الالتفات إلى الماضي المجيد لتحفيز الشعب على الاستبداد والنهوض بالأمة ضد المستدمر، والاستمداد من الماضي التليد وتاريخ الأمة العظيمة، كما شخص الزاهري الأمراض الفاشية في المجتمع خاصة منها الاجتماعية والأخلاقية، منها: الجهل والفقر، والتنافر وغيرها، كما تحدث عن الاستعمار وما جنته يداه في الجزائر، وما جلبته سياساته الغاشمة والظالمة من خراب في الواقع الوطني، حيث استولى على ثروات الوطن، كما سعى لنشر القيم المنحرفة، والديانات الفاسدة، ثم بلغت به الدناءة لتسخير الجزائريين خدمة لقضاياه، ولهذا علق الزاهري الأمل على مثقفي الجزائر خاصة الذين درسوا خارجها وتثقفوا وتشبعوا بالقيم العربية والإسلامية لمواجهة هذا الاستدمار الغاشم، كما حارب في شعره الطرقية والتصوف المذموم الخادم لقضايا الاستعمار، والذي يعينه بدوره على نشر الجهل والخرافة، في حين أن الشعب محتاج لمن ينور دربه، وينشر العلم الصحيح، يقول رابح فروجي:" تتضح لنا حقيقة أن شعر الزاهري اتجه لمعالجة قضايا وطنه، ونقد الواقع، والثورة على عوامل الهدم فيه، وحتى الأغراض الذاتية (كالغزل والرثاء والوصف) لم تكن أغراضا لذاتها بل استعملت ووظفت لصالح الوطن لا من أجل الذات وهو تجديد يحسب للزاهري"[49]. فكان كل ما كتبه من أجل القضية الكبرى هي قضية تحرير الوطن، فرأى الزاهري أنه يجب تسخير كل القضايا والمواضيع والظروف من أجل ذلك، وهو هدف أسمى وعزيز قلما فكر فيه غيره آنذاك.

وفي خاتمة هذا البحث نقول إن الشيخ محمد السعيد الزاهري أديب بحق، وحريّ بالمهتمين بالتاريخ والأدب أن يلتفتوا لهذه الشخصية المهمة، التي شكلت جزءا من تاريخنا المجاهد والمبدع في الوقت نفسه، فقد سطر بقلمه أرقى المقالات، ودبج أروع القصائد التي طارت بها الصحف الجزائرية والعربية في الآفاق، ودون الزاهري اسمه في كبرى المجلات العربية المشهورة، فهو يستحق التفاتة جادة من لدن المهتمين لجمع بقية آثاره، والعمل على نشرها ودراستها، فهو إن كان مجاهدا

ضد المستدمر ومن أكبر المعاندين لفرنسا، فهو في الوقت نفسه معلم ومربٍّ وصحفي وأديب وشاعر شهد له القاصي والداني بالهمة العالية والإبداع الأدبي.

قائمة المراجع:

الكتب:

01 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، ج05.

02 أحمد بالعجال، الشيخ محمد السعيد الزاهري فكره وآراؤه السياسية (1900-1956م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، 2017-2018م.

03 أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة (أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحمدي بن باديس)، دار البعث، قسنطينة، ط01، ج02.

04 عبد الكريم طبيش، ديوان محمد السعيد الزاهري، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر.

05 عبد المالك مرتاض، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة، بيروت لبنان، ط02، 1982.

06 محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الكتب بالجزائر.

07 محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، ط01، 1344هـ-1926م.

08 محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 1، المطبعة التونسية، تونس، 1345 هـ-1926م.

09 مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسارات وبصمات، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، ط01، 2015م.

الجرائد والمجلات:

01 جريدة المجاهد الأسبوعية العدد: 1666 بتاريخ 10 جويلية 1992.

02 جريدة النجاح :العدد167 ، الجمعة 25جويلية1924م.

03 جريدة النهضة، السنة الثانية، العدد 564، 1925.

04 مجلة الشهاب، مج 09، ج 13 شعبان 1352هـ-ديسمبر 1933م.

05 جريدة المحقق .عدد 8 من 7 ماي إلى 13 ماي2006 .

06 المنتقد، الجزائر، السنة الأولى، العدد 05.

مذكرات التخرج:

01 رابح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، مذكرة مقدمة ليل درجة الماجستير، جامعة عين شمس مصر، 1409هـ-1989م.

02 عبد القادر قوبع، العلاقات الصحفية بين منطقة الزيبان وتونس 1920-1934، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

03 عبد الكريم طبيش، أدب المقاومة عند الزاهري من خلال جريدة البرق، دراسة إحصائية فنية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب جامعة منتوري، قسنطينة، 1428هـ-2007م.

04 عبد الكريم طبيش، الإبداع الأدبي والفكر النقدي عند محمد السعيد الزاهري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة قسنطينة 1، 1434هـ-2013م.

الهوامش والإحالات:

1 - ليانة إحدى قرى الزاب الشرقي ولاية بسكرة حاليا.

2 - ينظر ذلك في: فوزي مصمودي أعلام من بسكرة، محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر (ج01)، عبد القادر السائحي (روحي لكم، تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث، وعبد العالي رزاقي، نماذج من الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الثورة).

3 - محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، ط01، 1344هـ-1926م، ص63.

4 - ذكر ذلك محمد الهادي السنوسي الزاهري في كتابه شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص184. وقال بأن جده الأكبر (أبي زاهر) الحسني نسبة إلى الحسن السبط ﷺ حفيد النبي ﷺ.

5 - محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص 64.

6- المرجع نفسه، ص 65.

7 - المرجع نفسه، ص 65.

8 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة (أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحمدي بن باديس)، دار البعث، قسنطينة، ط01، ج02، ص 132.

9 - محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص 66.

10 - نشرت في جريدة النهضة، السنة الثانية، العدد 564، 1925، ص 03.

11 - رابح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، مذكرة مقدمة ليل درجة الماجستير، جامعة عين شمس مصر، 1409هـ-1989م، ص 12.

12- محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 1، المطبعة التونسية، تونس، 1345 هـ - 1926م، ص 56.

13 - جريدة النجاح :العدد167 ، الجمعة 25جويلية1924م، ص 03.

14 - رابح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، ص 13.

15 - مجلة الشهاب، مج 09، ج 13 شعبان 1352هـ-ديسمبر 1933م، ص 520.

16 - ينظر: رابح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، ص 31-32.

17 - ينظر: المرجع نفسه، ص 34.

18 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة (أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحمدي بن باديس)، ص 133.

19 - محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الكتب بالجزائر، ص09.

20 - محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ص 07.

21 - رابح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، ص 59.

22 - المرجع نفسه، ص 59.

23 - عبد المالك مرتاض، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة، بيروت لبنان، ط02، 1982، ص 112.

24- محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 7.

25 - ذكرت هذه المؤلفات في آخر كتاب الإسلام في حاجة لدعاية وتبشير، طبعة دار الكتب بالجزائر، ص 123.

26 - أحمد بالعجال، الشيخ محمد السعيد الزاهري فكره وآراؤه السياسية (1900-1956م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، 2017-2018م، ص 124.

27 - عبد الحميد بن باديس، المنتقد، الجزائر، السنة الأولى، العدد 05، ص 23.

28 - محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص67.

29 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، ج05، ص 258.

30 - ينظر: عبد القادر قويع، العلاقات الصحفية بين منطقة الزيبان وتونس 1920-1934، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص124.

31 - عبد الكريم طبيش، أدب المقاومة عند الزاهري من خلال جريدة البرق، دراسة إحصائية فنية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب جامعة منتوري، قسنطينة، 1428هـ-2007م، ص 50، 51.

-32 ينظر بن عيشة الطاهر "شيخ الأدب والصحافيين"، جريدة المحقق .عدد 8 من 7 ماي إلى 13 ماي2006 ، ص32.

33 - وقد ذكر السائحي تفاصيل مكان وظروف طباعة، فقال: إن جريدة الجحيم كانت تطبع في مطبعة بن باديس ليلا بقسنطينة دون علمه .وأن العمال يقومون بذلك خارج أوقات عملهم، وفي سرية تامة لأن الشرط الأساسي بينهم وبين أصحاب الجريدة هو ألا يعلم الإمام بذلك. جريدة المجاهد الأسبوعية العدد: 1666 بتاريخ 10 جويلية 1992 ص:20.

34- أحمد بالعجال، الشيخ محمد السعيد الزاهري فكره وآراؤه السياسية (1900-1956م)، ص135.

35 - نقلا عن: مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسارات وبصمات، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، ط01، 2015م، ص42.

36 - مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسارات وبصمات، ص 43. وقد جمعت أكثر هذه المقالات عدا ما نشره الزاهري في جرائد: المنار، والقلم الحديدي، والجهاد، والسمير، وقد راسلت المهتمين بالمخطوطات والجرائد والمجلات، ولكن لم أستطع الحصول عليها لقدمها وعدم توفر أعدادها، خاصة مجلة القلم الحديدي التي ربما ضاعت وأتلفت بسبب سياسة دولة البرازيل التي حتمت عليهم مصادرة كل ما نشر بغير لغتهم، ولعل الله يفتح لنا البحث مرة أخرى ونحصل عليها.

37- المرجع نفسه، ص 43.

38- مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسارات وبصمات، ص 45.

39- ينظر: الشيخ محمد السعيد الزاهري فكره وآراؤه السياسية (1900-1956م)، ص126 وما بعدها.

40- لم أظفر بقصيدة بهذا العنوان، ولعل لها عنوانا آخر كما هي عادة الزاهري في تغيير العناوين، مثل قصيدة يوم أنس أو اجتماع الضدين.

41- محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص67.

42 - هاض: أي كسر بعد جبر، سطا: يَسْطُو سَطْواً، وَالاسْم السَّطْوَة، وسطا الفحلُ، إذا صال.

43 - ريطا: كل ملاءةٍ ليست بذات لفقين، كلها نسج واحد، وهي قطعة واحدة؛ او كل ثوبٍ لينٍ رقيق؛ قال الأزهري : ولا تكون الريطة إلا بياض.

44- عبد الكريم طبيش، ديوان محمد السعيد الزاهري، دار خيال، برج بوعريريج، الجزائر، ص 31.

45- عبد الكريم طبيش، الإبداع الأدبي والفكر النقدي عند محمد السعيد الزاهري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة قسنطينة 1، 1434هـ-2013م، ص 79.

46- محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص 62.

47- عبد الكريم طبيش، الإبداع الأدبي والفكر النقدي عند محمد السعيد الزاهري، ص 79.

48- محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص 70.
49- رابح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، ص 130.

حفريات في أدب الشهادة وتأملات في متون أدبية جزائرية

Excavations into the literature of martyrdom and reflections on Algerian literary texts

طالبة الدكتوراه/ فاطمة عسول

الأستاذ الدكتور/ حمزة حماده

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي (الجزائر)

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي

assoul-fatma@univ-eloued.dz

hamada-hamza@univ-eloued.dz

ملخص:

تروم هذه الورقة البحثية إلى التعريف بما يعرف بأدب الشهادة أو أدب المقاومة، انطلاقا من الحفر عن مفهومه ومضمونه الأول، هذا الأدب الذي جاء بمثابة وثيقة تاريخية حتى يُعرف ويخلد أسماء كان من الأجدر أن تنقش أسماؤهم بحروف من ذهب وهذا أقل ما يمكن أن يقدم لهم كعربون محبة اعترافا لما قدموه خدمة للجزائر والجزائريين، أدباء بل نقول شهداء حاربوا ودافعوا عن أرض المليون ونصف المليون شهيد بأرواحهم و رفعوا أقلامهم في وجه العدو الفرنسي رافضين له ومنددين بأعماله الاجرامية، وهذا ما سنتطرق له دراسة وتحليلا في بعض المتون الأدبية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: حفريات؛ أدب الشهادة؛ مفدي زكرياء؛ عبد الكريم العقون؛ الحبيب بناسي.

Abstract:

The objective of this research paper is to introduce the concept of what is commonly referred to as the literature of martyrdom or the literature of resistance, drawing from a comprehensive analysis of its initial conceptualization and content. This literature, serving as a historical testament, aimed to preserve and immortalize the names of those individuals, ideally memorializing their contributions in a manner worthy of

their sacrifices. With a profound appreciation for their dedicated service to Algeria and its people, these individuals, deemed not just writers but martyrs, courageously fought and defended the nation against the French oppressors, sacrificing their lives and using their pens to confront and condemn the enemy's atrocious deeds. This will be the focus of our study and analysis of select Algerian literary works.

key words: Excavations; Literature of Martyrdom; Mufdi Zakaria; Abdul Karim Al-Aqoun; Al-Habib Benassi.

مقدمة

تنوعت الكتابات الإبداعية الجزائرية في فترة الاستعمار وبعدها، حتى عُدت كسلاح في يد كل أديب مساند لثورته وشعبه، فكانت كلماتهم ومواقفهم بارزة في كتاباتهم شعرا ونثرا، فحتى بعد رحيلهم ظلت أثارهم باقية كيف لا وهم من دونوا أفكارهم ومواقفهم إزاء الاستدمار الفرنسي، فنددوا بالجرائم التي ارتكبها هذا المستعمر ووقفوا صامدين في وجهه بل ظلت مواقفهم ثابتة، بالرغم من محاولة المستعمر تصفية هذه النخبة المثقفة إلا أنَّ أدباءنا أكملوا مشوارهم كتابة ونشرا، حتى أنَّهم لم يستعملوا أسماء مستعارة فكل نص جاء مقرونا باسم مؤلفه الحقيقي وبهذا كانت المكتبة الجزائرية غنية بالمنجزات الأدبية والفكرية وبإرث ثقافي وأدبي عظيم يعود الفضل فيه لثلة من الأدباء الشهداء ممن كتبوا شعرا ونثرا؛ رواية وقصة؛ مسرح وأدب شعبي؛ فكانت صورة الشهيد بارزة في الابداع الأدبي الجزائري وظلت محفورة وخالدة في الذاكرة تنطوي ضمن ما يُعرف بأدب الشهداء.

ومنه نتساءل: ما هو أدب الشهادة؟ وما مضمونه؟ وما هي أبرز المصطلحات التي تمثل هذا الأدب؟ ومن هم أبرز من كتبوا في هذا الأدب؟

1- أدب الشهادة -حفريات في المصطلح-.

أ- مفهوم الأدب.

يعرف الأدب على أنه "الفن اللغوي الجميل الذي يعبر شعرا أو نثرا عن تجربة تتخذ شكلا من الأشكال الأدبية المتعارف عليها، كالشعر والقصيدة والرواية والمسرحية، وقد تعرض الجذر الثلاثي لكلمة (أدب) على مدى تاريخ الأدب العربي لتطورات متعاقبة في صياغتها ومعناها: فظهرت في العصر الجاهلي بصيغة اسم (آداب) الذي يحمل دلالة حسية تعني الدعوة إلى الطعام، وفي العصر الإسلامي اتخذت دلالة تهذيبية أخلاقية **كما في قول الرسول ﷺ (أدبني ربي فأحسن تأديبي)"**[1] أما في "العصر الأموي عرفت كلمة (مؤدب) وأطلقت على معلمي اللغة والأخبار والشعر والثقافة العربية بوجه عام، ومنذ أواخر العصر الأموي شاعت كلمة (أدب) بكلتا الدلالتين الخلفية والتعلمية العامة، ووردت في عناوين العديد من الكتب"[2].

أما في معجم النقد الأدبي فيعرف الأدب على أنه[3]:

- مجموعة من الأعمال المكتوبة والتي تنطوي على هدف ذي طبيعة جمالية (وفلسفية وأخلاقية أيضا ...الخ).
- فن كاتب، وعمله، وفي سبيل المثال أن يكرس حياته للأدب.
- مجموعة من المعارف المتعلقة بالآداب وتاريخها، ومضمونها وشكل وصيغ الأعمال الأدبية، محاضرات أدبية وغيرها.
- وهناك معنى آخر يفيد الابتذال ويعني كل من لا علاقة له مع المعيش، وهو مصطنع، فيقال نظرياته الجميلة، نظريات أدب.

ب- مفهوم الشهادة.

نقصد بمصطلح الشهادة "أن نقص حدثا، نؤكده، نوثقه، ندينه، ننقله وتهدف الشهادة إلى النقل أكثر من التواصل فالشاهد يملك حقيقة أكثر من امتلاكه رأيا، والشهادة هي العلاقة بين

الحقيقة ونقلها "[4] وكثيرا ما تكون الشهادة حقيقية، وللشاهد "حرية بناء شهادته وترتيب أفكارها وأحداثها... يستطيع أن يتذكر أو ينسى واقعة ما وتضخيم أو تهميش حدث... استبعاد أو إضافة عنصر من العناصر، فمشكلة الذاكرة تظل باقية لأنه يشهد على حدث في الماضي القريب أو البعيد"[5] فالشهادة توثيق ونقل لحدث ما وتتطلب وجود شاهدا.

وعلى الشاهد أن يكون ذو "لغة تثير الإعجاب ومقنعة، فله أسلوبه الخاص وطريقة عرضه للأمور، وإعطاء قيمة لبعض التفاصيل أو على العكس من ذلك الحد من أهميتها، فالشاهد العيني ينقل ما يعتقد أنه رآه وسمعه، فقوله يكون صدقا أو كذبا ولا نستطيع قياس المسافة بين الواقع وشهادته"[6]

ج- مفهوم أدب الشهادة.

يرتبط أدب الشهادة، بتدوين ما كتبه الأدباء شعرا ونثرا أو عمل مسرحي وغيرها، ويأتي هذا الأدب كشهادة على حدث ما في فترة من الزمن إنَّه أدب "يرتبط بالجرائم التي ترتكب في حق شعوب بكاملها، أو في حق اثنيات متخالفة في العرق والدين داخل أمة واحدة وقد ازدهر انتشار هذا الأدب، في العصر الحديث، لانتشار الحروب والمجاعات وأهوالها الفظيعة في الحياة العامة للناس، وقد كتب أدب كثير حول الحربين العالميتين الأولى والثانية، وبقيت المرويات حولها شاهدة على ما خسره الانسان في حياته الحضارية"[7] ومن هنا يكون أدب الشهادة شاهدا على أحداث ومعاناة أمة فقد "كتب أدباء عالميون حول محنة الانسان في حروب أخرى، اندلعت بعد الحرب العالمية الثانية، كما نجد عند الأديب الفرنسي (جان جينيه Jean Genet) في كتابه (صبرا وشتيلا) أو ما كتبه الأديب الاسباني (خوان غويتيسولو Juan Goytisolo) حول سراييفو، لقد كان هذان الأديبان مشدودين إلى محنة الانسان الإنسان باعتباره انسانا يعاني وجوده الحياتي معاناة أليمة تصطرع فيها قوى التدمير وقوى البناء، ولا خلاف في كون الأدباء الفلسطينيين هم أكثر انتاجا في (**أدب الشهادة**)"[8] وغيرهم من الأدباء ممن عان شعبهم الاضطهاد والظلم، والأدباء الجزائريين عينة منهم، هؤلاء الذين كان لهم ارثا أدبيا عظيما مدافعين فيه عن أفكارهم وعن شعبهم وأرضهم وصامدين في وجه العدو الفرنسي، أدباء كتبوا وهم أحرارا وكتبوا وهم بين قضبان السجون وهذا مثال

للتحدي والصمود، ومن بين هؤلاء الأدباء نذكر على سبيل المثال لا الحصر: العربي التبسي؛ الربيع بوشامة؛ أحمد رضا حوحو؛ مولود فرعون، محمد الأمين عمودي وغيرهم كُثر.

د- أدب الشهادة والتعدد الاصطلاحي.

مصطلح **أدب الشهادة** كغيره من المصطلحات يشوبه التعدد في التسمية ولكن مضمونه يظل واحدا وثابتا ففي البحث في المصطلح وخلفياته ومضمونه المعرفي، نلاحظ قلة الدراسات فيه والبحوث التي تتخذه كموضوع للدراسة، بالرغم من الأهمية الكبيرة التي يكتسيها هذا الأدب، هذا الأخير الذي يصطلح عليها أيضا (بأدب الحرب؛ أدب ما بعد الكولونيالي؛ أدب الاستدمار؛ الأدب الزنجي والأدب المقاوم) إلا أن المصطلح الأكثر شيوعا هو أدب الشهادة أو أدب المقاومة.

قبل الحديث عن مصطلح أدب المقاومة، وجب الإشارة إلى اللفظ المركزي في هذا المصطلح وهو (المقاومة) والتي "تعني رد الفعل، ومواجهة العناصر الدخيلة، ورفض تقبلها والتصدي للاعتداءات التي تقع من طرف أي أجنبي، وما دام الجزائريون لم يتقبلوا الأمر الواقع فهم من عام 1830 إلى 1962 في مقاومة.. عرفت بنبالتها واصرارها وروحها الوطنية طوال القرن والثلث من الوجود الفرنسي، اتسمت بالرفض المطلق للوجود الاستعماري المطلق واتخذ هذا الرفض في بعض الأحيان مظهر التحدي المتصلب لكل القرارات والإجراءات الاستعمارية، سواء كانت قانونية أو إدارية أو عسكرية، بل حتى لو كانت حضارية ثقافية"[9] وأدب المقاومة يتمثل في تلك المنجزات الأدبية والفكرية التي كتبها الأدباء الشهداء يجسدون من خلالها مقاومتهم لذلك الاستدمار الفرنسي وبهذا يكون أدب المقاومة بمثابة "مزاوجة بين التاريخ من حيث هو فعل وحدث وبين الأدب من حيث هو خيال وتصوير"[10] وبالبحث في ذاكرة مصطلح (أدب المقاومة) نجد أن "لحظة جريانه الأولى على أقلام الكتاب والنقاد، نجد الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني أول من أطلق المصطلح وأشاعه قبل أن يحذو حذوه الناقدون والدارسون ويصبح مصطلحا قارا وفاشيا في الأدب والصحافة وذلك من خلال كتابيه (أدب المقاومة في فلسطين المحتلة سنة 1966 والأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال سنة 1968"[11].

أما **(أدب الحرب)** فيقصد به ذلك الأدب الذي يتخذ من الحروب موضوعا له، فكثيرا ما كانت هناك الكثير من المنجزات الأدبية التي صورت العديد من الحروب وربما القضية الفلسطينية واحدة منها، ومن هنا نلاحظ أن مضمون أدب الشهادة لا يبتعد عن مضمون أدب الحرب، أما الأدب **(ما بعد الكولونيالي)** فهو الأدب الذي "يعبر عن الأدب الذي وجد في الدول المستعمرة خلال فترة الاستعمار"[12] وهذا ما يرمي له أدب الشهادة أيضا، كانت هذه بعضا من المصطلحات التي تداخل مع مصطلح أدب الشهادة، إلا أنَّ هذا الأخير الأكثر شيوعا بالرغم من أنَّ العناية بهذا الأدب قليلة جدا والدراسات فيه تكاد تكون نادرة.

2- تمظهرات أدب الشهادة في بعض من المتون الأدبية الجزائرية

كثيرا ما كتب الأدباء الجزائريين عن الثورة الجزائرية وخلدوها في كتاباتهم شعرا ونثرا، فحتى بعد استشهادهم خُلدت هذه الثورة وخُلدت أسماؤهم معها، حتى عُدَّ أدبهم -أدب شهادة- بامتياز، وإذا أردنا أن نستحضر بعض الأسماء ممن تركوا بصمة واضحة بعد وفاتهم نذكر شاعر الثورة الجزائرية **(مفدي زكرياء)** الذي قدر له "أن يصف الثورة الجزائرية من موقع المناضل الممارس، والسجين المجرب، والوطني المتابع، والمثقف المطلع أيضا، على مسار الحركة الوطنية وتطور أحداثها، وتضحيات رجالاتها، وما ألحق بهم الاستعمار الفرنسي الضاري من الأهوال الهائلة"[13] فقد كان يحتل "المنزلة الأولى في طبقة شعراء الثورة الجزائرية بلا منازع يذكر، كما يجب أن يصنف في الطبقة الأولى من الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ولعله الشاعر الأكثر شهرة في الداخل والخارج في تاريخ الشعر الجزائري إطلاقا، ولعل ذلك يعود إلى قصائده الغر التي خَلد بها الثورة الجزائرية فخُلد بها، يضاف إلى ذلك النشيد الوطني الذي كتبه وهو في سجن بربروس في خامس وعشرين من أبريل سنة 1955 فيما يذكر الشاعر ذلك شخصيا"[14].

الفخر الأكبر للشاعر الجزائري **مفدي زكرياء** والشرف الأعظم الذي ناله هو أنَّ أحد قصائده اختيرت لتكون "الشعر الوطني الذي يردده الجزائريون جميعا، وكفى بذلك له فخرا وهو شرف تنقطع دونه أعناق الشعراء الجزائريين فاستبد به وحده والله يؤتى الفضل من يشاء من عباده"[15] فقد كانت قصائده من أروع القصائد "في وصف الثورة الجزائرية والتغني بها، أو التغني

بشهدائها وأبطالها، وهي كلها مطولات يزيد عدد أبياتها عن خمسين بيتا (وهذه خاصية أخرى يتفرد بها أيضا، إذ استثنينا مطولات محمد الصالح باوية في الثورة، ولكنها مطولات من الشعر الحر (الذبيح الصاعد، زنزانة العذاب، قال الله، تعطلت لغة الكلام، اقرأ كتابك، وقالو نريد) ولأمر ما وضع الشاعر هذه القصائد المطولة في صدر ديوانه، فهي من عيون شعره حقا، كما تعد في الوقت ذاته من روائع الشعر العربي الثوري"[16].

أما عن خصائص شعر الشاعر الجزائري **مفدي زكرياء**، فمن يقرأ له يلاحظ ما يلي[17]:

- أن شعره يستميز بجملة من المميزات لعل أهمها جمالية الإيقاع وغناه.
- تناص لغته مع القرآن والتراث الأدبي العربي القديم والحديث.
- بساطة اللغة على ما فيها من أناقة ورشاقة.
- العمد إلى استعمال الطريقة المباشرة في عرض الأفكار والقضايا.
- دأب القصيدة العمودية والميل أثناء ذلك إلى الخطابية المقعقعة.

إضافة إلى النشيد الوطني (قسما) الذي ذاع به صيت شاعر الثورة الجزائرية والمجاهد والمناضل مفدي زكرياء، نستحضر ما كتبه عن ليلة أول نوفمبر، ليلة اندلاع الثورة الجزائرية وبداية الجهاد من أجل نيل الحرية، ليلة فضل فيها الشعب الجزائري أن يناضل بالنفس والنفيس حتى تبقى الجزائر بلدا شامخا برجاله ونسائه هؤلاء الذين لم يتوانوا في الدفاع عن وطنهم والتضحية من أجله، ليلة شبهها الشاعر الجزائري بليلة القدر هذه القصيدة يقول فيها[18]:

وهَلْ سَمِعَ المُجِيبَ نِداءَ شَعْبٍ فَكَانَتْ لَيْلَةُ القَدْرِ الجَوَابَـــا
تَبَارَكَ لَيْلُكَ المَيْمُونَ نَجْمـــًا وَجَلَ جَلاَلُهُ هَتْكُ الحِجَابَـــا
زكتْ وَثباتُه عَن أَلْفِ شَهْـــرٍ قَضَاهَا الشَعْبُ يَلْتَحِقُ السَرَابَا...
بِنَاشِئَةِ هُنَاك أشُد وطـــأ و أَقْوم مُنْطَلَقًا، وأَحد نابَـــا
مَلائك بالفو اتك نـــَازِلاتٌ بإذْنِ الله أرْسِلها خَطابَـــا
تَنَزل رُوحُها مِن كُلِ أمْـــر بأحْرَارِ الجَزائرِ قَدْ أَهَابَـــا

فمن عظمة تلك الليلة (ليلة اندلاع الثورة التحريرية) شبهها الشاعر الجزائري بليلة القدر، وعن الثورة التحريرية ما عاناه الشعب الجزائري من وحشية الجيش الفرنسي وأعماله الوحشية، ومع كل هذا كان هذا الشعب على ايمان تام بِكَسرِ شَوكةِ الوحش الظالم وعن ذلك يقول مفدي زكرياء[19]:

لا النار، لا التقتيل يثني عزمه لا السجن لا التنكيل، لا الإعدام
لا الذاريات، الماحقات هواطلا لا الشامخات تدكها الألـغـــام
لا القاصرات الفاقلات كواعبا ديست قداستها وفض ختـــام
لا الحاملات بطونها مبقـــورة ذبحت أجنتها وفـــك حـــــزام
لا والمراضع عوضت أثدائـــها بفم المسدس والرصـاص فطام
والأم يهتك عرضها وفحولهـــا حول الفضيحة شاخصون قيـام
يا للفضاحة من وحوش جـــوع تسمو عـلى أخلاقـــها الأنعـام
وضعت فرنسا في النذالة بدعـة لم تروها الإعصـاروهي ظـلام
يا لعنة الأجيال أنت شهـــادة إن التمدن للشـــــرورلثـــام

بالرغم من البشاعة والاجرام الذي عاشه الشعب الجزائري في فترة الاستعمار الفرنسي من قتل وسجن وتنكيل واعدام إلا أنَّه بقوته وبسالته كسر شوكة ذلك المستعمر المستبد وظل ثابتا في مواقفه وصامدا حتى نال حريته.

إضافة إلى الشاعر الجزائري مفدي زكرياء نذكر الشاعر **(عبد الكريم العقون)** الذي كان من بين أبناء الجزائر الذي وهب حياته لخدمة وطنه فقد كان المعلم والإمام والمرشد والمصلح السياسي والمنضال والشهيد فقد بدأ جهاده بالكلمة ومن ثم انتقل إلى الجهاد الثوري وكتاباته شاهدة عن ذلك فقد "تجاوب عطاؤه الشعري مع الأحداث السياسية، والقضايا الوطنية والعربية التي استحوذت على اهتماماته حيث واكب شعره حركة النظال الوطني التي عايشها الشعب الجزائري في محنته أسام فترة الاستعمار الحالكة"[20].

لقد عايش عبد الكريم العقون الثورة الجزائرية بأبعادها المختلفة، وعان ويلاتها، فتناولها في شعره، فخصص بعض القصائد منها "للثورة ولكفاح الشعب الجزائري، والتنديد بالاستعمار وسجل بعض الأحداث الوطنية كمجازر 08 ماي 1945، وأشاد بثورة الجزائر وبتاريخها المجيد، ودعا إلى الوحدة الوطنية والمحافظة على مقومات الشخصية والهوية الجزائرية حتى تتحقق الآمال، ولهذا فقد تنوعت موضوعات شعره بين الاتجاه الوطني والاتجاه القومي والاتجاه الذاتي ... والنزعة الإصلاحية الوطنية قد طغت على أشعاره شأنه شأن أقرانه من الشعراء الجزائريين"[21] حتى أنَّ المطلع على كتاباته يلاحظ أنَّه "لم تظهر قضية أو حادثة أو مشكلة تعرض لها الشعب إلا وأبدى الشاعر الجزائري رأيه فيها، ووقف يناضل في إصرار عنيد عن حقوق شعبه ضد الاستعمار وأطماعه"[22] وبالرغم من كل المضايقات التي تعرض لها الكُتاب الجزائريين أيام الثورة التحريرية من طرف المستعمر الفرنسي إلا أنَّ الشاعر الجزائري (عبد الكريم العقون) كان يَقْرِنُ كتاباته دوما باسمه الحقيقي ولم يضع اسما مستعارا أبدا، وفي هذا دليل على شجاعته "فمعظم نتاجه الشعري منشور على صفحات البصائر حيث نشر قصيدة واحدة بعنوان (يا شباب انهض) في العدد 95، عام 1938، في السلسلة الأولى (1935-1939) وحوالي أربع وعشرين قصيدة في السلسلة الثانية (1947-1956) كما نشر قصيدة واحدة بعنوان (أخيرية العقبي لازالت ملجأ) في مجلة المنار العدد 39، عام 1941 كما نشر عام 1984 قصيدتين (روحي تناديك) و(عبرة) في مجلة افريقيا الشمالية، ونشر أخر قصيدة في جريدة البصائر قبل بضعة شهور من اندلاع الثورة بعنوان (مسجد أعظم من مسجد)"[23] وبعدها توقف عن النشر ولكن لم يتوقف عن الكتابة.

ومن بين الأقلام الأخرى التي خلدت الواقع المرير للشعب الجزائري ابان الثورة التحريرية نذكر "محمد العباد الجيلالي في قصة (أعنى على الهدم أعنك على البناء) المنشورة في جريدة الشهاب عام 1930 ومحمد السعيد الزاهري في قصة (المساواة) المنشورة في جريدة الجزائر، ومن أصحاب الأقلام أيضا أحمد بن عاشور في مجموعته (طلقات البنادق) وأحمد رضا حوحو في مجموعته القصصية (نماذج بشرية) المستوحاة من الواقع الاجتماعي وملامحه... والحبيب بناسي مؤلف قصتي (شهيد بلا قبر) و(مأساة أسرة) حيث نجده يصور الجندي الفرنسي سيئ الخلق عديم الإنسانية"[24].

لقد كانت هذه نماذج قليلة عن بعض المتون الأدبية الجزائرية التي تنطوي ضمن ما يصطلح عليه بأدب الشهادة، كتابات استطاع من خلالها مؤلفوها أن يدونوا أحداث الثورة من جهة وأسماؤهم من جهة أخرى فقد كتبوا في الشعر والنثر وشتى الأجناس الأدبية وسعوا جاهدين إلى التنديد بالأعمال الاجرامية التي مارسها العدو الفرنسي في حق الشعب الجزائري.

صفوة المستخلص: في ختام ما تم ذكره توصلنا لجملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- ✓ أدب الشهادة أدب خلد الأدب والأدباء، وحفظ شهادات دونها كتابها حتى نالوا معا شرف الخلود.
- ✓ تنوعت مصطلحات أدب الشهادة ولكن مفهومها ظل واحدا، فهناك من يصطلح عليه بأدب الحرب وهناك من يطلق عليه أدب المقاومة وغيرها من المصطلحات الأخرى، ولكن مصطلح أدب الشهادة الأكثر استعمالا وشيوعا.
- ✓ ما يلاحظ أيضا أنَّ المكتبة الجزائرية غنية بهكذا كتابات، حفظت تاريخ أمة وشعب ضحى بالنفس والنفيس حتى ترفع راية الجزائر عاليا.
- ✓ بالرغم من المكانة الكبيرة التي يحتلها أدب الشهادة إلا أن الدراسات فيه قليلة بل تكاد تكون نادرة.
- ✓ مفدي زكرياء؛ عبد الكريم العقون؛ أحمد رضا حوحو والحبيب بناسي وغيرهم من الأدباء ممن نالوا شرف الشهادة ودونت أسماؤهم في سجل الأدباء الشهداء.

قائمة المصادروالمراجع

1. رامي أبو شهاب: ما بعد الكولونيالية: المنظور النقدي والمقاربة المنهجية، مجلة أبوليوس، المجلد06، العدد 02، جوان 2019.
2. شريبط أحمد شريبط: دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، منشورات المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 2007.
3. عبد اللطيف الزكري: أدب الشهادة، تاريخ الزيارة 2023/09/20، التوقيت 13:20، https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D8%A7%D8%AF%D8%A9/.

4. عبد الله شطاح: أدب المقاومة قراءة في الأدبية والالتزام، مجلة المدونة، المجلد 01، العدد02، 2015، الجامعة البليدة.
5. عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج1، دار هومة للنشر، الجزائر، 2009.
6. غراء مهنا: أدب الشهادة.. ظل الواقع وذاكرة التاريخ، تاريخ الزيارة 2023/09/20، التوقيت 12:30، https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsPrint/246502.aspx
7. فاروق شوشة، محمود علي مكي: معجم مصطلحات الأدب، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، 2007.
8. كامل عويد العامري: معجم النقد الأدبي، دار المأمون للنشر، بغداد، ط1، 2013.
9. محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى نوفمبر 1954، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1985.عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج1، دار هومة للنشر، الجزائر، د.ط، 2009، ص03.
10. مليكة بن بوزة: الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون -المسيرة والنضال-، المدونة، المجلد 01، العدد 02، جانفي 2015.
11. مليكة فريحي: المقاومة في الأدب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، مجلة عود الند، العدد107، 2015.

الهوامش:

[1] فاروق شوشة، محمود علي مكي: معجم مصطلحات الأدب، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، 2007، ص06.

[2] المرجع نفسه، ص06.

[3] كامل عويد العامري: معجم النقد الأدبي، دار المأمون للنشر، بغداد، ط1، 2013، ص262.

[4] غراء مهنا: أدب الشهادة.. ظل الواقع وذاكرة التاريخ، تاريخ النشر 07ديسمبر2013، تاريخ الاطلاع 2023/09/20، https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsPrint/246502.aspx

[5] المرجع نفسه.

[6] المرجع نفسه.

[7] عبد اللطيف الزكري: أدب الشهادة، تاريخ النشر 22 فبراير 2017، تاريخ الاطلاع 2023/09/20، https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D8%A7%D8%AF%D8%A9/.

[8] المرجع نفسه.

[9] محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى نوفمبر 1954، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1985، ص17.

[10] عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج1، دار هومة للنشر، الجزائر، د.ط، 2009، ص03.

[11] عبد الله شطاح: أدب المقاومة قراءة في الأدبية والالتزام، مجلة المدونة، جامعة البليدة، المجلد 01، العدد 02، 2015، ص41.

[12] رامي أبو شهاب: ما بعد الكولونيالية: المنظور النقدي والمقاربة المنهجية، مجلة أبوليوس، المجلد06، العدد 02، جوان 2019، ص68.

[13] عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، مرجع سابق، ص427.

[14] المرجع نفسه، ص428.

[15] المرجع نفسه، ص428.

[16] المرجع نفسه، ص429.

[17] المرجع نفسه، ص429.

[18] عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، مرجع سابق، ص437.

[19] شريبط أحمد شريبط: دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، منشورات المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 2007، ص58-59.

[20] مليكة بن بوزة: الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون -المسيرة والنضال-، المدونة، المجلد 01، العدد 02، جانفي 2015، ص91.

[21] المرجع نفسه، ص91.

[22] المرجع نفسه، ص91.

[23] مليكة بن بوزة: الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون -المسيرة والنضال-، مرجع سابق، ص91-92.

[24] مليكة فريحي: المقاومة في الأدب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، مجلة عود الند، العدد107، 2015.

صورة الشهيد في قصيدة "الذبيح الصاعد" لمفدي زكرياء

The image of the Martyr in the poem " The Rising Sacrifice" of Moufdi Zakaria

طالبة دكتوراه: بعطوط نور الهدى

إشراف: أ.دنبيل مزوار

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي(الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية، جامعة الوادي.

nourelhouda-baatout@univ-eloued.dz

ملخص:

تروم هذه الدراسة إلى بيان تشكل صورة الشهيد في قصيدة الذبيح الصاعد، لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء، حيث تركز هذه الورقة البحثية على تقديم صورة الشهيد البطل أحمد زبانه ماديا ومعنويا، من خلال ما ورد داخل هاته القصيدة، نظرا لما تتميز به هذه الشخصية دون غيرها من صفات ومزايا نبيلة تنم على المكانة العالية والصورة النقية الطاهرة التي يحظى بها هؤلاء الشهداء لا غير، وبطولاته التي قدمها في سبيل تحرير أرضه أرض الجزائر وشعبها، ونيل حريتها. بالإضافة إلى البحث واستخراج التناص، إذ ركزت هذه الدراسة على نوع واحد من أنواع التناص وهو التناص الديني.

الكلمات المفتاحية: صورة الشهيد، البطل، الجانب المادي، الجانب المعنوي، التناص، التناص الديني.

Abstract:

This study aims to demonstrate the shaping of the martyr's image in the poem of the Rising Sacrifice to the poet of the Algerian Revolution, Moufdi Zakaria, where this paper focuses on presenting the image of the hero martyr Ahmed Zabana physically and morally Through Mourd within this poem, given the character's exclusively noble qualities and advantages, the high standing and immaculate pure image of these witnesses. liberation of Algeria's land and people and freedom. In addition to research and

extraction of degradation, this study focused on one type of degradation, namely religious adherence.

key words: image of martyr, hero, material side, moral side, redemption, religious stigma.

مقدمة:

يعتبر أدب الشهادة من الروائع الخالدة التي انبثقت عن أدب المقاومة أو أدب الحرب، في الجزائر خاصة والعالم العربي عامة، سواء أثناء النكبة أو بعد النكبة أو قبلها، لأنه يصور بطولات ومآثر الشهداء والإبطال، سواء كان هذا الأدب شعرا أو نثرا، إذ تناول العديد من الكتاب الثورة الجزائرية ومهدوا بطولات أبطالها الشهداء، ومنهم شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء في قصيدته الخالدة الذبيح الصاعد التي ذكر مآثر الشهيد أحمد زبانه، أثناء إعدامه من طرف العدو الفرنسي الغاشم، والبعد الديني الذي يتميز به هذا البطل وهو ما أعطى للقصيدة مسحة جميلة من التناص الديني الذي تجلى داخل القصيدة.

إذن، ما الصّورة التي رسمها شاعر الثورة للشهيد؟ وكيف قدم الشاعر الشهيد البطل أحمد زبانا داخل القصيدة؟

وما الأبعاد الدلالية التي دلت على وجود التناص الديني في قصيدة الذبيح الصاعد؟.

1- قراءه عامه في قصيده الذبيح الصاعد:

تعتبر قصيده الذبيح الصاعد من الروائع الخالدة في تاريخ الأدب الجزائري خاصة والعالمي عامة، إذ تبين من خلال هاته المنظومة الشعرية حس الشاعر الثوري، والتزامه بالدفاع عن القضية الجزائرية أثناء مرحله الاستعمار الفرنسي وبعد انقضائها بواسطة القلم، وتمجيد بطولات شهدائها الأبطال وذكر مآثرهم.

القصيدة ذات نفس طويل حيث تقع في حوالي 68 بيتا نظمت على الطريقة التقليدية في شكلها، لكن في مضمونها مجددة لأنها تطرح فكره الشهيد البطل داخل القصيد وتخلده كما تبين حماس الشاعر وغضبه تجاه بلده، هذه القصيدة تخلد ذكرى الشهيد أحمد زبانه الذي أعدمته

يد جنود الاحتلال الفرنسي الغاشم حيث أنها تصف المشاهد لحظه إعدام البطل الثوري قبل استشهاده، في مشهد تاريخي تقشعر له الأبدان.

نظم الشاعر مفدي زكريا هذه القصيدة بسجن بربروس في الليل أثناء تنفيذ حكم الإعدام على الشهيد البطل أحمد زبانه أسطورة الثورة الجزائرية

2- البناء المادي لصورة الشهيد:

إن القارئ لقصيده الذبيح الصاعد لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء، يكتشف بأن البطل هنا هو الشهيد أحمد زبانه، إذ باتت شخصيته شخصية تاريخية وممجدة ورمزا ثوريا بطوليا فقد رصده الشاعر وما تميز به من مواصفات فريدة لحظه ذهابه إلى المقصلة لتنفيذ حكم الإعدام عليه من طرف المستعمر الفرنسي، الذي ارهبه هذا الجندي وبث في صفوفهم الرعب فهم لم يكلوا ولم يملوا حتى زجوا به إلى السجن لقتله لكن البطل هنا لم يهب أو يخشى الموت بل كان قلبه عامرا بالإيمان وعلى راحة نفسية تامة وكأنه لن ينتظر الموت، وهذا ما زاد من خوف العدو أكثر وإسراعهم في تنفيذ حكم الإعدام عليه كي يتخلص منه ومن بطولاته في أقرب وقت ممكن، المستعمر الفرنسي لم يدري في أن كل لحظه يموت فيها شهيد يولد شهيد آخر وكأن الجزائر أم الشهداء ولا تلد إلا الإبطال

قدم الكاتب للقارئ الجانب المادي لشخصيه الشهيد البطلة بكل موضوعية وذلك لأن القارئ يدرك قوة الشهيد وصلابته الجسمانية، فقد قدم الشاعر بعضا من صفاته وذلك بقوله:

قام يختال كـــــالمسيح وئيدا يتهادى نشوانَ، يتلو النشيـــــدا
باسمَ الثغر، كالملائكة، أوكالطْ طِفل، يستقبل الصباح الجديدا
شـــــامخًـــا أنفُه، جلالاً وتيهًا رافعًا رأسه، يناجي الخلـــــودا1

هنا تظهر الشاعر صور مختلفة للشهيد البطل ومقتطفات من صفاته الجسمانية وما يتميز به الأبطال، وتتجلى الصورة بوضوح عندما يمشي بتبخر وبكل ثقة حيث شبهه الشاعر وكأنه هو المسيح عيسى عليه السلام في مشيته، وثقته جعلت العدو وهو في وكره يهابه لأنّ هذا البطل

الشهيد الشهم يتكبر ويتأنى واثق الخطى ورأسه مرفوع وشامخا أنفه للسماء الذي لم ولن ينحني لآخر رمق له في حياته، إضافة إلى الابتسامة التي على شفاهه ولم تغب لحظه واحده وهذا ينم عن قدرات الشهيد البطل أحمد زبانه" من خلال إيمانه بنفسه وبالقدر وبخلود القضية التي يدافع عنها" [2]

فصوره البطل الشهيد أحمد زبانه هي صورة حقيقية وليست خيالية ومقوماته الجسمانية المادية حقيقية أيضا، وهي فكرة موجودة عند الجزائري والعربي والعالمي هذه الحقيقة القوية الجميلة التي ولدت من رحم الثورة والمعاناة.

الكاتب يعطي بعض الصفات النبيلة التي يتميز بها هذا البطل الشهيد ويمدحها ويتجلى ذلك في قوله:

وامتطى مذبحَ البطولة مِعْـ راجًا، ووافى السماءَ يرجو المزيدا
وتعالى، مثلَ المؤذّنِ، يتلـو كلماتَ الهدى، ويدعو الرقـودا3

ففي هذا النسق يُظهر جليا عدم خوف البطل من الموت لأنه يعلم بأنه سيكون شهيدا عند الله تعالى فهذا فخر ليس ليست كل الناس تحظى به، عندما وصفه الكاتب وكأنه سيمتطي صهوه الجواد وركوبه وليس الذهاب إلى المقصلة كما أنه لم ينسى ذكر الشهادة وتلقينها لنفسه وقراءة ما تيسر له من السّور قبل نيل الشهادة أحمد زبانه ما زال حتى آخر رمق يدافع عن القضية الجزائرية حيث وجه كلمات مدوية في وجه العدو هزت جميع الحاضرين ومن بينهم الخونة علّهم يفيقون من غفوتهم وسباتهم ويتوعدهم وهو أمام حافة الهاوية، حيث قال كلماته الخالدة:

اشنقوني، فلست أخشى حِبالاً واصلبوني، فلستُ أخشى حديدا
و اقضِ يا موتُ فيَّ ما أنت قاضٍ أنا راضٍ، إن عاش شعبي سعيدا
أنا إن متُّ، فـالجزائر تحيا حـرةً مستقلةً، لن تبيـدا[4]

فهو أسلوب التهديد والوعيد والتقليل من شأن العدو الفرنسي

هي آخر أقوال البطل الثوري الشهيد أحمد زبانه قبل تتويجه بالشهادة والتحاقه بركب إخوانه الشهداء، فمن خلال صدى هذه الكلمات التي تحمل نسقين أحدهما ظاهري والآخر مضمر.

فالنسق الظاهري هو أسلوب التهديد موجه لفرنسا للدلالة على أن الشعب الجزائري لا يهاب الموت وسيظل يدافع عن قضيته حتى يستعيد حريته وحرية أرضه المسلوبة منه ورضائه بالموت في سبيل أن نحيا الجزائر وشعبها حرة مستقلة سعيدة.

أمّا النسق الثاني وهو الخفي المضمر وهو موجه لأشباه الجزائريين الخونة الذين تخلوا عن أرضهم وقد قال هذه الكلمات عسى ضميرهم النائم يستيقظ.

إن شاعر الثورة مفدي زكريا الذي قدم للقارئ في قصيدته الذبيح الصاعد صورة الشهيد البطل أحمد زبانا المادية أثناء ذهابه للمقصلة لتنفيذ حكم الإعدام فيه، حيث قدم لنا صورة حقيقية للبطل وليست خياليه، وتميزه بالصفات التي تدل على الشموخ والكبرياء والتعالي والشجاعة وعدم الخوف والسيطرة وبث الرعب في بيت العدو لآخر نفس، إضافة إلى المدح الذي خصه به الشاعر وهو ثناء نابع من صدق ما في داخل قلب الشاعر من أحاسيس ومشاعر صادقه تجاه الشهيد البطل أحمد زبانه.

3- البناء النفسي لصوره الشهيد البطل:

إن صورة الشهيد أحمد زبانه قد تميزت في هذه القصيدة بعده صفات معنوية وهي صفات الأبطال الشهداء لا غير، بما في ذلك عدم الخوف من الموت حيث تتجلى في قول الشاعر:

اشنقوني، فلست أخشى حِبالاً واصلبوني، فلستُ أخشى حديدا[5]

هنا تهديد واضح من قبل أحمد زبانا للفرنسيين الذين الذي يدعوهم بتعجيل إعدامه لأنه لا يخشى الحبل ولا المقصلة التي دلت عليها كلمه حديد أو أي وسيلة من الوسائل التي سيقتل بها، كما قدم صفته الخلقية التي يتميز بها المؤمن وهي ترديده للشهادتين وتلاوته ما تيسر من السور والآيات ليجعل فمه معطرا بكلام الله سبحانه بقوله:

وتعالى، مثلَ المؤذّنِ، يتلو كلماتَ الهدى، ويدعو الرقودا[6]

فهذا ينم عن البعد الديني الذي يتميز به البطل احمد زبانا الذي لم ينس ذكر الله حتى آخر لحظه له في حياته بالإضافة إلى تميزه بصفات الحلم، حيث شبهه الشاعر بموسى عليه السلام عندما قال:

حالمًا، كالكليم، كلّمه المجـ ـدُ، فشدّ الحبالَ يبغي الصّعودا[7]

الشهيد هنا لم يكلمه الله تعالى لكن كلمه المجد الذي سيصل إليه بعد لحظه قليله حيث كسر الشاعر توقع القارئ.

المتن الشعري اعتنى بتقديم الصفات النبيلة المعنوية النفسية والأخلاقية لشخصية الشهيد، وهي التواضع والتحدي والثقة بالنفس وبالاستعلاء والرفعة والتكبر على المستعمر والشجاعة وعدم الخوف من الموت لأن من صفات المسلم عدم الرهبة من الموت والرضاء بقدر الله وحكمته فذلك ذلك نابع من صميم الإيمان.

إذن الشاعر قدم لمحات مركزة عن الصفات التي يتمتع بها أحمد زبانا شهيد الثورة الجزائرية الذي ناضل من أجل الحرية وتحرير أرضه التي هي أرض الجزائر، من وطأة الاستعمار الفرنسي وكسر القيد والثورة على الظلم والاستبداد... هي بعض من المشاهد التي حفلت بها هذه القصيدة التي خلدت بطولات البطل الشهيد أحمد زبانه" **كلما كانت الشخصية- البطل- قريبه من الو اقع حافلة بعناصر الإقناع، مكتملة الملامح والسمات، أصبحت أكثر جاذبيه وأعمق تأثيرا**"[8].

4- تقديم البطل ونهايته:

قدم لنا الكاتب الشاعر في قصيدته الشهيد البطل الذي سيتحول بعد لحظات إلى شهيد للثورة الجزائرية بصورة ايجابية وليست نمطيه، إذ بدت هذه الصورة أن البطل يتميز بالعديد من الصفات الجسدية التي جعلت من العدو يهابه مرة أخرى حتى وهو في عقر داره ومكبل بالقيود،

إضافة إلى أن الشهيد الذي واجه جلاده وهو مكبل واسمعه وعيده وكلماته التي كان وقعها يدوي إلى الآن عندما قال:

وامتثلْ سافرًا محياك جلا دي، ولا تلتثمْ، فلستُ حقودا9

إذن من خلال تقديم الشاعر لأحمد زبانا يظهر بأن شخصيته شخصيه قويه مميزه، لاحظنا من خلالها عدم خوفه ورهبته بل كان في كل لحظه تزيد لديه الشجاعة ويطغى لديه الكبرياء مع مسحه الابتسامة التي أربكت العدو الغاصب ولم يبالي بأي جند مهما كانت رتبته وقيمته لديهم.

أما نهايته فقد وصفه الشاعر بكل صدق وأمانه حيث بدا بطلا مغوارا شهما زعزعت له أركان ووحدات العدو الفرنسي بل هو من دعاهم إلى شنقه أو ذبحه أو بأي طريقه تحلو لهم لأنه لن يذعن لهم أبدا ولن ترهبه هذه الترهات أبدا، وقوله بكل استعلاء وثقه في النفس وشموخ لم يسبقه إليه احد من قبل:

أنا إن متُّ، فالجزائر تحيا حرةً مستقلةً، لن تبيدا10

هنا يظهر روح التلاحم بين زبانا الشهيد وأرضه وشعبه.

بهذه الصورة انتهى الحضور المادي للشهيد البطل أحمد زبانه غير أن حضوره المعنوي لم ينقطع بل هو راسخ في ذهن وقلب كل جزائر وعربي، فقد باتت شخصيته شخصيه تاريخية رمزيه ترمز الكفاح والتحرر من القيد والأمل والشجاعة، فالبطل الشهيد هو جزائري مسلم يتحلى بالصفات الإسلامية والأخلاقية النبيلة كذلك، كما يقول أ حمد الكيلاني في كتابه الأدب الإسلامي أن البطل إسلاميا هو القدوة أو النموذج أو المثال الحي الذي يحتذى به.

ابتسمت صورة الشهيد من العديد من المبادئ والقيم الإسلامية النبيلة والتي هي مثال يحتذى بها، وبهذا تصبح" **القيم التي تدعو إليها الشخصيات وتناضل من أجلها وتعمل على إبرازها من خلال سلوكها ليست سوى تعبيرا عن بناء نظري يعود إلى ما يسترعن طبقه أوفئة أو منظومة عقائدية ما**"[11].

5- التناص:

يعتبر التناص من المصطلحات النقدية التي اختلافا بين الناقدين والدارسين لها و التي تطورت مع مرور الزمن، فهناك من اعتبر أن التناص ما هو إلا امتداد للسرقات الشعرية القديمة ولكن يوجد في المقابل من اعتبره مخالف ولا يمت إليه بصلة.

التناص هو وقراءة لنصوص سابقه وإسقاطها في نص جديد لإعادة إحيائه و بثه وكتابته بطريقة إبداعية أخرى لأن" **النص إنتاجية وترحال للنصوص وتداخل نص، ففي فلاء نص معين تتقاطع ملحوظات مقتطعه من نصوص أخرى بواسطة الامتصاص والتحويل**"[12]

عرفته جوليا كرستيفا بأنه تقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى، أي هو إبداع وإعادة إنتاج نص آخر.

فالتناص بطريقه مبسطه هو تعايش نص مع نص آخر؛ مثلا نسقط آية من القران الكريم على نص شعري فينتج لنا صوره جديدة لنص جديد إبداعي وهكذا، فهو" **كل نص تعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى**"[13]

زخرت قصيده الذبيح الصاعد لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا ء بالتناص الديني؛ وذلك يرجع إلى الذخيرة اللغوية والكم الكبير من الرصيد الإسلامي؛ لأن الشاعر حافظ لكتاب الله ولديه أفق واسع من الثقافة الإسلامية وهو ما نلمحه في هذه القصيدة التي كانت مثقله بالتناص الديني الإسلامي عندما يقول الشاعر في مطلع قصيدته:

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوانَ، يتلو النشيدا[14]

إذن لفظه المسيح هو تناص ديني وهي تدل على سيدنا عيسى عليه السلام الذي شبه الشهيد أحمد زبانا به في ركازته وشموخه وعدم الخوف وهو على حافة الموت، هو تناص مع قوله سبحانه وتعالى عندما يقول في (***سورة النساء***) ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ**﴾ الآية:171، الشيء المشترك بينهما هو التضحية في سبيل الله وعدم الخوف من الموت.

ينقلنا الشاعر إلى مظهر آخر من مظاهر التناص مع سيدنا عيسى عليه السلام في قوله:

زعموا قتلَه...وما صلبوه، ليس في الخالدين، عيسى الوحيدا!
لفَّه جبرئيلُ تحت جناحيـ ـه إلى المنتهـى، رضيًـا شهيـدا[15]

هنا تناص مع قوله سبحانه وتعالى في(*سورة النساء*) ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ولكن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** ﴾ الآية 157.

الشهداء لا يموتون بل هم في جنات النعيم خالدون هنا شبه الشاعر الشهيد زبانه بسيدنا عيسى عليه السلام الذي لم يمت، بل رفعه الله سبحانه وتعالى بجواره. الشهيد هو ميت في الدنيا لكنه حي في الحياة الآخرة.

ينتقل الشاعر بنا إلى قصه أخرى وهي ليله القدر التي تنزل فيها الملائكة والروح أي سيدنا جبريل عليه السلام إلى سماء الدنيا في قوله:

وتسامى، كالروح، في ليلة القدر، سلاماً، يشِعُّ في الكون عيدا[16]

الملائكة رمز للسلام والأمن والاستقرار الذي يعم الكون وكأنه عيد، من جديد ينقلون الشاعر إلى رحلة جديدة من التناص الديني وهي مع قصه سيدنا موسى عليه السلام عندما قال الشاعر:

حالمًا، كالكليم، كلّمه المجـ ـدُ، فشدّ الحبالَ يبغي الصّعودا17

بيّن مفدي زكريا عظمه ما قدمه الشهيد من بطولات أمام الاستعمار الفرنسي وهو يتناص كذلك ما قدمه سيدنا موسى عليه السلام في رسالته الإلهية العظيمة أمام قومه بني إسرائيل وجبروت الطاغية فرعون إذن هي تتناص مع قوله تعالى في(سورة النساء): ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا" ﴾ الآية164.

و اقض يا موت فيّ ما أنت قاضٍ أنا راضٍ إن عاش شعبي سعيدا[18]

البطل يبيّن ردة فعله أمام المستعمر بأنه لا يهاب الموت ولا يهم لأن الذي يهم هو سعادة شعبه في أرضه إذن جاءت لفظه اقضي ما أنت قاضي مع ما ورد في الآية72، من(***سورة طه***) في قصه سيدنا موسى عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾.

إذن فقد ترك الشهيد البطل صورة مشرفة عن الإنسان الجزائري، حيث جمعت شخصيته بين القوة والشجاعة والأخلاق الإسلامية التي هي صفات المؤمن الحقة، وهو شخصية ستضل في ذكرى الإنسان الجزائري ومرجعا للشهامة والخلق الديني

خاتمة:

إذن ومن خلال ما سبق نستنتج بأن صورة الشهيد هي صورة خالدة ومقدسة في مخيال كل الجزائري من خلال مواقفهم البطولية ومآثرهم التي تركت أثرا طيبا، فالشهيد يرحل من الحياة الدنيا لكن يبقى أثره حافلا وراسخا معنا، من خلال الكتابات مثل الشهيد أحمد زبانا في قصيدة الذبيح الصّاعد لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا،التي وصف فيها الشهيد من ناحيتين المادية والمعنوية وصورته الناصعة البياض التي لن تدنس مهما طال الزمن، بالإضافة إلى التناص الديني الذي أعطى مسحة إسلامية وقيم نبيلة للشهيد أحمد زبانا، وهذا يدل على الخلق الإسلامي الرفيع والراقي الذي يتمتع به الشهيد الجزائري حتى وهو في أصعب الحالات.

قائمة المصادروالمراجع:

1. سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيمائيات الأيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1996.
2. شيماء نزار عايش، صورة البطل في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد السبعون، 2016.
3. عبد الستار أحمد فراج، تاج العروس من جواهر القاموس، ج3، دار الإرشاد والأنباء، مصر، د.ط، 1965.
4. مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، د.ط، 1987.
5. مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، الجزائر، د.ط.

6. نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، ط1.

الهوامش:

[1] -مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، الجزائر، د.ط، ص 17.

[2] - شيماء نزار عايش، صورة البطل في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد السبعون، 2016، ص353.

[3] - مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص17،18.

[4] - المصدر نفسه، ص18.

[5] - المصدر نفسه، ص18.

[6] - المصدر نفسه، ص18.

[7] - المصدر نفسه، ص17.

[8] -نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، ط1، ص50.

[9] - مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص18.

[10] - المصدر نفسه، ص18.

[11] - سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيمائيات الايديولوجيا، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1996، ص99.

[12] - عبد الستار أحمد فراج، تاج العروس من جواهر القاموس، ج3، دار الإرشاد والأنباء، مصر، د.ط، 1965، ص93.

[13] - مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، د.ط، 1987، ص461.

[14] - مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص17.

[15] - المصدر نفسه، ص18.

[16] -المصدر نفسه، ص17.

[17] - المصدر نفسه، ص17.

[18] - المصدر نفسه، ص18.

محمد الأمين العمودي حياته الأدبية ونضاله الثوري

Muhammad Al-Amin Al-Amoudi his literary life and his revolutionary

طالبة الدكتوراه: وردة مجول

الأستاذة المحاضرة: د/ عقيلة قرورو

قسم اللغة والأدب العربي جامعة الوادي (الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية، جامعة الوادي.

medjouel-ouarda@univ-eloueddz

الملخص:

دونت أحداث الثورة التحريرية بالدماء والأقلام ؛ إذ لم يكن النضال مقتصرا على أطياف معينة من الشعب بل شمل كذلك المفكرين والمبدعين الذين جاهدوا بكلماتهم الحرة، وعبروا عن مآسي وجرائم المستدمر، ورفعوا قضية الوطن الجزائر حرا مستقلا هدفا أولا عاليا، وأوصلوا صوتها إلى طاولة الأمم المتحدة، ولم يمنعهم مانع من الكفاح الفكري إلا الشهادة لتسجّل أسماءهم في تاريخ الفكر والأدب الجزائري، ومن أهم هؤلاء برزت أسماء خالدة أمثال رضاء حوحو والربيع بوشامة وعبد الكريم العقون ومولود فرعون ومحمد الامين العمودي هذا الأخير الذي سنحاول التعريف به وبأعماله الأدبية التي جعلته ينال شرف الشهادة من أجل الدفاع عن حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال.

الكلمات المفتاحية :محمد الأمين العمودي، الشهيد، الحياة الأدبية، نضال، استشهاد.

Abstract:

The events of the liberation revolution were recorded with blood and pens; the struggle was not limited to certain categories of the people, but also included thinkers and creators who fought with their free words, and expressed the crimes of the colonizer, and raised the case of a free and independent Algeria as a high first goal, and brought its voice to the United Nations table, and the only thing that prevented them from intellectual struggle except Martyrdom to record their names in the history of Algerian thought and literature, among the most important of these, immortal names

have emerged, such as Reda Houhou, Al-Rabie Bouchama, Abdelkrim El-Agoune, Mouloud Feraoun, and Mohamed El-Amine El-Amoudi, this latter, we will try to introduce him and his literary works that made him receive the honor of Martyrdom in order to defend the right of the Algerian people in freedom and independence.

Key words: Mohamed El-Amine El-Amoudi; The Martyr, literary life, a struggle, Martyrdom.

المقدمة

إن أرقى مستويات العلاقة بين الأدب والثورة هو مستوى الالتزام المطلق، الذي يبديه الأديب تجاه الفعل الثوري، الذي يؤمن به بحيث يمتزج فيه الحبر مع فعل المقاومة، بواسطة سلاح البندقية والرصاص أي الدم، فيكون الأديب على استعداد تام ليفدي قضيته بالجسد إلى درجة التضحية بالنفس والروح، أي الموت والاستشهاد ويعد الشهيد محمد الأمين العمودي رمزا خالدا في الذاكرة.

إذ يعد من أبرز الأدباء الشهداء الذين سجلوا أسمائهم بحروف من ذهب، أمثال رضا حوحو، الربيع بوشامة، العربي التبسي، عبد الكريم العقون، مولود فرعون وغيرهم. فقد ناهض محمد الأمين العمودي كغيره من الأدباء الجزائريين، بإبداعاتهم ومقالاتهم على اختلاف ألسنتهم، ومستويات لغاتهم العربية والفرنسية والعامية القضية الوطنية، وقد قدم حياته لمواقفه وكتاباته، ونال شرف الشهادة لأنه آمن بتحرير الوطن وانخرط في الثورة واستشهد في ميدان الشرف.

ومن بين أبرز من ضحى من أجل الجزائر، وخلد بطولاتها وكان الأديب والصحفي، والمترجم والمناضل الشهيد الرمز ابن مدينة الوادي محمد الأمين العمودي. فمن هو هذا الأديب الشهيد الذي سجل شهادته بين المليون والنصف شهيد؟

1- نشأة محمد الأمين العمودي:

إن أسماء الشهداء في سماء الجزائر المحررة كالنجوم الساطعة فما أن تتصفح شعاعا حتى يبهرك وهج التضحيات، فتتأهب على الفور لمعرفة مناقب أمجادنا من الشهداء البواسل"[1]، ومن ابرز ما أنجبت من نجوم الجزائر محمد الأمين العمودي ولد عام 1990[2]. إختلفت الآراء حول أصوله حيث قيل أنه من أصل عرب اليمن الذين جاءوا إلى المغرب العربي، واستقروا في منطقة الجريد التونسي وبعدها هاجرت أسرته إلى مدينة واد سوف بالجزائر[3].

توفي والده وهو لا يزال طفلا صغيرا فربته أمه، وكفله عمه وكعادة الأيتام إذا، وجودوا الرعاية تحفيزا للاعتماد على أنفسهم، وإظهار قدراتهم ومواهبهم، يقول العمودي عن نفسه "تربيت في أحضان أم حنون وعم أشفق علي من نفسي، وتعلمت بالمكتب الفرنسي الابتدائي وبالمكتب القرآني"[4]. عمه الشيخ عبد الرحمان العمودي، كان سببا في دخوله لتعليم مبادئ اللغة العربية والقرآن الكريم[5]، ثم بالمدرسة الأهلية حيث حفظ القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة، والفقه والنحو فنجح فيها، بعدها التحق بمدرسة التعليم عام 1902م، وحصل فيها على شهادة الابتدائية عام 1905م ثم التحق بثانوية بسكرة وسنه 15عاما.

وفي سن 16 من عمره التحق بمدرسة قسنطينة الفرنسية الإسلامية، وقد كانت هذه بالإضافة إلى مدرسة تلمسان تخرج الشخصيات، من أصحاب المهن والوظائف الحكومية وبعد أربع سنوات من العناء يتخرج منها بشهادة تسمح لصاحبها بتولي منصب عون قاضي أو وكيلا لدى المحاكم الشرعية، أو عدلا بمحكمة القاضي[6].

ورغم صدامه مع نظام تلك المدرسة، تحت إشراف فرنسي حاقد، وشتى المشاكل فقد استطاع بذكائه أن يتحلى بثقافة واسعة إسلامية وفرنسية، في المواد الشرعية والقانونية، وكان الاستعمار يستطيع أن يخرب البلدان إلى حين، ولكن لا سبيل له على نفوس الأحرار، فكل ما استطاع أن يفعله مع النابغة محمد الأمين العمودي أن دبرت الإدارة الاستعمارية مكيدة، بالاتفاق مع بعض الطامعين من الطلبة وبعض الطامعين من الأساتذة، واستهدفت إسقاطه في الامتحان النهائي، وهو ما سجله في بعض شعره منه :

حالي استحال وفاقني الأقران *****مذ غاب عني الأصفر الرنان [7].

2- الحياة المهنية والأدبية لمحمد الأمين العمودي:

عقب تخرجه من مدرسة قسنطينة تقلد عدة وظائف في مساره المهني، منها وظيفة كاتب عدل في *فج مزالة*، ثم وكيلا شرعيا في بسكرة النخيل باب الصحراء، والجزائر العاصمة، فعميدا للوكلاء الشرعيين في العاصمة.

كما شغل منصب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في السنوات الخمسة الأولى لتأسيسها من 1931و1936، وهو منصب لا يفوز بيه إلا من أثبت جدارته، وأجمعت الأوساط العلمية والفكرية من الطبقة المثقفة على أحقيته لهذا المنصب، ثم ترأس بعد ذلك جمعية شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان من سنة 1937، التي تصدت للموالين لفرنسا من الجزائريين والأجانب، معبرا عن طموحات الشعب الجزائري.

وساهم العمودي في صناعة الكلمة لإبراز صورة الإعلامية، الحقيقية للجزائر في مرحلة جد حساسة، حيث أرادت سلطة الإحتلال وإدارته وأد الجزائر العربية الإسلامية، ومحو صورتها من الوجود بلباسها لباس الإدماج، و الإلحاق بفرنسا ما وراء البحر، ليتم لها اجتثاث الجزائر من جذورها، وبقائها إلى الأبد فرنسية بكل ما تحمله الكلمة من معان تدل نجاح المستعمر في احتلاله للجزائر.

أ- مقالاته:

انتهج في مقالاته منهج الدعوة إلى إصلاح أوضاع الشعب وذلك من خلال مقالاته،التي حررها سنة 1925 باللغتين العربية والفرنسية في صحف وجرائد مختلفة منها "الإقدام" الصادرة عن الأمير خالد، وجريدة المنقذ الصادرة عن ابن باديس وجريدة "الإصلاح" التي كان يصدرها الطيب العقبي. دون أن ننسى جرائد أخرى مثل "النجاح"، و "الشهاب" و "الجزائر" و "صدى الجزائر"، و"الجزائر الجمهورية"[8].

بالنظر إلى أعمال محمد الأمين العمودي نجدها تنوعت، بين مقالات وخطب وأشعار، وكان بعضها من أجل إصلاح أوضاع الجزائر والبعض الآخر من أجل التعبير عن موقفه اتجاه واقعه وما عرفته الجزائر من أوضاع، سياسية وثورية فكانت كتابته بذلك تنحو منحا نضالي، من أجل قضية الوطن نشرها في جرائد ومجلات زمنه، ولم يكتب لهذه الكتابات أن تجمع في كتاب واحد.

كما وردت بعض الشهادات من المؤرخين، حول براعته في هذا الميدان منها، ما قاله عنه الأستاذ محمد الصالح رمضان " كان العمودي صحافيا بارعا، مارس الكتابة في الصحف الجزائرية، بالعربية والفرنسية في الأمور الأدبية والشؤون الاجتماعية، والسياسية والوطنية.

كتب العمودي ونشر مقالاته الصحفية، واستقل بتجربة خاصة به هي جريدة *الدفاع*، التي أسسها سنة 1934باللغة الفرنسية، وكانت موضوعاتها تتمحور حول الدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، بقوة الحجة وصدق الكلمة وموضوعية الطرح، كما هاجم السلطة الجائرة وخصوم الشعب، وكشف نشاطاهم بأسلوب لاذع ومتميز، فاعتبرتها الإدارة الفرنسية جريدة منكرة للحكم القائم، وأوقفت صدورها سنة 1937 [(9)].

كما كان للمرأة الجزائرية المسلمة، حظ من الكتابة فقد كتب عن الناشئة الإسلامية الجزائرية في المقال الأخير، يقول محمد الأمين العمودي إن الشبان الداخلين في القسم الأول المتخرجين في المدارس الفرنسية، يدعون إلى التفرنس المطلق محتجين بأنه الوسيلة الوحيدة، لنهوضنا وإنقاذنا من المصائب التي نحن نتخبط فيها منذ أحقاب زاعمين أن تعاليم الدين لا تتفق مع قواعد الرقي، ولا أكتم القارئ أن تلك اليقظة التي أتت على حين غفلة، قد أزعجت الفكر العام الذي ألف الخمول والجمود في جميع أوقاته وأثارت غضب السواد الأعظم، حتى أن الشبان المتخرجين في المدارس الفرنسية وقعوا في حيرة شديدة لما رأوه، من الخلاف العظيم بين ما تعلموه وما وجدوا عليه آباءهم، وأمهاتهم وقد نسبوا ذلك الخلاف إلى الدين الإسلامي الذي لم يزل أهلهم متمسكين به. بسبب ذلك هو جهلهم دين الإسلام وما أمر به، لصالح الدارسين فأشتد بغضهم للإسلام كما اشتدت العداوة بينهم وبين ذويهم[(10)].

ما نلاحظ أن هذا المقال يحاول معالجة مسألة انقسام نفسية المثقف الجزائري، نتيجة ذلك الصراع الداخلي بين ما هو موروث فكري يظهر أصالته، وشخصيته الإسلامية وبين ما يتطلبه ويفرضه عصره من انفتاح حضاري، على الآخر الذي يجبره على إتباع النمط الأوروبي الذي يلبس، فيه ثوبا فكريا غريبا عنه ويتخلى بذلك عن عناصر شخصيته، التي يرى بأنها لم تعد تتماشى ووضعه الراهن.

وهنا يتعلق الأمر بانشطار النفس إلى موقفين متباينين وهو الأمر الخطير الذي عانى منه المثقف الجزائري في حقبة استعمارية معينة، فأثرت على البعض منهم ودفعت بهم إلى اختيار موقف الإدماج بينما أدى، بالبعض الآخر إلى التمسك بالأصالة مع الاندفاع إلى تحقيق مبادئ، الحرية والاستقلال والكرامة "[11].

ب- شعره:

هذا عن كتابات محمد الأمين العمودي الأدبية في جانب الخطب والمقالات، أما في جانب الشعر فشعرية محمد الأمين العمودي ترجع إلى فترة شبابه أين كان طالبا بقسنطينة، حيث صور الشقاء والمعاناة التي عاشها المواطن الجزائري في ذلك الوقت، ولكن سرعان ما حول شعره إلى الشعر الاجتماعي الهادف، الذي يمتزج بالسخرية المرة فدعا إلى وحدة شعبية الجزائري ورفض الاستعمار الفرنسي[12]، ولكن للأسف الشديد، فإن الكثير من إنتاج الشيخ أتلفته السلطات الاستعمارية قبل الثورة، وخاصة أثناءها كما أن بعضها الآخر يوجد متفرقا في الصحف الجزائرية التي لم تجمع إلى الآن. وبعضها من إنتاجه يوجد في حوزة أشخاص كانوا يزورونه، فيملي عليهم ويأخذون معهم ما أملى وهم معروفون لدى الأسرة، ولكنهم إلى الآن لم يستجيبوا لطلبها بتقديم ما لديهم من نصوص، حتى يتم جمعها[13].

وعلى الرغم من ذلك فإنّ محمد الأمين العمودي له قصائد في كتاب،"شعراء الجزائر في العصر الحاضر" وله قصائد في مجلة" آمال" الجزائر (ب.ت)، وله قصائد نشرتها مجلات عصره منها قصيدة (وخيرهم وأنت بهم خبيرا) جريدة العصر الجديد تونس 13 ديسمبر 1920 وقصيدة الأمير خالد جريدة الإقدام عدد 103، وأرجوزة نشرتها مجلة الثقافة عام 85 الجزائر"[14].

وشعر العمودي يدعو إلى إصلاح المجتمع الجزائري عن طريق، نقد الأوضاع التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة وقد غلب على نقده طابع الفكاهة، والسخرية والطرافة. والحق أن العينات التي احتفظت بها الأيام من شعر الأمين الاجتماعي تعد ذات وزن عظيم، في ميدان الإصلاح المجتمعي والسخرية من الأوضاع القائمة في غير صلاح المجتمع، ورقيه والنهوض بالأمة جمعاء[15]. من أجل الخروج بها إلى الحرية والتخلص من تبعات الاستعمار من تبعية، وطمس للهوية الوطنية وغيرها.

يقول في قصيدته (أمر دبر بليل) مظهرا فيها معاناة الشعب، من فساد شاع في المجتمع الجزائري الذي لم يسلم منه الشاعر خاصة من أصحاب المكاتب، من تجاوزات واحتيال واستغلال إلى غير ذلك في قوله:

لم أدرك حين وقفت
هذا يشير لتلك وهي تجيبه
لهما اتفاق ليس بكشف سره
لهما اتفاق ليس بكشف سره
عبثا يحاول من يؤمل منها
حقا هما سبب الخيانة والخنا
حقا هما و-البينات كثير-
هو يكتفي للاختلاس لماله
هي روح كل بلية فتاكة
أسفي على قوم لهما دين وهم
صم ولو خاطبتهم ووعظتهم
ما الفرق بين وكيل ووكيل
كلاهما يصطاد للتحصيل
ويحال فيه الجيل بعد الجيل
إسداء إحسان وفعل جميل
وخراب هذا العالم المخذول

مهد الظلال ومصدر التضليل
بلسانه البادي كتابة الفيل
حتى بربي التاج والاكليل
عن دينهم في غفلة وذهول
بفصاحة الخنساء وفقه الخليل[16]

ج- عمله في الترجمة:

هنالك الكثير من الوثائق، والأقوال التي تشير إلى تعاطي العمودي للترجمة ببراعة فائقة، ومن ذلك أنه اشتغل في فترة فج مزالة وبسكرة مساعد الترجمان الشرعي، فكان يقوم بفرنسة المطالب والشكاوى والعقود، وما يتقدم به المواطنون من وثائق، زيادة على الترجمة الفورية بين المواطنين وأعوان السلطة الاستعمارية، الذين كانوا لا علم لهم باللغة العربية، ويكفيه شهادة الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما عارض بعض الأشخاص، تعيين العمودي ضمن وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري، فقال ابن باديس يومها: "لا أرضى بغير العمودي ترجمانا لي، فهو الذي يستطيع تبليغ أفكاري و ترجمة كلامي إلى المسؤولين الفرنسيين، وينقل إلي كلامهم بأمانة وإخلاص فالأمين العمودي هو لساني (الأمين) الذي لا أبغي به بديلا[17].

كما نعرف أنه تخرج من مدرسة قسنطينة الفرنسية - الإسلامية، التي تؤهله للقيام بأعمال الترجمة الرسمية، والنقل من لغة إلى أخرى بين العربية، والفرنسية (يستويان عنده في النقل منها وإليها)، ونظرا لاضطلاعه الواسع على الثقافتين العربية والفرنسية، "فهو يمثل بأفكاره أبعد ما وصل إليه التفكير الإصلاحي من تحرر بالنسبة لقضية تعليم المرأة، ولعله الوحيد بين الكتاب الإصلاحيين ممن يجمع بين اللغتين بتمكن، وقد اعترف له الأصدقاء والأعداء بالمهارة والألمعية، مسه رشاش من نظريات المتفرنسين ولكنه لم يبخل وحاول جاهدا أن يعبر عن تمسكه بالروح الإصلاحية السلفية، وموافقته لنظريات رجالاتها[18].

د- اسلوب كتاباته:

جمع العمودي مواهب عدة، فهو كاتب صحفي، ولكتابات نثرية، بالإضافة إلى كونه شاعر متميزا، واستطاع أن يفرق بين أسلوبه في كل ذلك، مستعينا بثقافته الواسعة، وإدراكه العميق لما يناسب كل فن من فنون الكتابة المختلفة، فاهتم في كتاباته الصحفية بالمعنى المباشر، مدركا الفرق بين القصيدة الشعرية والنصوص النثرية، فبينما تتطلب القصيدة عاطفة عارمة وديباجة لفظية، فالمقالة الصحفية تتطلب معرفة واطلاعا على المجتمع وأحواله.

كما ميز أسلوبه بالمنطق والموضوعية، والتحليل الدقيق المقنع بأفكاره، عاكسا بذلك رصانة عقله دون مبالغة أو تضليل، ودون اعتبار للعواطف والجلبة المحيطة به، بهذا الأسلوب عرض وناقش قضايا مثل :التجنيس، والسفور في الحجاب والتعليم و المرأة...ولم يهرب يوما من الواقع، فكان يطرح الأمر للدراسة فيبحث عن أسبابه وآثاره من جميع الجوانب، ويرصد مساوئه ومزاياه، ويعرض آراء الآخرين ولا يستسهل الأحكام العابرة، ولا يركن لرأي الأفراد دون أدلة، وكـــذلك كان يعتمد على الواقـــع المحسوس، فيستمد منه الدليل ولا يقف عند الشواهد الموجودة في الكتب يفعل ذلك كله بقدرة لغوية ومعرفة قانونية راسخة[19].

ومختصر القول حول هذه المقالات والخطب أنها نابعة عن " فكر منظم وإدراك عميق، وإصابة لكبد المعنى مباشرة دون مواربة وراء زخرفة لفظية، أو تصنع لمحسنات جمالية استطاع به أن يوازن بين أسلوبه ومعانيه موازنة دقيقة، فلا هو متهافت على الأصباغ الفنية على حساب معناه، ولا هو مزور الجانب عن ألفاظه ومبناه[20].

3- محمد الأمين العمودي حياته النضالية واستشهاده:

أما الجانب النضالي، قال الأمين العمودي عن نفسه: " أما حياتي فحياة كل مسلم جزائري، حياة بلا غاية، ولا أمل حياة من لا يأسف على أمسه، ولا يغتبط بيومه، ولا يثق بغده" [21]، فقضية وطنه كانت شغله الشاغل حيث طغت على تفكيره، فلا شيء يغريه لان مصير وطنه المجهول أكبر همومه وحياته النضالية حافلة بالنشاط، حيث كانت العلاقة بينه وبين الشيخ عبد الحميد ابن باديس متينة جدا.

وبتولي العمودي الأمانة العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد مثل دوره على أكمل وجه في توعية الناس، والنشر بالفرنسية حتى يوصل أفكارها إلى المستعمرين والمثقفين غير المعربين.

هذا وقد تمثل الدور السياسي للعمودي في بذله لجهود مضنية لتنظيم المؤتمر الإسلامي، فكان واحدا من المبعوثين إلى باريس لوضع مطالب المؤتمر الإسلامي إلى الحكومة الفرنسية، شارحا لهم هدف ذلك المؤتمر[22].

اجتمعت جهود الرجال من علماء الإصلاح في أرض الوطن، ودعوا إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931، فانتقل من بسكرة إلى الجزائر، وكان في طليعة الملبين والمؤسسين لهذه الجمعية، وعندها وجد نفسه يخرج من قوقعته ويتخلص من همومه، ويتسلح بالحزم والجد والإخلاص والأمل مع العمل، لمواجهة الاستعمار الفرنسي وأذنابه.

وتبرز عبقريته أكثر في صبيحة الاجتماع العام الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1932، عندما لاحظ امتلاء القاعة بأصحاب السبح "الشيخ أحمد بن عليوة" والطرقيين، فأدرك أنهم يحاولون تفجير الجمعية من الداخل والاستيلاء عليها، فأشار واتفق مع الشيخين محمد خير الدين والسعيد الزاهري، بأن أوراق الانتساب إلى الجمعية ستغير، بناء على امتحان يقوم شيخان من العلماء لإثبات علمية المنتسب أو جهله، ونجحت هذه الخطة في إفشال محاولة الطرفيين للتدخل في شؤون جمعية العلماء بصورة قانونية.

ويشير الشاعر والمترجم الأستاذ الطاهر بوشوشي، إلى أن الأمين العمودي قام بتحرير، وترجمة التقرير الذي قدم في ملف القضية الجزائرية للأمم المتحدة، عن التعذيب الجهنمي والأساليب الوحشية التي كانت السلطات الفرنسية تستعملها ضد الشعب الجزائري .

هذا التقرير الذي قدمه الأخ عبد القادر شندرلي، إلى لجنة تصفية الاستعمار بالأمم المتحدة سنة 1957، وقد كانت المعلومات تجمع بواسطة مناضلي الجبهة، ويقدمها الشيخ الصديق مصباح إلى العمودي، ليصوغها في تقرير أفحم الدبلوماسية الفرنسية، وفضح ادعاءاتها وأكاذيبها.

وبعد حصول القضية الجزائرية على حق التسجيل في الدورة 11 للأمم المتحدة، المنعقدة خلال شهري جانفي فيفري من سنة 1957، توصلت السلطات الفرنسية بعد بحث مدقق إلى صاحب التقرير، فألقي القبض على الشيخ الصديق مصباح، وتأكدوا أن صاحب التقرير هو الأمين العمودي.

ويذكر الأخ بوشوشي أن مصباح أكد له بعد الاستقلال، أن العمودي هو صاحب التقرير بنصه العربي والفرنسي، أما المعلومات الواردة فيه من جمع مناضلي جبهة التحرير الوطني[23].

فكان ذلك التقرير القطرة التي أفاضت الكأس، الذي قدم في ملف القضية الجزائرية للأمم المتحدة عن التعذيب والأساليب الوحشية التي كانت تمارسها السلطات الاستعمارية ضد الشعب الجزائري الأعزل، وقع ما يقع فيه كل بطل لا يهاب الموت فتم اختطافه يوم 10 أكتوبر 1957، وبعد أيام عثر على جثته في قرية العجيبة الكائنة شرق البويرة ولم يكن قد لفظ أنفاسه فنقل على جناح السرعة إلى مستشفى البويرة هناك أستشهد لأن عصابة (اليد الحمراء)، كانت قد أذاقته ألوانا شتى من التعذيب فدفن في مقبرة سنتوجان بالجزائر العاصمة. فضل الاستشهاد على أن يقبل بطلب السلطات الاستعمارية أن يذم الثورة، والثوار في كتاباته فرفض ذلك مما جعلهم يكنون له العداوة والشر مع هذا، ولذلك فقد حصلت القضيـة الجزائريـة على حق التسجيل، في دورة الأمم المتحدة الحادية عشر سنة 1957 حينما قامت فرنسا بالتفتيش عن صاحب التقرير واغتياله[24].

الخاتمة :

لنخلص في الأخير للقول أن محمد الأمين العمودي ناضل من أجل قضية وطنه، وسخر تعليمه من أجل الدفاع عن حرية أرضه، وكرامة شعبه. فهو بطل من أبطال الجزائر، والثائر عن الأوضاع التي كانت سائدة من ظلم وحرمان وتجويع وشتى أنواع العذاب، وقد قال عنه الشيخ جلول البدوي : "الأستاذ الأمين العمودي رحمه الله رجل نادر المثال في خفة روحه، وفصاحة تعبيره وجرأته على القول متى أراد بارع النكتة حاضر البديهة عصبي المزاج، يكاد ينفجر حدة على من يحاول معاكسته في القول الذي يبديه له من الرأي [(25)].

ونتيجة لتلك الطاقة فجر إبداعاته، وسخر شبابه ثائرا على الأوضاع وجل كهولته مناضلا،لا يخشى في قوله الحق من بطش المستعمر فعرضه لسانه، وقلمه إلى السجن، ثم الاغتيال على يد جماعة اليد الحمراء الإرهابية لينال بذلك شرف ووسام الشهادة مسجلا اسمه ضمن المليون ونصف مليون شهيد فالمجد، والخلود لشهدائنا الأبرار.

المراجع :

1- إبراهيم بن ساسي، الشيخ محمد الأمين العمودي أحد رواد الصحافة الجزائرية، 07يونيو 2011.

2- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات) دار البصائر الجزائر ج2 .

3- جريدة الشعب، مقال بعنوان،"مناضل، شاعر، وصحفي، اعتنى بالإصلاح، الشهيد محمد الأمين العمودي" عدد 18300 www.vitamniedz.com articles.

4- حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، مجلة عصور الجديدة، *عدد خاص بخمسينية الاستقلال الوطني، العدد09، ربيع 1434هـ/2013م.

5- حمزة بكوشة، شخصيات منسية، (الأمين العمودي)، في مجلة الثقافة، الصادرة عن وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة الأولى، العدد6، ذو القعدة 1391هـ/جانفي 1972م .

6- حورية بوشريخة، محمد الأمين العمودي: مسيرة حياة أدب وثورة، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة الجزائر 2، العدد الثاني، ربيع الثاني 1436هـ الموافق ل:جانفي 2015.

7- عثمان الطاهر علية، الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طباعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة الرويبة، الجزائر، 1996.

8- مجلة الثقافة عدد 43فيفري مارس 1978.

9- محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

10- محمد الصالح رمضان، الأديب الشهيد الأمين العمودي كما عرفته، العدد43، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية، فيفري مارس 1978.

11- محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مطبعة النهضة، تونس 1346هـ 1927م .

12- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الأول، الشركة الوطنية للطبع والنشر والتوزيع ،الجزائر، 1978.
13- https://hadramout.center/articles/6920
14- histoire de la wilaya d'eloued www.wilaya-eloued.dz

الهوامش:

[1]- عثمان الطاهر علية، الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طباعة لمؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة الرويبة، الجزائر 1996، ص 7.

[2]-الشيخ محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مطبعة النهضة، تونس 1346ه/1927م، ص19-20.

[3] - histoire de la wilaya d'eloued www.wilaya-eloued.dz

[4] - https://hadramout.center/articles/6920

[5] - ينظر، المرجع نفسه.

[6] - حمزة بكوشة، شخصيات منسية،(الامين العمودي)، في مجلة الثقافة، الصادرة عن وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة الأولى، العدد6، ذو القعدة 1391ه/جانفي 1972م ، ص49.

[7] - مرجع سابق، https//: hadramout.center /articles/6920.

[8] - ينظر، جريدة الشعب، مقال بعنوان، "مناضل، شاعر، وصحفي، اعتنى بالإصلاح، الشهيد محمد الأمين العمودي" عدد 18300articles www.vitamniedz.com.

[9] - حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، مجلة عصور الجديدة، *عدد خاص بخمسينية الاستقلال الوطني، العدد09، ربيع 1434ه/2013م، ص141-142.

[10] - جريدة الإصلاح ع 4 بتاريخ 03 أكتوبر 1929 أو محمد ناصر " المقالة الصحفية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ص 278، 279.

[11] - ينظر، محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 18.

[12] - ينظر، جريدة الشعب عدد18300.

[13] - ينظر، محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، ص 47.

[14] - ينظر، حورية بوشريخة، محمد الأمين العمودي:مسيرة حياة أدب وثورة، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة الجزائر 2، العدد الثاني، ربيع الثاني 1436ه الموافق ل: جانفي 2015، ص113.

[15] - ينظر، محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، ص 46.

[16] - المرجع السابق، ص25-27.

[17] - محمد الصالح رمضان الأديب الشهيد الأمين العمودي كما عرفتهالعدد43 مجلة الثقافة وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية فيفري مارس 1978ص 19.

[18] - محمد ناصر، "المقالة الصحفية الجزائرية" المجلد الأول، الشركة الوطنية للطبع والنشر والتوزيع الجزائر 1978، ص243.

[19] - https://hadramout.center/articles/6920

[20] - محمد الاخضر السائحي، "محمد الأمين العمودي، الشخصية المتعددة الجوانب، ص64.

[21] - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح*مذكرات*، دار البصائر الجزائر، ج2، ص499.

[22] - محمد ناصر،"المقالة الصحفية الجزائرية "، ص243.

[23] - محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي، ص: 24.

[24] - حورية بوشريخة، محمد الأمين العمودي: مسيرة حياة أدب وثورة،ص109-110.

[25] - ينظر، المرجع السابق، ص 34 والقول مأخوذ من مساهمة الأستاذ البدوي في ندوة الموقار 14 نوفمبر 1977.

جماليات الأسلوب في الخطاب الشّعريّ عند الشّاعر الرّبيع بوشامة

Aesthetics of style in poetic discourse according to the poet Rabie Bouchama

قصيدة "عجبًا لوجهك كيف عاد لحاله" أنموذجا

طالبة الدّكتوراه/ حميدي سهيلة

الأستاذ الدّكتور / يوسف بديدة

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي(الجزائر)

مخبر التّكامل المعرفيّ، جامعة الوادي.

souhila-hmidi@univ-eloued.dz

bedida-youcef@univ-eloued.dz

ملخص:

يقوم البحث على قراءة أسلوبيّة في قصيدة "عجبا لوجهك كيف عاد لحاله" للشّاعر الرّبيع بوشامة في مستويات ثلاثة: الصّوتيّ ويتمثّل في: الوزن، القافية والتّكرار مع تحديد دلالاتها الصّوتيّة، ثمّ التّركيبيّ القائم على دراسة تركيب الجمل وكذا أسلوب النّفي ودورهما في ترابط النصّ، وصولا إلى المستوى الدّلاليّ الذّي يضمّ المعجم الشّعريّ والصّورة الشّعريّة، دون أن نغفل السّياق بما يكتنزه من حمولات إيحائيّة، والهدف من ذلك استنطاق النصّ من خلال الكشف عن النّواحي الجماليّة وإظهار الخصائص التّعبيريّة لكلّ مستوى على انفراد، وذلك ضمن مقاربة نصّيّة اِستوعبت أبعاد القصيدة كافّة من خلال رصد العلاقات القائمة بين أنسجة النصّ.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الشّعريّ، الأسلوب، الجماليّة، الظّواهر الأسلوبيّة

Abstract:

The research is based on a stylistic reading of the poem “It is amazing how your face came back to itself” by the poet Rabie Bouchama at three levels: the vocal, represented by: meter, rhyme, and repetition with

determining their phonetic connotations, then the synthetic, based on studying the structure of sentences as well as the style of negation and their role in the coherence of the text, up to To the semantic level, which includes the poetic lexicon and the poetic image, without neglecting the context with its suggestive loads. The aim of this is to interrogate the text by revealing the aesthetic aspects and showing the expressive characteristics of each level separately, within a textual approach that comprehends all dimensions of the poem through monitoring The relationships existing between the fabrics of the text.

key words: Poetic discourse; style; aesthetics; stylistic phenomena

1- تمهيد:

يعدّ المنهج الأسلوبيّ من أبرز المقاربات النّقديّة في دراسة النصّ الأدبيّ وتحليله، إذ ينطلق أساسا من مفهوم نقديّ يجعل من النصّ وسيطا لغويّا يحمل في طيّاته هويّة المبدع وبصمته الفكريّة و شحناته العاطفيّة، والتّي يتلقّفها القارئ على شكل شفرات مؤثّرة، يحلّلها ويفكّكها ويتفاعل معها أثناء أو بعد قراءة النصّ، ومن هذا المنطلق يأتي تعريف الأسلوبيّة بكونها " علم يعنى بدراسة الخصائص اللّغويّة التّي تنتقل بالكلام من وسيلة إبلاغ عاديّ إلى أداة تأثير فنيّ"[1]، مستندة في ذلك إلى مقولات علم اللّغة التّي تكسبها فاعليتها في وصف النصّ، و بالاعتماد على "أدواتها التّحليليّة الإجرائيّة التّي تسهم بشكل مرن في إبراز مواطن الجمال والبناء والتّصوير في النصّ الإبداعيّ، ضمن حدود مستويات ثلاثة هي: المستوى الصّوتى، المستوى التّركيبيّ، والمستوى الدّلاليّ "[2]، و إنّ تخصيص هذه المستويات الثّلاثة بالتّحليل يهدف إلى إثراء البحث الأسلوبيّ لتخصيص فاعلية كلّ مستوى وتأثيره في تعالق الأنساق التّعبيريّة وترابطها.

وانطلاقا من هذه الرّؤية الأسلوبيّة حاولنا استنطاق قصيدة " عجبا لوجهك كيف عاد لحاله" للرّبيع بوشامة في مستوياتها الثّلاثة، من أجل استظهار مواطن الجمال و تحديد الخصائص التّعبيريّة لكلّ مستوى، ساعين للإجابة عن الإشكال التّالي: كيفت تجلّت فرادة الأسلوب عند الشّاعر الرّبيع بوشامة؟ وما هي أهمّ الصّور الجماليّة المكوّنة للخطاب الشّعريّ عند الشّاعر؟

ولد الرّبيع بن الصدّيق بوشامة، "ببلدة قنزات بمنطقة بني يعلي بولاية سطيف بالشّرق الجزائريّ، حفظ القرآن الكريم في الثّانية عشرة من عمره، وكان يجالس العلماء ويخالط أصحاب العلم منذ صغره، قبل أن يلتحق بدروس الإمام عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، كان عنصرا بارزا في الحركة الوطنيّة وفي سنة 1937 أصبح عضوا عاملا في جمعيّة العلماء المسلمين، ومثّل جمعيتها في أوساط المغتربين في فرنسا،"[3] شارك في مظاهرات الثّامن من ماي 1948 بمدينة خراطة، حيث زجّت به سلطات الاحتلال في السّجن، بتهمة التّحريض على الانتفاضة وحكم عليه بالإعدام، "وبعدها تمّ الإفراج عنه سنة 1946، لينتقل إلى العاصمة ويعمل بها معلّما، ومع اندلاع ثورة التّحرير المباركة في الفاتح من نوفمبر عام 1954 التحق الشّاعر بصفوف المجاهدين، يجنّد الشّباب، يجمع الأموال، ويوثّق صلاته بجيش التّحرير الوطنيّ، يواكب بشعره مسيرة الثّورة يصوّر ملاحمها ويخلّد مآثرها"[4]، إلى أن ارتقى شهيدا _رحمه الله_ يوم 13ماي 1959،بعد أن ألقى عليه المحتلّون القبض وهو في مكتبه بإدارة المدرسة، حيث اقتيد إلى السّجن وظلّ به لخمسة شهور كاملة، يقاسي ألوان العذاب وصنوف التّنكيل البشعة.

2- المقاربة الأسلوبيّة لقصيدة "عجبا لوجهك كيف عاد لحاله"

تندرج قصيدة "عجبا لوجهك كيف عاد لحاله" ضمن الدّيوان الشّعري للشّاعر الكبير الرّبيع بوشامة، وقد أنشأت هذه القصيدة عقب الأحداث المأساويّة الدّامية التّي خلّفتها مظاهرات الثّامن من ماي سنة 1948، والتّي شارك الشّاعر في تنظيمها وإحيائها، وقد ضمّنها مشاعره وأحاسيسه الجيّاشة تجاه الوطن و الشّهداء وكلّ الذّين عانوا من ويلات الاحتلال الغاشم، وبالاستعانة بالقراءة الأسلوبيّة سنقوم بتحديد البنى الأسلوبيّة البارزة داخل النصّ وإحصاء مختلف تمظهراتها على مستوى التّركيب والصّوت والدّلالة، بغية إضاءة والوقوف على مميّزاته الفنّيّة والجماليّة.

2-1- المستوى الصّوتيّ:

تنتظم اللّغة الشّعريّة في نسيج صوتيّ متميّز يفوق اللّغة الاعتياديّة ويجعل النصّ زاخراً بالإشارة الجماليّة ومشحوناً بالدّلالة الإيحائيّة التّي لم تكن لتثار لولا هذا الاتّساق الإيقاعيّ بين

الوحدات اللّغويةّ، "ذلك أنّ "الشّعر تشكيل خاص منقولٌ بموسيقى الإيقاع واللّفظ، فهو يولد أوّلاً كإيقاع قبل أن ينتظم في جملٍ وتعابير"[5]، والأسلوبيّة تولي اهتماماً خاصاً بتحليل الجانب الصّوتي بحيث" تبرز خصوصية العمل الأدبيّ من خلال تقصّي الأثر الصّوتي النّابع عن الانتظام بين الأنساق المكوّنة للنصّ، وقد انماز نصّ القصيدة بإيقاع سلس واضح يعكس جوّ الحزن وحالة الألم التّي اعتصرت الشّاعر، على نحو يستشفّه القارئ بسهولة ويتلمّسه أثناء قراءته التّفاعليّة، ومن أبرز الظّواهر الصّوتيّة اللّافتة الظّهور، نجد الوزن، القافية والتّكرار.

أ- **الوزن:**

تنتمي القصيدة إلى الشّعر العموديّ التّقليديّ على اعتبار أنّ الشّاعر الرّبيع بوشامة ينتمي إلى مدرسة المحافظين، وقد اعتمد في بنائها وزن بحر الكامل، فهي تقوم على تفعيلة "متفاعلن".

طلبوه للهيجاء حتّى حرّروا بكفاحه فجزوه بنت حسام

0/0// /0/ /0/// 0//0/// 0//0/ 0/0/ /0/0/0/ /0///

متفاعلن متْفاعلن متْفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلنْ

مع حدوث بعض التّغييرات نظرا لورود الزّحافات والعلل بكثرة، بخاصّة زحاف الإضمار إذ تتغيّر التّفعيلة وتصبح "متْفاعلن" وهو تسكين الثّاني المتحرّك، و كذا علّة القطع وهي حذف آخر الوتد المجموع وتسكين ما قبل آخره، فتغدو التّفعيلة "متفاعلنْ"، فنجد

قبّحت من شهر مدى الأعوام يا مايُ كم فجّعتَ من أقوام[6]

0/0/0/ 0/ /0/0/ 0/ /0/0/ 0/0/0/0// 0/0/ 0/ /0/0/

متْفاعلن متْفاعلن متْفاعلنْ متْفاعلن متْفاعلن متفاعلنْ

ويستمرّ الشّاعر في تشكيل إيقاع بحر الكامل إلى آخر القصيدة محمّلا إيّاه شحناته العاطفيّة المختلفة حزنا وغضبا وألما وحسرة، يشتدّ تارة ويتصاعد ثمّ يهدأ تارة أخرى ويسكن اضطرابه، تبعا للموقف الشّعوريّ، ويمكن القول عامّة أنّ بحر الكامل بحر جميل الإيقاع،

موسيقاه الثّابتة تتناسب مع تصاعد حركيّة الأحداث التّي صاحبت مظاهرات الثّامن ماي الشّرعيّة، وهي مع ذلك أيضا انعكاس لشدّة انفعال نفسيّة الشّاعر وتأجّج عاطفته.

ب- القافية:

للقافية إسهامٌ كبير في خلق التّشابه الصّوتيّ داخل النصّ، لِمَا تخلُقه من متعة ولذّة عند القارئ، وبمَا تكتسبه من أهمّية دلاليّة ضمن سياق البيت، إذ "تبرز القافية عند النّقاد في أنها تلعب دور مولّد صوتيّ معنويّ"[7]، والقصيدة بنيت على رويّ (الميم) وهو حرف شفهيّ مجهور شديد يتّسم بوضوح سمعي عالٍ "لما فيه من تردّدات عالية تثير أذن السامع"[8]، فنلاحظ ذلك

لي فـــيكَ يا مايَ النوائبِ والرَّدى	ذكرى شقـــيٍّ طيــلةَ الأعـــوام
فقدانُ خيرِ أب، وأكرم صحــبةٍ	وجـــحيمُ ســجن حُفَّ بالإعدام
في ذمّــة التاريخ تسعةُ أشـــهرٍ	قَـــضَّيْتُها في عـــزّة وصـــدام
وشربتُ منها كأسَ كلّ شـــديدةٍ	صُنِعتْ - خِصيصاً - للفتى المقدام
قابلــتُها بشجـــاعة جبّـــارةٍ	وتجـــلّد يســـــطو على الآلام[9]

ومع تواتر تردّد رويّ الميم يتأكّد ترسيخ قيم الجهر والشدّة في التّعبير عن الأحاسيس المندفعة، كما وظّف الشّاعر مع حرف الرويّ صوتا صائتا فجعل الرّدف (حرف مدٍّ أو حرف لينٍ ساكن يسبق الرّوي مباشرة)، لازمة ترافق حرف الرويّ حدّ الالتصاق به، بحيث سيطر على القوافي سيطرةً تامة، الأمر الذي مكّن النصّ الشّعري من استيعاب كلّ المشاعر التّي تفتقر إلى أصوات صائتة في الأداء.

ج- التّكرار:

لم يعد التّكرار في المقاربات الحديثة تقنيّة مملّة، بل بات أحد المقاييس المؤشرة على جمالية النّصوص وحسن إبداعها، بحيث يضفي على النصّ طابعا موسيقيّا متفرّدا، إذ أن "الأصوات و توافقاتها والكثافة والاستمرار والتّكرار يتضمّن طاقة تعبيرية فذّة"[10]، وأوّل ما يطالعنا في القصيدة هو تكرار الأصوات(الحروف) التّي ترتبط ارتباطا وثيقا بمضمون النصّ

وأبعاده الدّلاليّة، ففي متن القصيدة تراوحت الحروف والأصوات بين المهموسة والمجهورة، ويمكن القول أنّ النسبة بينهما فيها اعتدال مع أفضليّة طفيفة للأصوات المجهورة، حيث عزّز وجودها تكرار رويّ القصيدة ممثّلا بحرف "الميم"، وقد تواتر ورود الأصوات المجهورة من بداية القصيدة ليتصاعد ويتضاعف بروزه أكثر مع نهايتها، وذلك استجابة لقوّة المشاعر واندفاع العواطف الجارفة، التّي تدلّل على معاني الغضب والسّخط والرّغبة الجامحة في الثّورة على الطّغيان ورفض الظّلم، أمّا الأصوات المهموسة فقد كثر ذكرها وترديدها في بداية القصيدة فجاءت تمهيدا للحدث الأبرز في النصّ، وهو مجازر وفظائع الفرنسيين بحقّ الجزائريين الأبرياء يوم الثّامن من ماي الخالد، فنقلت هذه الأصوات مشاعر الحزن والأسى والألم والحسرة، وعبّرت عن مأساويّة الحدث وسوداويته وشدّة تأثّر الشّاعر بهذه الأحداث الدّامية. وبهذا نصل إلى أنّ تكرار الأصوات المهموسة والمجهورة وتحديد صفاتها قد حقّق التّناغم والانسجام بين دلالة الحرف ونفسيّة الشّاعر وبين مبنى النصّ من ناحية الشّكل والمضمون.

أمّا على مستوى الألفاظ فإنّنا نلحظ بسهولة لجوء الشّاعر إلى تكرار لفظة "ماي" في القصيدة، حيث تكرّرت ستّ مرّات، وهذا الأمر بدهيٌّ فالقصيدة وثيقة تأريخ خالدة لأحداث الثّامن من ماي المأساويّة، وما تكرار لفظة ماي إلّا دلالة على أهميّة هذا الحدث وتأكيد على هول الفاجعة التّي ألمّت بالشّعب البريئ الأعزل، وإثبات لشدّة تأثّر الشّاعر و إصراره على التّفاعل عاطفيّا وأدبيّا مع أبناء وطنه في هذه المحنة، لكنّ المتمعّن في القصيدة يدرك جيّدا أنّ تكرار لفظة ماي لم يكن اعتباطيّا، بل يعكس ذكاء الشّاعر وقدرته في بناء نصّه وهندسته بشكل يبرز أفكاره و يحمل رسالته وينقل عواطفه، ونتأكّد من ذلك حين نلحظ طريقة تواتر لفظة ماي وتوزيعها المدروس في النصّ، فعلى الرّغم من كون القصيدة كتلة واحدة لا فواصل بينها ولا مقاطع تجزّئها شكليّا، جاء تكرار هذه اللّفظة لمفصلة النصّ و تحديده ضمن أفكار أساسيّة مجزّأة تتشكّل معا داخل النصّ، فتكرار الكلمة ستّ مرّات يعني وجود ستّ أفكار ومن ذلك ما حملته الفكرة الأولى من معانٍ تندرج ضمن عنوان "(وصف الحدث "مجازر الثّامن ماي" وبشاعة المحتلّ) في قوله:

قبّحت من شهرٍ مدى الأعوام يا (ماي) كم فجّعت من أقوامِ
شابتْ لهولك في الجزائر صِبيةٌ و انماع صخرٌ من أذاك الطّامي[11]

أمّا الفكرة الثّانية ففيها حديث عن معاناة الشّاعر الشّخصيّة في هذا الشّهر حيث سجن وقتل والده وفقد أعزّ أصدقائه إذ يقول:

لي فيك يا (ماي) النّوائب والرّدى وذكرى شقيّ طيلة الأعــوام
فقدان خيرأبٍ وأكرم صــحبة وجحيم سجنٍ حُفَ بالإعدام[12]

وفي الفكرة الثّالثة يلعن الشّاعر شهر ماي لأنّه أصبح في نظره رمزا للنّكسات والمصائب، فيعترف قائلا :

يا(مايُ) قد ظلموكَ حقّاً مثلما ظلموا الضِّعافَ وشوَّهُوكَ بذام
هلّا غربــتَ عن الزمان وأهلهِ فتريح هـــــذا النّـاس من إيلام[13]

إنّ تكرار لفظة(ماي) ستّ مرّات يؤكّد ما تختزنه هذه اللّفظة من مدلولاتٍ سلبيّة، تكشف العبء الثّقيل الذّي خلّفه هذا الشّهر على نفسيّة الشّاعر، وكأنّي به يريد التخلّص منه نهائيّا لا من خلال مخاطبته وحسب، بل من خلال التّكرار التّراكميّ بحيث يكون عائقًا زمنيًّا يحول بينه وبين الأمان والاستقرار.

2-2- المستوى التّركيبيّ:

تأتي فاعلية التّركيب في البحث الأسلوبي من "أنّ الأسلوبيّة ترى فيه عنصراً ذا حساسية في تحديد الخصائص التّي تربطه بمبدع معيّن، ولأنّها تعطيه من الملامح ما يميّزه عن غيره من المبدعين"[14]، وعليه تغدو الأدوات اللّغويّة تركيبا هامّا يؤدّي إلى صياغة الصّورة المنشودة و ترجمة الانفعال النّفسيّ المقصود ممّا يسمح للشّاعر بالإفصاح عن حسّه وتصوّره للوجود.

إنّ المتمعّن في قصيدة " عجبا لوجهك كيف عاد لحاله" يستشفّ بجلاء دور العناصر التّركيبيّة في بناء نسيج متجانس للنصّ، وعن طريق ربط هذه العناصر الأسلوبيّة سيكون من السّهل الوصول إلى مختلف الدّلالات ومعرفة تأثيرها في بنية النصّ وعلى المتلقّي أيضا.

أ. دراسة تركيب الجمل:

"الجملة هي عنصر الكلام الأساسي، إذ يحصل بواسطتها الفهم و الإفهام بين مختلف المنتفعين باللّغة. و يحوّل المنتفع مادة ،فكرة إلى كلام معبّر، بواسطة الجمل، و يتكلّم و يتواصل بوساطتها كذلك. و اعتبر علماء الألسنية الجملة، الصورة الصغرى للكلام المقيّد، أي الكلام الذّي يخضع لمتطلّبات اللّغة و نواميسها"[15]، وقد كان لحضور الجمل في القصيدة بنوعيها الفعليّة والاسميّة دلالات وإيحاءات هامّة، خاصّة في تحديد التّجربة الشّعريّة عند الشّاعر

تواتر ورود الجمل الفعليّة والجمل الاسميّة في القصيدة بنسب جدّ متقاربة، مع تفوّق طفيف للجمل الفعليّة حيث بلغت نسبة التّكرار فيها 56%، ويرجع هذا التفوّق إلى طبيعة الموضوع المعالج، فالنصّ يضجّ بأحداث سياسيّة وعسكريّة واجتماعيّة، انجرّت عن الحدث الأبرز في القصيدة وهو مجازر الثّامن من ماي 1948، وكما هو معلوم فإنّ الجمل الفعليّة تدلّ في العموم على معاني التقلّب والتّغيّر وعدم الثّبات فهي تمتاز بالحركيّة، وفي هذا دلالة واضحة على انقلاب حياة الجزائريين بعد المظاهرات ومعاناتهم اليوميّة مع الاحتلال، وتغيّر أوضاعهم إلى أوضاع أكثر سوءا، الأمر الذّي يستدعي القيام بثورة تهبّ معها رياح التّغيير والتّحرير، ومن أمثلة الجملة الفعليّة نذكر:

شابتْ لهولك في الجزائر صِبيةٌ - يُوحي الشجى ويصيح مثل الهام
إنْ أعلنوا فيك السلامَ لقد رموا - شُوِيتْ وكانت من ألذّ طعام

أمّا الجمل الاسميّة فقد وظّفها الشّاعر بكثرة في النصّ، وإن بدرجة أقلّ من نظيرتها الفعليّة حيث بلت نسبة حضورها في النصّ 44%، ويلاحظ في القصيدة اقتران الجمل الاسميّة بالتّعبير عن العواطف وإظهار مختلف المشاعر، وفي هذا دلالة واضحة على أهمّية الجمل الاسميّة في نقل المعنى وتشكيل الصّورة، إذ من المعروف أنّها من النّاحية اللّغويّة والتّركيبيّة تدلّ على معاني الثّبات والاستمرار والدّيمومة، وبإسقاط ذلك على القصيدة، نجد أنّ حالة الحزن والألم والحسرة قد ظلّت مخيّمة على جوّ القصيدة، وذلك بسبب تأثير الأحداث المؤلمة بعد الفظائع المرتكبة بحقّ الشّعب الجزائريّ، ومن أمثلة الجمل الاسميّة نورد:

تاريخُكَ المشؤوم سُطِّر من دَمٍ ما يومُ حنّوز وجرح مصابِهِ

حصنُ الرجولة في أعزّ صفاتها في عنفوان العمر، لم يدنوا إلى

أسلوب النّفي:

يشكّل أسلوب النّفي _ الصّريح والضّمنيّ_ أحد أبرز الظّواهر الأسلوبيّة في القصيدة، "فالنّفي يحدّد أسلوب الشّاعر في قول ما يريد، على أساس انعدام التّشابه الإراديّ والتّماثل المقصود بين عالمه والعوالم الأخرى، لأنّه عندما يتلاعب بالنّفي يبغي الإثبات بطريق المخالفة"[16]، وقد اعتمد الشّاعر النّفي بتشكيلات متنوّعة داخل النصّ (لا، لم،لن، ما، لولا)، بحيث تواتر حضور أدوات النّفي داخل النصّ في إحدى عشر موضعا. سنعرض أهمّها:

فمن المواضع الأثيرة التّي تجلّت فيها بنية النّفي دائرة الحزن والألم بعد المجازر المرتكبة بمنطقة "حنّوز" أين يقطن الشّاعر، حيث بلغت مشاعر الأسى والحسرة ذروتها وكأنّ الزّمان توقّف عند ذلك اليوم، الذّي سيبقى جرحا غائرا لا يلتئم ولا يندثر ولا يمكن نسيانه أو تجاوزه، فيقول :

ما يوم حنّــوزوجرح مصابه بمحــجّب أبــدا ولا ملتـــام

لن يقدر الحدثان أو طول المدى أن يطـويه كعارض الأحـــلام

لابدّ أن يبــقى كرمـز خـــالدٍ يوحي الشّجى ويصيح مثل الهام[17]

إنّ كثافة النّفي هنا (ما، لا، لن) تؤشّر على على كثافة الدّلالة، حيث " تأخذ الصّياغة بعدا حكائيّا يتلازم مع زمن المضي، معنى هذا أنّ هناك تصادما كبيرا بين زمن النصّ وزمن الدّلالة في لحظة فريدة تتوحّد فيها الذّات بالواقع فيكون جدبها جدبا له[18]، وعليه فالنّفي يعكس حالة القلق الذّي يعتمر الشّاعر، وهو ما يتأكّد في باقي الأبيات حين يورد قائلا:

ما كنت أهلا للفجائع والرؤى لــولا يدٌ من نـاقم غشّــام

ما كنت أهلا للنّقائص والأذى لـولا هوى في دولة الأقــوام [19]

إنّ الشّاعر يحاور معاتبا شهر "ماي" ويعبّر عن تلك الحالة بمحاولة رصد أبعادها، من موقع يصبح فيه النّفي وسيلة لغويّة تنفتح على دلالتين متقابلتين هي ثنائيّة النّفي والإثبات، فبقدر ما يلحّ الشّاعر على تبرئة "شهر ماي" من دمّ الجزائريين ويثبتها للمحتلّين الغاصبين، فإنّه بالقدر نفسه يؤكّد على شؤم هذا الشّهر ونحسه، وبهذا يتّضح أنّ النّفي والإثبات قيمتان خلافيتان تظهران المفارقة بين حالتين متقابلتين"[20].

2-3- المستوى الدّلاليّ:

يولي التّحليل الأسلوبيّ أهمّية بالغة في رصد الدّلالات الكامنة في النصّ، ذلك أنّ " النصّ يتحرّك ضمن دلالاته، ولا شيء يقوى على ضبط هذه الدّلالات وتحديد مواقعها أو رسمها وبنائها قدر ما يقوى الأسلوب عليه"[21]، وهذا بما يختزنه من طاقات تعبيريّة تشكّل فاعليّة دلاليّة في النصّ على مستوى البنية العميقة، ولابدّ لصاحبها أن يتسلّح بثقافة أدبيّة واسعة تمكّنه من فكّ شفرات النصّ والقبض على إيحاءاته ودلالاته للوصول إلى لذّة اكتشاف المعاني والأحاسيس المكتنزة في أيّ نصّ.

أ. المعجم الشّعريّ:

يتنوّع المعجم الشّعريّ عند الرّبيع بوشامة بشكل يعكس ثراء روافده الثّقافيّة والأدبيّة والدّينيّة والتّاريخيّة، على نحو يجعل للشّاعر فرادة أسلوبيّة خاصّة ينماز بها عن غيره من الشّعراء تبدو جلّية في قاموسه اللغويّ، وبالعودة إلى نصّ القصيدة سنحاول استخلاص أبرز الحقول الدّلاليّة المكوّنة لخطابه الشّعريّ، وهي كالتّالي:

- **حقل الألم والحزن:** (فجّعت، تفطّرت مدامع، آلام، مفجوعة، تبكي،الشجى، حزن)

وفيه يعبّر الشّاعر عن حالة الأسى والتفجّع من هول المجازر، ويصف صورة الحزن التّي خيّمت على الجزائريين .

- **حقل التّعذيب:** (الأغلال، الإعدام، قاتل،سجن، شوّهوك، اعتدوا، داسوا، شُويت)

ونلاحظ أنّ الشّاعر هنا قد تخيّر ألفاظا بالغة التّعبير، ليصوّر وحشية المستعمر التّي فاقت مقدرة البشر على التحمّل والجلد، محتلّ يقتل ينكّل يشوّه ويشوي أكباد الشّعوب.

- **حقل الزّمن** :(ماي، شهر، أعوام، الأيّام، يوم حنّوز، لحظة، تسعة أشهر، الشّهور، الزّمان)

يعكس هذا الحقل صدمة الشّاعر من هول المجزرة، حتّى بات زمانها وتاريخها أشدّ عدّوين له لا يستطيع تجاوزهما، فتاريخ هذا الحدث سيظلّ وصمة عار في جبين الإنسانيّة الغافلة ورمزا ليوم نحس لا يمحى من التّاريخ.

- **حقل الألفاظ الدّينيّة**:(اللّه، مولاك، ربّ السّما، ضارع، يد الجبّار، الإسلام)

يرمي الشّاعر من وراء توظيف هذا الحقل، إبراز مدى تمسّك الجزائريين بدينهم وإيمانهم بنصر اللّه الآت لا محالة، وفيه تذكير للمحتلّ المغترّ بقوّته بأنّ يد اللّه أقوى وأنّ اللّه بجانب الجزائريين.

ب. الصّورة الشّعريّة:

انطوت القصيدة على مجموعة من الصّور الشّعريّة المتزنة لوظائف دلاليّة وجماليّة وفنّية، تثير متعة المتلقّي وتستثير عقله ونفسه لتذوّقها، و من ذلك نجد :

- **الاستعارة:**

إنّ الاستعارة تتدخّل في" تشكيل بنية اللّغة الشّعرية لا من أجل إزالة المنافرة الدّلالية التي قد تحدث بين الدّال والمدلول فحسب بل تحويلها إلى الملاءمة في السّياق الاستبداليّ"[22]، ومن هذا المنطلق راح الرّبيع بوشامة يستخدم اللّغة الاستيعاريّة في قصيدته من أجل القبض على ناصية المعاني، ويتلمّس القارئ أولى هذه الصّور في مطلع القصيدة أين يلجأ الشّاعر إلى توظيف تقنية التّشخيص، فيجعل من الآخر غير العاقل ذاتا عاقلة يحاورها ويحادثها ويستنطقها ويعاتبها فيقول مخاطبا شهر " ماي":

قبّحـــــت من شهر مدى الأعوام ياماي كم فجّـــعت من أقوام
يا ماي قد ظلـــــموك حقّا مثلما ظلموا الضّعاف وشــوّهوك بذام
داسوا حـــــرامك واعتدوا بنذالة في حرزه وجـــــــنوا أخسّ آثام
وكســـوك ثوب المجرمين إهـــــانة مقصـــودة لســـنائك البسـّام
قرنوا اسمك المحفظ باسم جريمة نكـراء عاثت في الذـــرى والهام
فمثّلت مكروهـــــا ولست بمذنب ورمـــــاك موتورٌبســـهم حـام
عجبا لوجهك كيـــــف عاد لحاله مــن بعد أحــداث عرتك جسام[23]

من خلال هذه الأبيات نشعر بدقّة الصّورة وبلاغة التّصوير ونغوص مع الرّبيع بوشامة في لوحته الشّعريّة، وهو يرسم "شهر ماي" ويوصّفه ويشخصّه ويثقل في عتابه لكأنّه إنسان عاقل يرتقي إلى صفة العدوّ، وبهذا الشّكل يصبح التّشخيص لدى الشّاعر لا مجرّد تقنيّة بلايّة تعبيريّة بل يستحيل رؤية داخليّة ترسم أبعاد الصّورة الهجائيّة المثيرة.

- **الكناية:**

تتّكئ القصيدة الشّعريّة على الكناية باعتبارها عنصرا بيانيّا يفضي إلى المعنى ويؤدّيه أداء غير مباشر، وقد حفلت القصيدة بهذا اللّون البيانيّ الجميل من ذلك قول الشّاعر:

شابت لهولك في الجزائر صبية و انماع صخر من آذاك الطّامي
وتفطّرت أكـباد كـــلّ رحيمة في الكـون حتّى مـهجة الأيّـــام

يلجأ الرّبيع بوشامة إلى التكنية كوسيلة بلاغيّة لتصوير أثر ووقع أحداث الثّامن من ماي على الجزائريين، فيعرض شدّة هولها في شكل مشاهد ولوحاتٍ حيّة، فمن شدّتها شاب الصبية والأطفال من قبل المشيب، وتفتّت الصّخر واستحال ذرّات منثورة من شدّة الأذى، وذابت القلوب وتآكلت الأكباد حزنا وحسرة على فقد الأحبّة والأولاد والأقرباء، كلّ هذه الصّور البليغة التّركيب تشكّل كنايات مختلفة تصف بشاعة أحداث شهر وشدّة وقعها على البلاد والعباد.

ويوظّف الشّاعر الكناية توظيفا ذكّيا حين يعتمد الكناية عن موصوف، لأجل اختصار معان كثيرة واختزالها في عبارات بليغة تحمل معان وإيحاءات شتّى، من ذلك قوله:

جزوه بنت حسام إشارة إلى غدر الاستعمار ونكثه لعهوده و مقابلة بسالة الجزائريين بالسيف والحرب.

رموا بابن الجزائر وهي كناية هنا على الشهداء الذّين ضحّوا بأنفسهم فداء للوطن

أنت بن ذي الأهوال وهي دلالة على شهر الشّؤم والنّحس شهر ماي الذّي اجتمعت فيه المصائب متتالية على الشّاعر.

3- خاتمة:

لقد أفرز تحليلنا الأسلوبيّ لميميّة الرّبيع بوشامة مجموعة من النّتائج أبرزها:

- أسلوب الشّاعر والأصوات التّي وظّفها في قصيدته أعطت انطباعا وتوازنا مع نفسيّة الشّاعرة التّي انغمست في حالة الحزن والحسرة والألم.
- ينسجم الإيقاع النمطيّ المتمثّل في الوزن والقافية (البحر الكامل، الرويّ الميم) مع الحالة الشّعوريّة الطّاغية على النصّ.
- يأتي توظيف الجمل الفعليّة والاسميّة إضافة إلى أسلوب النّفي بتواترهما وتكاثفهما ملمحا أسلوبيًّا بارزا في القصيدة له دوره الدّلاليّ وأهميته في إثارة المعاني الإيحائيّة داخل النصّ.
- نجح استخدام الاستعارة والكناية في تكثيف الدّلالات السلبيّة ورسم صورة خاصّة داخل النصّ، إضافة إلى اعتماد الرّبيع بوشامة للتّشخيص .
- انماز المعجم الشّعريّ للرّبيع بوشامة بالشّمول والكثافة، وقد ارتقى بلغته اليوميّة إلى لغة مشعّة بالإيحاء عميقة الدّلالة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. توفيق الزيدي، أثر اللّسانيات في النّقد العربيّ الحديث، الدّار العربيّة للكتاب، 1988 .
2. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 : 6
3. راشد بن حمد الحسيني، البنى الأسلوبيّة في النصّ الشّعريّ ،ط1، لندن دار الحكمة،2004

4. مصطفى السّعدني، البنيات الأسلوبية فى لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، إسكندرية، 1987 م
5. جمال قنان، ديوان الشهيد، الرّبيع بوشامة، جمع وتحقيق، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
6. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط 1985،1
7. عبد السلام المسدي، في جدل الحداثة الشعرية. نموذج المفاصل: مجلة الأقلام، العدد (1)، السنة (21)، 1986.
8. محمّد عبد المطلب، قراءات أسلوبية فى الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة /1995 م
9. : منذر عياشي مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1990.
10. قاسم البريسم، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري .الآفاق النظرية و واقعية التطبيق، دار الكنوز الأدبية، ط1، 2000.
11. صلاح فضل نبرات الخطاب الشعري . الطبعة الأولى دار قباء للطباعة والنشر .القاهرة .1998 م .
12. سعيد بورنان نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956، دار هومه، الجزائر، 2012.

الهوامش:

[1] .يوسف حامد جابر، النص الأدبي في اللّسانيات البنيويّة، مجلة علامات، المجلد (7)، الجزء (29)، سبتمبر، 1998ص:23 .

[2] . توفيق الزيدي، أثر اللّسانيات في النّقد العربيّ الحديث، الدّار العربيّة للكتاب، 1988 .ص81.

[3] سعيد بورنان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956، دار هومه ، الجزائر، 2012. ص 186-

[4] .سعيد بورنّان .المرجع السّابق، ص 195

[5] منذر عياشي ،مقالات في الأسلوبية، ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1990. ص7

[6] جمال قنان، ديوان الشهيد الرّبيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، 1994.ص 55

[7] توفيق الزيدي ، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، 1988 :81

[8] قاسم البريسم، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري،الآفاق النظرية و واقعية التطبيق،دار الكنوز الأدبية، ط1، 2000 : 188 .

[9] جمال قنان، المرجع السّابق، ص55

[10] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط1985،1: 25.

[11] جمال قنان، المرجع السّابق، 55

[12] المرجع نفسه ، ص 55

[13] المرجع نفسه، ص55

[14] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 : ص 6

[15] راشد بن حمد الحسيني، البنى الأسلوبيّة في النصّ الشّعريّ ، ط1، لندن دار الحكمة،2004.ص 33.

[16] صلاح فضل، نبرات الخطاب الشعري. الطبعة الأولى دار قباء للطباعة والنشر .القاهرة .1998.ص.193

[17] جمال قنّان، المرجع السّابق، ص 55

[18] محمّد عبد المطلب، قراءات أسلوبية فى الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة /1995 م ص/ 184- 185

[19] جمال قنّان، المرجع السّابق، ص 55

[20] مصطفى السّعدني، البنيات الأسلوبية فى لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف ،إسكندرية ، 1987 م ، ص225

[21] منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، المرجع السّابق. ص 89

[22] عبد السلام المسدي،في جدل الحداثة الشّعرية، نموذج المفاصل، مجلة الأقلام، العدد (1)، السنة (21)، 1986.

[23] ديوان الشّهيد الرّبيع بوشامة، المرجع السّابق، ص56 .

الشّهيد الحبيب بنّاسي - حياته ونضاله السّياسي والأدبي-

the martyr Habib Benassi -His life and political and literary struggle–

طالبة الدكتوراه: باحدي مباركة

أ/د قوني زينب

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي(الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية، جامعة الوادي.

bahdi-mebarka@univ-eloued.dz

ملخص:

في هذه الورقة البحثيّة سنسلط الضّوء على شخصيّة أدبيّة كافحت بقلمها وبروحها إلى آخر رمق فيها للدّفاع عن وطنها من الاستعمار الغاشم، فأفنت بذلك شبابها بين المعارك والحروب والجهاد؛ ولم تكتفي فقط بالدّفاع جسديًا بل دافعت بالكلمة والصّوت في كتابات كان لها صدى بين الصّحف الجزائريّة والعربيّة، وهي شخصيّة الأديب الشّهيد والكاتب الحبيب بنّاسي، الّذي لم يحظ بالتّعريف الوافي بين الكتب الجزائريّة، كما لم تنل آثاره الأدبيّة العناية الكافية في الدّراسات الجزائريّة لإبراز مدى جماليّة كتاباته الأدبيّة الّتي صوّرت الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة في الجزائر، ليكون سبّاقًا في إطلاق شرارة بدايات ظهور القصّة الجزائريّة والموضوعات الثّوريّة.

الكلمات المفتاحية: الشهيد؛ الأديب؛ بنّاسي، النشاط السياسي؛ القصة الجزائرية؛ حزب الشعب الجزائري.

Abstract:

In this research paper, our primary objective is to illuminate the literary figure who engaged passionately with his pen, spirit, and intellectual prowess, persevering until his final moments to safeguard his nation from the shackles of colonial domination. His commitment led him to expend his youth amidst the crucible of battles, wars, and resistance, transcending the mere realm of physical defense to employ the power of the written word and

resonating voice. This exceptional persona is none other than the martyr and revered writer, Habib Benassi, a luminary whose comprehensive recognition within the annals of Algerian literature remains notably absent. Regrettably, his literary oeuvre has been somewhat overlooked within the realm of Algerian studies, despite the profound aesthetic appeal of his literary compositions, which intricately delineated the tapestry of social and political life in Algeria. Notably, Benassi stood as a trailblazer in kindling the nascent flame of the Algerian short story and the exploration of revolutionary motifs.

key words: Martyr ; Writer; Bennassy; Political Activism; Algerian Short Narrative; Algerian People's Party.

مقدمة:

أثارت الثّورة الجزائريّة قريحة العديد من الأدباء والشّعراء، فما كان منهم إلّا بثّ صداها وإيصال شرارتها إلى الشّعب بالكلمة الأدبيّة للدّفاع عن وطنهم من الاستعمار الّذي طالت يده كلّ الأماكن، وكلّ المجالات السّياسيّة، والاجتماعيّة، والدّينيّة والاقتصاديّة ،وحتّى الأدبيّة منها؛ لإغفال العقول ونشر الأميّة في البلاد، فلم يكن لهم إلّا صوت القلم الّذي دوى صداه كلّ أرجاء العالم، ومع تعدّد سنوات الكفاح تعدّدت أسماء هؤلاء الكتّاب كما تعدّدت معها موضوعاتهم، حيث ظهر اسم الحبيب بنّاسي من الأسماء الجليّة في الكتابات الثّوريّة، ولم يتوقف كفاحه فقط بالكتابة بل كافح ودافع عن وطنه من خلال الجهاد بالسّلاح، فصنّف بذلك من الأدباء الشّهداء الجزائريّين البارزين الّذين دافعوا بالقلم والسّلاح عن وطنهم، وفي هذه الورقة البحثيّة كان لزامًا علينا التّعريف بهذا الأديب الشّهيد وتسليط الضّوء على آثاره الأدبيّة والتّعرّف على موضوعاته وأسلوبه الفنّي في الكتابة.

1. حياته:

"الشّهيد الحبيب بنّاسي السّمغوني" كاتب وشهيد من شهداء الثّورة التّحريريّة وأديب موهوب ولد في 13ديسمبر 1928م، ببوسمغون[1] مدينة المشريّة ولاية النّعامة، لمّا بلغ الثّانية عشر من عمره انخرط في صفوف حزب الشّعب الجزائري والكشّافة الإسلاميّة فرع مدينة المشريّة،

ظهرت مواهبه الأدبيّة أثناء نضاله في حزب الشّعب مبكراً وكذا نشاطه النّضالي وخاصّةً عندما وقعت أحداث الثّامن من ماي 1945م، كان لنشاطه هذا الفضل في أن يتعرّف على شخصيّات بارزة في المعتقل بمدينة المشريّة مثل: الشّيخ العربي التّبسّي، والشّيخ سعيد الصّالحي، ولمّا سافر للجزائر العاصمة التقى بالكثير من زعامات حزب الشّعب، وقد شارك بإلقاء خطب حماسيّة عندما اشتدّ الصّراع بين طرفي حزب الشّعب حول طريقة مواصلة الكفاح؛ فقد كان الأديب **الحبيب بنّاسي** يساند الّذين طالبوا بالإسراع في الكفاح المسلّح ففي نظره ما أُخِذَ بالقوّة لا يستردّ إلّا بالقوّة.[2]

كُرِّمَ الأديب من طرف "الرّئيس السّابق اليمين زروال بوسام العشير من مصاف الاستحقاق الوطني في حفل كبير جدًا، وقد كان ذلك سنة 1997م"3 باعتباره من الشّهداء الأدباء الّذين ساهموا في الدّفاع عن الوطن أدبًا ونضالًا.

2. وفاته:

استشهد الحبيب بنّاسي رحمه الله "في 15 ديسمبر 1956م، وتفيد بعض الشّهادات أنّه قد استشهد حرقاً، وذلك بعد معركة بين جيش التّحرير وقوّات الاحتلال الفرنسي"[4].

3. نشاطه السّياسي:

بدأ الحبيب بنّاسي "يتميّز بنشاطه السّياسي منذ سنة 1954م، وكان ذلك من خلال كتابته لسلسلة مقالات على شكل مراسلات نشرها بصحف تونسيّة، فكان موضوعها يدور حول الثّورة واحتضان الشّعب الجزائري لها، وقد اتصلت به جبهة التّحرير الوطني بعد أن لفت نشاطه الصّحفي انتباهها له فأوكلته مهمة الإشراف على تأسيس خليّة فدائيّة، وأصبح مرشداً ومنظماً للحركة الفدائيّة بمدينة سيدي بلعباس، كما شارك في أكبر هجوم شنّه الفدائيّون على المدينة في نوفمبر سنة 1956م، والتحق بعد هذه العمليّة بصفوف جيش التّحرير في الجبال."[5]

وكان لهذه المقالات الأثر البالغ في لمعان اسمه بين جلّ الأسماء السّياسيّة الأخرى؛ فهذه المقالات هي الّتي دفعت به إلى أحضان التّجمّعات السّياسيّة والانطلاق في المسار الثّوري، ليصبح اسمًا بارزًا من أسماء الشّهداء الثّوار الخالدين في ذاكرة الشّعب الجزائري وتاريخ الثّورة العريق.

4. آثاره الأدبيّة:

لكل ثورة من الثّورات العربيّة أو في أرجاء العالم تاريخ ثوري، كما لها تاريخ أدبي يخلّد الأدباء الّذين عايشوا تلك المرحلة وحاولوا التّعبير عنها لإيصال صدى صوتهم للعالم سواء كان ذلك في الإذاعات أو الصّحف أو المجلّات، وكان لكلّ أديب وجهة نظر خاصّة به في مفهومه للأدب؛ إلّا أنّ المفهوم السّائد في الأدب يتغيّر بحسب السّنوات والمراحل الثّوريّة ومن بلد إلى آخر.

انحصر الأدب في الجزائر إلى ما بعد الحرب العالميّة الثّانية في دراسة الشّعر؛ لذا حاول الحبيب بنّاسي تغيير مفهومه المتعارف عليه في الحياة الأدبيّة وخصوصاً في منابر العلماء، فوصف بنّاسي الأدب بأنه أفكار وخواطر تولّدت من عوامل كثيرة، وتجمّعت في فرد واحد أو في أفراد عدّة.

إنّ وصفه هذا تخطّى حدود الأدب المتعارف عليه بأنّه تعبير عن خوالج تتبادر إلى ذهن الأديب؛ فالحبيب بنّاسي يرى أن الأدب يتعدّى حدود التّعبير عن الذّات، بل هو تعبير عن الواقع المعاش بكلّ أبعادها وتساهم الظّروف في تدوينه في شكل آثار أدبيّة، وكثيرًا ما يكون الأديب قد عاصر هذه الظّروف أو تشاركها مع مجموعة أخرى من الأدباء أو العامة من أبناء وطنه، وهو بذلك يشير إلى أنّ الظّروف الاجتماعيّة والسّياسيّة أسهمت بفاعلية في بلورة شخصيته الأدبية في إبراز حسّ روح الكتابة الأدبيّة عنده للتّعبير عن القضايا الجزائريّة.

كان قلم الأديب الشّهيد بنّاسي خصباً لحسن استخدامه في الدّفاع عن قضيّة بلاده والتّعريف بمآسيها لدى الخاصّ والعام، فأثرى الحياة الإبداعيّة والنقديّة الّتي تعدّ اليوم شاهداً على الثّورة التّحريريّة، "ويقول عنه الأستاذ شريبط في كتابه « مباحث في الأدب الجزائري المعاصر» أن الأديب الشّهيد قد ترك عملاً واحداً طبع جزؤه الأكبر بتلمسان عام 1956م، وهو « صرخة القلب » (ط1، 1956م)، (ط2، 1984م)"[6] وهو كتاب تضمن حياة الشّهيد الحبيب بنّاسي، كما "احتوى على عدّة فنون كالخاطرة والمقال الأدبي والمقال السّياسّي، والصّحفي، وعلى لوحات

قصصيّة"[7]، إذ يعتبرها بعض النّقّاد مجرّد محاولات في الكتابة القصصيّة، كما تحدّث عن الرّسم، وله كتابات أخرى تضمّنها هذا الكتاب وتمثلت في:

(«الحبّ» - «أيّها الحبّ» - «حقل الذّكريات»- «شمعة تحترق» - «عواطف وأحلام» - «العصفور السّجين» - «أيّها الرسّام» - «نشيد الوداع» - «أطباق الذّكرى» - «من بعيد يا أمّاه»- «من الذّكريات الّتي لا تنسى»- «فضل الزّيتونة على القرويّين» - «الدّكتور الشّهيد» - «فاس يوم أوّل نوفمبر» - «فاس يوم 12 جانفي 1951»- «نيران وثلوج» - «أقصوصة من الرّيف» - «فلسفة الشّابي» - «انبعاث الأدب الجزائري» - «الحركة الأدبيّة بالجزائر» - «مأساة أسرة» - «يتيم الأصنام » و«شهداء الأدب والسّياسة » و«دماء ودموع» و«شهيد بلا قبر» و« لبّيك يا جمال» و«الإمام عبد الحميد ابن باديس» و «الثّورة الجزائريّة ..كيف نشأت»)،[8] و«الحنين إلى الوطن»: نشر هذا المقال بجريدة المنار عدد 45 بتاريخ 1953/07/10م.[9] وبالرّغم من صغر سنّ الحبيب بنّاسي إلّا أنّ تجارب الحياة صقلته جيّدًا فجعلت منه أديبًا متميّزًا، ولو لم توافيه المنيّة سريعًا لكان له صيت كبير في الأدب الجزائري المعاصر.

5. موضوعاته:

اتّصفت كتاباته بالثّراء والجدّ في البحث عن أشكال أدبيّة جديدة، حيث كان على علم واسع بمسار الأدب الجزائري واتّجاهاته الفنيّة والفكريّة؛ فعالج في خواطره موضوع الحبّ الّذي كان شبه محظور في عهده[10] وذلك بسبب تأثره بأسلوب جبران خليل جبران، فكتب بضعة قصص تعتبر انطلاقةً لظهور القصّة الجزائريّة المعاصرة على صعيد الموضوع والفنّ فواكب بها أحداث الجزائر الاجتماعيّة والسّياسيّة، ومن بين هذه القصص:

- **<u>قصّة "صرخة القلب":</u>** تدخل هذه القصّة ضمن القصص السّردية أو المقال القصصي، حيث نبّه الكاتب محمد منيع القرّاء لهذا الكتاب كما أشاد بالكاتب الحبيب بنّاسي؛ فقال: أن الكاتب الحبيب بنّاسي قد بذل جهودًا كبيرةً في كتابتها وضمّ فيها الحنين والشّوق للوطن والبكاء على فراقه كما واجه الحيرة والألم وذلك عند عودته من ديار الغربة[11] وانصدامه بالواقع المأساوي للبلاد ومعاناة الشّعب في ظلّ هذا الوضع الاستعماري.

لم يتوقف الكاتب الحبيب بنّاسي عن الكتابة في حدود قصّته السّابقة في ظلّ الاستعمار؛ بل واصل الكتابة القصصيّة المبدعة في تونس بعد اختفاء مجلة البصائر الّتي كان ينشر فيها مقالاته الصّحفيّة، ولكن توقّفت هذه المجلّة بسبب تفرّق كتّابها على الصّحف الأخرى، ومنها الصّحف التّونسيّة أيّام الثّورة، فنشر الشّهيد الحبيب بنّاسي ثلاث قصص في جريدة الزّيتونة بتونس سنة 1956م،[12] وهي قصص قصيرة تناولت موضوع السّياسة، كما حاول فيها الأديب بنّاسي تصوير بعض جوانب الوضع السّياسي في الجزائر بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م[13]، وقد تمثلت هذه القصص في:

- **قصّة "مأساة أسرة":** (وهذه قصّة وطنيّة) وصوّر فيها نهاية أسرة جزائريّة كانت ثريّة، حيث تملك أراضي واسعة وضيْعة جميلة وسيّارات فاخرة، إلّا أنّ السّلطات الاستعماريّة ألقت القبض على الأب، بسبب بلاغ من بعض من كانوا يحسدونه على ثروته بتهمة أنّه كان يؤوي في بيته مجموعة من المجاهدين نهاراً، ويقدم لهم حاجياتهم ومستلزماتهم من قوت العيش والسّلاح، وفي هذه القصّة تجلّى أسلوب بنّاسي في الحديث عن كيفيّة تفشّي أخبار الثّورة وانصهارها في البيئة الجزائريّة، فمهّد بذلك إلى تغيّير طباع شخصيّاته حيث خلق جوًّا متوتّرًا بينهم وبين الوسط المعاش.[14] ففي هذه القصّة تتجسد شخصيّة الطّبيب المتقلّبة الطّبائع، حيث بدأ عمّاله يشعرون بجفائه وابتعاده عنهم، ويفقدون بذلك الجلسات الممتعة الّتي كان ينظمها لهم في بيته، كما كان بيته مقصًدا لمجاهدين مجهولين بالنّسبة لسكّان المنطقة، فهؤلاء المجاهدون غرباء عن الدّيار والحيّ ولا يقصدون بيت الطّبيب إلّا في ساعة متأخّرة من اللّيل، ولا يغادرونه طوال النّهار، وعند حلول اللّيل يخرجون؛ حيث لا يعلم أحد مقصدهم مقنّعون ولا يتحدّثون إلّا بالهمس ويرتدون ملابس خاصّة ويحملون أنواعاً من الأسلحة والذّخائر الحربيّة ممّا ولّد رغبة في نفوس الأهالي لمعرفة هؤلاء الغرباء المقنّعين، الّذين لا يخرجون إلّا حين يشتدّ ظلام اللّيل.[15]

- **قصّة "شهيد بلا قبر":** تصوّر هذه القصّة شابًا مثقّفًا تحصّل على شهادة اللّيسانس من كليّة الآداب بجامعة القاهرة، وكان يعمل مراسلاً صحفيًا للجرائد الوطنيّة الجزائريّة، أثناء تواجده بالقاهرة، ولكنّه ما إن سمع بقيام الثّورة حتّى عاد إلى الجزائر، ولكنّ السّلطات الاستعماريّة

سارعت بإلقاء القبض عليه بتهمة أنّه كان وسيطًا بين القاهرة والثّوار في الجزائر، فأُخِذ إلى متاهات السّجن، ولما رفض البوح بأسرار الثّورة قتلوه ورموا جثّته في البحر[16].

- **قصّة "الدّكتور الشّهيد":** "وهي قصة في سيرة المجاهد الجزائري الحكيم: "بن عودة بن زجرب " وكيفية استشهاده"[17].

كما للأديب بنّاسي قصّة في مجلة (هنا الجزائر) ذات عنوان طويل وعاطفي وهو: "صراع بين العاطفة والعقل" أو " دمعة القلب الجريح"، وهي قصّة غراميّة حزينة ذات حبّ أفلاطوني تنتهي بمأساة،[18] وللشهيد بنّاسي قصصًا أخرى للأديب الشّهيد الحبيب بنّاسي تمثلت في:

- **قصّة "يتيم الأصنام":** تصوّر طفلاً فقد والده أولاً، ثم والدته الّتي هوت عليها جدران العمارات أثناء طوافها بشوارع المدينة بحثًا عن طعام له.[19]

- **قصّة "الحبّ والشّرف":** وهي قصّة تصوّر رؤية رومانسيّة عاطفيّة للحبّ في الرّيف الجزائري، ففيها وصف ملامح الشّخصيّة المحوريّة، وقام هذا الوصف بوظيفة رئيسيّة تمثّلت في الكشف عن صفات البطل النّفسيّة والجسميّة، إلّا أنّ هذه القصّة اتّسمت بالضّعف الفنّي الّذي قد يكون سببه اسهابه في الحديث عن حبّ القائد الرّئيسي "نابليون" لزوجته "جوزفين"، وقرار نابليون الثّأر منها عندما علم بخيانتها؛ فقد اتّخذه الأديب بنّاسي عبرة ومثالاً احتذاه عندما اكتشف أنّ خطيبته تخونه مع شابٍّ آخر، فسارع إلى طلاقها، إلّا أنّ هذا الضّعف في القصّة ظهر في خاتمتها الوعظية الّتي جاءت على لسان صديق البطل، وهي بذلك لا تختلف عن نهايات القصص الإصلاحيّة في المرحلة الأولى[20].

6. أسلوبه الفنّي:

غلب على كتابه "صرخة القلب" الأسلوب الرّومانسي القريب من أسلوب الكاتب اللّبناني جبران خليل جبران وخصوصًا في نزعته الثّوريّة، فتعبيره عن الحبّ تميّز برؤية وأسلوب (رومانتيكيين) يغدقان بأفكار جبران، فهذه الألفاظ المشهورة في كتاباته: الهيكل والنّاموس والغيب، والمحراب، والخمر، والمواكب، تكاد لا تخلو منها أيّة خاطرة من خواطر الحبيب بنّاسي[21]، كما كتب

عن الطّبيعة بأسلوب رومانسي حالم، لكنّ هذا الأسلوب تغيّر وصار واقعيًّا وتجلّى ذلك خصوصًا في مقالاته ومراسلاته الّتي كتبها في مرحلته الأخيرة.

وأمّا في **قصّة "الدّكتور الشّهيد"** فقد غيّر الحبيب بنّاسي أسلوبه، حيث اتّبع أسلوبًا جديدًا تمثّل في الغموض الّذي يحيط بشخصيّاته الّتي لم يكشف عنها للوهلة الأولى؛ بل تركها تكشف عن نفسها بنفسها مع تتابع الأحداث تدريجيًّا، فملامح الشّخصيّة المحوريّة (الطّبيب) مثلاً تتغيّر طباعها وهذا التّغيير يعطي دفعًا قوياً للنّاس لمعرفة الأمور الجديدة، كما أنّ شخصيّة (المجاهد) يتخلّلها الغموض؛ باعتبارها أنها تصوّر شخصيّة مجهولة الهويّة، وقد حقّق هذا الأسلوب هدفين مهمين هما: الأوّل تشويقًا شخصيّات القصّة للتعرف على هذا الشخص المجهول، والثّاني التعبير عن السّريّة والحذر اللّذان تميّزت بهما الثّورة التّحريريّة، وهذا العمل يعدّ من أساليب العمل الفدائي[22].

وكل هذه المعطيات تدلّ على أنّ الحبيب بنّاسي كانت له رؤية سبّاقة في مجال الكتابة القصصيّة، كما كان له أسلوب فريد يميّزه عن غيره من الكتّاب في ذلك الوقت؛ فهو من الكتّاب الثّوّار المتفردين بأسلوبه الخاص؛ إذ ابتعد عن التّقليد والتأثّر الّذي ساد في ذلك الوقت.

7. صورة الشّهيد وصورة العدوّ في قصص بنّاسي:

تتميز جلّ الشّخصيّات الوطنيّة والثّوريّة في قصص الحبيب بنّاسي بانتمائها إلى أسر ذات سيادة وسلطة وجاه، كما تتصف أيضًا بالثّقافة العالية وحسن الأخلاق، حيث يكاد بنّاسي يتفرّد بهذا الوصف في تاريخ القصّة الجزائريّة؛ لأنّ معظم القاصّين الجزائريّين صوّروا شخصيّة الغنيّ بجانب شخصيّة الخائن- وهو يمثّل العدوّ أيضًا- الّذي يحافظ على مصالحه من أجل زيادة تنمية ثروته بجميع الطّرق والوسائل حتّى وإن كانت هذه الأعمال تضرّ بلاده أو شعبه أو أهله، كما صوّر الكاتب أنّ القضاء على هؤلاء الخونة أمر لا يقل قيمة من القضاء على المستعمر[23]، أو حلفائه المعمرين في البلاد سواء أكانوا مستوطنين أو من خونة المواطنين.

وهذا يعكس الخلفيّة المرجعيّة للكاتب الّذي تربّى في كنف التّعليم العالي في مصر، فالدّارس لمثل هذا المستوى في ذلك الوقت ما هو إلّا فرد من أفراد الأسر العريقة وذات جاه في البلاد أو من

مستوى معيشي مرموق كفيل بتدريس أبنائهم خارج البلاد، كما يعكس الخلفية الأيديولوجية للأديب الّذي يصر على تطبيق القوة على الاحتلال لأن القوة في نظره هي الحل الوحيد لاسترجاع الاستقلال.

كما اعتمد الحبيب بنّاسي أيضًا في رسمه لصورة وملامح الجندي الفرنسي في قصصه قاعدةً أساسيّة في نتاجه القصصي، وذلك باعتبار الجندي الفرنسي سيّئ الخلق عديم الإنسانيّة ومتحجر القلب لا يهمه إلّا الافتخار بجبروته ولا يشفي غليله إلّا التّعاون مع العدوّ [24] وإحباط محاولات التّحرّر منه، وهذا يؤكد أنّ بنّاسي يُكِنُّ كرهًا كبيرًا للاستعمار الفرنسي الّذي صوّره في أسوء صوره داخل كتاباته الأدبيّة.

8. مقتطفات من كتاباته:

لم يحظ النّتاج القصصي للكاتب الحبيب بنّاسي بدراسات نقدية؛ وهذا ما لمسناه من خلال البحث والتقصي، كما لاحظنا أن نصوصه الأدبية أيضًا غير متوفرة، ومن مثال ذلك كتابه "صرخة القلب" الذي لم نجد منه إلّا بعض المقتطفات الّتي سنعرضها من أجل إظهار أسلوبه في الكتابة.

مما جاء في قصّته هذه قصة صرخة قلب: " .....وما كادت تجلس حتّى التفتت إليّ قائلةً: هل طالعت مجلّة (المجاهد) لهذا الأسبوع؟ . ... أجبت لا يا أختاه ...لم تسمح لي فرصة الرّاحة بذلك لأوّل مرّة.. وحاولت أن تقوم من مكانها ولكنّها ....."[25]

كما تحدث عن الرّسم بقوله: " من أنت أيّها الرّسم أحياتي أم روحي؟ أم ملك مقدس بعثت به أرواح الجمال من تلك السّماوات الرّوحانيّة ليخاطب روحي ويعانقها فتمتزجان وتسموان معاً إلى برزخ الأرواح، أم أنت روح فنيس آلهة الحبّ والجمال."[26]، كما هو واضح هنا أسلوبه الرومانسي بامتياز، ويواصل في أسلوبه الرومانسي قائلا: "شعاع الأرض، أم أنت نجم هوى من العلى ليعيد إلى الأرض طهارة السماء؟ ما أشقاك أيها الرسم، وما أشقاني منك، إني أناديك وأهمس بلسان قلبي إلى آذان قلبك لعلك تجيب إلى نداء القلب." [27]

كما يقول أيضًا عن الرسم: " رباه مالي أخاطب رسما لا يفهم كلامي ولا يردد صدى شكواي وأحزاني في قلبه الفتي، إنك أيها الرّسم الجميل كجمال صاحبك، بعينيه الساحرتين، وأهذابه ."[28]

ومن كتاباته عن الطبيعة قوله: " وأنى للجبال أن تصلح، وأنى للهياكل أن ترمم، لقد جئت أتقيل تحت شجراتك الوارقة أيها الحب، واستريح من هذه الأشواط التي قطعتها مع الأجيال، فكانت الذكريات تدفعني، والأمل يرافقني....."[29].

ويقول أيضًا: " أيها القلب فإن ذلك الماء المقدس الذي أنزلته الطبيعة من سمائها ليطفئ جذوتك، ويكسر من شدة اِلتهابك، وهو بعيد عنك لا ينوب عنه نائب، لأن ماء هذا القلب المحترق لا يطفئ قلبا آخر."[30]

ويقول متحدثا عن الحبّ : "...الضعيف تحت ستار الإشفاق تارة، وتحت ستار المحافظة على النفس والشرف تارة أخرى، إنها الغريزة، غريزة الذين يتلذذون بألم المتأملين وشقاء المحرومين، إنه الحب، حب امتصاص الدماء....."[31].

إن المتتبع لحياة الأديب وملاحظته مدى إصراره عن حمل السلاح والدفاع عن الوطن بقوّة يعتقد للوهلة الأولى أنّ كتاباته أيضًا سيكون فيها حس الجفاء والعنف؛ ولكن من خلال المقتطفات السّابقة يظهر أن الأديب بناسي يختلف تمامًا عن المجاهد الثّوري، فأسلوبه الرّومانسي جليّ جدًا من خلال وصفه للطبيعة والرّسم وكذا في طريقته في التعبير عن الحبّ، وهذا يدلّ على أنّ الكاتب ينتمي للنزعة الرّومانسية كما يؤكد تأثره بالأديب جبران خليل جبران صاحب الحسّ الرّومانسي الرّقيق.

الخاتمة:

من خلال التّعريف بحياة الأديب الشّهيد الحبيب بنّاسي نلاحظ أنّ هذه الشّخصيّة لم يسلط عليها الضّوء في الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة، رغم كونها شخصيّة اتّصفت بالجهاد سلاحًا وأدبًا؛ فقد حاول الحبيب بنّاسي تطوير مفهوم الكتابة الأدبيّة متخطيًا بذلك المفهوم السّائد للأدب في تلك الآونة ومعتمدًا على ذوقه الفنّي المتميّز، وقد أخذته رؤيته الجديدة للفن لأن يسير مع تطوّر

الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة في الجزائر، فكان بذلك أوّل من برز في الكتابة عن موضوعات الثّورة والحبّ، كما دعا إلى التّحرّر بالسّلاح فالقوّة هي الوحيدة الّتي ترجع الاستقلال للبلاد، وله محاولاته قصصيّة قليلة ينقصها الصّقل؛ مما جعل النّقاد يتجاهلون كتاباته الّتي لم تر النّور؛ إلى أن بادر أخوه أحمد بنّاسي إلى جمع قصصه في كتاب واحد هو "صرخة القلب " منبّهًا الباحثين إلى وجود أعمال أخيه الحبيب الأدبيّة، فيما تناثرت باقي قصصه بين ثنايا المكتبات أو لظروف أخرى غير معروفة؛ وهذا لا ينفي أنّ لهذه الأعمال أهمية أدبية واضحة.

قائمة المصادروالمراجع:

الكتب:

1. الحبيب بناسي، صرخة القلب، ط2، 1984م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
2. شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947-1 1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م.
3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، 1954م- 1962م، طبعة خاصة، 2007م، دار البصائر، الجزائر.
4. مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، اشراف رابح خدوسي،ج1، منشورات الحضارة.

المو اقع الإلكترونية:

1. موقع جزايريس اليوم، لقاء مع الأديب أحمد بناسي في حصة هذا المساء، الساعة: 19:22، https://www.djazairess.com
2. موقع موسوعة أعلام الجزائر، منتدى الشخصيات الجزائرية/اللمة الجزائرية، 16 سبتمبر 2011م، الحلقة التاسعة والعشرون، الساعة: 19:01 https://www.4algeria.com
3. موقع يهتم بتراث جوهرة الجنوب الوهراني بالجزائر (ابراهيم سلامي)، 2010/12/05م، المصدر جمعية أقلام المشرية، الساعة: 16: 20 http://brahimsalami.blogspot.com/2010/12/blog

الهوامش:

[1] - مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، اشراف رابح خدوسي،ج1، منشورات الحضارة، ص 377.

[2] - ينظر، موقع يهتم بتراث جوهرة الجنوب الوهراني بالجزائر(ابراهيم سلامي)، 2010/12/05م، المصدر جمعية أقلام المشرية، الساعة 20:16، http://brahimsalami.blogspot.com/2010/12/blog

[3] - موقع جزايريس اليوم، لقاء مع الأديب أحمد بناسي في حصة هذا المساء، الساعة: 19:22 ، https://www.djazairess.com

[4] - موقع (ابراهيم سلامي)، 2010/12/05م، المصدر جمعية أقلام المشرية، الساعة 20:16 http://brahimsalami.blogspot.com

[5] - موقع موسوعة أعلام الجزائر، منتدى الشخصيات الجزائرية/اللمة الجزائرية، 16 سبتمبر 2011م، الحلقة التاسعة والعشرون، الساعة: 19:01 https://www.4algeria.com

[6] - مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ص 377.

[7] - شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947-1 1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 1998م، ص 114.

[8] - الحبيب بناسي، صرخة القلب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م، ص 173- 176

[9] - ينظر، المصدر نفسه، ص 115.

[10] - ينظر، شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947-1 1985)، ص 114.

[11] - ينظر، د. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، 1954م- 1962م، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2007م، ص 480.

[12] - ينظر، المصدر نفسه، ص 480.

[13] - ينظر، شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ص 115.

[14] - ينظر، المرجع نفسه ص 116.

[15] - ينظر، المرجع نفسه، ص 116.

[16] - ينظر، المرجع نفسه، ص 115.

[17] - المرجع نفسه، ص 116.

[18] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 481.

[19] - ينظر، شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، ص 115.

[20] - ينظر، المرجع نفسه، ص 115.

[21] - ينظر، المرجع نفسه، ص 114.

[22] - ينظر، المرجع نفسه، ص 116.

[23] - ينظر، المرجع نفسه، ص 116.

[24] - ينظر، المرجع نفسه، ص 117.

[25] - الحبيب بناسي، صرخة القلب، ص 83.

[26] - موقع موسوعة أعلام الجزائر، الساعة: 19:01 https://www.4algeria.com

[27] - الحبيب بناسي، صرخة القلب، ص 54.

[28] - المصدر نفسه، ص 55.

[29] - المصدر نفسه، ص 27

[30] - المصدر نفسه، ص 35.

[31] - المصدر نفسه، ص 45.

القصة الجزائرية القصيرة -المفهوم والتصوارات-

مقاربة سوسيولوجية لقصة "الشيخ زروق "للكاتب أحمد رضا حوحو

The Algerian Short Story “The concept and perceptions” are a sociological approach to the story of sheikh Zarouk by “Ahmed Reda Houhou”

ط د/ مباركية شيماء

أ د/ نوال بومعزة

قسم لغة وأدب عربي-جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي(الجزائر)

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده جامعة الوادي.

mebarkia-chaima@univ-eloued.dz

ملخص:

عرفت الجزائر سنوات عديدة من الاستعمار الذي سبب تدهورا شاملا في جميع المجالات: السياسية والاقتصادية والسياحية والأخلاقية...لذلك انتفض أدباء الجزائر في محاولة منهم لتبليغ القضية الجزائرية للمحافل الدولية والالتزام بقضايا الواقع وما يمليه من ضرورة ماسة لفك مشكلاته العويصة تجاه الآخر المستعمر، فكانت تضحيات هؤلاء بالنفس والنفيس في سبيل تحرير الوطن بالقلم وتبليغ رسالة نبيلة ظلت صامدة تشهد لهم بالشرف والشجاعة أمثال العربي التبسي وأحمد رضا حوحو وغيرهم كثيرون، وفقا لهذا يطرح الإشكال الآتي: إلى أي مدى ساهمت إبداعات الأدباء الشهداء شعرا ونثرا في تقرير مصير الجزائر بعد عقود من الاستيطان العثماني والفرنسي على حد سواء؟.

الكلمات المفتاحية: الأدباء الشهداء؛ الإلتزام؛ النقد الاجتماعي؛ القصة القصيرة؛ أحمد رضا حوحو.

Abstract

Algeria witnessed many years of colonializm which caused a great devastation in various domains of life: political, economic, touristic and ethical. Due to this, the Algerian writers protested in order to universalize the Algerian cause in the universal festivals. They aimed to dipict reality problems as they are and how to solve them in the existance of colonialism. They, as the martyrs sacrificed everything in serach for freedom and establish it in reality in Algeria. They are hence, a symbol of bravery and honour like, Sheikh Laârbi Tebessi, Ahmad Ridha Houhou and many others. So, to what extent the Algerian literature, poetry and prose contributed in deciding Algeria's destiny after decades of the Ottoman colonialism and the French colonialism alike?

Key words: The martyr writers, commitment, social criticism, the short story, Ahmad Ridha Houhou.

مقدمة:

مثلت ظاهرة الالتزام قضية هامة من قضايا النقد الأدبي الحديث، إذ يقارب النص وفق مدى انعكاسه على قضايا الواقع وتصويرها، وأدب الشهداء صورة حية على انعكاس الواقع في الأدب، إذ راح هؤلاء يصورون الحياة الاجتماعية في ظل التواجد الكولونيالي في الجزائر ومدى تأثيرها السلبي على بنية المجتمع، لذلك مثلت آداب هؤلاء انتفاضة لرد ما تم نهبه بالقوة، وقد مثل أحمد رضا حوحو أحد الأدباء الذين كان لهم صيت ذائع في تقرير مصير الجزائر في مجموعة قصصية عنونت بـ: "نماذج بشرية" شهدت على تضحيته في سبيل الوطن والالتزام بطوارئه التي يفرضها الراهن.

1- الأدب في علاقته بمقولات النقد الأدبي الحديث

لا شك أن المنهج النقدي الحديث ببعديه الداخلي والمقامي يقدم بين يدي فهم النص الشرعي نسقا من العناصر التي تقوي طريق فهمه وتفسيره والاستنباط منه، ذلك أن العلم

بخلفيات النصوص وبالأسباب التي تكمن وراء نزولها ينفي الاحتمالات والتفسيرات التي تختلف حسب طبيعة النص ذاته.

والمناهج الخارجية هي المناهج التي عاينت النص من خلال إطاره التاريخي، الاجتماعي، أو النفسي، وتؤكد على السياق العام للمؤلف ومرجعياته، فالمنهج الاجتماعي خصيصا يقارب النص في علاقته بسياقه الاجتماعي، فقد ساهم في ظهوره وتقعيده مجموعة من النقاد أهمهم: جورج لوكاتش، جوليا كريستيفا، كارل ماركس، جون ستيوارت..ممن آمنوا بانعكاس الأدب على قضايا الواقع.

1-1- النقد الاجتماعي: المفهوم والمصطلح

المنهج الاجتماعي من أهم المناهج السياقية التي ظهرت في فرنسا في بدايات القرن التاسع عشر : «منذ أن أصدرت مدام دي ستايل Mme de stael كتابها الموسم ب "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية "عام 1800، فأدخلت بذلك المبدأ القائل بأن الأدب تعبير عن المجتمع»[1]، يعد الأدب نشاط إنساني، يسعى جاهدا ليقدم نفسه في الإطار الاجتماعي الذي أنتج فيه، فالأديب لا يعيش في فراغ خارج حدود الزمان والمكان إنما يعيش بالقوة في مجتمع ما تتصارع فيه القوى وتتناقض، فهو ينتمي إليه بالضرورة، مما يفرض عليه النأي عن الفردية والانغلاق على النص في صورته النسقية، وقد عملت الواقعية الاشتراكية مع كارل ماركس وغيره ممن وقفوا في وجه الرأسمالية على بلورة أسس المنهج الاجتماعي الذي يربط بين النتاج الأدبي بأنماطه وأنواعه المختلفة، ولعل أهم القضايا الاجتماعية والنقدية التي أثارها هذا المنهج قضية الالتزام أو ما يسمى بمبدأ الفن للحياة الاجتماعية، فكيف يتفاعل الأديب مع قضايا مجتمعه وهل له القدرة على إحداث تغيير لواقع مأساوي كولونيالي؟

والمنهج الاجتماعي في حقيقته هو: « إعادة قراءة ثورية ولدت قوى بدت جديدة وربما كانت كامنة أو مخبوءة»[2]، فهذا المنهج يربط النص بسياق إنتاجه الاجتماعي، الذي يتيح للقارئ إدراك

العلاقة بين الأديب وواقعه، الذي يلتزم طوعا أو كرها بالأحداث والوقائع الراهنة ويتأثر بها فيبدع على منوالها.

2-1- آلياته تطبيق المنهج:

ينطلق المنهج الاجتماعي من مبدأ مفاده أن: «لكل مجتمع بنيتين، دنيا: ويمثلها النتاج المادي المتجلي في البنية الاقتصادية للمجتمع، وعليا: وتمثلها النظم الثقافية والفكرية والسياسية المتولدة عن البنية الأساسية الأولى، وأن أي تغيير في قوى الإنتاج المادية وعلاقاته لابد أن يحدث تغييرا في العلاقات الاجتماعية والنظم الفكرية . وصحيح أن الخطاب الأدبي أو الفني ينتمي على وفق النظرية الماركسية إلى البنية العليا للمجتمع، وهو منعكس عن البنية الدنيا ومتأثر بها، إلا أنه صحيح أيضا أن مهمة الأديب لا تقف عند حد تصوير الواقع مجردا أي تسجيله وإنما يتعدى التصوير إلى الاختراق والنفاذ إلى بنيته التحتية وكشف ما يكتنف نسيجه من صراعات »[3]، فالنقد الاجتماعي يقوم بمقاربة النصوص الأدبية وفق مرحلتين، يهتم في الأولى بالواقع الملموس من قضايا طارئة وانشغالات اجتماعية وسياسية واقتصادية..، ثم يقوم في مرحلة لاحقة برصد تأثيرها على عالم الأفكار والمعرفة والأدب على حد سواء، فالعلاقة بينهما جدلية يستدعي حضور البنية الواحدة حضور الأخرى بالضرورة في عملية الفهم والتفسير ثم التأويل في مقام آخر، لذلك نجد الأديب يلتزم بقضايا الراهن، ويحاول طرحها في قوالبه الفنية حتى يكون مثقفا عضويا ينشغل بقضايا أمته، على اعتبار أن الأديب ابن بيئته يخترق مضمراته ويبرزها للقارئ.

2- القصة الجزائرية القصيرة ونقد الواقع الاجتماعي

بلغ التطور الأدبي والنقدي الساحة الجزائرية متأخرا بعض الشيء بسبب الأحداث المتتالية على الوطن من قبل الاستعمار العثماني والفرنسي، فقد: «شهد الشهر السابع من سنة خمس وعشرين من هذا القرن ميلاد القصة الجزائرية على يد محمد السعيد الزاهري الذي نشر في جريدة "الجزائر" محاولة قصصية عنوانها " فرنسوا والرشيد". ومنذ ذلك اليوم والقصة الجزائرية تدرج، ثم تحبو، ثم تنهض على ساقيها، ثم تتطور بها الحياة، وتتقدم بها السبيل إلى غاية الفن القصصي

خطوات شاسعة. فقد وجدنا هذه القصة تخطو خطوات خجولة طورا، وجريئة طورا آخر على أيدي محمد السعيد الزاهري، ومحمد العابد الجلالي، وأحمد بن عاشور، وأحمد رضا حوحو، ثم أبي القاسم سعد الله، فهؤلاء الخمسة أسهموا حتما في بناء هذا الصرح الضخم»[4]، ويبدو أن الاستعمار لم يكن عائقا لهؤلاء لدفع عجلة التطور الابستومولوجي في البيئة العربية عموما والجزائر بوجه الخصوص، إذ لا تنفك القصة الجزائرية القصيرة تنتشر في رحاب العالم العربي والغربي، من خلال الترجمة والطباعة اللذان ساهما بطريقة أو بأخرى في رواج الأعمال الأدبية الجزائرية.

2-1- البنية السطحية للقصة

يبدأ الجانب الإجرائي في تحليل القصة القصيرة للكاتب الجزائري أحمد رضا حوحو الذي ينطلق في هذه القصة الموسومة: "الشيخ زروق" في نقد لاذع لفئة اجتماعية تأثرت بالفساد الكولونيالي وباتت تنشره في المجتمع المحلي الشعبي، يقول: «الشيخ رزوق رجل في العقد السادس من عمره، ضخم الجثة، كثيف اللحية، أسمر اللون، ذو مهابة ووقار، يخشاه الناس ويحترمونه، تدور حول سيرته شبهات لم يصدقها إلا نفر قليل؛ حيث يتهمونه بالقيام بأعمال مالية غير مشروعة ويقولون أن في استطاعته أن يحرم الابن من إرث أبيه إذا ما قدم له مبلغ من الأوراق المالية... ولكن أغلبية مواطنيه تعتقد أنها مجرد إشاعات كاذبة يروجها حساد الشيخ وناكرو فضله، فهو لا يعرف سوى داره، والمسجد، والطريق بينهما»[5]، يمثل الشيخ زروق صورة السلطة الفاسدة التي تستدعي تدخلا سريعا للكف عن انتشارها في المجتمع، إذ يبرز الكاتب مقام من مقامات تواطؤ المعرفة مع السلطة في أعمال التخريب ونشر الفساد الأخلاقي، ويبدو أن الشيخ زروق الشخصية البطلة في القصة مصدر السلطة الدينية القابعة في أعمال لا أخلاقية يستوجب إزاحتها ومحاربتها، وإن صعب الأمر فمكافحة السلطة الدينية تستوجب وعيا دينيا أعمق من اعتقاد السلطة ذاتها، إذ يصدق فيه قوله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم:﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة/ 205].

ومن ترسبات السلطة الحاكمة الفاسدة في المجتمع الجزائري يستطرد رضا حوحو فيقول: «وما كادت زوجة الساذج تعي هذه المواعظ حتى تأثرت وخشيت بطش ربها ونقمه إذا ما صدت هذا الرجل الصالح عن القيام بأعماله الربانية، وانهالت على يده تقبلها وهي تردد: ربنا يبقيك ويحيطك بعنايته يا سيدي، حقا أن هذه الدنيا لا تساوي جناح بعوضة»[6]، وفي هذا المقام تبرز المصالح المشتركة بين السلطة والشعب، فعند فساد الأولى تتأثر الثانية بالضرورة، فيساهم كلاهما في تعميم الفساد الديني والأخلاقي وهضم حقوق الفئات المستضعفة في المجتمع، فيقع الظلم وتنتج فئات اجتماعية متناحرة.

وفي مقام آخر، ينوه الكاتب إلى قضية "الرشوة" الاجتماعية التي تتسبب في خلق التمايز الطبقي في المجتمع الواحد، يقول: «تربع الشيخ زروق على سجادته بعد ما قام ببعض الصلوات، وما كاد يستقر به المقام حتى تقدم نحوه شاب في ربيع الحياة رحب به الشيخ وانكب هذا على يده يلثمها، وفي نفس الوقت دس فيها شيئا رمقه الشيخ بنظرة فاحصة حتى إذا ما تأكد من ارتفاع قيمته أسرع إلى إخفائه في طيات جبته الفضفاضة وقابل هذه التحية بابتسامة لطيفة، وأقبل على الزائر يسأله ويمازحه وهو يتوسم الخير العميم من ورائه »[7]، فالرشوة ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع تدفعه للتدهور والانحطاط لأنها تدفع لأشخاص بغير وجه حق للقيام بأعمال دنيئة، فهي نوع من السحت الذي يهلك صاحبه وواقعه، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف أن الراشي والمرتشي كلاهما تسلط عليهم اللعنة في الدنيا والآخرة، ويقول عز وجل فيهم:﴿وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون﴾[سورة المائدة/62]، ثم يواصل السارد تسليط الضوء على فساد السلطة الدينية في زمن ما، فبالإضافة إلى الاحتلال العسكري والسياسي الفرنسي على الأرض، ما خلق نزعة تشاؤمية مأساوية مست طبقة مناقضة لهذه الآفة التي تمس بالأدب والفطرة السليمة للفرد المسلم المعتقد اعتقادا سليما بالدين والأخلاق الذاتية والاجتماعية على حد سواء، فكأنما يقول "أينما تكون المصلحة فثمة شرع الله"، فهذا الانزلاق الأخلاقي تسبب في أضرار اجتماعية مست أعلى سلطة المتمثلة في الدين والعقيدة، يقول حوحو: «استمر الشاب يقول: ورثت أختي قسطا وافرا من مخلفات الوالد وهي الآن تنفق من ريعها على

ابنها ولا مانع لدي في ذلك، ولكن إذا ما أدركتها الوفاة يوما- وهي مصابة بمرض خطير استعصى علاجه على الأطباء- فإن إبنها يرثها؟

- وما في ذلك شك، يرثها، حقه يا بني لا يمنعه مانع
- وبهذا يستولي هذا الأجنبي على جانب كبير من ثروتنا ومخلفات والدنا

وسكت الشاب، فقد اختنق صوته، ولكنه تشجع أخيرا وقال: إني أريد منع هذا الولد من إرثنا..

استغرق الشيخ في لجة من التفكير دامت بعض ثوان، ثم قال: إنك قادم على أمر خطير.. إنك قادم على منع وارث شرعي من إرثه الشرعي

نعم يا سيدي، أنا أعرف جيدا ما أنا قادم عليه، وإني مستعد لدفع اللازم لذلك...

الحقيقة أن هذا الطفل يعد أجنبيا دخيلا على أسرتكم»[8]، يحاول السارد من خلال هذا المقطع القصصي رسم معالم الصراع الاجتماعي وبروز الطبقية الاجتماعية من خلال تصوير طبقة ظالمة تتمثل في الشيخ زروق والشاب كعينة من عينات الفساد الأخلاقي، ثم طبقة أخرى مستضعفة تتمثل في الأخت وابنها اليتيم ممن يتشبثون بخيط أمل أن تتحسن أوضاع الراهن، لذلك يتدخل الكاتب الملتزم في السعي لإيجاد حلول لهذه المظاهر بعد الكشف عن الأسباب التي أدت إلى لجوء تلك الفئة إلى الأعمال غير الشرعية بالرغم من معرفة مؤثراتها السلبية على الفرد والمجتمع.

ومن الواقع الاجتماعي المنحل ينفذ الكاتب إلى تصوير الواقع الاقتصادي المتدهور الذي أرخى ستاره على الواقع آنذاك، فكأن الإنسان خرج من حرب سياسية دامية بشق الأنفس فصادف لعنة المسؤول التي فاقت لعنة المستعمر أضعاف مضاعفة، والجلي أن وضع البنية الاجتماعية يتأثر مباشرة بالبنية الاقتصادية، بوصفها بنية كبرى تتحكم في مجموعة أخرى من البنى المندرجة تحتها المتمثلة عرضا في: البنية السوسيولوجية، السيكولوجية، الابستومولوجية، فالأدب الجزائري بطبيعته: «لا يبتعد عن مخاض الأحداث التي يعيشها المجتمع الجزائري، بل إن روحه لا

تحيا إلا بالاحتكاك بالواقع وقضاياه»[9]. والجدير بالذكر أن استمرارية الأدب وحياته ترتبط بمباشرة اهتمامه بقضايا الراهن وطرحها على اعتبارها قضايا تحدد مصير الفرد والمجتمع على حد سواء، إذ ساهم الأدب في تنشيط الحركات التحررية والانتفاضة من أجل الحرية الفكرية والاعتقادية والعيش الكريم، فالكولونيال تسبب في إحداث فجوة بين الفرد وواقعه، فابتعد عن القيم والمبادئ التي كانت سائدة، وبات يحارب المجتمع مساندا للكولونيال، فكانت القصة بقلم أحمد رضا حوحو خير دليل على مدى الانحطاط الأخلاقي والديني الذي بلغه الفرد الجزائري خاصة.

وفي مقام آخر يسخر الكاتب أحمد رضا حوحو من الواقع الجزائري الذي بات خاضعا لا يرفض الوقائع والأحداث السلبية التي يتسبب بها سادة المجتمع وساسته، فالفرد الجزائري يعاني شقاء في الوعي والإدراك تجاه مجتمعه، يقول: «النجاح! هذا أمر ليس فيه أدنى شك ولا ريب، أنا لا أقدم إلا على القضايا الناجحة، لم أعود عملائي الفشل ولو مرة واحدة...فأنا في هذه الأيام القريبة ملكت زوجا من ثروة زوجته بعملية بسيطة، ثم طلقتها عليه، وهو اليوم ينعم بالمال والحرية، ولكنه دفع لي ضعف ما طلبت منك تقريبا، والحديث بيننا طبعا... فأنا يا ابني أعمالي متقنة والحمد لله ...ثم لا تنس ما قاله الرسول ﷺ :"استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان"»[10]، فشقاء الوعي معناه أن يفقد المرء ثقته بمجتمع من المفروض أن يحس بالأمن والانتماء إليه روحيا وجسديا، في حين يمارس المسؤول سلوكيات مزرية تمس بقيمة هذا المجتمع وتشكك في قدرته على التحرر من براثن هذه الحرب الأهلية التي يشنها المجتمع ضد أفراده والأفراد ضد هذا الكيان الاجتماعي، فهذا الشذوذ الاجتماعي، وغيره من القضايا الهامشية التي باتت تهدد الواقع الجزائري بوصفه مجتمعا بات يعاني أزمة الوعي الشقي بشكل متفاقم عما كان عليه سابقا بعد النكبات المتوالية على أصل بنيته الاجتماعية على اعتبار أنه: «تعال مطلق يلقي بالمؤمن في غياب مزدوج: فهو .يدفنه في الماضي مثلما يرمي به نحو المستقبل...بين الإيمان واليأس، فانه يجعل الشقي غريبا عن ذاته، خارجا عن الزمن.»[11]، فالفرد العربي عامة والجزائري خاصة اغترب عن واقعه أثناء وبعد الكولونيال الذي ساهم في هذا التأسيس لهذا الاغتراب وتنصل الشعب من الواقع الذي استقبل من القضايا ما لا تبيحه الثقافة الجزائرية ولا تعترف به.

ويضيف أحمد رضا حوحو في هذا السياق : «نهض الشاب متأملا مضطربا وبقي الشيخ مسرورا بذكر الله وحده، ثم قام يعد نقوده مرة ثانية، وما كاد ينتهي حتى دوى في المسجد صوت أذان الظهر، فأسرع الشيخ في إخفاء تلك الرزمة من الأوراق في جيب محكم، وقام يستعد لصلاة الظهر وهو يتذكر ما بقي لديه من المعاملات ويقدر في نفس الوقت ما ستدر عليه من الأرباح...»[12]، حاول الكاتب في هذا المقطع القصصي الربط بين الإبداع الأدبي وحركة المجتمع الجزائري، إذ تجلى هذا الربط الوثيق بين البنيتين الأدبية والسوسيولوجية من خلال التطرق لمثل هذه القضايا الشائكة، كالرشوة وأكل السحت والنهب والتسلط على الطبقة الكادحة المستضعفة، ويعتبر الشيخ زروق صورة مصغرة عن مجتمع مليء بمثل هذه السلوكيات، رغم النظرة الساخرة للسارد، إلا أنها توحي بأن التزامه الاجتماعي يصدر عن رؤية واقعية اشتراكية تطمح لتغيير مصائر الطبقة التي ينتمي إليها.

2-2- البنية العميقة للقصة

ينجم عن البنية السطحية بنية عميقة تتمثل في المضمرات التي يسعى الكاتب أحمد رضا حوحو إلى بلوغها من خلال قصته القصيرة الموسومة:" الشيخ زروق"، فالكاتب ينقد من خلال شخصية الشيخ زروق نماذج السلطة الفاسدة ويسعى إلى تقويضها من خلال إضاءات نقدية تسعى إلى الكشف عن خبايا السوسيولوجيا الجزائرية إبان الثورة، وتبيان مدى الواقع المأساوي الذي بلغه الفرد الجزائري.

ثم في مقام آخر يسعى الكاتب إلى توطيد العلاقة بين الأديب وواقعه: «الأدب هو الإنسان، بكل ما لكلمة إنسان من معنى، لأنه يصدر عنه، ويعود إليه، ويتحدث عن همومه وشؤونه ومشاغله وهو، في كل ذلك انطلاق حر لا يمكن تحديده، لأن النفس الإنسانية بعيدة الغور، مترامية الأبعاد، ومن العسير قوننتها وإخضاعها للتحليل العلمي الصرف. ومن المستحيل حصر الأدب في حقل الفكر الموضوعي، وتجريده من الارتعاشات الذاتية التي تعطيه بعده الإنساني، وجماله، وديمومته»[13] فالأدب فن لا يخضع لسلطة معينة، إنما هو ثقافة وتاريخ، كما هو ذاتية كاتب وتأويل قارئ، ينفتح على مجالات مختلفة يبدأ فيها بفهم الواقع وتفسيره، إذ لا يحدث الأدب

إلا في سياق اجتماعي، إذ أكد نقاد الاجتماع على أن الوضع الطبقي للأديب يحتم عليه أن يحمل أفكار طبقته ويتناول همومها ومواقفها، وبهذا: «يمكن أن تصنف القصة الجزائرية المعاصرة، بمضمونها الراقي، وبتقنياتها الحديثة أيضا، وبنزعتها الإنسانية التقدمية، في التراث القصصي الإنساني ذلك بأن القصص التي تترجم إلى بضع لغات من اللغات الكبيرة لا يجوز أن تعد غير عالمية التأثير »[14]، فالمضمون الاجتماعي المحلي للجزائر لم يمنع القصة القصيرة الجزائرية من تجاوز حدود الوطن إلى مصاف العالمية، إذ تعتبر من أرقى الكتابات التي وثقت علاقة الكاتب بمجتمعه من جهة، ثم علاقة النص بسياقات إنتاجه السوسيولوجية التي أثبتت قدرة الأدب على الانفتاح والتلاقح مع مختلف المجالات.

وعلى هذا الأساس ترتبت عن البنية العميقة العليا مجموعة من الأهداف والرؤى التي من شأنها التأثير في البنية السطحية ومحاولة تغييرها تتمثل أهمها في لفت الانتباه حول الفساد الذي ينشره المسؤول ومدى الأضرار المترتبة عنه للذات والواقع.

خاتمة:

القصة الجزائرية القصيرة من أهم الفنون الأدبية التي تعرف بالأعمال الجزائرية التي تتجلى في أعمال أحمد رضا حوحو، أبو القاسم سعد الله، الشيخ العربي التبسي..، إذ عرفت في ظروف معقدة أخرت من رواجها وتطورها لتلحق بنظيرتها الغربية.

أدب الشهداء وصمة شرف وعرفان بالجميل لأدباء شهداء ضحوا بالنفيس من أجل الالتزام بقضايا الواقع الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي، وتصوير الواقع المأساوي الذي آلت إليه الجزائر جراء التدخلات العسكرية والسلطة السياسية الفاسدة التي خلقت فجوة عميقة بين المرء ووطنه.

تعرض أحمد رضا حوحو لقضية اجتماعية أخلاقية شائكة، تتسبب بطريقة أو بأخرى في فساد البنية الاجتماعية وتلفها في ظل الممارسات غير الشرعية التي يمارسها أصحاب المراتب العليا والسلطات في الجزائر في مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر.

يمثل النقد الاجتماعي صورة صادقة لمبدأ "الأدب في خدمة الحياة الإجتماعية"، فالأدب إضافة إلى بعده الإمتاعي يمتلك بعدا براغماتيا يطرح من خلاله قضايا الواقع الطارئة في شكل نصوص تأثيرية تترك بصمتها في ذات القارئ كما تبث في الفرد ضرورة التغيير لضمان انتعاشة سوسيولوجية ناجحة في إدراك ملابسات الراهن والوعي بتأثيراتها السلبية والايجابية على المجتمع.

ساهم النقد السوسيولوجي في نجاح حركات التحرر القومي من الاستعمار في مختلف بلدان العالم العربي لاسيما مصر والعراق والجزائر، مع مجموعة من النقاد العرب والجزائريين على رأسهم: حسين مروة، وعبد الله الركيبي، وأبو القاسم سعد الله.

قسم النص القصصي بعنوان" الشيخ زروق" إلى بنيتين الأولى دنيا تتمثل في الاقتصاد والمجتمع، ومختلف القضايا المترتبة عن هذه البنية، وأخرى عليا تمثل عالم الأخلاق والأفكار، التي تساهم في تغيير معطيات الأولى بالضرورة.

قائمة المصادروالمراجع:

1. أحمد رضا حوحو: الشيخ زروق، ضمن كتاب: نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،دط، دت، مصر.
2. انطونوانيوس بطرس: الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2013.
3. بسام قطوس: دليل النظريات النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، كلية الآداب، جامعة الكويت.
4. جاك دريدا: هوامش الفلسفة، تر: منى طلبة، دار التنوير، بيروت، ط1، 2019.
5. عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990.
6. نوال بومعزة: إضاءات نقدية في السرد الجزائري، ألفا للوثائق، عمان، ط1، 2022.

الهوامش والإحالات:

[1] بسام قطوس: دليل النظريات النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، كلية الآداب، جامعة الكويت، ص50.

[2] المرجع نفسه، ص50.

[3] المرجع السابق، ص52.

[4] عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990، ص07.

[5] أحمد رضا حوحو: الشيخ زروق، ضمن كتاب: نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،دط، دت، مصر، 10.

[6] القصة، ص11.

[7] القصة، ص12

[8] القصة، ص13.

[9] نوال بومعزة: إضاءات نقدية في السرد الجزائري، ألفا للوثائق، عمان، ط1، 2022، ص91.

[10] القصة، ص ص14/13.

[11] جاك دريدا: هوامش الفلسفة، تر: منى طلبة، دار التنوير، بيروت، ط1، 2019، ص73.

[12] القصة،ص14.

[13] انطونوانيوس بطرس: الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2013، ص09.

[14] عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، م س، ص09.



هاتف : 00 84 14 032

imp2.mansour@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

الإيـــداع القانـونـــي

ISBN : 978-9969-9718-0-4

سنة الإصدار : جانفي 2024

سلسلة أبحاث في الأدب الجزائري ونقده رقم 04